



CONTRIBUTION OF BUSTANI FAMILY TO ARABIC LITERATURE

THESIS

SUBMITTED FOR THE AWARD OF THE DEGREE OF

Doctor of Philosophy

IN

ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE

By

MD. DELAWAR HOSSAIN

Under the Supervision of

Dr. MOHD. FAIZAN BEG

**DEPARTMENT OF ARABIC
ALIGARH MUSLIM UNIVERSITY
ALIGARH (INDIA)**

2004



مساهمة الأسرة البستانية في اللغة العربية وآدابها

مؤجز البحث

أطروحة قدمت لنيل شهادة الدكتوراة
في اللغة العربية وآدابها

إعداد

محمد دلاور حسين

تحت إشراف

الأستاذ الدكتور محمد فيضان بك

قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة عليكره الإسلامية، عليكره

الهند

٢٠٠٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

مؤجز البحث

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على رسوله سيدنا محمد الصديق الأمين

وعلى آله وأصحابه ومن تبعه أجمعين إلى يوم يبعثون، وبعد

وهذه الرسالة بعنوان: "مساهمة أسرة البستاني في اللغة العربية وأدائها" تهدف إلى

دراسة وتقييم نقدي لأعمال البستانيين العلمية والأدبية، للوقوف على قيمتها وعلى مافيهما

من غث وسمين.

تتألف الرسالة من ثلاثة أبواب . يتناول الباب الأول "الخلفية والمشأ" لأسرة

البستانيين وله ثلاثة فصول تحدثنا في الفصل الأول عن أحوال السياسة والإجتماعية،

والأجواء الأدبية، والثقافية، في لبنان في أوائل القرن العشرين.

خضع لبنان لحكم الآشوريين والبابليين والكلدانيين والفرس واليونان في ظل حكم

الإسكندر وخلفائه خاصة الإمبراطورية السلوقية ثم خضع إلى الحكم الروماني . ولما جاء

الفتح الإسلامي إلى المنطقة أصبح لبنان يشكل جزءاً من أرض المسلمين في عروبه

وحضارته وثقافته وتاريخية وحكمه العثمانيون بتأييد أمرائه ومنهم الأمير فخر الدين المعني

وفي فترة ضعف الدولة العثمانية أخذت الدول الأوروبية الكبرى تتصل بالقوى المحلية في

لبنان وفي أعقاب الحرب العلمية الأولى وقعت لبنان تحت الانتداب الفرنسي .

ثم فازت البلاد بالاستقلال وانضمت الحكومة اللبنانية إلى عضوية هيئة الأمم

المتحدة عام ١٩٤٥م وشاركت قوات من الجيش اللبناني مع الجيوش العربية الأخرى في

الحرب العربية الإسرائيلية عام ١٩٤٨م .

وكان لبنان بفضل مجاورته للبحر، وبفضل أكثرية سكانه المسيحية، وبفضل

اتجاهه نحو الغرب منذ العهد الفينيقي فالروماني البيزنطي إلى أيام فخر الدين المعني والأمير بشير أسرع تجاوبا مع تيار الأفكار العصرية الغربية وأكثر ميلا لتقبل الحضارة الأوروبية.

وقد ظل الأدب اللبناني في الفترة التي أعقبت الحرب بعيدا عن التطورات واكتفى لبنان بأدبائه وشعرائه الذين أرسلهم إلى مصر وإلى المهجر في القرن التاسع عشر واكتفى بهذا المجد الذي ضفّره على هامته اليازجيون والبستانيون.

وكان أبرز ما في كتاب لبنان هذه المجموعة المسيحية التي شغلت نفسها باللغة والأدب ونشرت القواميس والمعاجم والإلياذة، ودوائر المعارف كاليازجيين وابستانيين وذلك على رغم أن لبنان كان أقرب إلى الآداب الغربية من أي قطر عربي آخر.

وفي الفصل الثاني تحدثنا عن الأسرة البستانية ومكانتها في المجتمع اللبناني.

إن البستانيين مذهباً ينتمون إلى الكنيسة المارونية وهي أكبر فرقة من الشرق تنتمي إلى الكنيسة الرومانية الكاثوليكية وبالأحرى هماشيء واحد وبرزت هذه الفرقة في لبنان بشكل خاص في القرن العشرين. ومكانة الأسرة البستانية في المجتمع اللبناني بارزة جدا. وتعددت أشغالهم فمنهم من كان وزيرا للزراعة والتجارة ومن عمل في وزارة الأشغال وكانوا أعضاء في مجلس الأعيان وسفراء وأمناء سر للوفد العربي الفلسطيني وساعدين مدنيين عربيين للعقيد باكر ورؤساء لمحكمة اللغة ومحكمة استئناف الحقوق والجنح الإستئنافية والإدعاء العام الإستئنافية والتجارة ودائرة الاتهام وولاة لمناصب قضائية ومستشارين في محكمة التمييز.

وكذلك تعددت أشغالهم في الجمعيات المختلفة من دينية وخيرية وعلمية وأدبية. وقد ساهم البستانيون في تأسيس الجمعية الإسلامية المسيحية، وتأسيس النقابات الزراعية والصناعية في تركيا، ومدرسة الغابات والبنك الزراعي، وفي تأسيس جمعيات أدبية وتاريخية ودينية وإجتماعية كبيرة، مثلا الجمعية العلمية السورية.

وفى الفصل الثالث ذكرنا الأعضاء البارزين من الأسرة البستانية وأعمالهم الرئيسية فذكرنا منهم ستة وعشرين عضواً ومن أعمالهم ذكرنا أكثر من مائتى كتاب ومنها ما لم تصل إليه أيدينا وذكرناه بعنوان الكتب التى غير متوفرة لدينا.

وتحدثنا فى الباب الثانى عن "مساهمة البستانيين فى الأدب العربى" وقسمناه على عشرة فصول وفى الفصل الأول ذكرنا أن للبستانيين عدة مؤلفات فى المواد الدراسية منها أدباء العرب، والروائع، ومفتاح المصباح، والمجانى الحديثة، وأمثال الشرق والغرب، والصورة الشعرية فى الكتاب الفنية الأصول والفروع، والبيان، ومناهج الترجمة، وقواعد العرب، وجواهر الأدب. وعرضناها بتفصيل تحت عنوان إعداد الكتب الدراسية وأهمها أدباء العرب فى ثلاثة مجلدات وله أهمية باقية فى التاريخ والنقد الأدبى العربى. وكذلك يمكن القول فى سلسلة الروائع للأستاذ فواد أفرام البستانى. وهذا بالرغم من تعصباتهم الدينية ونزعاتهم المسيحية التى أوقعتهم فى بعض الأخطاء العلمية وقد أشرنا إليها فى موضعها وأكثر كتبهم الدراسية لم تبق لها قيمة فى مجال المواد الدراسية فقد أُنْجِدَ الكتاب المصريون وغيرهم كتباً قيمة كالنحو الواضح، والبلاغة الواضحة، والقراءة الراشدة، والقراءة الجديدة وغيرها من الكتب فلم يبق حاجة الطلاب إلى جواهر الأدب ومفتاح المصباح وقواعد العرب وغيرها من كتب البستانيين الدراسية. ولكنها لا تزال تتمتع بفضل سبق فى هذا المجال.

أما المجانى الحديثة لكرم البستانى فلا نعرف حظه من المدارس فى مصر ولبنان ولكن مجانى الأدب فى حدائق العرب للأب لويس شيخو وهو الكتاب الذى أراد كرم البستانى أن يجدده فى مادته وأسلوبه عن طريق الاختيار والشرح والتبويب فغدا اسمه — كما حكى عنه كرم البستانى — مرادفاً لكتاب التعليم العربى. ولم يزل حظه من المدارس العربية فى بلاد الهند أيضاً.

وللبستانيين عدة مؤلفات فى القاموس والمعاجم منها محيط المحيط، وقطر المحيط، والبستان، وفاكهة البستان وقد أعدت هذه الكتب لإفادة الطلاب والناشئين وحفظها كحظ كتبهم المدرسية وأما الكتب التى احتلت مكانتها من الإقبال عليها فى هذا المجال فنذكر منها المنجد للأب شيخو وأقرب الموارد لعبدالله الشرتونى وكلاهما مسيحيان من لبنان.

أما أهمية هذه الكتب فى تاريخ إعداد المواد الدراسية والقاموسية فلا ينكرها أحد . وكذلك يمكن القول فى دائرة المعارف للأستاذين بطرس البستاني وفواد أفرام البستاني وقد يمكن أن نضيف إلى قيمتها التاريخية أهميتها العلمية أيضا . أما دائرة المعارف لفريد-الوجدى المصرى وأخرى وهى دائرة المعارف الإسلامية المترجمة لبعض المستشرقين -- وقد علق عليها كبار علماء العرب المسلمين -- فنجدها أوسع تداولاً فى الأوساط العلمية.

فى الفصل الثانى وهو عبارة عن أعمال البستانيين فى مجال الترجمة والتعريب تناوينا بالبحث فى هذا الفصل كتاب مناهج الترجمة لأدوار البستاني وهو كتاب قيم جدا وفريد من نوعه و توجد فيها ارشادات عملية وتوجيهات وصفية لمن أراد ترجمة نص إلى لغة أخرى . ولغة الكتاب سلسلة سهلة مفهومة لدى الشهاب والكبار على حد سواء. ووصف المؤلف هذه المبادئ للترجمة فى ضوء تجاربه وخبرته فى هذا المجال . كما تحدثنا أن إلياذة هوميروس فى تعريبها ونظمها وشرحها أهم آثار سليمان البستاني شعرا ونثرا أما الشرح فيضم دراسات وملاحظات نقدية دقيقة فقد كلف المعرب جهدا بالغا ومطالعات جمة فى كتب الأدب والتاريخ الاجتماع، على مختلف لغاتها، مفيدا من كل ما عقله سابقوه على إلياذة مضييفا ما رأى ذكره موافقا عن مؤسسات العرب خاصة والشرقيين عامة بالنسبة إلى مؤسسات اليونان وتقاليدهم ومن هنا ندرك الأثر البالغ الذى أحدثه سليمان البستاني فى الأدب العصرى . ويعد هذا الكتاب مؤلفا بديعا فى مجال النقد والترجمة معا حيث تتجلى فيه براعة المؤلف فى التعريب

وأفرد الكاتب من ضمن مقدمة الإلياذة مقالا ذا قيمة رفيعة فى أصول التعريب عبر فيه عن آرائه حول هذا الفن الحساس - وفى نفس الوقت - هو تعبير عن ذوقه الفنى الجميل وحسه النقدى المرهف . وتحدثنا عن مقدمة المهراتة للأستاذ وديع البستاني بعنوان "ديباجة المعرب" وفى ديباجته هذه ملاحظات نقدية قيمة نفيسة غير أن فيها أخطاء ذكرناها فى موضعها وربما يُصدر حكمه فى أمور لا يدر كها ومنها قوله: "ومن نهري هندو" و"سندو" التسميتان الهند والسند . وزعمه أن الأدب الهندوى، ملحmie ومولده، لا اثر فيه لوثن أو وثنية . وكثيرا ما نرى الأستاذ البستاني يخلط بين الاصطلاحات الإسلامية كالإيمان والتقوى والصلوة والصيام وبين المعانى الوثنية فيقول مثلاً فى تعريبه للراميانة: "جاء رام يودع سيتا ويوصيها بطاعة صاحب العرش وبالصلوة والصيام فأبّت إلا أن تصحبه وتنفى معه ويقول: "أما الشاعر الراميانة فإنه يستوحى ذكريات عصر ذهبي للثقافة الهندوية فيبدع مثلاً سامية للتقوى والإيمان".

ومما لا شك فيه أن وديع البستاني قد أبدى جدارته الفنية والصناعية وبراعته الأدبية فى تعريب المهراتة وبرز من خلال تعريباته للراميانة وشاكتلا ونالاداميتى وغير ذلك من الأدب الهندى كأحد المتهمدين البارزين فى اللغات الأوروبية .

ولم نطلع على أبيات غيتة المعربة فلا يمكن لنا القول فى تقييمها: واماتعريبه لرباعيات عمر الخيام فقد أكمل وديع البستاني تعريبه هذا سنة ١٩١١م ولم يتجاوز عمره خمس وعشرين سنة وإنه على رغم حداثة سنة، قد أدى خدمة موفقة بتعريب رباعيات عمر الخيام وهو أول من قام بهذه الخدمة الجبارة فى الأدب العربى الحديث كما يقول نفسه فى المقدمة لسباعياته: "إنى مقرب عجزى ومعترف بحداثة عهدى فى حلبة الكتاب والشعراء وقائل قول نسيبى معرب الإلياذة فى ديباجة الكتاب: "فإن احسنت وفيه منتهى جهدى فذلك من حسنات الاجتهاد . وإلا فحسبى أن افتحه بابا يلج منه وفقه الله إلى سبيل السداد".

وقد عرضنا لبعض من هذه التراجم والتعريبات فى دراسة مقارنة لسباعيات وديع

البستاني في موضعها من الباب الثاني ولا يسعنا هنا إلا أن نشير إلى أن الترجمة الإنكليزية التي اعتمد عليها الأستاذ البستاني في إخراج سباعياته هي ترجمة فترز جولد و يعتقد الأستاذ البستاني أن رباعيات فترز جولد الإنكليزية هذه هي نفس الدرر الفارسية الخيامية وأن الترجمة محور تدور عليه تأليف متعددة لأدباء كثيرين الإنكليز والفرنسيين والأمريكان ولكن خلاصنا بعد دراستنا إلى أن رباعيات فترز جولد — على رغم قيمتها الأدبية — أبعد شئ من الأصل الفارسي، فقد تصرف الرجل في الترجمة وتوسع في ذلك توسعا قد لا يوافقه عليه المتمزتون وقال القائلون إنها في الإنكليزية شئ آخر عن الأصل الفارسي.

ولمعرنا هذا تعريبات لمؤلفات اللورد أفبري Avebury الشهيرة منها معنى الحياة، والسعادة والسلام، ومحاسن الطبيعة، ومسرات الحياة، ولم نعثر عليها إلا على مسرات الحياة وهي تعريب لتأليفه The Pleasures of Life وقد نقله المعرب بعبارة سهلة وألفاظ محكمة ومعاني غزيرة ورسمه صحيحا ينطبق على لغة النقل ومشرّب قرائه فإذا قرأ المطالع فيه مقالات اللورد المعروفة فكأنما يقرأها عربيا ولا يقرأها أعجميا ولم نعثر على النسخة الإنكليزية لكتاب اللورد أفبري فلا نعرف السياق من أصل الكتاب لإستشهاد المعرب بالأبيات العربية لشعراءنا الفحول ولكن كان عمله هذا على سبيل تجميل التعريب. وقد نجح فيه إلى حد كبير، كما نرى.

وفي الفصل الثالث ذكرنا أن للبستانيين نشاط ملحوظ في حركة إحياء العروبة وترويج فكرة القومية العربية ومن ضمن نشاطاتهم في هذا المجال مؤلفاتهم التي جاءت تخليدا لذكرى الثقافة والعادات أو التقاليد العربية على اختلاف عصورها. لقد جددت هذه الكتب في أذهان القراء العرب ما أسدل عليه مرور الزمان من أستار التغافل والتناسي من مشاهد الحياة الاجتماعية القومية للعرب ولا سيما في ظل سيادة الأتراك وسيطره تقاليدهم. ومن كتبهم في هذا المجال النساء العربيات، وأميرات لبنان لكرم البستاني، ومعارك

العرب فى الشرق والغرب ومعارك العرب فى الأندلس لبطرس بن سليمان البستاني ومنها أدباء العرب له أيضا وزحف العروبة لأميل البستاني .

أما الكتابان للكاتب الشهير بطرس بن سليمان البستاني معارك العرب فى الشرق والغرب ومعارك العرب فى الأندلس فيبدو للقارى بعد الدراسة لهذين الكتابين أن الكاتب متحيز ومهتم بإحياء الأمجاد العربية بما فى عهد الإسلام ويحاول بكل ما فى وسعه إبراز العروبة فى هذه الكتب . وأيضاً أنه قد ذكر فى هذه الكتب المعارك التى وقعت بين العرب والعجم فى عهد الإسلام رغم أن العجم الآن جزء من العالم الإسلامى فيتجلى منه أنه قد عزز أفكار القومية العربية بعد التفرقة بين العرب والعجم وفى الحقيقة أنه قد اجتهد لإنهاء الجامعة الإسلامية وروابطها حتى الاجتهاد فلذا قد سمى هذه الكتب بمعارك العرب ولا بمعارك المسلمين وكان من المقترح أن يذكر المؤلف المعارك التى دارت فيما بين أهل الإسلام أنفسهم من العرب وغيرهم فيقول: ” وإنما أخذنا أنفسنا بأبحاث فرعية تلامس أشهر المعارك التى نشبت بين الدول العربية والدول العجمية منذ صدر الإسلام إلى أن زالت كلمة الضاد بانتقال الخلافة إلى بنى عثمان “.

وهذه هى كانت وجهة نظر أميل البستاني فى تأليف زحف العروبة فيسمى الفتوحات الإسلامية فتوحات العرب ويقول: ” إن العالم كان على أهبة لقبول فتوحات العرب فكان أن فتحوه “

وعلى رغم دعامة البستانيين، ومنهم أميل البستاني و بطرس بن سليمان البستاني، للقومية العربية فقد كتب بأسلوب يظهر فيه حميتهما المسيحية فى حكاية فتح العرب للأندلس مثلاً كما عرضنا للقضية فى موقعها من كتاب أدباء العرب لبطرس بن سليمان البستاني فى مواضع أخرى بتفصيل.

وفى تاريخ فرنسا الحديث تحدث المؤلف هو سليم البستاني عن مناقب الشعب

الفرنسي فقال: وقد أجمع المؤرخون على أن الأمة الفرنسية تفوق غيرها بالحماسة والحدة وشدة التصور والشجاعة والمبادرة إلى القيام بالأمور الخطيرة واللفظ وهي من سلامة النية والحدق وقوة العقل والكرم والسخاء على جانب عظيم". وهكذا يتحدث المؤلف عن مناقب الأمة الفرنسية ولا ندري هل يتفق معه المسلمون، في الجزائر وتونس على سبيل المثال، الذين قاسوا مرارة الاستعمار من قبل الفرنسيين. وللمؤلف تاليف آخر حول نابليون وهو "تاريخ نابليون بونابرت في مصر وسوريا" ولكنه غير متوفر لدينا.

وفى الفصل الرابع "مساهمة البستاني في التاريخ الأدبي" ذكرنا أن أدباء العرب لبطرس بن سليمان البستاني أول كتاب، من نوعه أسهب في نقد آثار الأدباء، وفي تحليل ميزات العصور الأدبية والتاريخية وأول كتاب جعل الغزل من مواد التدريس، وتبسط في شرحه وتفصيله، فلم يسلم في بدء الأمر من عنت المترممين، ثم أصبح الغزل شيئاً مألوفاً في المدارس كغيره من أنواع الشعر. ومن حسنات هذا الكتاب أنه سبق غيره إلى إظهار حقيقة بشر بن عوانة العبدى، وقصيدته في وصف الأسد فإذا هما من صنع بديع الزمان الهمداني، فخرج بشر، لأول مرة من تأريخ الأدب بعد ما احتفل به المؤرخون والأدباء أحقاباً طوالاً.

وفى الفصل الخامس تحدثنا عن أعمال البستاني القصصية وذكرنا أن أشهر مترجميهم للقصص الغريبة سليم البستاني وهو أكثر محاولة في وضع القصص الإجتماعية العصرية فله أول نتائج ضخمة في الأدب القصصى بالعربية. وعلى الرغم من الإطار الرومنطيقى الصريح الذى يلفها وما يفرضه من المبالغات والصدف والبعد عن الواقع وفتور الشخصيات، وبعدها عن الطبيعة والإنسانية، وجفاف العرض وضعف الأسلوب لا نستطيع إلا أن نسجل لصاحبها فضل السبق فى هذا الفن وتنبه أذهان الكتاب إليه ولفت نظر عامة القراء إلى ما يحويه من لذة وفائدة.

وفى الفصل السادس تحدثنا عن نشاط البستاني في مجال الصحافة فقد أنشأوا وحرروا صحفا عديدة منها نفيسر سوريا، والجنان، والجنة، والجينة، وجريدة البيان،

وعملوا فى جرائد أخرى كالأحوال ، والاحرار ، والراية ، وجدير بالذكر أن سليم تقلا وأخوه بشاره تقلا اللذان أسسا جريدة الأهرام للقاهرة سنة ١٨٧٥ م وكان سليم تقلا قد درس فى مدرسة المعلم بطرس البستاني فى عبية . وأما المؤلف الدكتور عبدالله اسماعيل البستاني فقد اتبع فى بحثه عن "حرية الصحافة" كل طرائق البحث العلمى وتدرج من العموم والخصوص وتنقل من التعريف والتاريخ إلى التنظيم والإصلاح . وأشار إلى ماتحبوبه "الأمم المتحدة" حرية الصحافة من رعاية لأجل تدعيم ذلك الحق الأول من حقوق الإنسان . وعرض المؤلف لذلك كله وقدمه بطريقة وأسلوب لاحت فيهما جميعا ملكة "التحقيق" العلمى ، واستبانت روح الإصلاح الحر ، فجاء هذا السفر — وهو الأول من نوعه باللغة العربية — معمرا الركن المكتبة العربية الخاص بالصحافة وتأريخها وحريتها .

وكان طبيعيا أن يعتبر المؤلف الثورة الفرنسية نقطة ارتكازه التأريخى ، فعن هذه الثورة الكبرى صدر تصريح حقوق الإنسان ، وتشمل الإذن لكل مواطن أن يتكلم ويكتب ويطبّع ، بصورة حرة ، مع مسؤوليته عن سوء استعمال هذه الحرية فى الحالات التى يحددها القانون .

ويبدو كأن البستانيين مفتنين بالثورة الفرنسية كل افتنان فيقول سليم البستاني مؤلف تاريخ فرنسا الحديث: "إن تلك الثورة لم تؤثر تأثيرات سياسية وأدبية ومادية وغيرها فى فرنسا فقط بل أتت سائر العالم بعصر جديد يفتخر به اهله" ويقول أيضاً: "وسنذكر أسباب هذه الثورة وعواقبها فى فرنسا والدنيا قاطبة من جهة التمدن والمعارف وغيرها".

ويمكن أن هذا الافتنان بالثورة الفرنسية قد يكون دأب المثقفين المتفرنجين من لبنان وغيرها من البلاد.

وفى الفصل السابع تحدثنا عن انتاجات البستانيين فى الشعر العربى فإنهم كانوا من رواد الشعر العربى الحديث فقد قرضوا الشعر فى الموضوعات الجديدة بالأسلوب الحديث

ولهم فضل سبق فى ميدان تعريب الروائع من الشعر العالمى . فقد عرب سليمان البستاني
إلياذة هو ميروس وعرب وديع البستاني رباعيات عمر الخيام باسم السباعيات كما عرب
الشاكنتلا لكاليداس من ترجمته الإنكليزية وشعر طاغور ترجمها عن الإنكليزية وله ديوان شعر
دعاه الفلسطينيات .

وإلى جانب ذلك توجد لهم أعمال أصلية فى الشعر العربى الحديث وقد ضم بطرس
بن سليمان البستاني شعرا من قريض كل من الأستاذ عبدالله البستاني والخورى بطرس
البستاني وسليمان البستاني والبعض الآخرين من نصارى العرب كالأب لويس شيخو ووديع
عقل وإيليا أبو ماضى وغيرهم لما يراه صالحا لتربية الجيل الناشئ .

وفى الفصل الثامن تحدثنا عن تأليف البستانيين فى السياسة وذكرنا أنه لم يؤلف

وديع البستاني فى السياسة إلا كتابا واحدا بالإنكليزية، ثم بالعربية أسماه **The Palestine Mandate Invalid and Impracticable** "الانتداب الفلسطينى
باطل ومحال" ومعظمه بحث فى القانون الدولى العام . وضمن المؤلف هذا الكتاب
الحقائق والحجج والوثائق كلها التى تتعلق بالقضية الفلسطينية متوصلا فى النهاية إلى أن
الانتداب الفلسطينى الهادف إلى قيام إسرائيل باطل ومحال .

وقد عالج وديع البستاني المحامى هذه المباحث من الجهات الثلاث: اليهودية،
والعربية، والبريطانية، جميعا . وقد أتيح للمؤلف أن ينشر هذا الكتاب بصيغته الإنكليزية
والعربية مستيقنا ببطلان الانتدابات ومحاليتها . وذلك فى سنة ١٩٣٦ م وبعد قيام إسرائيل فى
سنة ١٩٤٨ م لم يبق محاليتها، فقد حدث ولكن قوله ببطلانها لم يزل على سداد فيمانرى .

وهذا هو موقف كل من الأساتذة أميل البستاني فى كتابه "زحف العروبة" وسيف
الدين البستاني فى كتابه "أوقفوا هذا السرطان وحقيقة الماسونية وأهدافها" فإن تقسيم
فلسطين لقيام إسرائيل فى نظر أميل البستاني نقمة مستمرة للعرب فيقول فى زحف العروبة

”إن خسران فلسطين كان صفة مدمرة للكرامة العربية“ ويؤكد أن ليس في التاريخ كله ما يشبه إنشاء دولة إسرائيل . ويقول: ”ومن الصعب على غير العربي أن يفهم عظم الصدمة التي أحدثتها كارثة فلسطين في العالم العربي“.

ونذكر هنا موقف الأستاذ سليمان البستاني وهو أيضا من نصارى لبنان ومن حعاة العروبة وكان معروفا بولائه للأمة العربية وبعصبية للوطن اللبناني ولطالما ساعد العرب ودافع عن حقوقهم في المجلسين والوزارة. ولم ينس لبنانيته في جميع أطوار حياته . فلقد كان لبنان قبلته ومصطافه ومرجع حنينه.

ومع هذا كله فإننا نراه يمارس قومية تجمع بين العروبة والعثمانية وكان قد عهد إليه بوزارة التجارة والزراعة والغابات والمعادن فعمل فيها مدة بضعة عشر شهر بجدة وحسن إدارته حتى جعلها مثالا للوزارات . وأخذ يسعى في تحقيق آرائه في إنماء الثروة لوطنية عن طريق استغلال الأرض في منابتها ومناجمها وخيراتها جميعا . فنظم مدرسة الغابات والنبك الزراعي . وكان أول من فكر بتأسيس النقابات الزراعية والصناعية في تركيا .

وقال في كتابه ”عبرة وذكرى أو الدولة العثمانية قبل الدستور أو بعده“ وإننا غير مغترين بوفرة هذه المصادر الطبيعية للثروة ولسنا بطامعين أن تفيض ميازيها نضارا في سنة أو سنوات قلائل ولكنه لابد من تنبه إخواننا العثمانيين في كل قطر من أقطار إلى ثروة يمكن الشروع مذ الآن في استدرارها شيئا فشيئا.....

وإن مجال المهاجرة إلى البلاد العثمانية متسع جدا وتناول أطراف البحث فيها مما يضيق عنه نطاف سفرنا هذا الصغير وإنما هي نفثات عثمانى محب لوطنه باح بشئ منها وادخر ما بقى منها لفرصة أخرى“.

وكان قد عمل مع الأحرار الأتراك وجاهد في سبيل الدستور العثماني وحرية الصحافة واستدل على دعوته إلى الحرية بالتاريخ العثماني نفسه فقال: إن كثيرا من

السلاطين العثمانية كانوا ذوى برّرعائيتهم، وهذا السلطان محمد الفاتح مع مايعزى إليه من القسوة قد حول رعاياه المسيحيين والإسرائيليين من حرية الدين والتصرف بالأحوال الشخصية مايسجل له فخارا مؤيدا وإن عده كثيرون خرقا فى السياسة بالنظر إلى أحوال ذلك الزمان

وعلى كل حال فقد يمكن لنا ان نلاحظ كل ألوان النشاط السياسى لدى البستانيين من خلال الفصول من مؤلفاتهم السياسية وهذا ورق مهم من تاريخ العرب السياسى فى عصرنا الحديث . فقد تفيدنا مؤلفاتهم هذه بوجهات نظر البستانيين على اختلافها فى هذا الميدان الجليل.

وفى الفصل التاسع تحدثنا آثار البستانيين فى النقد الأدبى فإن للبستانيين آثارا قيمة فى النقد منها مقدمة الإلياذة لسليمان البستاني فقد أثارت روحا نقدية، وطريقة فى البحث الأدبى كانت جديدة فى أوائل هذا القرن . ولا يخفى أن الإلياذة كانت أول أثر فى القرن العشرين جمع بين البحث الأدبى ومقارنة الأدب . وقد سار فيه صاحبه على أسلوب علمى خالص يستند إلى ذكر المصادر، ونقد الروايات والترجيح بينها، فلا يحكم إلا بعد تحفظ، ولا يقر أمرا إلا على أثر مناقشة واحتياط، حتى غذا أفضل ما يقلده الباحثون فى الأدب العصرى نقدا ودراسة وقد فعلوا . فلا عجب أن يقول الدكتور يعقوب صروف، وقد أحاط بجميع هذه الصفات الأدبية فى الكتاب المذكور: إن مقدمة الإلياذة تنزل من الأبحاث الأدبية منزلة مقدمة ابن خلدون من الأبحاث التاريخية .

ومنها سلسلة مدرسية ذهبية باسم الروائع لفواد أفرام البستاني وفيها ملامح من نقد التراث وانتخابه وبغض النظر عن بعض النقائص فإن الأستاذ فواد أفرام البستاني قد نجح فى تقديم تصوير جميل للأدب العربى القديم للجيل الناشئ.

ومنها مجموعة مقالات للأساتذة اللغويين مثل عبد القادر المغربى والأستاذ انستاس

الكرملی ناظرهما الأستاذ عبد الله البستاني في قضايا لغوية وهؤلاء الأساتذة لكل منهم رائه فيها مستقلة ولكن نرى الأستاذ المغربي يعترف بفضل الأستاذ عبد الله البستاني يقول: "أيها الأستاذ المحترم: إنك بحمد الله أشهر من نار على علم . وإن أعضاء المجمع العلمي العربي أول من يعترف لك بالفضل والكفاية".

وفى المقدمة لحكايات لبنانية للأستاذ كرم البستاني نرى مدى خبرة المؤلف فى مجال الدراسة الحكايات فقال: إن الأساطير فى كل البلاد تتشابه مع اختلافها فى بعض التفاصيل وخلص إلى أن هذه الحكايات العالمية وليست ملكا لأحد.

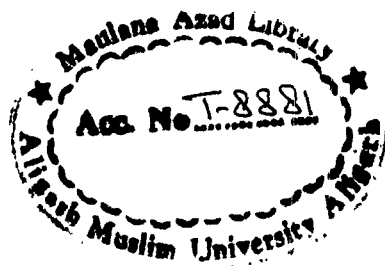
وفى الفصل العاشر تحدثنا عن مساهمة البستانيىن فى أدب الرحلة ففى مجال الرحلات أيضا يوجد للبستانيىن بعض المؤلفات فللقس الديرانى أغوسطين البستاني، الكوكب السيار، ولسليمان بن خطار البستاني رحلاته، ولنقيب بن المعلم بطرس البستاني ذكرى ومشاهدات فى الآستانة . ولم يصل إلينا إلا الكتاب "خمسة أيام فى ربوع الشام" للأستاذ فؤاد أفرام البستاني، رئيس الجامعة اللبنانية. وهذا الكتاب ليس حكاية عن وقائع السفر فى الشام فحسب ولكنه استعرض فيه المواقع التاريخية وأحوال جميع هذه المواضع ماضيها وحالها، ربما إحياء أو تجديدًا وتخليدا لذكرى التاريخ القديم للمسيحيين فى تلك المناطق ولا يخلو وصفه فى هذا الباب من مسحة التعصب الدينى للمسيحية حيث يغمز عن ذكر أهم المواضع التاريخية بالمنطقة التى تنتمى إلى العصور الإسلامية الزاهرة . وإنه قد ذكر فيه بعض الأحيان القصص التاريخية المهمة ولكنه ما ذكر فيه مصادر ها ومراجعها.

أما أسلوب فؤاد أفرام البستاني فهو حافل بالفلسفة والتاريخ والأدلة العقلية والتعليقات المنطقية إلا أنه واضح كل الوضوح ومنسجم كل الانسجام خال من الغموض والالتباس وتداخل الجمل التى تفصل ما قبلها من المعانى عما بعدها.

وأما الباب الثالث من الرسالة فيشتمل على مبحثين حول "الأسرة البستانية فى

ميزان النقد“ وتحدثنا فى الفصل الأول عن ”مكانة الأسرة البستانية بين الأدباء المعاصرين“ وذكرنا آراء للأدباء المعاصرين فى البستانيين ومكانتهم العلمية والأدبية وعرضنا فى هذا الخصوص لآراء ميخائيل صوايا، و خليل أبورجائلى، و حنا الفاخورى، وأنيس المقدسى، و جرجى نقولا باز، و الدكتور إبراهيم عبده، و فواد أفرام البستاني، و بطر بن سليمان البستاني، و الدكتور عمر فروخ، و انعام الجندى، و رشيد يوسف عطاء الله، و احمد الشرباصى، و مارون عبود، و عبد القادر المغربى، و يوسف أسعد داغر، و الدكتور محمد يوسف نجم وغيرهم من الأدباء والكتاب المعاصرين لهم وذكرنا أيضا من رثاء بعض الشعراء للبستانيين ومنهم خليل مطران، و الشيخ خليل اليازجى، فأبينا المكانة المرموقة التى يحتلها البستانيون بين الأدباء المعاصرين كما أنهم يُذكرون فيما بينهم روادا النهضة العربية الحديثة فى بلاد سوريا ولبنان.

وفى الفصل الثانى تحدثنا عن ”تقييم نقدى لأعمال البستانيين الأدبية وفى هذا المبحث ذكرنا أولا آراء لبعض الكتاب فى تقييم أعمال البستانيين ثم تقدمنا بملاحظات نقدية من عندنا فى أعمالهم الأدبية الرائعة.





CONTRIBUTION OF BUSTANI FAMILY TO ARABIC LITERATURE

ABSTRACT

THESIS

SUBMITTED FOR THE AWARD OF THE DEGREE OF

Doctor of Philosophy

IN

ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE

By

MD. DELAWAR HOSSAIN

Under the Supervision of

Dr. MOHD. FAIZAN BEG

**DEPARTMENT OF ARABIC
ALIGARH MUSLIM UNIVERSITY
ALIGARH (INDIA)**

2004



مساهمة الأسرة البستانية في اللغة العربية وآدابها

أطروحة قدمت لنيل شهادة الدكتوراة
في اللغة العربية وآدابها

إعداد

محمد دلاور حسين

تحت إشراف

الأستاذ الدكتور محمد فيضان بك

قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة عليكره الإسلامية، عليكره

الهند

٢٠٠٤م



071114



T8881



Department of Arabic A.M.U., Aligarh

Dr. M. Faizan Beg

(0571) 2709062 - Off

SUPERVISOR

1300/1301 - Int.

Dated: 15.12.2004

TO WHOM IT MAY CONCERN

This is to certify that Mr. **Md. Delawar Hossain**, Registration No. 990744 and Enrolment No. AA-5971 has completed his Ph.D. work entitled "**Contribution of 'Bustani' family to Arabic Literature**". The thesis embodies the valuable findings and results related with the topic. The work is an original contribution and entirely his own. It is now forwarded for necessary formalities for the award of Ph.D. Degree in Arabic.

(Dr. M. Faizan Beg)

Supervisor

إهداء

إلى والدتي الحنون

التي تبرعت بعلمها في سبيل إضلال صبي

لعلوم العربية والإسلام

وإلى والدي الشفوق

الذي كان يحبني فأصبح يبجلني للعلوم الدينية تبجيلا

فيا "رب ارحمهما كما ربياني صغيرا"

أهدي لهذه الدراسة المتواضعة

المحتويات

الصفحة	الموضوع
٩	مقدمة
	الباب الأول :
	الخلفية والمنشأ
٥١ - ٢٩	الفصل الأول :
	الأحوال السياسية والاجتماعية والأدبية والثقافية في لبنان في
	أوائل القرن العشرين
٢٩	(١) الظروف السياسية
٣٠	العثمانيون
٣١	التدخل الأوروبي في لبنان
٣٢	الانسحاب التركي
٣٣	الانتداب الفرنسي على لبنان
٣٥	(٢) الاحوال الإجتماعية والأجواء الأدبية والثقافية
٣٨	المطبعة
٤٠	المدارس الوطنية والجامعات والكليات
٤٢	الطليعة من الأدباء والعلماء
٤٤	الجرائد والمجلات
٤٨	لبنان المهاجر
٦٢ - ٥٢	الفصل الثاني :
	الأسرة البستانية ومكانتها في المجتمع اللبناني
٥٢	تاريخ لبنان من وجهة نظر مسيحية
٥٤	أصل الأسرة البستانية
٥٦	المارونية والبستانيون

الفصل الثالث

١٢٣-٦٣

الأعضاء البارزون من الأسرة البستانية وأعمالهم الرئيسية

- (١) المعلم بطرس بن بولس البستاني ٦٣
- (٢) سليم بن بطرس بن بولس البستاني ٧٧
- (٣) سعيد بن جرجس البستاني ٨٠
- (٤) الشيخ عبدالله بن ميخائيل البستاني ٨٠
- (٥) سليمان بن خطار البستاني ٨٣
- (٦) سعيد أفندي بن راشد حنا البستاني ٩٤
- (٧) نجيب بن بطرس البستاني ٩٦
- (٨) ميخائيل بن أنطون البستاني ٩٦
- (٩) بطرس بن يوسف البستاني ٩٧
- (١٠) وديع بن فارس البستاني ٩٨
- (١١) رشيد بن ضاهر البستاني ١٠٦
- (١٢) يوسف توما البستاني ١٠٦
- (١٣) كرم بن سليمان البستاني ١٠٧
- (١٤) بطرس بن سليمان البستاني ١٠٩
- (١٥) فواد أفرام البستاني ١١٠
- (١٦) يوسف بن جرجس البستاني ١١٢
- (١٧) الفريد بن جرجس البستاني ١١٣
- (١٨) يوسف أفرام البستاني ١١٣
- (١٩) اليس بنت بطرس بن بولس البستاني ١١٤
- (٢٠) الدكتور صبيحي البستاني ١١٤
- (٢١) أدوار البستاني ١١٤

- ١١٤ (٢٢) أنطوان مسعود البستاني
 ١١٤ (٢٣) أميل البستاني
 ١١٤ (٢٤) الدكتور سيف الدين البستاني
 ١١٥ (٢٥) الدكتور عبدالله أسماعيل البستاني
 ١١٥ (٢٦) الخورى بطرس البستاني

الباب الثانى :

مساهمة البستانيين فى الأدب العربى

١٦٩-١٢٤

الفصل الأول :

خدمات البستانيين تجاه اللغة والفنون الأدبية

- (١) إعداد المعاجم
 ١٢٤ محيط المحيط
 ١٢٧ قطر المحيط
 ١٢٨ البستان
 ١٣٠ الوافى
 ١٣٢ دائرة لمعارف للمعلم بطرس البستاني
 ١٣٦ دائرة المعارف لفواد أفرام البستاني
 (٢) إعداد الكتب الدراسية
 ١٣٧ مفتاح المصباح فى الصرف والنحو للمدارس
 ١٣٩ أمثال الشرق والغرب
 ١٤١ جواهر الأدب
 ١٤٢ المجانى الحديثة
 ١٤٦ البيان
 ١٤٨ قواعد العرب
 ١٥٠ الصورة الشعرية فى الكتابة الفنية الأصول والفروع

١٥٤	منتقيات أدباء العرب
٢٥٠-١٦٠	الفصل الثانى :
	مساهمة البستانيين فى الترجمة والتعريب
١٦١	مناهج الترجمة
١٧٠	مسرات الحيات The Pleasures of Life
١٨٠	رباعيات عمر الخيام
١٩٥	مقدمة إلياذة هوميروس
٢٠٢	أصول التعريب
٢٠٦	المهبراتة
٢٢٣	الراميانة
٢٣٠	الغيتة
٢٣١	نالاداميتتى
٢٣٤	الشاكنتلا
٢٩٧-٢٥١	الفصل الثالث:
	دراسة البستانيين حول تاريخ العرب
٢٥١	النساء العربيات
٢٥٥	أميرات لبنان
٢٦٢	معارك العرب فى الشرق والغرب
٢٦٥	معارك العرب فى الاندلس
٢٦٧	أدباء العرب
٢٨٣	تاريخ فرنسا الحديث
٢٨٧	زحف العروبة

٣٠٤-٢٩٨

الفصل الرابع:

مساهمة البستانيين في التاريخ الأدبي

٢٩٨

سلسلة الروائع

٣٠٠

أدباء العرب

٣٣٠-٢٠٥

الفصل الخامس :

أعمال البستانيين القصصية

٣٠٥

الهيام في جنان الشام

٣٠٨

زنوبيا

٣١١

بدور

٣١٣

أسماء

٣١٤

الهيام في فتوح الشام

٣١٥

بنت العصر

٣١٦

فاتنة

٣١٧

سلمى

٣١٨

سامية

٣٢٠

قصص قصيرة

٣٢٣

حكايات لبنانية

٣٢٥

ذات الخدر

٣٢٦

سمير الأمير

٣٢٧

صائبة

٣٣٧-٣٣١

الفصل السادس:

مساهمة البستانيين في الصحافة

٣٣١

نفير سوريا

٣٣٢

الجنان

٣٣٢	الجنة
٣٣٣	الجنينة
٣٣٤	حرية الصحافة
٣٥٨-٣٣٨	الفصل السابع:
	انتاجات البستانيين في الشعر العربي
٣٣٩	القصائد والأبيات لسليمان البستاني
٣٤٣	قصيدة الهزار الصداح أو الطفل للخوري البستاني
٣٤٦	قصيدة من المهد إلى اللحد
٣٤٦	قصيدة الطفل
٣٤٧	رثاء الخوري البستاني للأدب لويس شيخو اليسوعي
٣٤٩	قصيدة التهنئة لأحد تلاميذ الخوري البستاني
٣٥٠	قصيدة التهنئة لأحد أصدقائه
٣٥١	رثاء الشيخ عبد الله البستاني الشيخ ابراهيم اليازجي
٣٥١	القصائد والأبيات لوديع البستاني
٣٨٨-٣٥٩	الفصل الثامن:
	مؤلفات البستانيين حول السياسة
٣٦٠	عبرة وذكرى أو الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده
٣٦٥	الانتداب الفلسطيني باطل ومحال
٣٧٢	زحف العروبة
٣٧٢	أوقفوا هذا السرطات حقيقة الماسونية وأهدافها
٤٦٦-٣٨٩	الفصل التاسع:
	مساهمة البستانيين في النقد
٣٩٠	أدباء العرب
٤١٤	ألياذة هو ميروس

٤٢٩	حكايات لبنانية
	الروائع :
٤٣٢	إمرؤ القيس
٤٣٦	حسان بن ثابت الانصارى
٤٣٨	الفرزدق
٤٤٣	ابوالطيب المتنبي
٤٤٧	احمد شوقي
٤٥١	مناظرة لغوية أدبية
٤٨٣-٤٦٧	الفصل العاشر:
	مساهمة البستاني في أدب الرحلة
٤٦٧	خمسة أيام في ربوع الشام
	الباب الثالث:
	الاسرة البستانية في ميزان النقد
٥٠٠-٤٨٤	الفصل الأول :
	مكانة البستانيين عند الأدباء المعاصرين
٤٨٥	ميخائيل صوايا
٤٨٥	خليل أبورجائيلى
٤٨٥	حنالفاخورى
٤٨٦	أنيس المقدسى
٤٨٦	جرجى نقولاباز وحنالفاخورى
٤٨٦	الدكتور إبراهيم عبده
٤٨٨	رئيس مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق
٤٨٨	جرجى زيدان
٤٨٩	رثاء المعلم بطرس البستاني لخليل مطران

٤٨٩	فواد أفرام البستاني لسليمان البستاني
٤٩٠	بطر بن سليمان البستاني
٤٩٠	الدكتور عمر فروخ
٤٩١	إنعام الجندی
٤٩١	رشيد يوسف عطاء الله
٤٩١	رثاء سليمان البستاني لخليل مطران
٤٩٢	الناشر لمعجم البستان
٤٩٣	أحمد الشرباصی
٤٩٤	مارون عبود
٤٩٤	عبدالقادر المغربي
٤٩٤	رثاء الشيخ عبدالله البستاني لخليل مطران
٤٩٦	يوسف أسعد داغر
٤٩٧	الدكتور يوسف نجم
٥٤١-٥٠١	الفصل الثاني:
	تقييم نقدي لأعمالهم الأدبية
	آراء الكتاب المعاصرين
٥٠١	فواد أفرام البستاني
٥٠٨	رئيس مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق
٥١١	حنالفاخوري
٥١٢	الدكتور عمر فروخ
٥١٤	إنعام الجندی
٥١٥	محمد عبد الغنى حسن
٥١٧	الدكتور محمد يوسف نجم
٥١٨	الدكتور سهيل إدريس
٥١٩	بطرس البستاني
٥٢٠	آراء الباحث

مقدمة

الحمد لله رب العالمين وأفضل التحية والسلام على سيد الأنبياء محمد النبي العربي الأمين وعلى آله وصحبه وحمله دينه إلى يوم يبعثون وبعد.

فإننى أشكر الله الذى وفقنى أن أقدم هذه الرسالة فى نهاية بحث طويل فى أسرة البستانيين وخدماتهم فى اللغة والآداب العربية.

أما اختيار هذا الموضوع فإنما يرجع سببه إلى دراساتى للامتحان للماجستير فى قسم اللغة العربية وآدابها لجامعة على كره الإسلامية على كره، الهند .

وكانت من ضمن مواد الماجستير الدراسية مادة فى تاريخ الآداب العربية وفى أثناء استعدادى للإمتحان أفدت كثيرا من تأليف بطرس بن سليمان البستاني حول هذا الموضوع وهو كتابه القيم أدباء العرب وكان هذا أول ما تعرفت على أحد الأعضاء من أسرة البستانيين الشهيرة وبعد انتهاء الماجستير مكثت قليلا للاطلاع على الأعمال الأخرى لهم وخلصت إلى موضوع "مساهمة أسرة البستانيين فى اللغة العربية وآدابها" للبحث واستشرت سيدى الأستاذ كفيل أحمد القاسمى رئيس قسم اللغة العربية وآدابها لجامعة عليكره الإسلامية فرافقنى سعادته فى جدارة هذا الموضوع لأطروحة الدكتوراة ومن حظى أن هناك مؤلفات كثيرة للبستانيين فى المكتبة المشتركة لقسمنا العربى وقسم الدراسات الإسلامية بجامعة عليكره الإسلامية فعكفت على دراستها مدة مديدة ثم سافرت إلى خارج البلاد وداخلها لجمع المواد للبحث والدراسة. وقد بذلت كل ما فى وسعى فى إعداد هذه المقالة وزرت لجمع المواد وللمذاكرة عن الموضوع مع الأساتذة البارعين من معظم جامعات الهند وبنغلاديش ومكثاتها وعلى رأسها جامعة دلهى وجامعة جواهر لال نهرو

بدلهى الجديدة ومكتبتها . والجامعة المليية الإسلامية ومكتبة ذاكر حسين بها ومكتبة مجلس الهند للروابط الثقافية، آزاد بهون دلهى الجديدة والمكتبة العامة بدلهى القديمة والجامعة العثمانية بحيدر آباد ومكتبتها المركزية ومكتبة قسم اللغة العربية لها ، ومكتبة دائرة المعارف بحيدرآباد، والمعهد المركزى للغات الإنكليزية والأجنبية، ومكتبته الرئيسة ، ومكتبة متحف سالارجنك بحيدرآباد، والمكتبة الآصفية، ومكتبة دارالعلوم حيدرآباد ومكتبة دارالعلوم سبيل السلام ومكتبات أخرى بحيدرآباد . وجامعة كاليكوت ومكتبتها الرئيسة ، مكتبة محمد كويا“ ومكتبة قسم اللغة العربية وآدابها لها، ومكتبة كلية فاروق، ومكتبة كلية روضة العلوم بكاليكوت ومكتبة جامعة كيرالا، ومكتبة مدرسة نجم الهدى ومكتبة الجامعة الإسلامية بكيرالا والمكتبة العامة بكيرالا . ومكتبة جامعة بنغلور، ومكتبة فرقانية ايكاديمى للأستاذ شهاب الدين الندوى، بنغلور، ومكتبة الجامعة الإسلامية بيهتكل، ومكتبة جامعة مومباى، والمكتبة القنصلية البريطانية بمومباى ، ومكتبة جمعة مدراس، ومكتبة الكلية الجديدة بمدراس، والمكتبة العامة Connamerie بمدراس، ومكتبة جامعة كولكتة، والمكتبة القومية بكولكتة، ومكتبة جامعة جادفور، ومكتبة جامعة إله آباد، ومكتبة الجامعة الهندوية بينارس، ومكتبة الجامعة الإسلامية ، ومكتبة الجامعة السلفية بينارس، ومكتبة جامعة الفلاح، ومكتبة مدرسة الإصلاح، ومكتبة دارالمصنفين، ومكتبة الجامعة الإسلامية فى اعظم كره، ومكتبة دارالعلوم بديوبند، ومكتبة شبلى النعمانى العامة لدارالعلوم ندوة العلماء بلكهنو، ومكتبة جامعة لكهنو، ومكتبة إمام باره آصفية بلكهنو، وجامعة داكا ومكتبتها المركزية فى بنغلاديش، ومكتبة جامعة راجشاهى، ومكتبة جامعة سيتاغونغ، ومكتبة جامعة كوشتيا، والمكتبة القومية بداكا فى بنغلاديش، ومكتبة دارالعلوم معين الإسلام، ومكتبة دارالمعارف، والمكتبة الجامعة الإسلامية بسيتاغونغ فى بنغلاديش، ومكتبة جامعة دار الإحسان فى بنغلاديش، ومكتبة خدابخش بفتنا، ومكتبة

مولانا آزاد بعلى كره، ومكتبة قسمى الدراسة الإسلامية والعربية المشتركة وهناك أيضا بعض الجامعات والمكتبات زرتها واستفدت منها كما أستفدت من إيماءات وتوجيهات فضيلة الأستاذ المشرف الدكتور فيضان بك وأساتذة القسم الآخرين من هذه الجامعة وأساتذة الجامعات الأخرى الذين شافهتهم وأخذت منهم لب الأقوال والأبحاث.

ولا أقول إنى فى هذه الدراسة بلغت غاية مابعداها غاية، فإن البحث والنقد عن شخصية يتسع فيهما المجال للآراء والمذاهب والأقوال مع ما يواجه الباحث بالعربية فى بلاد العجم من المشكلات والصعوبات لعدم الوسائل وقلة المصادر والمراجع ولكنى بذلت كل الجهد وخضت فى الموضوع خائض البحر العميق، فبعدا التحقيق والتدقيق قسمت المقالة على ثلاثة أبواب تتضمن خمسة عشرة فصلا . وتتناول الأحوال السياسية، والإجتماعية، والأجواء الأدبية والثقافية فى لبنان فى أوائل القرن العشرين، ومكانة الأسرة البستانية فى المجتمع اللبناني، ومساهمة البستانيىن فى الأدب العربى، ومكانتهم بين الأدباء المعاصرين وما إلى ذلك.

ومكانة الأسرة البستانية فى المجتمع اللبناني بارزة جدا . وقدم لبنان عامة للادب العربى صفوة من كتابه كان لهم الأثر البعيد فى اليقظة الفكرية . وكان أبرز ما فى كتاب لبنان هذه المجموعة المسيحية التى شغلت نفسها باللغة والأدب ونشرت القواميس والمعاجم والإلياذة، ودوائر المعارف كالياز جيىن والبستانيىن. وعلى رغم أن لبنان هو أقرب إلى الآداب الغربية من أى قطر عربى آخر، قد ظل الأدب اللبناني فى الفترة التى أعقبت الحرب بعيدا عن التطورات . واكتفى لبنان بأدبائه وشعرائه الذين أرسلهم إلى مصر وإلى المهجر فى القرن التاسع عشر واكتفى بهذا المجد الذى ضفره على هامته اليازجيون والبستانيون.

وكان المشتغلون باللغة معظمهم البستانيون واللبنانيون لمضاء عزيمتهم وحاجة

مدارسهم إلى الكتب الحديثة التي توافق أذواق الطلاب وروح عصرهم وسبق البستانيون إلى تأليف المعاجم الحديثة والبحث في أصول اللغة وفلسفتها . ولم يعرف صدر الانبعاث من الكتب الجامعة إلا دائرة المعارف للبستانيين . أول موسوعة عربية أصدر منها المعلم بطرس البستاني ستة اجزاء عاونه فيها ابنه سليم.

وقد جمع البستانيون بين الأدب والتاريخ والنقد والشعر والقصة واللغة والصحافة ويحملون شهادات عالية من الجامعات وتركوا الآثارا عديدة من أدبية وإجتماعية وأحدثوا التأثير البالغ في أبناء قومهم خاصة وفي الأداب العربى عامة . وإنهم كانوا في عصرهم من أركان النهضة محورا للحركة الوطنية، ورؤساء، وأعضاء في أكثر الجمعيات والمؤسسات ومناديين بتعليم النساء . وزعماء الحركة الأدبية فى سوريا فقد أنشأوا ما أنشأوا من المدارس والجمعيات والجرائد والمجلات لخدمة اللغة والعلم والأدب .

وإن البستانيين مذهباً ينتمون إلى الكنيسة المارونية وهى أكبر فرقة من الشرق تنتمى إلى الكنيسة الرومانية الكاثوليكية . وبالأحرى هماشئى واحد . وبرزت هذه الفرقة فى لبنان بشكل خاص فى القرن العشرين.

وإن لبنان موطنهم والمسيحية ديانتهم فيكثرون الاعتزاز بهما وقد أورد بعضهم تاريخ موطنهم بوجهة نظر مسيحية وأبان كيفية تعريب لبنان بداية من عهد معاوية ، وكيف تم لهذا الموطن الجديد للعربية فى العصر الحديث أن يحمل عبأ النهضة، ويرفع مشعل الأدب العربى فى الخافقين بعد انطفائه، وهو بلد سريانى اللغة، ليس له سابق عهد بلسان العرب؟ وكانت السريانية لغة اللبنانيين يستعملونها فى طقوسهم، ومخاطباتهم، وكتاباتهم، ولم يصير لهم عهد بالعربية إلا يوم اقتحم معاوية لبنان يريده، فلم ينل غير سواحله فأتبعتها دمشق، وامتنعت عنه الجبال لوعورة مسالكها فارتد عنها . واضطر بعده عبد الملك بن مروان إلى أن يصالح المردة أو الجراجمة على ألف دينار يؤديها إليهم فى كل جمعة، ليدفع

معراتهم عن المسلمين في السواحل . ومما لاشك فيه أن ارتباط الساحل الفينيقي بدمشق الأموية مهد طريق الفتح للغة العربية . ولم يصعب عليها أن تتوغل الجبل لما بينه وبين الساحل من الاتصال ، ثم لما بينها وبين السريانية من التشابه والقربى . ولكنها لبثت فيه بطيئة الانشار ، ولا سيما مواطن الموارنة فقد ظلت بها السيادة للسريانية حتى القرن السادس عشر . ولم ترفع لغة الضاد رأسها إلا بعد أن تقاطرت الأسر العربية إلى لبنان واستوطنت فيه ، وعادت إليها أحكام إقطاعاته ، واخصها بنومعن وبنوشهاب

ولم تكن الأسر العربية كلها مسلمة ، وإنما كان منها نصارى لجأوا إلى لبنان فرارا من الاضطهادوا العسف فأثروا في تعريب مسيحيه . ومما أذكى الروح العربى فى نفوس اللبنانيين ، على اختلاف الملل والنحل ، تفشى سياسة الأحزاب فيهم . فإن المعيين والشهابيين كانوا على رأس القيسية العدنانية . وكان بوسيفا وبنو علم الدين على رأس اليمانية القحطانية . فانقسم أهل لبنان قسین كبيرين ، وكانت بينهم فتن وحروب أعادوا بها عهد العصبية العربية القديمة .

وازدادت العربية قوة ومناعة فى ولاية الشهابيين بعد تنصرهم ، وتنصر الأمراء اللمعيين معهم . فكان منهم فى الموارنة أسر خطيرة الشأن ، عربية النجار ، لاعهد لها بالسريانية قط .

وهكذا استعرب لبنان فى مجموعه وتضاءلت السريانية متوارة عن أفواه موارنته ، مجتزأة بكتب الدين . ولما آذن الله بنهضة الآداب العربية بعد انحطاطها كان للموارنة السهم الأكبر فى بعثها وإحيائها .

هكذا كان اعتزاز البستانيین بوطنهم لبنان وبديانتهم المسيحية كما عرفناه من كتاب أدباء العرب لبطرس بن سليمان البستاني . وفى الفصول التالية نرى مزيدا من شواهد وندرس أعمالهم الأدبية والعلمية ونتعرف على قيمتها ونشهد لما لهم من الفضل فى خدمة

لغتهم الأم وهى العربية، إن شاء الله تعالى.

تتألف الرسالة من ثلاثة أبواب . يتناول الباب الأول "الخلفية والمنشأ" لأسرة البستانيين وله ثلاثة فصول تحدثنا فى **الفصل الأول** عن أحوال السياسة والإجتماعية، والأجواء الأدبية، والثقافية، فى لبنان فى أوائل القرن العشرين.

خضع لبنان لحكم الآشوريين والبابليين والكلدانيين والفرس واليونان فى ظل حكم الإسكندر وخلفائه خاصة الإمبراطورية السلوقية ثم خضع إلى الحكم الرومانى . ولما جاء الفتح الإسلامى إلى المنطقة أصبح لبنان يشكل جزءا من أرض المسلمين فى عروبه وحضارته وثقافته وتاريخية وحكمه العثمانيون بتأييد أمرائه ومنهم الأمير فخر الدين المعنى وفى فترة ضعف الدولة العثمانية أخذت الدول الأوروبية الكبرى تتصل بالقوى المحلية فى لبنان وفى أعقاب الحرب العلمية الأولى وقعت لبنان تحت الانتداب الفرنسى .

ثم فازت البلاد بالاستقلال وانضمت الحكومة اللبنانية إلى عضوية هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٤٥م وشاركت قوات من الجيش اللبناني مع الجيوش العربية الأخرى فى الحرب العربية الإسرائيلية عام ١٩٤٨م .

وكان لبنان بفضل مجاورته للبحر، وبفضل أكثرية سكانه المسيحية، وبفضل اتجاهه نحو الغرب منذ العهد الفينيقي فالرومانى البيزنطى إلى أيام فخر الدين المعنى والأمير بشير أسرع تجاوبا مع تيار الأفكار العصرية الغربية وأكثر ميلا لتقبل الحضارة الأوربية.

وقد ظل الأدب اللبناني فى الفترة التى أعقبت الحرب بعيدا عن التطورات واكتفى لبنان بأدبائه وشعرائه الذين أرسلهم إلى مصر وإلى المهجر فى القرن التاسع عشر واكتفى بهذا المجد الذى ضفره على هامته اليازجيون والبستانيون .

وكان أبرز ما فى كتاب لبنان هذه المجموعة المسيحية التى شغلت نفسها باللغة والأدب ونشرت القواميس والمعاجم والإلياذة، ودوائر المعارف كاليازجيين والبستانيين

وذلك على رغم أن لبنان كان أقرب إلى الآداب الغربية من أى قطر عربى آخر.

وفى الفصل الثانى تحدثنا عن الأسرة البستانية ومكانتها فى المجتمع اللبنانى.

إن البستانيين مذهباً ينتمون إلى الكنيسة المارونية وهى أكبر فرقة من الشرق تنتمى إلى الكنيسة الرومانية الكاثوليكية وبالأحرى همأشئ واحد وبرزت هذه الفرقة فى لبنان بشكل خاص فى القرن العشرين . ومكانة الأسرة البستانية فى المجتمع اللبنانى بارزة جداً . وتعددت أشغالهم فمنهم من كان وزيراً للزراعة والتجارة ومن عمل فى وزارة الأشغال وكانوا أعضاء فى مجلس الأعيان وسفراء وأمناء سر للوفد العربى الفلسطينى ومساعدى مدنيين عربيين للعقيد باكر ورؤساء لمحكمة اللغة ومحكمة استئناف الحقوق والجنح الإستئنافية والإدعاء العام الإستئنافية والتجارة ودائرة الاتهام وولاية لمناصب قضائية ومستشارين فى محكمة التمييز .

وكذلك تعددت أشغالهم فى الجمعيات المختلفة من دينية وخيرية وعلمية وأدبية . وقد ساهم البستانيون فى تأسيس الجمعية الإسلامية المسيحية، وتأسيس النقابات الزراعية والصناعية فى تركيا، ومدرسة الغابات والبنك الزراعى، وفى تأسيس جمعيات أدبية وتاريخية ودينية وإجتماعية كبيرة، مثلاً الجمعية العلمية السورية .

وفى الفصل الثالث ذكرنا الأعضاء البارزين من الأسرة البستانية وأعمالهم الرئيسية

فذكرنا منهم ستة وعشرين عضواً ومن أعمالهم ذكرنا أكثر من مأتى كتاب ومنها ما لم تصل إليه أيدينا وذكرناه بعنوان الكتب التى غير متوفرة لدينا .

وتحدثنا فى الباب الثانى عن "مساهمة البستانيين فى الأدب العربى" وقسمناه على

عشرة فصول وفى الفصل الأول ذكرنا أن للبستانيين عدة مؤلفات فى المواد الدراسية منها أدباء العرب، والروائع، ومفتاح المصباح، والمجانى الحديثة، وأمثال الشرق والغرب، والصورة الشعرية فى الكتاب الفنية الأصول والفروع، والبيان، وقواعد العرب، وجواهر

الأدب. و عرضناها بتفصيل تحت عنوان إعداد الكتب الدراسية وأهمها أدباء العرب فى ثلاثة مجلدات وله أهمية باقية فى التاريخ والنقد الأدبى العربى . وكذلك يمكن القول فى سلسلة الروائع للأستاذ فواد أفرام البستاني . وهذا بالرغم من تعصباتهم الدينية ونزعاتهم المسيحية التى أوقعتهم فى بعض الأخطاء العلمية وقد أشرنا إليها فى موضعها وأكثر كتبهم الدراسية لم تبق لها قيمة فى مجال المواد الدراسية فقد أعد الكتاب المصريون وغيرهم كتباً قيمة كالنحو الواضح، والبلاغة الواضحة، والقراءة الراشدة، والقراءة الجديدة وغيرها من الكتب فلم يبق حاجة الطلاب إلى جواهر الأدب ومفتاح المصباح وقواعد العرب وغيرها من كتب البستانيين الدراسية. ولكنها لاتزال تتمتع بفضل السبق فى هذا المجال.

أما المجانى الحديثة لكرم البستاني فلا نعرف حظه من المدارس فى مصر ولبنان ولكن مجانى الأدب فى حقائق العرب للأب لويس شيخو وهو الكتاب الذى أراد كرم البستاني أن يجدده فى مادته وأسلوبه عن طريق الاختيار والشرح والتبويب فغدا اسمه — كما حكى عنه كرم البستاني — مرادفاً لكتاب التعليم العربى . ولم يزل حظه من المدارس العربية فى بلاد الهند أيضاً.

وللبستانيين عدة مؤلفات فى القاموس والمعاجم منها محيط المحيط، وفطر المحيط، والبستان، وفاكهة البستان وقد أعدت هذه الكتب لإفادة الطلاب والناشئين وحظها كحظ كتبهم المدرسية وأما الكتب التى احتلت مكانتها من الإقبال عليها فى هذا المجال فنذكر منها المنجد للأب شيخو وأقرب الموارد لعبدالله الشرتونى وكلاهما مسيحيان من لبنان.

أما أهمية هذه الكتب فى تاريخ إعداد المواد الدراسية والقاموسية فلا ينكرها أحد . وكذلك يمكن القول فى دائرة المعارف للأستاذين بطرس البستاني وفواد أفرام البستاني وقد يمكن أن نضيف إلى قيمتها التاريخية أهميتها العلمية أيضاً . أما دائرة المعارف لفريد

الوجدى المصرى وأخرى وهى دائرة المعارف الإسلامية المترجمة لبعض المستشرقين — وقد علق عليها كبار علماء العرب المسلمين — فنجدها أوسع تداولاً فى الأوساط العلمية.

فى الفصل الثانى وهو عبارة عن اعمال البستانيى فى مجال الترجمة والتعريب تناولنا

بالبحث فى هذا الفصل كتاب مناهج الترجمة لأدوار البستاني وهو كتاب قيم جداً وفريد من نوعه و توجد فيها ارشادات عملية وتوجيهات وصفية لمن أراد ترجمة نص إلى لغة أخرى . ولغة الكتاب سلسلة سهلة مفهومة لدى الشهاب والكبار على حد سواء. ووصف المؤلف هذه المبادئ للترجمة فى ضوء تجاربه وخبرته فى هذا المجال . كما تحدثنا أن إلياذة هوميروس فى تعريبها ونظمها وشرحها أهم آثار سليمان البستاني شعراً ونثراً أما الشرح فيضم دراسات وملاحظات نقدية دقيقة فقد كلف المعرب جهداً بالغاً ومطالعات جمة فى كتب الأدب والتاريخ الاجتماع، على مختلف لغاتها، مفيداً من كل ما عقله سابقوه على إلياذة مضيافاً ما رأى ذكره موافقاً عن مؤسسات العرب خاصة والشرقيين عامة بالنسبة إلى مؤسسات اليونان وتقاليدهم ومن هنا ندرك الأثر البالغ الذى أحدثه سليمان البستاني فى الأدب العصرى . ويعد هذا الكتاب مؤلفاً بديعاً فى مجال النقد والترجمة معاً حيث تتجلى فيه براعة المؤلف فى التعريب وأفرد الكاتب من ضمن مقدمة إلياذة مقالاً ذا قيمة رفيعة فى أصول التعريب عبر فيه عن آرائه حول هذا الفن الحساس — وفى نفس الوقت — هو تعبير عن ذوقه الفنى الجميل وحسه النقدى المرهف . وتحدثنا عن مقدمة المهراتة للأستاذ وديع البستاني بعنوان ”ديباجة المعرب“ وفى ديباجته هذه ملاحظات نقدية قيمة نفيسة غير أن فيها أخطاء ذكرناها فى موضعها وربما يُصدر حكمه فى أمور لا يدركها ومنها قوله: ”ومن نهري هندو“ و”سندو“ التسميتان الهند والسند . وزعمه أن الأدب الهندوى، ملحميه ومولده، لا أثر فيه لوثن أو وثنية . وكثيراً ما نرى الأستاذ البستاني يخلط بين الاصطلاحات الإسلامية كالإيمان والتقوى والصلوة والصيام وبين المعانى الوثنية فيقول مثلاً فى تعريبه للراميانة: ”جاء راماً يودع سيتا ويوصيها بطاعة

صاحب العرش وبالصلوة والصيام فأبت إلا أن تصحبه وتنفي معه ويقول: "أما الشاعر الراميانة فإنه يستوحى ذكريات عصر ذهبي للثقافة الهندوية فيبدع مثلاً سامية للتقوى والإيمان".

ومما لا شك فيه أن وديع البستاني قد أبدى جدارته الفنية والصناعية وبراعته الأدبية في تعريب المهراتة وبرز من خلال تعريباته للراميانة وشاكتلا ونالاداميتي وغير ذلك من الأدب الهندي كأحد المتهمدين البارزين في اللغات الأوروبية .

ولم نطلع على أبيات غيتة المعربة فلا يمكن لنا القول في تقييمها: واماتعريبه لرباعيات عمر الخيام فقد أكمل وديع البستاني تعريبه هذا سنة ١٩١١م ولم يتجاوز عمره خمس وعشرين سنة وإنه على رغم حداثة سنة، قد أدى خدمة موفقة بتعريب رباعيات عمر الخيام وهو أول من قام بهذه الخدمة الجبارة في الأدب العربي الحديث كما يقول نفسه في المقدمة لسباعياته: "إنني مقرب عجزى ومعترف بحداثة عهدي في حلبة الكتاب والشعراء وقائل قول نسيبي معرب الإلياذة في ديباجة الكتاب: "فإن احسنت وفيه منتهى جهدى فذلك من حسنات الاجتهاد . وإلا فحسبى أن افتحه بابا يلج منه وفقه الله إلى سبيل السداد".

وقد عرضنا لبعض من هذه التراجم والتعريبات في دراسة مقارنة لسباعيات وديع البستاني في موضعها من الباب الثانى ولا يسعنا هنا إلا أن نشير إلى أن الترجمة الإنكليزية التى اعتمد عليها الأستاذ البستاني فى إخراج سباعياته هى ترجمة فترز جولد و يعتقد الأستاذ البستاني أن رباعيات فترز جولد الإنكليزية هذه هى نفس الدرر الفارسية الخيامية وأن الترجمة محورتدور عليه تأليف متعددة لأدباء كثيرين الإنكليز والفرنسيين والأمريكان ولكن خلاصنا بعد دراستنا إلى أن رباعيات فترز جولد — على رغم قيمتها الأدبية — أبعد شئ من الأصل الفارسى، فقد تصرف الرجل فى الترجمة وتوسع فى ذلك توسعا قد لا يوافق عليه المتمزتون وقال القائلون إنها فى الإنكليزية شئ آخر عن الأصل الفارسى .

ولمعرّبنا هذا تعريبات لمؤلفات اللورد أفبرى Avebury الشهيرة منها معنى الحياة، والسعادة والسلام، ومحاسن الطبيعة، ومسرات الحياة، ولم نعثر عليها إلا على مسرات الحياة وهى تعريب لتأليفه The Pleasures of Life وقد نقله المعرب بعبارة سهلة وألفاظ محكمة ومعانى غزيرة ورسمه صحيحا ينطبق على لغة النقل ومشرب قرائه فإذا قرأ المطالع فيه مقالات اللورد المعروفة فكأنما يقرأها عربيا ولا يقرأها أعجميا ولم نعثر على النسخة الإنكليزية لكتاب اللورد أفبرى فلا نعرف السياق من أصل الكتاب لإستشهاد المعرب بالأبيات العربية لشعراء نا الفحول ولكن كان عمله هذا على سبيل تحجيل التعريب. وقد نجح فيه إلى حد كبير، كما نرى.

وفى الفصل الثالث ذكرنا أن للبيستانيين نشاط ملحوظ فى حركة إحياء العروبة وترويج فكرة القومية العربية ومن ضمن نشاطاتهم فى هذا المجال مؤلفاتهم التى جاءت تخليدا لذكرى الثقافة والعادات أو التقاليد العربية على اختلاف عصورها . لقد جددت هذه الكتب فى أذهان القراء العرب ما أسدل عليه مرور الزمان من أستار التغافل والتناسى من مشاهد الحياة الإجتماعية القومية للعرب ولا سيما فى ظل سيادة الأتراك وسيطره تقاليدهم. ومن كتبهم فى هذا المجال النساء العربيات، وأميرات لبنان لكرم البستاني، ومعارك العرب فى الشرق والغرب ومعارك العرب فى الأندلس لبطرس بن سليمان البستاني ومنها أدباء العرب له أيضا وزحف العروبة لأميل البستاني .

أما الكتابان للكاتب الشهير بطرس بن سليمان البستاني معارك العرب فى الشرق والغرب ومعارك العرب فى الأندلس فيبدو للقارى بعد الدراسة لهذين الكتابين أن الكاتب متحيز ومهتم بإحياء الأمجاد العربية بما فى عهد الإسلام ويحاول بكل ما فى وسعه إبراز العروبة فى هذه الكتب . وأيضاً أنه قد ذكر فى هذه الكتب المعارك التى وقعت بين العرب والعجم فى عهد الإسلام رغم أن العجم الآن جزء من العالم الإسلامى فيتجلى منه أنه قد

عزز أفكار القومية العربية بعد التفرقة بين العرب والعجم وفى الحقيقة أنه قد اجتهد لإنهاك الجامعة الإسلامية وروابطها حق الاجتهاد فلذا قد سمي هذه الكتب بمعارك العرب ولا بمعارك المسلمين وكان من المقترح أن يذكر المؤلف المعارك التى دارت فيما بين أهل الإسلام أنفسهم من العرب وغيرهم فيقول: "وإنما أخذنا أنفسنا بأبحاث فرعية تلامس أشهر المعارك التى نشبت بين الدول العربية والدول العجمية منذ صدر الإسلام إلى أن زالت كلمة الضاد بانتقال الخلافة إلى بنى عثمان".

وهذه هى كانت وجهة نظر أميل البستاني فى تأليف زحف العروبة فيسمى الفتوحات الإسلامية فتوحات العرب ويقول: "إن العالم كان على أهبة لقبول فتوحات العرب فكان أن فتحوه....."

وعلى رغم دعامة البستانيين، ومنهم أميل البستاني وبطرس بن سليمان البستاني، للقومية العربية فقد كتب بأسلوب يظهر فيه حميتهما المسيحية فى حكاية فتح العرب للأندلس مثلاً كما عرضنا للقضية فى موقعها من كتاب أدباء العرب لبطرس بن سليمان البستاني فى مواضع أخرى بتفصيل.

وفى تاريخ فرنسا الحديث تحدث المؤلف هو سليم البستاني عن مناقب النعيب الفرنسى فقال: وقد أجمع المؤرخون على أن الأمة الفرنسية تفوق غيرها بالحماسة والحدة وشدة التصور والشجاعة والمبادرة إلى القيام بالأمر الخطيرة واللفظ وهى من سلامة النية والحدق وقوة العقل والكرم والسخاء على جانب عظيم". وهكذا يتحدث المؤلف عن مناقب الأمة الفرنسية ولا ندرى هل يتفق معه المسلمون، فى الجزائر وتونس على سبيل المثال، الذين قاسوا مرارة الاستعمار من قبل الفرنسيين. وللمؤلف تأليف آخر حول نابليون وهو "تاريخ نابليون بونابرت فى مصر وسوريا" ولكنه غير متوفر لدينا.

وفى الفصل الرابع "مساهمة البستانيين فى التاريخ الأدبى" ذكرنا أن أدباء العرب

لبطرس بن سليمان البستاني أول كتاب من نوعه أسهب في نقد آثار الأدباء، وفي تحليل ميراث العصور الأدبية والتاريخية وأول كتاب جعل الغزل من مواد التدريس، وتبسط في شرحه وتفصيله، فلم يسلم في بدء الأمر من عنت المتمزتين، ثم أصبح الغزل شيئاً مألوفاً في المدارس كغيره من أنواع الشعر. ومن حسنات هذا الكتاب أنه سبق غيره إلى إظهار حقيقة بشر بن عروانة العبدى، وقصيدته في وصف الأسد فإذا هما من صنع بديع الزمان الهمداني، فخرج بشر، لأول مرة من تأريخ الأدب بعد ما احتفل به المؤرخون والأدباء أحقاباً طوالاً.

وفى الفصل الخامس تحدثنا عن أعمال البستاني القصصية وذكرنا أن أشهر مترجميهم للقصص الغربية سليم البستاني وهو أكثر محاولة في وضع القصص الاجتماعية العصرية فله أول نتائج ضخمة في الأدب القصصى بالعربية. وعلى الرغم من الإطار الرومنطيقى الصريح الذى يلفها وما يفرضه من المبالغات والصدف والبعد عن الواقع وفتور الشخصيات، وبعدها عن الطبيعة والإنسانية، وجفاف العرض وضعف الأسلوب لا نستطيع إلا أن نسجل لصاحبها فضل السبق فى هذا الفن وتنبه أذهان الكتاب إليه ولفت نظر عامة القراء إلى ما يحويه من لذة وفائدة.

وفى الفصل السادس تحدثنا عن نشاط البستاني في مجال الصحافة فقد انشأوا وحرروا صحفا عديدة منها نفيسر سوريا، والجنان، والجنة، والجنينة، وجريدة البيان، وعملوا في جرائد أخرى كالأحوال، والاحرار، والراية، وجدير بالذكر أن سليم تقلا وأخوه بشارة تقلا اللذان أسسا جريدة الأهرام للقاهرة سنة ١٨٧٥م وكان سليم تقلا قد درس في مدرسة المعلم بطرس البستاني في عبة. وأما المؤلف الدكتور عبدالله اسماعيل البستاني فقد اتبع في بحثه عن "حرية الصحافة" كل طرائق البحث العلمى وتدرج من العموم والخصوص وتنقل من التعريف والتاريخ إلى التنظيم والإصلاح. وأشار إلى ماتحجوبه "الأمم المتحدة" حرية الصحافة من رعاية لأجل تدعيم ذلك الحق الأول من حقوق الإنسان. وعرض المؤلف لذلك كله وقدمه بطريقة وأسلوب لاحت فيهما جميعا ملكة "التحقيق"

العلمى، واستبانة روح الإصلاح الحر، فجاء هذا السفر — وهو الأول من نوعه باللغة العربية — معمرا لركن المكتبة العربية الخاص بالصحافة وتاريخها وحريتها .

وكان طبيعيا أن يعتبر المؤلف الثورة الفرنسية نقطة ارتكازه التاريخى، فعن هذه الثورة الكبرى صدر تصريح حقوق الإنسان ، وتشمل الإذن لكل مواطن أن يتكلم ويكتب ويطلع، بصورة حرة، مع مسئوليته عن سوء استعمال هذه الحرية فى الحالات التى يحددها القانون .

ويبدو كأن البستانيين مفتنين بالثورة الفرنسية كل افتنان فيقول سليم البستاني مؤلف تاريخ فرنسا الحديث: "إن تلك الثورة لم تؤثر تأثيرات سياسية وأدبية ومادية وغيرها فى فرنسا فقط بل أتت سائر العالم بعصر جديد يفتخر به اهله " ويقول أيضاً: "وسنذكر أسباب هذه الثورة وعواقبها فى فرنسا والدنيا قاطبة من جهة التمدن والمعارف وغيرها " .

ويمكن أن هذا الافتنان بالثورة الفرنسية قد يكون دأب المثقفين المتفرنجين من لبنان وغيرها من البلاد.

وفى الفصل السابع تحدثنا عن انتاجات البستانيين فى الشعر العربى فإنهم كانوا من رواد الشعر العربى الحديث فقد قرضوا الشعر فى الموضوعات الجديدة بالأسلوب الحديث ولهم فضل سبق فى ميدان تعريب الروائع من الشعر العالمى . فقد عرب سليمان البستاني إلياذة هو ميروس وعرب وديع البستاني رباعيات عمر الخيام باسم السباعيات كما عرب الشاكتلا لكاليداس من ترجمته الإنكليزية وشعر طاغور ترجمها عن الإنكليزية وله ديوان شعر دعاه الفلسطينيات .

وإلى جانب ذلك توجد لهم أعمال أصلية فى الشعر العربى الحديث وقد ضم بطرس بن سليمان البستاني شعرا من قريض كل من الأستاذ عبدالله البستاني والنخورى بطرس البستاني وسليمان البستاني والبعض الآخرين من نصارى العرب كالأب لويس شيخو ووديع عقل وإيليا أبو ماضى وغيرهم لما يراه صالحا لتربية الجيل الناشئ .

وفى الفصل الثامن تحدثنا عن تأليف البستانيين فى السياسة وذكرنا أنه لم يؤلف

وديع البستاني فى السياسة إلا كتابا واحدا بالإنكليزية، ثم بالعربية أسماه The Palestine Mandate Invalid and Impracticable "الانتداب الفلسطينى باطل ومحال" ومعظمه بحث فى القانون الدولى العام . وضمن المؤلف هذا الكتاب الحقائق والحجج والوثائق كلها التى تتعلق بالقضية الفلسطينية متوصلا فى النهاية إلى أن الانتداب الفلسطينى الهادف إلى قيام إسرائيل باطل ومحال .

وقد عالج وديع البستاني المحامى هذه المباحث من الجهات الثلاث: اليهودية، والعربية، والبريطانية، جميعا . وقد أتيح للمؤلف أن ينشر هذا الكتاب بصيغته الإنكليزية والعربية مستيقنا ببطلان الانتدابات ومحاليتها . وذلك فى سنة ١٩٣٦م وبعد قيام إسرائيل فى سنة ١٩٤٨م لم يبق محاليتها، فقد حدث ولكن قوله ببطلانها لم يزل على سداد فيما نرى .

وهذا هو موقف كل من الأساتذة أميل البستاني فى كتابه "زحف العروبة" وسيف الدين البستاني فى كتابه "أوقفوا هذا السرطان وحقيقة الماسونية وأهدافها" فإن تقسيم فلسطين لقيام إسرائيل فى نظر أميل البستاني نقمة مستمرة للعرب فيقول فى زحف العروبة "إن خسران فلسطين كان صفة مدمرة للكرامة العربية" ويؤكد أن ليس فى التاريخ كله ما يشبه إنشاء دولة إسرائيل . ويقول: "ومن الصعب على غير العربى أن يفهم عظم الصدمة التى أحدثتها كارثة فلسطين فى العالم العربى".

ونذكر هنا موقف الأستاذ سليمان البستاني وهو أيضا من نصارى لبنان ومن حماة العروبة وكان معروفا بولائه للأمة العربية وبعصبية للوطن اللبنانى ولطالما ساعد العرب ودافع عن حقوقهم فى المجلسين والوزارة . ولم ينس لبنانيته فى جميع أطوار حياته . فلقد كان لبنان قبلته ومصطافه ومرجع حنينه .

ومع هذا كله فإننا نراه يمارس قومية تجمع بين العروبة والعثمانية وكان قد عهد إليه بوزارة التجارة والزراعة والغابات والمعادن فعمل فيها مدة بضعة عشر شهر بجدة وحسن

إدارته حتى جعلها مثالا للوزارات . وأخذ يسعى في تحقيق آرائه في إنماء الثروة لوطنية عن طريق استغلال الأرض في منابتها ومناجمها وخيراتها جميعا . فنظم مدرسة الغابات والنبك الزراعى . وكان أول من فكر بتأسيس النقابات الزراعية والصناعية فى تركيا .

وقال فى كتابه "عبرة وذكرى أو الدولة العثمانية قبل الدستور أو بعده" وإننا غير مغترين بوفرة هذه المصادر الطبيعية للثروة ولسنابطامعين أن تفيض ميازيها نضارا فى سنة أو سنوات قلائل ولكنه لابد من تنبه إخواننا العثمانيين فى كل قطر من أقطار إلى ثروة يمكن الشروع مذ الآن فى استدرارها شيئا فشيئا.....

وإن مجال المهاجرة إلى البلاد العثمانية متسع جدا وتناول أطراف البحث فيها مما يضيق عنه نطاف سفرنا هذا الصغير وإنما هى نفثات عثمانى محب لوطنه باح بشئ منها وادخر مابقى منها لفرصة أخرى".

وكان قد عمل مع الأحرار الأتراك وجاهد فى سبيل الدستور العثمانى وحرية الصحافة واستدل على دعوته إلى الحرية بالتاريخ العثمانى نفسه فقال: إن كثيرا من السلاطين العثمانية كانوا ذوى بربرعائيتهم، وهذا السلطان محمد الفاتح مع مايعزى إليه من القسوة قد حول رعاياه المسيحيين والإسرائيليين من حرية الدين والتصرف بالأحوال الشخصية مايسجل له فخارا مؤيدا وإن عده كثيرون خرقا فى السياسة بالنظر إلى أحوال ذلك الزمان

وعلى كل حال فقد يمكن لنا ان نلاحظ كل ألوان النشاط السياسى لدى البستانيين من خلال الفصول من مؤلفاتهم السياسية وهذا ورق مهم من تاريخ العرب السياسى فى عصرنا الحديث . فقد تفيدنا مؤلفاتهم هذه بوجهات نظر البستانيين على اختلافها فى هذا الميدان الجليل .

وفى الفصل التاسع تحدثنا آثار البستانيين فى النقد الأدبى فإن للبستانيين آثارا قيمة فى النقد منها مقدمة الإلياذة لسليمان البستاني فقد أثارت روحا نقدية، وطريقة فى البحث الأدبى كانت جديدة فى أوائل هذا القرن . ولا يخفى أن الإلياذة كانت أول أثر فى القرن

العشرين جمع بين البحث الأدبي ومقارنة الأدب . وقد سار فيه صاحبه على أسلوب علمي خالص يستند إلى ذكر المصادر، ونقد الروايات والترجيح بينها، فلا يحكم إلا بعد تحفظ، ولا يقر أمراً إلا على أثر مناقشة واحتياط، حتى غذا أفضل ما يقلده الباحثون في الأدب العصري نقداً ودراسة وقد فعلوا. فلا عجب أن يقول الدكتور يعقوب صروف، وقد أحاط بجميع هذه الصفات الأدبية في الكتاب المذكور: إن مقدمة الإلياذة تنزل من الأبحاث الأدبية منزلة مقدمة ابن خلدون من الأبحاث التاريخية .

ومنها سلسلة مدرسية ذهبية باسم الروائع لفواد أفرام البستاني وفيها ملامح من نقد التراث وانتخابه وبغض النظر عن بعض النقائص فإن الأستاذ فواد أفرام البستاني قد نجح في تقديم تصوير جميل للأدب العربي القديم للجيل الناشئ.

ومنها مجموعة مقالات للأساتذة اللغويين مثل عبد القادر المغربي والأستاذ انستاس الكرملي ناظرهما الأستاذ عبد الله البستاني في قضايا لغوية وهؤلاء الأساتذة لكل منهم رائه فيها مستقلة ولكن نرى الأستاذ المغربي يعترف بفضل الأستاذ عبد الله البستاني يقول: "أيها الأستاذ المحترم: إنك بحمد الله أشهر من نار على علم . وإن أعضاء المجمع العلمي العربي أول من يعترف لك بالفضل والكفاية".

وفي المقدمة لحكايات لبنانية للأستاذ كرم البستاني نرى مدى خبرة المؤلف في مجال الدراسة الحكايات فقال: إن الأساطير في كل البلاد تتشابه مع اختلافها في بعض التفاصيل وخلص إلى أن هذه الحكايات العالمية وليست ملكاً لأحد.

وفي الفصل العاشر تحدثنا عن مساهمة البستاني في أدب الرحلة ففي مجال الرحلات أيضاً يوجد للبستاني بعض المؤلفات فللقس الديراني أغوسطين البستاني، الكوكب السيار، ولسليمان بن خطار البستاني رحلاته، ولنحيب بن المعلم بطرس البستاني ذكرى ومشاهدات في الآستانة . ولم يصل إلينا إلا الكتاب "خمسة أيام في ربوع الشام"

لأستاذ فؤاد أفرام البستاني، رئيس الجامعة اللبنانية. وهذا الكتاب ليس حكاية عن وقائع السفر في الشام فحسب ولكنه استعرض فيه المواقع التاريخية وأحوال جميع هذه المواضع ماضيها وحالتها، ربما إحياءاً وتجديداً وتخليداً لذكرى التاريخ القديم للمسيحيين في تلك المناطق ولا يخلو وصفه في هذا الباب من مسحة التعصب الديني للمسيحية حيث يغمض عن ذكر أهم المواضع التاريخية بالمنطقة التي تنتمي إلى العصور الإسلامية الزاهرة. وإنه قد ذكر فيه بعض الأحيان القصص التاريخية المهمة ولكنه ما ذكر فيه مصادر ها ومراجعها.

أما أسلوب فؤاد أفرام البستاني فهو حافل بالفلسفة والتاريخ والأدلة العقلية والتعليقات المنطقية إلا أنه واضح كل الوضوح ومنسجم كل الانسجام خال من الغموض والالتباس وتداخل الجمل التي تفصل ما قبلها من المعاني عما بعدها.

وأما الباب الثالث من الرسالة فيشتمل على مبحثين حول "الأسرة البستانية في ميزان النقد" وتحدثنا في الفصل الأول عن "مكانة الأسرة البستانية بين الأدباء المعاصرين" وذكرنا آراء للأدباء المعاصرين في البستانيون ومكانتهم العلمية والأدبية وعرضنا في هذا الخصوص لآراء ميخائيل صوايا، وخليل أبورجائلي، وحنّا الفاخوري، وأنيس المقدسي، وجرجي نقولا باز، والدكتور إبراهيم عبده، وفؤاد أفرام البستاني، وبطر بن سليمان البستاني، والدكتور عمر فروخ، وانعام الجندی، ورشيد يوسف عطاء الله، وأحمد الشرباصي، ومارون عبود، وعبد القادر المغربي، ويوسف أسعد داغر، والدكتور محمد يوسف نجم وغيرهم من الأدباء والكتاب المعاصرين لهم وذكرنا أيضاً من رثاء بعض الشعراء للبستانيون ومنهم خليل مطران، والشيخ خليل اليازجي، فأبينا المكانة المرموقة التي يحتلها البستانيون بين الأدباء المعاصرين كما أنهم يُذكرون فيما بينهم رواد النهضة العربية الحديثة في بلاد سوريا ولبنان.

وفي الفصل الثاني تحدثنا عن "تقييم نقدي لأعمال البستانيون الأدبية وفي

هذا المبحث ذكرنا أولاً آراء لبعض الكتاب فى تقييم أعمال البستانيين ثم تقدمنا بملاحظات نقدية من عندنا فى أعمالهم الأدبية الرائعة.

وفى نهاية هذه المقدمة يجب على أن أقدم خالص الشكر والامتنان للأساتذة الذين تعلمت عندهم علوم العربية والإسلام بمدرسة معين الإسلام شيتاغونغ فى بنغلاديش ودارالعلوم ديوبند فى الهند وأخص بالذكر منهم فضيلة الأستاذ المفتى الأكبر محمد أحمد الحق حفظه الله وأدام فيوضه والمفتى الأعظم بالديار الهندية المفتى محمود الحسن الكنكوهى رحمه الله وشيخ الحديث والتفسير نصير أحمد خاں حفظه الله ، والشيخ عبدالحق الأعظمى، والشيخ نعمة الله الأعظمى حفظهما الله.

ثم أقدم الشكر وخالص التقدير إلى مشرفى وأستاذى الجليل العطوف الدكتور محمد فيضان بك أستاذ بقسم اللغة العربية وآدابها على معونته القيمة وتوجيهه إلى مواضع المواد للمقالة . فلولا معونته وتوجيهه وإرشاداته لم يكن لى إبلاغ هذا الأمر إلى ما عليه الآن . ولا يسعنى إلا أن أقدم الشكر إلى الأستاذ البروفيسور عبدالبارى الرئيس الأسبق للقسم وسعادة رئيس القسم الأستاذ البروفيسور كفيل أحمد القاسمى المحترم وجميع من أفادنى برأى أو إرشاد بالقسم وكذلك أشكر الأستاذ سليمان أشرف الرئيس الأسبق لقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة دلهى على مساعدته لإخراج الكتب وتصويرها من مكتبة جامعة دلهى والأستاذ احتشام أحمد الندوى الرئيس الأسبق للقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة كاليكوت . والأستاذ اى كى كتى الرئيس الأسبق بجامعة كاليكوت، والأستاذ نثار أحمد الرئيس الأسبق بجامعة مدراس، والأستاذ محمد شفيع شيخ الرئيس الأسبق بجامعة مومباى، والأستاذ سيد على البروفيسور الأسبق للكلية الجديدة فى مدراس، وفضيلة الأستاذ نورعالم خليل الأمينى أستاذ الأدب العربى فى دارالعلوم بديوبند، وفضيلة الأستاذ محمد الرابع الحسنى الندوى دارالعلوم ندوة العلماء بلكهنؤ، وفضيلة الأستاذ واضح رشيد الندوى أستاذ الأدب فى دارالعلوم ندوة

العلماء بلكهون، فضيلة الأستاذ البروفيسور اجتباء الندوى، والأستاذ المرحوم ضياء الحسن الندوى الرئيس الأسبق للجامعة المليية الإسلامية بدلهى الجديدة، والأستاذ شفيق أحمد الندوى رئيس قسم اللغة العربية وآدابها للجامعة المليية الإسلامية بدلهى الجديدة، والأستاذ أبوبكر الرئيس الأسبق لجامعة دكا فى بنغلاديش، والدكتور إقبال أحمد الندوى مدرس قسم اللغة العربية وآدابها فى المعهد المركزى للغة الإنكليزية واللغات الأجنبية بحيدرآباد وجميع الآخرين من استفدت ممن علومهم ومعونتهم .

وأجد نفسى مضطرا إلى تقديم الشكر الدكتور نذير أحمد عبد المجيد العضو الباحث لسرر الدراسات الدينية والإرشاد فى دودهدفور عليكره ولا انسى فضله حتى حياتى وأشكر إلى الدكتور عبد المنان ملا، وأشكر الأخ محبوب الرحمن، والأخ مخلص الرحمن، والأخ محمد أنصر القاسمى طابع هذه الرسالة، والأخ كبير أحمد والأخ خالد وجميع الموظفين لكمةنة قسمنا وأشكر جميع إختوتى وأخوانى وأصدقائى الذين قدموا الى مساعدة مادية ومعنوية.

وكذا أذكر فى هذا اليوم السعيد والدتى التى أهلتنى تربيتها المتميزة ودعاءها المستجاب أن أقدم هذه الأطروحة والتى أذكرها دائما فى دعائى وذكرياتى وأحلامى وأذكر كذلك والدى الكريم أطل الله عمره وأدام صحته ومن الواجب أيضا أن أذكر أخى الأكبر محمد أشرف حسين ، وجميع أعضاء أسرتى .

وأرجو من الله تعالى أن يتقبل من هذا العمل اليسير ويجعله عدة لمنجاتى ولنجاه والدى وماتوفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

محمد دلاور حسين

قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة عليكره الإسلامية، عليكره، الهند

تاريخ:

الباب الأول

الخلفية والمنشأ

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول

الأحوال السياسية والاجتماعية والأدبية في لبنان في أوائل القرن العشرين

(١) الظروف السياسية:

يحتل لبنان موقعا إستراتيجيا وتجاريا مهما . وقد مارس أهله وبخاصة في المدن الساحلية منذ وقت مبكر حرفة التجارة . ويعود معظم سكان لبنان في أجناسهم إلى الأصل السامي، حيث قدموا إلى بلاد الشام من الجزيرة العربية منذ حوالي سنة ٣٠٠٠ ق.م مثل: الكنعانيين والعموريين والفينيقيين وغيرهم.

سكن الفينيقيون بعد هجرتهم من جزيرة العرب الساحل السوري، وانتشروا على طولها، وأسسوا ممالك فينيقية صغيرة كانت في غالب الأحيان متنافرة ومتحاربة ومتنافسة في مجال التجارة التي كانت أهم مورد اقتصادي لها وقتذاك . وامتدت الممالك الفينيقية من الشمال إلى الجنوب على طول الساحل السوري.

خضع لبنان لحكم الآشوريين، والبابليين، والكلدانيين، والفرس، واليونان في ظل حكم الإسكندر وخلفائه خاصة الإمبراطورية السلوقية . ثم خضع إلى الحكم الروماني، وعند ما انقسمت الإمبراطورية الرومانية إلى إمبراطوريتين غربية وشرقية أصبح لبنان تبعا للدولة الرومانية الشرقية بيزنطة.

ولما جاء الفتح الإسلامي إلى المنطقة أصبح لبنان يشكل جزءا من أرض المسلمين بعد مفتح من قبل الجيوش الإسلامية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب . وكان لسكان لبنان علاقة بدولتي تدمرو والغساسنة، و دولة الأنباط وغيرهم قبل مجيء الفتح الإسلامي لتلك المنطقة. وعليه فإن لبنان بلد عربي سامي في حضارته وثقافته وتاريخه. (١)

العثمانيون

حكم العثمانيون بلاد الشام ، ومنها لبنان في عهد السلطان العثماني سليم الأول، عام ١٥١٦م على إثر واقعة مرج دابق الحاسمة، التي تغلب فيها الجيش العثماني على جيش المماليك، وبذلك أنهى العثمانيون الوجود المملوكي في جبل بلاد الشام جميعها. أيد معظم أمراء لبنان الحكم العثماني لبلاد الشام، وكان على رأس المؤيدين للسلطان سليم الأول الأمير المعنى فخر الدين أمير المعنيين في جبل لبنان وغيره من أمراء الطوائف اللبنانية الأخرى . وقد أمر السلطان العثماني الأمير فخر الدين المعنى على إقطاعياته وكذلك فعل بالنسبة لباقي أمراء جبل لبنان.

يتمتع لبنان بموقع إستراتيجي مهم من حيث الساحل، والجبل، وله تكوينات اجتماعية متميزة ، ففيه تركيبة مذهبية وطائفية معقدة لا بد أن يحسب حسابها في كل المسائل التي تواجهها البلاد . ولسكان لبنان بسبب هذه التركيبة احتكاكات وصلات بالدول الأوروبية مثل فرنسا، وإيطاليا، وبريطانيا، وروسيا وغيرها.

أخذ لبنان طابعا إداريا خاصا . ففي الجبال عاش النصارى، بحرية وأمن واستقرار . وانتشر المذهب الدرزي في منطقة الجبل اللبناني، تعاقب على حكم لبنان الأسرة المعنية التي برز من بينها فخر الدين المعنى، وقد قوى أمر الدروز في ظل حكمه . وقد أعقبت هذه الأسرة في الحكم الأسرة الشهابية من الطائفة الدرزية التي برز منها الأمير بشير الدين الشهابي . وأصبحت لها علاقة بدولة بريطانيا التي أخذت تدعم وتؤازر الدروز ضد الطائفة المارونية كحلقة من حلقات التنافس الاستعماري في الشرق بين بريطانيا وفرنسا التي تدعم الموارنة في لبنان . (٢)

والبستانيون كانوا يعيشون في عهد ساد الشقاق والفرقة بين جميع عناصر سكان لبنان من دروز وموارنة ومسلمين ونصارى، وارثو ذكس، ولاتين، وبين عامة الشعب ورجال الأقطاع . (٣)

التدخل الأوروبي في لبنان:

وفي فترة ضعف الدولة العثمانية أخذت الدول الأوروبية الكبرى تتصل بالقوى المحلية في لبنان، وبدأت تحرضهم ضدها لتتال من ضعفها، كما أن بعض القوى المحلية أخذت تتصل بالدول الأوروبية لتدعم مكانتها المحلية ضد القوى المحلية الأخرى المنافسة لها . وقد شعر العثمانيون أن وضع جبل لبنان الداخلي لا يبعث على الاطمئنان فرأوا أن يعملوا على تنظيمه إداريا بشكل يتناسب مع ظروفه الحاضرة . فقسموا لبنان إلى قسمين . القسم الشمالي وعينوا عليه قائمقاما، مارونيا . والقسم الجنوبي وعينوا عليه قائمقاما درزيا . ومع هذا لم يصبح وضع القائمقاميتين أفضل مما كانتا عليه في السابق، ولم تستقر الأمور الداخلية فيهما . فقد وقعت في جبل لبنان خلافات طائفية حادة خاصة بين الدروز والموارنة عام ١٨٤١م وكذلك عام ١٨٤٥م .

وحاولت الدولة العثمانية على الرغم من ضعفها أن تمسك بزمام الأمور، فأنشأت مجلسين منتخبين يشاركان في إدارة القائمقاميتين جنبا إلى جنب مع القائمقامين على الشمال والجنوب في جبل لبنان . إلا أن الاضطرابات المحلية في الجبل لم تتوقف، فقد توترت الأوضاع من جديد بين الدروز والموارنة عام ١٨٦٠م .

وتدخلت الدول الأوروبية في النزاع الداخلي في الجبل، حتى أن فرنسا أرسلت عام ١٨٦٠م حملة عسكرية فرنسية مؤلفة من ستة آلاف جندي، إلا أن الدولة العثمانية أسرعت وحلت الخلاف بشكل يرضى جميع الطوائف . ولما وصلت الحملة الفرنسية إلى لبنان وجدت أن الأمر قد حل ، فاضطرت إلى الانسحاب . وتعد هذه الحملة، على الرغم من أنها لم تفعل شيئا، بمثابة إنذار للدولة العثمانية، وبمثابة دعم وتأيد للجماعات المارونية ، وهي أيضا بمثابة مناورة عسكرية أرادت بها فرنسا أن تلفت نظر الإنجليز إلى أن لبنان والمناطق السورية هي ضمن خريطة الاستعمار الفرنسي في الشرق .

وقد تدخلت الدول الأوروبية في الصراع الدرزيّ الماروني بشكل سافر، فأرسلت دول أوروبا لجنة إلى اسطنبول لدراسة الموقف برمته مع السلطان العثماني والباب العالي، وتم الاتفاق على منح جبل لبنان نظاما إداريا خاصا به، وعرف هذا الاتفاق بنظام عام ١٨٦١م، وقد حدث فيه تعديل بعد مرور ثلاث سنوات أي عام ١٨٦٤م وعرف هذا الاتفاق المعدل للاتفاق السابق بالقانون الأساسي. وقد وقعت عليه فرنسا وبريطانيا والنمسا وروسيا وبروسيا والدولة العثمانية. (٤)

لقد لقيت الدولة العثمانية في حكمه صعوبات كثيرة. فقد كانت العصبية الإقطاعية والطوائف الدينية تتمتع بنفوذ كبير في مناطقها وكل منها يعتمد على تأييد دولة أجنبية. فالموارنة والكاثوليك في لبنان، يلجئون دائما إلى فرنسا. والدروز ينشدون تأييد إنجلترا وهكذا قد خفت هذه النزعات الإقطاعية والطائفية الدينية كثيرا أثناء الحكم المصري بالشام لما اتصف به من التسامح الديني ولكنها عادت ترفع رأسها من جديد بعد سنة ١٨٤٠. كما عاد العثمانيون إلى حكم هذه البلاد بأساليب جديدة. ومن هنا جاء إصطدامهم بالعصبية الإقطاعية والدينية في لبنان. وذلك الاصطدام الذي ظهر واضحا في الحوادث الدامية التي قامت بين الدروز والموارنة في لبنان سنة (١٨٦٠م) وقتل فيها عدد كبير من الجانبين.

الانسحاب التركي :

تأزم الوضع الداخلي في لبنان في أعقاب اندلاع الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م، وتأزم الموقف المالي فيه بسبب الحرب، وانقطاع تدفق الأموال عليه من قبل رعاياه في المهجر. وساءت علاقة الدولة العثمانية بأهالي لبنان، خاصة بعد نمو فكرة العروبة، وتأسيس الجمعيات والهيئات العربية المناهضة للحكم العثماني.

انسحب الأتراك من بلاد الشام: سوريا، ولبنان، وفلسطين بعد إنتصار دول الوفاق

فى الحرب العالمية الأولى على دول الوسط . ودخل الأمير فيصل بن الحسين دمشق، وأقام فى بلاد الشام حكومة عربية منها الوجود العثمانى فيها، فأرسل القائد شكرى باشا الأيوبي حاكما عاما على لبنان، ومقره بيروت التى أصبحت تشكل مركز الثقل بالنسبة للبنان كله. وعين عمر الداعوق حاكما على بيروت، وحبيب باشا السعد حاكما على جبل لبنان . وهكذا رفع علم الحكومة العربية فى بيروت، وذلك فى ٦/ أكتوبر ١٩١٨ م. (٦)

الانتداب الفرنسى على لبنان :

وقعت لبنان تحت الانتداب الفرنسى بناء على مقررات مؤتمر سان ريمو الموقع فى أبريل عام ١٩٢٠ م وقسمت بلاد الشام إلى ثلاثة أقسام، هى: سوريا، ولبنان وفلسطين . وعهد إلى فرنسا بالانتداب على سوريا ولبنان وعهد إلى بريطانيا بالانتداب على فلسطين والعراق بما فيها الموصل، وذلك بناء على مخططات معاهدة سايكس - بيكو عام ١٩١٦ م. رفضت فرنسا قيام حكومة عربية بزعماء الأمير فيصل فى دمشق ووجه الجنرال غورو فى ١٤ يوليو عام ١٩٢٠ م انذارا إلى فيصل بن الحسين يطلب فيه قبول الانتداب الفرنسى فوراً، وإلغاء قانون التجنيد الإجبارى، وتسريح الجيش العربى . وعلى الرغم من أن فيصل رد على غورو بالقبول إلا أن غورو رفض الرد مدعياً أنه جاء فى وقت متأخر عن الموعد المحدد له . فتقدمت القوات الفرنسية نحو دمشق واحتلتها بالقوة بعدموقعة ميسلون فى ٢٥ يوليو ١٩٢٠ م ثم تقدمت القوات الفرنسية فاحتلت لبنان الساحل ولبنان الجبل، وانسحبت منها قوات الحكومة العربية وعين غور وعلى جبل لبنان حاكما فرنسيا عسكرياً منح صلاحيات متصرف الجبل فى العهد العثمانى . ووضعت المنطقة اللبنانية الساحلية تحت إدارة كولونيل فرنسى . وعين جورج بيكومفوضا ساميا على لبنان يتمتع بكل الصلاحيات السياسية والإدارية.

وفاز بالرئاسة شارل دباس، وإعلان الجمهورية يكون الفرنسيون قد أنهوا حكمهم

المباشر للبنان . وفى عام ١٩٣٢م، علق المفوض السامى الفرنسى الدستور اللبنانى، وحل مجلس النواب اللبنانى والوزارة اللبنانية، وعين شارل دباس رئيسا للدولة لأجل غير مسمى يساعده فى إدارتها مجلس مديرين، وظل دباس على رأس الدولة حتى عام ١٩٣٣م، بعدها عين الفرنسيون حبيب باشا أسعد رئيسا جديداً للجمهورية اللبنانية لمدة سنة، ثم جدد له سنة أخرى.

وكان يتنازع لبنان قوتان سياسيتان رئيسيتان هما : قوة الجذب باتجاه الفكر العربى والفكر الإسلامى، وهى قوة تظل ترتبط بالعرب ثقافة وحضارة وتاريخاً ومستقبلاً . وقوة ثانية تشد لبنان باتجاه بعيد عن الخط العربى والإسلامى، تدين بولائها إلى الغرب ثقافة وانفتاحاً . وظل هذا الصراع قائماً إلى وقت قريب . فعلى الرغم من انفتاح لبنان على العالم بأسره، وبالرغم من ثقافة شعبه، وبالرغم من احتكاكه الطويل بشعوب العالم، إلا أن النزعة الضيقة والتعصب الطائفى ظلا يسيطران على بعض اتجاهاته السياسية من جهة، وعلاقة طوائفه بعضها ببعض من جهة ثانية . وأصبحت الانعزالية والنزعة الإقليمية حقيقية واقعة فى لبنان، خاصة فى فترة ما بين الحربين العالميتين، وظلت تلك النزعة اللبنانية تقف فى صف معاد للنزعة الاتحادية مع العالم العربى خاصة مع سوريا.

أخذت الحكومة اللبنانية بعد الاستقلال تدعم موقفها فى داخل البلاد، وخارجها . فقد شارك لبنان فى المشاورات العربية التى تمخض عنها إنشاء جامعة الدول العربية عام ١٩٤٥م.

لقد أبدى الوفد اللبنانى فى المشاورات العربية موقفاً إيجابياً من موضوع إنشاء جامعة الدول العربية، وأعلن الوفد اللبنانى أن لبنان مستعد للتعاون مع بقية الأقطار العربية فى سبيل إيجاد نوع من الاتحاد أو الوحدة أو الجامعة التى تقدم الخير للجميع . وبناء عليه فقد انضم لبنان إلى عضوية جامعة الدول العربية منذ تأسيسها عام ١٩٤٥م وانضم إلى

عضوية هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٤٥ م.

واهتم لبنان ببناء جيش وطني للدفاع عن استقلاله ، وقد شاركت قوات من الجيش اللبناني مع الجيوش العربية الأخرى في الحرب العربية — الإسرائيلية عام ١٩٤٨ م. وتجدر الإشارة هنا إلى أن خلافات دموية وقعت بين الجيش اللبناني والفدائيين الفلسطينيين عام ١٩٦٩ م، وحدثت بين الطرفين اصطدامات عسكرية، وكان ذلك في عهد رئاسة شارل الحلو، وفي عهد الرئيس إلياس سركيس دخلت قوات الردع العربية لبنان من أجل إنهاء الخلافات بين الجيش اللبناني والفدائيين الفلسطينيين في الجنوب اللبناني. (٧)

وانفجرت الحرب الأهلية عام ١٩٧٥ م بين الموارنة من جهة والمسلمين من جهة أخرى . وقد قتل في هذه الحرب عشرات الآلاف من الطرفين. وحدث دمار واسع في الممتلكات وفي أواخر عام ١٩٧٦ م انتهت الحرب الأهلية واسعة الانتشار . ومع ذلك فقد وقعت حروب دورية من جبن لآخر بين طوائف من النصارى والتحالف الإسلامى مع المقاومة الفلسطينية . كذلك بدأ كل من الجماعات النصرانية والجماعات المسلمة الاقتتال فيما بينهما. (٥)

(٢) الأحوال الاجتماعية والاجواء الأدبية والثقافية:

يعيش معظم اللبنانيين الأغنياء أو من الطبقة المتوسطة في المدن، بينما يعيش سكان البلاد الفقراء في المناطق الريفية أو في المدن الأقل ازدهارا . وقدهاجر كثير من الفلسطينيين من لبنان خلال الثمانينيات من القرن العشرين بسبب اجتياح إسرائيل للجنوب، وبقي معظم سكان مخيمات اللاجئين في الشمال وفي العاصمة بيروت.

أما الدين: فيمثل لبنان — من بين جميع دول الشرق الأوسط . ملتقى للمذاهب والأديان، وتقوم الحياة السياسية في لبنان على أسس دينية ومذهبية منظمة . معظم اللبنانيين مسلمون إذ بلغت نسبتهم ٦٢٪ من السكان في تسعينيات القرن العشرين، وينقسمون إلى

أتباع المذهب الشيعي، والسني ثم طائفة الدروز . ويعيش الشيعة في جنوبي لبنان وفي شمالي سهل البقاع، بينما يعيش معظم السنة في المدن الكبيرة: بيروت، طرابلس، صيدا، وفي محافظة الشمال . يعيش الدروز في منطقة الشوف في جنوب شرقي بيروت العاصمة، وينتمون إلى الجنبلاطين واليزبكين.

وتبلغ نسبة النصارى في لبنان ٣٨٪ من السكان، ولذلك فإن لبنان تضم أكبر نسبة من النصارى بين جميع الدول العربية. وينقسم النصارى إلى عدد كبير من الطوائف، بعضها يتبع الكنيسة الرومانية الكاثو ليكية مثل: الأرمن، والكلدانيين، واللاتين، والمارونيين، الملكيث، والسريان . وبعضها الآخر يتبع جماعات الإنجليكانيين، إضافة إلى الجماعات النصرانية الأخرى مثل: الأرمن الأورثوذكس، واليونان الأورثوذكس، والبروتستانت، والسريان الأورثوذكس، واتحاد الأرمن التابعين للكنائس الأخرى في الشرق الأدنى . وكانت هذه الطوائف تشكل في الماضي أغلبية سكان لبنان . يعتبر الموارد أكبر طوائف النصارى في لبنان، ويتمتع الموارد بنفوذ سياسي كبير بالنسبة للجماعات السكانية الأخرى في لبنان حيث ينتخب الرئيس و يعين قائد الجيش منهم ويسكن الموارد في الإقليم الجبلي شرقي بيروت مباشرة، بينما تعيش أعداد كبيرة من النصارى الروم في وادي البقاع . (٨)

بقى علينا في هذا المقام أن نوجه النظر إلى حوادث سياسية تركت في الأدب صبغتها الخاصة . وهي كثيرة ومتفاوتة الأثر على أن أهمها إثنان وهما:

١ - حركة السنة الستين (١٨٦٠) في البلاد السورية وما عقبها من استقلال لبنان الداخلي . ولهذه الحركة في الأدب العربي ظاهرتان كبيرتان — الأولى تأصيل الحزازت الدينية بين أبناء سوريا — تلك الحزازات التي كانت ولا تزال من أهم بواعث الشقاق في الشرق . والثانية انفصال لبنان عن السلطنة العثمانية بكيان سياسي خاص مضمون من الدول العظمى فصار اللبناني يشعر بكرامته الذاتية ويتذوق حلاوة الاستقلال .

٢- الاحتلال البريطاني لمصر سنة ١٨٨٢ وهو من الحوادث الإقليمية الكبرى التي تكاد لخطورتها أن توضع في مصاف العوامل العامة. ولانتعريض هناك للبحث في أسباب الاحتلال أو النظر في مساوئه وحسناته فذلك من خصائص التاريخ. ولكننا نقرر أن هذا الاحتلال كان مبعثاً لأدب مصرى عنيف، وكان له أصدى لا يزال يتردد في أنحاء البلدان العربية.

وبرغم تضارب الآراء فيه فإننا نرى أن أكثر الشعراء والخطباء في البلاد العربية كانوا ينظرون إلى الاحتلال نظر العداء وينادون بالاستقلال والدستور. وقد أدى ذلك إلى إحياء الشعور الوطنى فيها ثم إلى تدرجها في مراتب الاستقلال حتى بلغت ما بلغت في هذا العهد. ومن هذه العوامل الإقليمية — حوادث أرمنية، وحواران، واليمن وكثير من حوادث العراق المحلية. ولما كانت غايتنا هنا وصف الاتجاهات العاطفية العامة فإننا نقف عند هذا الحد من الكلام على الشعور قبل الدستور تاركين العوامل المحلية لمن يحب التخصص فيها. (٩)

كان لبنان، بفضل مجاورته للبحر، وبفضل اتجاهه نحو الغرب منذ العهد الفينيقى فالرومانى — البيزنطى إلى أيام فخر الدين المعنى والأمير بشير، أسرع تجاوبا مع تيار الأفكار العصرية الغربية وأكثر ميلا لتقبل الحضارة الأوروبية.

وقد صدق من شبه طرق المواصلات بالجهاز العصبى للحضارة العصرية. وبالرغم من أن لبنان كان منذ أقدم الأزمنة التاريخية على اتصال جغرافى وفكرى بأوروبا فإن التغييرات الجذرية فى حياة لبنان لم تحصل إلا فى القرن التاسع عشر، ولم يأخذ لبنان بأسباب المدنية العصرية إلا فى هذا القرن. ولقد طبع هذا التغلغل الحضارى الفكرى الغربى لبنان واللبنانيين بطابع مميز، وأصبح لبنان رائدا فى تقريب الحضارتين الغربية والشرقية، وفى التوفيق بين عناصرهما المتباينة. ولأن لبنان أول بلد حرر نفسه من قوقعة القديم فإنه أصبح مركز اشعاع فكرى — وكثيرون من أبنائه يسمونه بلد الاشعاع — يشع منه نور الفكر والتحرر إلى البلدان العربية المجاورة. أما تجاوب لبنان مع الحضارة الأوروبية فكان تقبل الحضارة الغربية فى لبنان

والتحارب معها تلقائيا وتدرجيا ذلك لأنه تعرض أولا للأفكار الغربية بصورة طبيعية، ولمس الحياة الغربية عن كثب . وبكلام آخر لم تفرض عليه فرضا ولا أجبر على تقبلها . وقد اختار المرسلون قرى لبنان الجميلة ذات المناخ الصحى نقطة الانطلاق مخالفين بذلك العرف الشائع الذى يبدأ بالمدن كنقطة انطلاق فى تحضير البلاد وفى التأثير عليها . ولم تكن حملة نابليون ولا الحملة المصرية العامل الرئيسى الفعال فى أحداث التغييرات الجذرية فى الحياة اللبنانية، بل كان تمهيد السبيل لتغلغل الأفكار الحديثة هو العامل الرئيسى فى إدخال الحضارة الغربية إلى لبنان . ولنا أن نقول إن دخول الحضارة الغربية إلى هذه المنطقة يعد العامل الأول فى تطور تاريخها الحديث . فإن جميع الأحداث والتغييرات التى طرأت عليها من سياسية واجتماعية واقتصادية وروحية وعقلية يمكن ردها مباشرة أو بالوساطة إلى هذا العامل: وقع الحضارة الغربية فى حياة الناس . (١٠)

المطبعة:

نقلت الإرسالية الأميركية مبطعتها المعروفة بالمطبعة الأميركية من مالطة، حيث أسست أولا، إلى بيروت (١٨٣٤) قبل تأسيس الجامعة الأميركية . وأول عمل عظيم شرعت به الإرسالية كان ترجمة التوراة والأنجيل إلى لغة عربية فصيحة سهلة لتضعهما فى متناول الطبقات العامة من الناس . وقد استغرق العمل ثمانى سنوات . وقد قام بالترجمة مبشر اسمه على سمث (Eli Smith) خريج جامعة ييل، وكورنيلوس فان ديك وكان يعاونهم فى هذا المشروع العظيم ثلاثة علماء من الوطنيين سنأتى على ذكرهم قريبا . وبواسطة المطبعتين الكاثوليكية والأميركية، والجامعتين اليسوعية والأميركية، توفرت للبلاد سبل التفاعل الأدبى والعلمى بين الغرب والشرق . فنشطت حركة الترجمة من اللغات الأجنبية إلى العربية ومن العربية إلى اللغات الأجنبية، ونقلت أمهات الكتب وأحدث الأفكار الغربية فى العلم والأدب والنقد إلى العربية .

وقبل أن يؤسس الأميركان والكاثوليك مطبعتهم، كان فى لبنان وسائل للطبع ولكن لم تكن بالوسائل ذات الكفاءة الفعالة . فقد كان فى دير قزحيا (ومعنى اسمه "كنز الحياة") فى وادى قاديشا مطبعة تعد أقدم مطبعة فى العالم العربى على الإطلاق . ويرجح أن طالباً من

الطلاب المواردية الذين كانوا يدرسون في روما أدخل هذه المطبعة إلى الدير. وفي سنة ١٦١٠ أصدرت هذه المطبعة نسخة من سفر المزامير باللغة العربية، إنما كان سفرًا مكتوبًا بالحرف السرياني (الكروشوني) كما كان شائعًا في لبنان في ذلك العهد. وفي أوائل القرن التاسع عشر تأسست في دير طاميش من أعمال كسروان مطبعة سريانية. ثم في سنة ١٨٥٥ تأسست مطبعة عربية في الدير نفسه. وفي سنة ١٧٠٢ تأسست في حلب أول مطبعة عربية بحروف عربية في الشرق. وكان مؤسسها البطريرك اثناسيوس الدياس الذي يرجح أنه استحضر آلتها من الفلاخ (Wallachia) وقد سبك أمهات الحروف شماس من الروم الكاثوليك إسمه عبدالله زانخر (١٦٨٤-١٧٣٨) وهو سوري الأصل لبناني الموطن. وفي سنة ١٧٣٣ انتقل عبدالله إلى دير مار يوحنا الصابغ (يوحنا المعمدان) بالقرب من بلدة الخنشارة حيث شرع في تأسيس مطبعة جديدة. وفي دير للروم الأرثوذكس في بيروت أسس يونس الجبيلي المعروف بابي عسكر مطبعة أتبع فيها الحرف الذي كان مستعملًا في دير مار يوحنا. وأول كتاب أصدرته هذه المطبعة في بيروت كان سفر المزامير (١٧٥١). غير أن الفاتيكان كان أول من أسس مطبعة عربية في التاريخ — أي قبل هذه المحاولات التي جرت في الشرق والتي أشرنا إليها آنفاً — نعى مطبعة فانو في إيطاليا. ولا يزال لدينا من مطبوعات هذه المطبعة كتاب للصلاة (Prayer Book) يعود تاريخه إلى سنة ١٥١٤. وقد تكون مطبعة فانو العربية هي أم المطبعة التي أسسها البطريرك الدياس في حلب. ولما أسس محمد علي باشا مطبعة بولاق في القاهرة سنة ١٨٢٠ استدعى رجلاً سورياً اسمه نقولا المسابكي، الذي كان قد قضى أربع سنوات في إيطاليا. يتقن فن الطباعة، ليكون مديراً لها. ويبدو أن المسلمين لم يرضوا في بادئ الأمر عن الطباعة بالحرف المتحرك بل كانوا يؤثرون الكتابة باليد، التي أصبحت فناً من الفنون الجميلة واكتسبت شيئاً من القدسية والاحترام لأن القرآن الكريم كان ينسخ نسخاً باليد. كانت الطباعة الحديثة في بادئ الأمر وقفاً على نصارى سورية ولبنان. ويعود الفضل في نقل الطباعة العربية إلى أقطار العالم الخارجي، إلى المهاجرين من النصاري اللبنانيين. (١١)

وكان يلعب أصحاب دور الكتب في تعميم الكتاب بين الناس وفي نشر المعرفة دوراً

كبيراً ولكن يصعب تقريره نسبة لقلة الوثائق التي من شأنها أن تلقى ضوءاً على هذه الناحية . وكان بعض تجار الكتب من نوع التجار المتجولين مثل يوسف إيلان سر كيس (١٨٦٥-١٩٣٣) الذي كان أديبا عالما وقد خلف لنا مؤلفات عدة أهمها موسوعته "معجم المطبوعات العربية والمعربة" (القاهرة ١٩٢٨-١٩٣٠) ولد سر كيس في دمشق وعمل أولاً في بيروت ثم انتقل سنة ١٩١٢ إلى القاهرة حيث أسس مخزناً للكتب . وقبل أن دخلت الطباعة لبنان كان عدد المخازن التي تباع الكتب في بيروت لا يزيد عن أصابع اليد الواحدة . وكان مخزن الكتب كناية عن غرفة صغيرة مظلمة تحوى على الكتب ذات الورق 'الأصفر' المنسوخة نسخ اليد والتي تدور حول المسائل الدينية واللغة والتاريخ لا سيما أخبار عنترب والزير التي هي أقرب إلى الأساطير والأقاصيص منها إلى التاريخ . وكان عدد الكتب المستوردة من الخارج قليلاً جداً . ولم يكن ثمة ترجمات عربية لكتب غربية ذات قيمة . ولكن تغيرت الأحوال عند منصرم القرن التاسع عشر إذ عمت المطابع وكثرت المخازن التي تباع الكتب بالرغم من أن الرقابة العثمانية على المطابع والكتب كانت رقابة شديدة صارمة . (١٢)

المدارس الوطنية، والجامعات، والكليات:

لما أدرك أهل البلاد أن الذين يتثقفون في المدارس الأجنبية يحتلون مراكز اجتماعية مرموقة ومناصب حكومية رفيعة، ولما لاحظوا بأن كسب المال أيسر إذا كان الإنسان منعلماً تعليماً عصبياً، أخذ بعض الناس يفتحون المدارس التي كانت تقتفى أثر المدارس الأجنبية من لائنية وانكلو سكسونية في برامجها وإدارتها، وكانوا يستخدمون الأساتذة الأفرنسيين أو الأميركيين، وجعلوا الأفرنسية أو الإنكليزية لغة التدريس . ومن هذه المدارس مدرسة الحكمة التي أسسها المطران يوسف الدبس سنة ١٨٧٤ الذي نقل المطرانية من الجبل إلى بيروت . أما مطرانية الروم الأرثوذكس فإنها نقلت مدرستها التي تأسست سنة ١٨٥٢ من سوق الغرب إلى بيروت وعرفت بمدرسة (الثلاثة أقمار) وكان ينافس هذين المعهدين العالين المدرسة البطريركية للروم الكاثوليك . وفي سنة ١٨٩٨ أسس الروم الكاثوليك الكلية الشرقية

فى زحلة . وجميع هذه المدارس التى جئنا على ذكرها لا تزال مدارس زاهرة تعمل بنشاط إلى يومنا هذا . ثم أن المدارس الإسلامية الجديدة أخذت تستوحى المدارس الأجنبية فى برامجها فأدخلت فى برامجها تعليم اللغات الأجنبية كالأفريقية والإنكليزية ، مثل المدرسة العثمانية التى أسسها أحمد عباس الأزهرى (١٨٥٣-١٩٢٧) فى بيروت سنة ١٨٩٧ . وقد ولد أحمد فى بيروت ودرس فى القاهرة فى الأزهر — كما يدل على ذلك اسمه — وعاد وانخرط فى سلك التعليم والتحق بمدرسة بطرس البستاني فى عبيه . وفى أثناء الحرب العالمية الأولى أغلقت مدرسته ونفى إلى إستنبول . (١٣)

ولم تقتصر الحركة الفكرية على إنشاء المدارس بل تناولت أيضا تأسيس الجمعيات . ومن هذه الجمعيات التى يجدر بنا أن نأتى على ذكرها الجمعية العلمية السورية التى أعيد تنظيمها واعترف بها رسميا سنة ١٨٦٨ . وكان فى عداد أعضاء هذه الجمعية مسلمون مثل حسين بيهم ، ودروز مثل محمد أمين أرسلان ونصارى مثل بطرس البستاني وناصيف اليازجى . وقد أرسلت دعوة إلى السوريين واللبنانيين المقيمين فى القاهرة واستنبول وعواصم أخرى لينضموا إلى الجمعية ويسهموا فى أعمالها التى تعدت الأعمال (العلمية) إلى أعمال أخرى سياسية . وكان للجمعية مجلة شهرية اسمها "مجموعة العلوم" تنشر المقالات العلمية والأدبية والاقتصادية والزراعية ويرجح أنه هذه هى المرة الأولى فى تاريخ البلاد — وعلى وجه التأكيد المرة الأولى فى تاريخ البلاد تحت الحكم العثمانى — التى يجتمع فيها رهط من أفاضل الناس فى مختلف المذاهب ويكرسون جهودهم المشتركة فى سبيل الخير العام . (١٤)

توجد ست جامعات فى لبنان هى : الجامعة الأمريكية فى بيروت ، وجامعة بيروت العربية ، وجامعة البلمند ، والجامعة اللبنانية ، وجامعة سانت ستريت للكاتوليك ، وجامعة القديس يوسف ، وقد تأسست الجامعة الأمريكية وجامعة القديس يوسف بوساطة البعثات الأجنبية فى أواسط القرن الثامن عشر ، وتدار الجامعة الأمريكية فى بيروت بوساطة هيئة من الأعضاء فى الولايات المتحدة الأمريكية . أما جامعة القديس يوسف فهى مؤسسة رومانية

كاثوليكية لجماعة اليسوعيين الدينية تأسست عام ١٨٧٥ م.

وتوجد في لبنان سبع كليات عليا هي: الأكاديمية اللبنانية للفنون الجميلة، وتشمل: متاحف للآثار والفنون والموسيقى والعلوم السياسية والإقتصادية، والكلية الجامعية ببيروت، والكلية الجامعية الحجازية، وكلية الإمام الأوزاعي، والكلية الإسلامية للأعمال، وكلية الشرق الأوسط، ومدرسة الشرق الأدنى للتكنولوجيا . وتشرف الحكومة الفرنسية على كليات عليا ومركز دراسات رياضية، كما يشرف الموارد على جامعة الروح القدس في كاسليك. (١٥)

الطليعة من الأدباء والعلماء:

كان الأدباء الثلاثة من الوطنيين الذين ساعدوا المرسلين الأمير كان في ترجمة النوراة إلى العربية بطرس البستاني، وناصيف إليازجي، ويوسف الأسير. وسنذكر محاولة بطرس البستاني في موضعها.

أما ناصيف إليازجي (١٨٠٠-١٨٧١) فقد كان مخضرمًا في الأدب والحياة. في شعر من أشعاره يصف اختباره عندما استعمل سكينًا وشوكة لأول مرة على المائدة، ويشبه نفسه بامرأة بدوية تلبس حذاء له كعب رفيع عال. ولد ناصيف في كفر شيما وعمل في خدمة الأمير بشير الكبير كاتبًا، وظل في خدمته إلى أن نفى الأمير سنة ١٨٤٠. فعاد واستقر في بيروت. ولم يعتنق ناصيف البروتستانتية كما فعل بطرس البستاني بل ظل على مذهبه: روميا كاثوليكيًا. وكان ناصيف قبل كل شيء أديبًا وشاعرًا وعالمًا باللغة. وقد كانت مؤلفاته تستخدم كتبًا مدرسية، وظلت شائعة الاستعمال في المدارس أجيالًا بعد وفاته. ومن الكتب التي شهرته وخلدت اسمه كتاب "فصل الخطاب في أصول لغة الاعراب" الذي صدر أولًا في مالطة (١٨٣٦) ثم أعيد طبعه مرارًا، وكتاب (مجمع البحرين) الذي صدر أولًا في بيروت (١٨٥٦) وهو كناية عن ستين مقامة يقلد فيها مقامات الحريري، (توفي ١١٢٢). أما شرحه ديوان المتنبي فقد قام بإكماله ابنه إبراهيم (بيروت، ١٨٨٢). أما ابنه إبراهيم

(١٨٤٧-١٩٠٦) فقد فاق أباه أدبا ولغة . وقد عهد إليه اليسوعيون (١٨٧٢-١٨٨٠) بإصلاح لغة التوراة التي كانوا قد قاموا بترجمتها . وقد جاءت ترجمة تفضل في نواح كثيرة ترجمة الأميركان . وقبل أن يلتحق بالصحافة كان مدرسا في المدرسة البطريركية في بيروت . وله تمثال يزين ساحة الجامعة اللبنانية الجديدة . (١٦)

ولد يوسف الأسير (١٨١٥-١٨٨٩) في صيدا ودرس في الأزهر . ثم عين قاضيا في طرابلس فمفتيا في عكا ونائبا عاما في لبنان في عهد داؤد باشا . وقد شغل مركز أستاذ للعربية في دار المعلمين في إستنبول . ثم عاد إلى وطنه ودرس في المدرسة البطريركية في بيروت وفي الكلية السورية الإنجيلية . وبعد ذلك أصدر "ثمرات الفنون" أول جريدة يصدرها مسلم (١٨٧٥) وكان إلى جانب هذا كله يعطي دروسا خاصة في الفقه الإسلامي . وقد شرح "المجلة" (بيروت ١٩٠٤) . وعلق عليها . وكان من بين الذين درسوا عليه نخبة صالحة من المحامين اللامعين . (١٧)

وأحسن مثال على ما قدمه الأدباء والعلماء الأجانب من خدمات وتقدمات في حقلي العلم والأدب يتجلى لنا في حياة أستاذين أحدهما في الجامعة الأميركية والثاني في جامعة القديس يوسف . أما الأول فهو كورنيليوس فان ديك (١٨١٨-١٨٩٥) كان عالما في الرياضيات واللغات . وكان مؤلفا ناشرا . وقد شغل منصب أستاذ في علم الباثولوجيا (الأمراض) ومنصب أستاذ في علم الفلك في الكلية السورية الإنجيلية . وكان يحرر المجلة الأسبوعية الدينية التي تصدرها الإرسالية الأميركية ، "النشرة" وكانت معرفته الجيدة بالعربية تؤهله أن يؤلف بها . وقد ألف ثلاثة عشر كتابا (وقد صححت) في الجغرافية والفلك والرياضيات (الجبر والهندسة واللوغارثم) والطب (الباثولوجيا ، أي علم الأمراض وعلم التشخيص) . ومما يدل على تحرره الفكري ورحابة صدره في تقبل حقائق العلم وقوفه إلى جانب الطلبة الذين عضدوا قضية أستاذ كان يعلم مبادئ التطور — وكانت نظرية جديدة يرى فيها أرباب الدين ما يخالف الحقائق الدينية — لما فصلت الكلية هذا الأستاذ من هيئة التعليم . وهذا الخلاف انتهى باستقالة فان ديك وتنظيمه مستشفى الروم الارثوذكس (والمعروف

بمستشفى القديس جيورجوس) فى بيروت (١٨٨٢) كان فان ديك يلبس العباءة ، يدخن النارجيلة . وقد خلف اسما عند عامة الناس وخصتهم تحيط به هالة من الاحترام والوقار . ولما احتفلت مدينة بيروت التى احبته بإقامة نصب له بمناسبة السنة الخمسين لدخوله لبنان شعرت أنها بعملها هذا ستخلد ذكرى رجل عظيم وهو شعور لم يخامر البيروتيين منذ عهد بعيد، إذ كانوا أيام الرومانيين يقيمون للعظماء أنصبه فى ساحات المدينة .

أما الأب لويس شيخو (١٨٥٩-١٩٢٨) فما ردىنى الأصل، واحد أفراد الكنيسة الكلدانية الكاثوليكية . درس شيخو فى لبنان وأوربا قبل أن أصبح يسوعيا وأستاذ اللغة العربية فى جامعتهم فى بيروت (جامعة الدقيس يوسف) وقد ظل الأب شيخو محررا لمجلة المشرق، المجلة اليسوعية، أعواما طويلة . وهى من أرقى المجلات العربية، تعنى بالأمور العلمية والتاريخية، والدينية والأدبية . وقد ساهم هو نفسه بكتابة المقالات العديدة التى نشرت له فى هذه المجلة . وقد جال فى أوربة وسورية والعراق يفتش فى مكاتبها عن المخطوطات سواء بقصد درسها ونشرها أم بقصد شرائها للمكتبة الشرقية التابعة للجامعة اليسوعية . وأكثر منشوراته — وهى تربو على الثلاثين مؤلفا — تتناول الأدب وتاريخه — وقد رجعنا فى هذا المؤلف إلى بعضها . وبعض كتبه ينقصها التدقيق العلمى . وأفضلها وأشهرها عند الناس كتاب "مجانى الأدب فى حدائق العرب" .

إن كتب هذين الأستاذين وغيرهما من كتاب الطليعة كانت حجر الزاوية فى الحركة الفكرية واليقظة القومية ليس فى لبنان وحسب، بل فى سائر أنحاء العالم العربى . فقد كانت كتبها مدرسية يستعملها الطلاب فى المدارس، ومراجع يرجع إليها المعلمون ، ونماذج يقتدى بها فى البحث العلمى والأدبى . بكلام آخر كان هذا النتاج العلمى الأدبى أداة اليقظة العربية الفعالة فى القرن التاسع عشر. (١٨)

الجرائد والمجلات:

كان مولد الصحافة العربية يوم صدرت فى بيروت سنة ١٨٥٨ "حديقة الأخبار" لمؤسسها وصاحبها خليل الخورى من بلدة الشويفات . وقد سبق ظهور "حديقة الأخبار"

جريدتان فقط هما: الوقائع المصرية، وكانت الجريدة المصرية التي أصدرها محمد علي سنة ١٨٢٨ باللغتين التركية والعربية، "ومرآة الأحوال" التي صدرت في إستنبول سنة ١٨٥٤ لصاحبها ومؤسسها رزق الله حسون. أما الصفحة التي كان يصدرها نابليون في مصر بمناسبة عزوة مصر فمن العبث أن نسميها جريدة. ولان جريدة "حديقة الأخبار" كانت الجريدة الوحيدة في البلاد فإن فؤاد باشا استخدمها في نشر البيانات والتقارير ومختلف الشؤون التي لها علاقة بحدوث ١٨٦٠. أما فرنكو باشا فقد جعلها الجريدة الرسمية للحكومة أثناء توقيف جريدة لبنان عن الصدور. وقد استمرت جريدة "حديقة الأخبار" بالظهور كجريدة خاصة يقوم بها فرد حتى سنة ١٩١١.

ولكن لم يطل الوقت حتى أصبح لجريدة "الحديقة" زميلات عديدات. ففي سنة ١٨٦٦ أنشأت الإرسالية الأميركية "النشرة الأسبوعية" وهي نشرة دينية اجتماعية. وقد تغير وقت صدورها فأصبحت شهرية وبعد أربع سنوات لحق بهم اليسوعيون فأصدروا جريدة "البشير" التي أصبحت في زمن قصير جريدة ذات شأن كبير لما كانت تتناوله من مواضيع اجتماعية وأخبار سياسية. وكان شعار البشير المطبوع في أعلى الصفحة الأولى: "وتعرفون الحق والحق يحرركم". وقد ظل البشير يصدر حتى سنة ١٩٤٧. وفي أثناء الحرب الأولى والثانية تعطلت جرائد عديدة وزالت من الوجود. ومن أقدم الجرائد جريدة "لسان الحال" التي أسسها في بيروت خليل سر كيس سنة ١٨٧٧. وتبدأ هذه الجرائد عادة كنشرات أسبوعية وتنتحل لنفسها الصفة التي ترغب فيها: سياسية، اجتماعية، أدبية وماشا كل ذلك. وقد استهوت مهنة الصحافة والنشر أحسن العقول والمواهب الناشئة فظهرت الجرائد والمجلات بكثرة هنا وهناك في جميع أنحاء العالم العربي. ثم أن اللبنانيين المهاجرين أنشأوا مجلات وجرائد أنى توجهوا بأعداد كبيرة. وقد جاء في إحصاء قامت به مجلة الهلال سنة ١٨٩٢ إن في بيروت أربع عشرة جريدة ومجلة (هذا عدا عن ١٦ جريدة ومجلة في المدينة ذاتها كانت قد توقفت عن الصدور أو انتقلت إلى القاهرة) و١٤٧ مجلة وجريدة عربية في العالم كله. أما الإحصاء الذي قام به فيليب دي طرازي، مؤرخ الصحافة العربية بعد انقضاء ٣٧ سنة على

الإحصاء الذى قامت به مجلة الهلال فيشير إلى أن عدد الصحف التى ظهرت ثم اختفت مع عدد الصحف الباقية فى العالم العربى يبلغ ٣٠٢٣ بين جريدة ومجلة منها ٤٢٦ ظهرت فى لبنان . ومن المجلات والجرائد التى صدرت فى لبنان (وعددها ٤٢٦) ٢٩٤ صدرت فى مدينة بيروت . ومن هذا المجموع الكبير من الجرائد والمجلات العربية ١٠٢ منها ظهرت فى أميركا الشمالية و ١٦٦ فى أميركا الجنوبية و ١٤ فى بريطانيا العظمى .

إن أقدم مجلة علمية أدبية كانت مجلة المقتطف . ومن أقدم الجرائد وأكثرها انتشارا وأبعدها أثرا جريدة المقطم . وقد كان مؤسساها ومحرراهما يعقوب صروف وفارس نمر من قدامى . خريجى الكلية السورية الإنجيلية فى بيروت ومن المدرسين فيها . أما مجلة المقتطف — وقد اقترح هذا الاسم عليهما أستاذهما فان ديك . فقد ظهرت أولا فى بيروت سنة ١٨٧٦ ومنها انتقلت إلى القاهرة . وظلت تصدر هناك إلى أن احتجبت سنة ١٩٥٢ . وقد كان المقتطف منبرا لأفاضل الأدباء العرب وأداة لنشر العلوم الطبيعية والأفكار العلمية المترجمة عن الإنكليزية فى الغالب الأكثر . فكان فى العالم العربى تنمة لمدرسة فكرية عالية ينهل منها القراء بعد مغادرتهم قاعات الدرس . وفى سنة ١٨٨٩م أسس صروف ونمر جريدة المقطم التى أصبحت من أكبر الجرائد وأوسعها انتشارا فى العالم العربى . وقد احتجبت عن الصدور سنة ١٩٥٢ . وعند ما تذكر الصحافة العربية يبرز اسم صروف ونمر كقطبين من اقطابها وكعلمين من أعلامها القدامى . أما صروف فقد ولد فى بلدة الحدث سنة ١٨٥٢ وتوفى فى القاهرة سنة ١٩٢٧ . وقد كان فى طليعة الكتاب الذين طبعوا العربية لتصبح أداة صالحة لنقل العلوم الطبيعية كالكيمياء والفيزياء وعلم الإحياء والفلك والرياضيات . وقد قصر صروف جهوده على خدمة المقتطف بينما انصرف نمر إلى المقطم .

أما فارس نمر فقد كان مولده فى حاصبيا . فى سنة ١٨٦٠ هربت امرأة فقدت زوجها فى المذابح التى وقعت فى البلدة مع أولادها الثلاثة . وكان أحدهم فارس . وكان عمره إذ ذاك ست سنوات . وفى صيدا دخل مدرسة أميركية ومن ثم جاء إلى بيروت والتحق بالكلية السورية الإنجيلية . كان فارس نمر الرجل الذى ترأس إدارة جريدة المقطم ، الجريدة العربية

العظيمة التي حملت حملات شعواء على فساد الحكم والظلم أثناء العهد الحميدى. وقد ظل على إدارتها إلى أن توفي سنة ١٩٥٢. وقد حكم عليه الأتراك بالموت غيابا. كما حكموا على كثيرين غيره من أحرار كتاب العرب لمقاومتهم الظلم والفساد.

وكان لجريدة المقطم جريدة أخرى تنافسها الزعامة: الأهرام. وكان مؤسسها ومحرراها لبنانيين آخرين هما سليم تقلا وأخوه بشارة. وهذه الجريدة لا تزال من أكبر الصحف العربية إنتشارا. ولد سليم تقلا (١٨٤٩-١٨٩٢) فى كفر شيما ودرس فى مدرسة بطرس البستاني فى عبيه. وبعد أن درس مدة فى المدرسة البطريركية فى بيروت هاجر إلى القاهرة حيث أسس جريدة الأهرام (١٨٧٥). أما أخوه بشارة (١٨٥٢-١٩١١) فقد تلقى علومه فى مدرسة عينطورا الأفرنسية.

فى سنة ١٨٩٢ أصدر لبنانى آخر، جرجى زيدان، مجلة الهلال التى كانت إلى جانب المقتطف، فى طليعة المجلات العربية الراقية الواسعة الانتشار. وكانت تعنى فى الدرجة الأولى بالقضايا الأدبية والتاريخية والاجتماعية. ولد مؤسس الهلال، جرجى زيدان، فى بيروت سنة ١٨٦١. وكان أبواه قد هاجرا إليها من قرية عين عنوب. وفى مذكراته التى نشرت بعد موته يصف لنا جرجى زيدان ما لاقاه من عناء فى سبيل تحصيل العلم. كان أبوه رجلا أميا فقيرا يعمل كخباز ومن ثم كصاحب مطعم حقير. فلم يستطع الأب أن يعيل عائلته وأن يدفع ثمن تعليم جرجى. وهكذا بعد أن بلغ جرجى السنة الثانية فى درسه الطب فى الكلية السورية الإنجيلية اضطر إلى ترك الكلية. وفى السنة التالية هاجر إلى مصر. ولم يكن جرجى زيدان صحفيا فحسب إنما كان أدبيا مؤلفا كتب أقدم الكتب فى التاريخ العربى على أسس من النقد العلمى الحديث. وكان زيدان أول من كتب الرواية التاريخية فى العربية. فقد حاول كتابة تاريخ العرب فى سلسلة من الروايات الشيقة التى لا تزال تقرأ للآن. أما أحسن مؤلفاته وأبعدها شهرة فهما تاريخ التمدن الإسلامى (فى خمسة مجلدات) وتاريخ الأدب العربية (فى أربعة مجلدات) اللذين أعيد طبعهما مرارا. وقد ترجم كتابه الأول، تاريخ التمدن الإسلامى، كلياً أو جزئياً إلى الإنكليزية والتركية وغيرهما من اللغات الأجنبية. (١٩)

ومن أبرز النواحي في هذه اليقظة الثقافية في العالم العربي التغيرات التي طرأت على اللغة العربية التي ظلت حتى مستهل الحركة الفكرية لغة جامدة يصعب التعبير بها عن الفكر والحضارة . وكانت اللغة العربية في أوائل عهدها لغة البداوة ثم أصبحت لغة الشعر والدين . غير أن هذه اللغة ، على أفلام الكتاب اللبنانيين وغيرهم من الأقطار العربية ، تطورت وتكيفت لتلائم متطلبات الحضارة العصرية، ولم يمض وقت حتى أصبحت لغة مرنة طيعة تصلح للتعبير عن العلوم التكنولوجية والفلسفية والشرعية وعن العلوم الطبيعية بدقة ووضوح .

وإلى جانب هذا التطور اللغوي كانت تهب على جميع أرجاء لبنان روح جديدة، روح العصر الحديث التي بدأت تهب عليه في العقد الرابع من القرن التاسع عشر . كانت روح العصر هذه تتجلى بهدير ماكينات المطابع، وتتجسد بسيل من المنشورات والمطبوعات . كانت تتجلى بأسلاك البرق وبالخطوط الحديدية وطرق السيارات التي كانت تربط بين القرى النائية في قلب الجبال . وهكذا أصبح لبنان، بفضل المهاجرين الذين توطنوا في جميع أرجاء المعمور، وبفضل الروح الوطنية والقومية والديمقراطية السياسية التي كان ينفثها في قلوب أحرار العرب، أول بلد عصري بين أقطار الشرق العربي . (٢٠)

لبنان المهاجر:

إن تكاثر السكان في لبنان الجبلي وجد منفذا له في الهجرة إلى بلدان أخرى . فإن في اللبناني من الحيوية والنشاط ما يبعث فيه الطموح فيلجأ إلى الهجرة . إن هجرة اللبنانيين في الربع الأخير من القرن التاسع عشر هي الفصل الأخير، والفصل الرائع من هجرات سابقة بدأت أيام الفينيقيين واستمرت في العهد الروماني البيزنطي .

وكان وادي النيل البلد الذي استهوى اللبنانيين أولا . ذلك أنه لما بدأ الخديوي اسماعيل (١٨٦٣-١٨٧٩) الذي تم فتح قناة السويس في عهده في إعادة تنظيم الحكم والادارة في مصر تنظيما يتفق مع رغباته في جعل مصر بلدا عصرية، وجد في خريجي الجامعات الأوروبية في بيروت موظفين أكفاء . وكذلك لما احتل الإنكليز مصر عام ١٨٨٢ء وجدوا في خريجي الجامعة الأميركية في بيروت موظفين (أنعمت بهم السماء) كما يقول كرومر . (٢١)

كان هولاء المهاجرون اللبنانيون إلى مصر يقومون بخدمات جلى فى حقول الطب واصيد له والإدارة الحكومية المدنية منها والعسكرية، حتى أن بعض الموظفين الإنكليز الكبار كانوا يقولون: "لقد كان باستطاعتنا احتلال البلاد ولكن لم يكن باستطاعتنا الاحتفاظ بها لو لا هولاء السوريون واللبنانيون" أما أولئك المهاجرون منهم الذين اشتغلوا فى الحقل الفكرى — الأدب والصحافة والعلم — فلم يقتصر أثرهم على مصر وحدها بل تعداها إلى سائر الأقطار العربية. وفى الواقع أن الصحافة — وكان للبنانيين فيها نصيب كبير — بعثت الروح العربية من جديد، وخلقت الحركة الأدبية الحديثة، وعرفت الناس إلى مبادئ القومية ومثلها كما كانت عليه فى القرن التاسع عشر. ومع أن محمد على هو الذى أدخل الحياة العصرية إلى مصر قبل هذه الحقبة بزمان فإن حفيده وخليفته الثانى عباس الأول (١٨٤٨-١٨٦٣) صرف من الخدمة المدنية جميع الخبراء الأجانب وأغلق كل مدرسة أو معهد له صبغة أوربية وفى أعقاب أهل الفكر الذين هاجروا إلى مصر من لبنان وسورية جاء التجار وأصحاب الأعمال فوجدوا فى مصر وطناً ثانياً. وفى سنة ١٩٠٧ كانت ثروتهم تقدر بخمسين مليون ليرة إنكليزية أى عشر الثروة القومية فى مصر. وتدل الإحصاءات اللبنانية الرسمية على أن عدد اللبنانيين فى مصر أصبح ثلاثين ألف نسمة. (٢٢)

غير أن الحظ بسم للمهاجرين اللبنانيين فى القارة الأميركية. فإن بعض المهاجرين اللبنانيين اكتشفوا فى أواخر العقد السابع من القرن التاسع عشر أميركا الشمالية. وكان قد سبقهم بعض المهاجرين إلى شواطئ الأطلسى. ثم اتسع نطاق الهجرة اللبنانية فشمّل بلدانا عديدة متفرقة فى جميع أنحاء العالم مثل كندا وأستراليا ومكسيكو ونيوزيلندا وإفريقيه وجزائر الهند الغربية والفيليبين وغيرها كثير. كان معظم الرواد المهاجرين أناسا فقراء معدمين أميين يجهلون لغة البلاد التى يأتونها وكان يلاقون ضروبا من الشقاء ويكابدون أنواعا من شظف العيش. أما الهجرة بين المسلمين فعلى مستوى صغير جدا.

ويعتبر اللبنانيون أن لبنانهم شطران: شطره المقيم وشطره المغترب. ووزير الخارجية

البنانية يعرف بوزير الخارجية والمغتربين . وكان المهاجرون بمنشوراتهم ومطبوعاتهم ورسائلهم وزيارتهم المتكررة إلى الوطن الأم يحملون إلى مواطنيهم الأفكار الجديدة والمعتقدات السياسية الجديدة من مثل حق تقرير المصير، والحكم الديمقراطي، وحب الاستقلال، والتحرر من نير الأتراك أولاً ثم من الانتداب الأفرنسي ثانياً. وقد اتخذوا من لبنان مستودعاً للبضائع المادية وموطناً للقيم الحضارية الغربية، ومنفذاً للبضائع الشرقية والقيم الروحية الشرقية إلى الغرب، وكثيرون من الكتاب العرب الذين حكم عليهم عبد الحميد بالموت كانوا صحافيين لبنانيين يقطنون القاهرة ونيويورك. (٢٣)

(المصادر والمراجع)

- (١) الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع الرياض الطبعة الثانية، سنة ١٩٩٩م، ج: ٤، ص: ٨٥
- (٢) نفس المصدر، ج: ٤، ص: ٨٥
- (٣) سليمان البستاني والياذه هو ميروس- مؤلفة مخائيل صبايا، مكتبة صادر، بيروت، ص: ٧
- (٤) الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع الرياض، الطبعة الثانية، سنة ١٩٩٩م، ج: ٤، ص: ٨٦، ٨٧
- (٥) نفس المصدر، ج: ٤، ص: ٨٦، ٨٧
- (٦) نفس المصدر، ج: ٤، ص: ٨٦-٨٧
- (٧) نفس المصدر، ج: ٤، ص: ٨٧، ٨٩، ٩٠
- (٨) نفس المصدر، ج: ٤، ص: ٧٣
- (٩) انيس المقدسى: الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، المطبعة دار العلم للملايين، ص: ١١-٢٥، ٢٨-٣١
- (١٠) الدكتور فيليب حتى: لبنان في التاريخ المطبعة مؤسسة فرنكلين المساهمة للطباعة والنشر، بيروت نيويورك، سنة ١٩٠٩م، ص: ٥٤٩، ٥٥٠

- (١١) نفس المصدر، ص: ٥٥٥-٥٥٧
- (١٢) نفس المصدر، ص: ٥٥٧-٥٦٠
- (١٣) الأب لويس شيخو: الآداب العربية فى القرن التاسع عشر، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، سنة ١٩٢٤م، ج: ٢، ص: ٦٦، ٦٧
- (١٤) [١] الدكتور فيليب حتى: المصدر المذكور، ص: ٥٦٠، ٥٦١
- [٢] الأب لويس شيخو: المصدر المذكور، ص: ٦٦، ٦٧
- (١٥) [١] الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع الرياض، الطبعة الثانية سنة ١٩٩٩م، ج: ٤، ص: ٧٤
- [٢] بطرس بن سليمان البستاني: أدباء العرب فى الأندلس وعصر الانبعاث، المطبعة دارالمكشوف ودار الثقافة، الطبعة السادسة بيروت، لبنان سنة ١٩٦٨م، ج: ٣، ص: ٢٤٦
- (١٦) [١] الدكتور فيليب حتى: المصدر المذكور، ص: ٥٦٢، ٥٦٣
- [٢] الأب لويس شيخو: المصدر المذكور، ص: ٢٧-٤٣
- (١٧) [١] الدكتور فيليب حتى: المصدر المذكور، ص: ٥٦٣
- [٢] الأب لويس شيخو: المصدر المذكور، ص: ٥٦٣
- (١٨) الدكتور فيليب حتى: المصدر المذكور، ص: ٥٦٣-٥٦٥
- (١٩) نفس المصدر، ص: ٥٦٥-٥٦٨
- (٢٠) نفس المصدر، ص: ٥٧٠
- (٢١) Earl of Cromer Modern Egypt (New York) 1909 Vol. II, P. 216
- (٢٢) الدكتور فيليب حتى: المصدر المذكور، ص: ٥٧٥-٥٧٧
- (٢٣) نفس المصدر، ص: ٥٧٧-٥٨٠

الفصل الثانى :

الأسرة البستانية ومكانتها فى المجمع اللبنانى

تاريخ لبنان من وجهة نظر مسيحية:

نورد هنا أولاً تاريخ لبنان من وجهة نظر مسيحية فقال مؤلف أدباء العرب بطرس بن سليمان البستاني وقد يرى أن لوطنه لبنان وإخوانه فى الدين وهم نصارى العرب دور كبير وأثر بليغ فى تطوير العلوم والآداب العربية فقال فى هذا الصدد: فلما تأذن الله بعصر الانحطاط، وجعل الملك فى يد الأتراك، وأخرج العرب من الأندلس، لبثت مصر والشام موئل العربية المشترك حتى دكه العثمانيون فأبيع عرض اللغة، فمكثت ردحا لا يعصمها معقل، ولا ينصرها ناصر. ولكن الله تعالى أبى إلا أن يهيئ لها موطناً جديداً تنبعث منه حية فتية، فسخر لها لبنان (١)

وأبان المؤلف كيفية تعريب لبنان بداية من عهد سيدنا معاوية رضي الله عنه. وكيف تم لهذا المواطن الحديد أن يحمل عبأ النهضة، ويرفع مشعل الأدب العربى فى الخافقين بعد انطفائه، وهو بلد سريانى اللغة، ليس له سابق عهد بلسان العرب؟ هذا ما نحاول إيضاحه (٢)

وكانت السريانية لغة اللبنانيين يستعملونها فى طقوسهم، ومخاطباتهم، وكتابتهم. ولم يصر لهم عهد بالعربية إلا يوم اقتحم معاوية رضي الله عنه لبنان يريد، فلم ينل غير سواحله فأتبعها دمشق، وامتنعت عنه الجبال لو عورة مسالكها فارتد عنها. واضطر بعده عبد الملك بن مروان إلى أن يصالح المردة أو الجراجمة على ألف دينار يؤديها إليهم فى كل جمعة، ليدفع معراتهم عن المسلمين فى السواحل. ومما لاشك فيه أن ارتباط الساحل الفينيقي بدمشق الأموية مهد طريق الفتح للغة العربية. ولم يصعب عليها أن تتوغل الجبل لما بينه وبين الساحل من الاتصال، ثم لما بينها وبين السريانية من التشابه والقربى. ولكنها لبثت فيه

بطيئة الانتشار ولا سيما مواطن الموارنة فقد ظلت بها السيادة للسريانية حتى القرن السادس عشر. ولم ترفع لغة الضاد رأسها إلا بعد أن تقاطرت الأسر العربية إلى لبنان واستوطنت فيه، وعادت إليها أحكام إقطاعاته، وأخصها بنومعن وبنوشهاب.....

ولم تكن الأسر العربية كلها مسلمة، وإنما كان منها نصارى لجأوا إلى لبنان فرارا من الاضطهادوا العسف فأثروا في تعريب مسيحييه.....

وازدادت العربية قوة ومناعة في ولاية الشهابيين بعد تنصرهم، وتنصر الأمراء اللمعيين معهم. فكان منهم في الموارنة أسر خطيرة الشأن عربية النجار، لا عهد لها بالسريانية قط. (٣)

وقال المؤلف عن لبنان: والحركة العلمية قديمة في لبنان، بدأت منذ عهد الصليبيين بفتح المدارس، كما يحدثنا الدويهي في أخبار سنة ١١١٢ م (٦٠٥ هـ). وفي تواريخ الصليبيين ذكر لمدارس منظمة بنوها في ممالكهم، وجعلوا فيها أساتذة وطنيين، فكان بدء اختلاط اللبنانيين بالفرنجة حافزا لهم على طلب العلم. ولكن أثر هذا الاختلاط كان أوضح وأبين، بعد أن حملت فرنسا نفسها على حماية نصارى الشرق، ولا سيما الموارنة في لبنان. فإن لويس الرابع عشر جعلهم في عهده، وشملهم برعايته.

وكان من مساعي سفراء فرنسا في الأستانة أن عقدت معاهدات تجارية بين ملوك الفرنسيين وسلاطين بني عثمان. وأجيز للرهبان الغربيين أن يسكنوا لبنان والولايات. ثم عقدت معاهدات بين الدولة العثمانية ودول غربية أخرى، فراج التبادل التجاري، واشتد احتلاط الشرقيين بالغربيين، ووفدت البعثات الدينية من الغرب تبنى أديارها ومدارسها في الشرق، وكان حظ لبنان منها الأطيب.

وعنى البابا غريغوريوس الثالث عشر بكهنة الموارنة عناية تذكر، فإنه أنشأ لهم المدرسة المارونية برومة في أواخر القرن السادس عشر فأخرجت طائفة مختارة من العلماء

كالبطريك الدويهي، والسماعنة، والحصريون، والحاقلاني وسواهم. وانتشر جماعة من تلاميذها في قواعد أوربة يعلمون، ويصنفون وينقلون علوم المشاركة إلى الغربيين، فحبوا إلى الأوروبيين دراسة آداب الشرق وعلومه. وحمل جماعة منهم إلى مسيحي الشرق ولاسيما أبناء ملتهم بلبنان، علوم الغربيين وآدابهم، وأنشأوا لهم المدارس، فأيقظوا فيهم حياة فكرية جديدة كان لها أثر محمود فيما بعد.

وفي القرن الثامن عشر نظمت الرهبانيات المارونية، فكان لها يد في النهضة لأنها جعلت تعليم الأحداث وتهذيبهم في قوانينها، ونشطت إلى فتح المدارس محانا وإنشاء المطابع وتسهيل أسباب العلم. على أن النهضة الحقيقية لم تلمس إلا بعد منتصف القرن التاسع عشر حين ظهرت المدارس الراقية، وانتشرت الطباعة والصحافة. (٤)

ويرى المؤلف البستاني أن مسيحيو لبنان وسورية ولاسيما الموارنة، أسبق الناس إلى إضاءة مشعل النهضة، لرقى مدارسهم وتقدم عهدها، ثم لسهولة امتزاجهم بالغربيين. فسازوا بهاشوطا بعيدا منفردين حتى تنبه المسلمون في أواخر القرن التاسع عشر. وكان المصريون أسرعهم إلى إطراح الغفلة لفترة دواعى النهضة عندهم، وخصوصا في زمن إسماعيل باشا الخديوي، ونشط بعدهم مسلمو بيروت ودمشق وحلب فأنشأوا المدارس وأقبلوا بأولادهم إلى معاهد النصارى، يتقفونهم ثقافة حديثة راقية. وصدفوا عن المدارس الأميرية وقد رأوا أنها لا تنشئ إلا رجالا مشتركين في بيانهم، رجال سيف وإدارة، لا رجال علم وثقافة. (٥)

أصل الأسرة البستانية :

في أواسط القرن السادس عشر، كان يعيش في قرية بقرقاشا الصغيرة، الواقعة في جبة بشرّاي من لبنان الشمالي، أسرة يشتغل أفرادها بالزراعة. وكان للأسرة بستان عامراشتهر بين ارزاق القرية، وشهر صاحبه أيضا حتى عرف به فدعى "البستاني" وكان أن حدث

مانعص عيش صاحب البستان، أبى محفوظ، فغادر قريته سنة ١٥٦٠، مع إخوته الثلاثة وأولاده محفوظ، وعبدالعزیز، وناصر، قاصدين إلى دير القمر، وهى، إذ ذاك، كبرى مدن الجبل .

وفى الطريق تخلف إخوة أبى محفوظ، فأقاموا فى قرية غادير من أعمال كسروان . وامتد نسلهم فيما بعد إلى صربا، وساحل بيروت . وكان على الأب أن يفارق ابنه محفوظا أيضا، الذى تركه ورحل إلى زهر صفرا، من بلاد عكار، ولا يزال نسله هناك يعرف إلى الآن ببيت محفوظ .

أما أبو محفوظ وولده الآخرا فوصلوا إلى دير القمر وأقاموا فيها . وتكاثر نسلهم، فهبط بعضهم بعيالهم فى أوائل القرن الثامن عشر إلى مزرعة الدلهمية من إقليم الخروب . ثم انتقلوا إلى مزرعة أخرى من الاقليم نفسه، اسمها الدبية، فتكاثروا فيها وعمروها حتى أصبحت اليوم قرية كبيرة سكانها من آل البستانى . (٦)

ومن المعروف أن من خلال تلك الأوضاع المتزامنة مع ضعف الدولة العثمانية برزت فكرة القومية العربية، والحركة الوطنية العربية المناهضة للحكم العثمانى فى بلاد الشام، وقد تجلّى هذا المفهوم الفكرى الرامى إلى إحياء العروبة من خلال حركة إحياء اللغة العربية، والأدب العربى، والتاريخ العربى ومحاولة إحياء التراث العربى برمته . وقد تعمق هذا الفكر العربى وتوسع فى بلاد الشام فى أعقاب بروز القومية الطورانية التركية التى حمل لواءها أتباع جمعية الاتحاد والترقى، فكان نمو الفكر العربى وتعمقه إلى حد ما ردة فعل للاتجاه التركى المتعصب الذى ركز على تفريق الأمة الإسلامية إلى عرب وأتراك وتعزيز سياسة التتريك والإضرار بالعرب . وقد نشط الفكر العربى فى بلاد الشام من خلال كتابات اليازجيين والبستانيين وهم طليعة رواد الفكرة العربية .

وطبيعى أن الأهالى فى لبنان لم يكونوا بمعزل عن تلك الأحداث، خاصة وأن

التعليم كان قد انتشر وحدث معه تفتح فى الوعي لدى الشعب العربى فى بلاد الشام ،
بسبب التعرف على التيارات الغربية . (٧)

المارونية والبستانيون:

إما البستانيون مذهباً فينتمون إلى الكنيسة المارونية وبالأحرى هماشئى واحد .
وبزرت هذه الفرقة فى لبنان بشكل خاص فى القرن العشرين وهى أكبر فرقة من الشرق
تنتمى إلى الكنيسة الرومانية الكاثوليكية . تنسب نفسها أصلاً إلى القديس مارون راهب من
الشام فى أواخر القرن الرابع المسيحى وأوائل القرن الخامس وكذلك إلى القديس يوحنا
مارون بطريرك أنطاكية خلال ٦٨٥ - ٧٠٧ م .

ورامت الفرقة الاتحاد مع البطريرك الإيطالى ، لأنطاكية فى ١١٨٢ م ولكنه لم تتعزز
هذه الوحدة إلا فى القرن السادس عشر من خلال أعمال (Jesuit Jhon Eliano)
وفى ١٥٨٤ م قام البابا غريغورى الثالث عشر بتأسيس الكلية المارونية فى الروم والتي
ترعرعت فى القرن العشرين تحت إدارة اليسوعية . وأصبحت مركزاً لتدريب العلماء والزعماء .
احتفظ المارونيون الجبليون الأجداد بحريتهم وتقاليدهم الاجتماعية باسليين . وفى
ظل حكم الأتراك العثمانيين صان المارونيون ديانتهم وعاداتهم تحت حماية فرنسا .

وفى القرن التاسع عشر آثار الأتراك العثمانيين طائفة الدروز على المارونيين
مما أدى إلى مذبحه المارونيين العظمى فى عام ١٨٦٠ م . ونتيجة لهذا الحدث حاز
المارونيون استقلالاً رسمياً داخل الخلافة العثمانية . وفى أعقاب إلغاء الخلافة العثمانية
أصبح للمارونيين حكم ذاتى تحت حماية فرنسا . ومنذ استقلال لبنان فى ١٩٤٣ م تشكل
الفرقة إحدى الطائفتين الرئيسيتين فى البلاد . ويدير الحكم تحالف منه المسلمون
والمسيحيون والدروز . ولكن الرئيس يجب أن لا يكون الامن المارونيين .

وان الرئيس الروحى المباشر للكنيسة المارونية بعد البابا ، هو "بطريرك انطاكية

وسائر الشرق“ ومقره بكريكي قرب بيروت . إن اللغة العامة للمارونيين هي اللغة العربية وعلاقاتهم مع الفاتيكان بالروم علاقات ودية جدا . واليسوعيون الفرنسيون يديرون جامعة القديس جوزيف ببيروت .

كما توجد للمارونيين جاليات في المهاجر الأوروبية والأمريكية. (٨)

دور البستانيين في المسيرة الأدبية والعلمية:

ومكانة الأسرة البستانية في المجتمع اللبناني بارزة جدا . وقدم لبنان عامة للأدب العربي صفوة من كتابه كان لهم الأثر البعيد في اليقظة الفكرية . وكان أبرز ما في كتاب لبنان هذه المجموعة المسيحية التي شغلت نفسها باللغة والأدب ونشرت القواميس والمعاجم والإلياذة، ودوائر المعارف كإلياز جيين والبستانيين وزيدان وصروف وسركيس وتقلا وكذا أن لبنان هو أقرب إلى الآداب الغربية من أي قطر عربي آخر . وقد ظل الأدب اللبناني في هذه الفترة التي أعقبت الحرب بعيدا عن التطورات فهو ”قصيدة وخطاب“ بعيدا عن الإبداع وقفت آفاقه عند هذه الحدود الضيقة التي تصله بأدب قبل الحرب إلا بفرق ضئيلة . وكان لبنان قد اكتفى بادبائه وشعرائه الذين أرسلهم إلى مصر وإلى المهجر في القرن التاسع عشر واكتفى بهذا المجد الذي ضفّره على هامته إليازجيون والبستانيون .

ولم يعرف صدر الانبعاث من الكتب الجامعة إلا دائرة المعارف للبستانيين . أول موسوعة عربية أصدر منها المعلم بطرس البستاني ستة أجزاء عاونه فيها ابنه سليم . وكان قد أعد بعض السابغ فادر كته الوفاة فأتته سليم وأتبعه بالثامن . ثم توفي سليم، فواصل العمل أخواه ونسيبهما سليمان فأخرجوا التاسع والعاشر والحادي عشر. (٩)

وسبق البستانيون إلى تأليف المعاجم الحديثة والبحث في أصول اللغة وفلسفتها . فوضع المعلم بطرس البستاني معجمه ”محيط المحيط“ في مجلدين كبيرين رتبته على اعتبار الحرف الأول من الثلاثي المجرد . وجمع فيه طائفة حسنة من المصطلحات العلمية والفنية

والألفاظ العامية المفسرة . وجعل له مختصرا فى مجلدين سماه قطر المحيط وكذا الشيخ عبدالله البستاني معجمه "البستان" فى مجلدين كبيرين وجعل له مختصرا فى مجلد واحد سماه "فاكهة البستان". (١٠)

وكان المشتغلون باللغة معظمهم البستانيون واللبنانيون لمضاء عزيمةهم وحاجة مدارسهم إلى الكتب الحديثة التى توافق أذواق الطلاب وروح عصرهم فقام فيهم من يشرح ويحشى بحث مطالب للسيد جرمانوس فرحات لحسن تبويه وسهولة الأخذ عنه وملاءمته للبيئة الاجتماعية. فكان من شراحه المعلم بطرس البستاني، والشيخ عبدالله البستاني. (١١)

وكان البستانيون أسبق من غيرهم إلى محاولة فن القصص لتقدم ثقافتهم. فترجموا قصصا عن الفرنسية والانكليزية وسواهما من لغات الغرب. وأشهر مترجميهم سليم البستاني وكرم البستاني، وأنشأوا المجلات القصصية فألف سليم البستاني طائفة منها نشرها من "الجنان" مثل "زنوبيا" و"بدور" وحاولوا أيضا وضع القصص العصرية التى تصور حياة المجتمع ونواحي أخلاقه. وما يحث عليه من فضائل ورذائل. فوضع سليم البستاني "بنت العصر" و"أسماء" و"الهيام فى جنان الشام" وكذلك فعل سعيد بن راشد حنا البستاني، كـ"ذات الخدر"، ورواية "سمير الأمير" والكتاب البستانيون هم الذين أغنوا المسرح العربى بما ترجموا ووضعوا من الروايات فى صدر النهضة كسليم البستاني وسعيد بن راشد حنا البستاني. (١٢)

وأنشأ البستانيون مجلات راقيات كمجلة الجنان و"الجنة" و"الجنة" و"نفير سورية" ومجلة "مكشوف" الأدبية. وأسسوا صفحة ثقافية فى جريدة "البشير" وأصدروا بيروت جريدة "البيان" وعملوا فى جرائد "أحوال" و"أحرار" و"الرأية" وأنشأوا جريدة "جبهة الأخبار".

واشتغل البستانيون بالصحافة وشاركوا فى إنشاء الصحف فنحن نجتزئ بذكر من

كان لهم الفضل على نهضة الصحافة ورقياً كالمعلم بطرس البستاني الذي أول من أنشأ مجلة جامعة زاهرة وهي "الجنان" وإبنيه سليم الذي أول من أصدر جريدة يومية وهي "الجنة" ثم إن المعلم بطرس البستاني قد انجب فئة قادرة من صحفيي لبنان في مقدمتهم بعض أفراد أسرته الذين برزوا في هذا المضمار وكتبوا صحيفة ناصعة البيان في أدق المهن وأرفعها. وإن البستانيين قد أسسوا مدرسة وطنية عالية، ومعهد الآداب الشرقية في جامعة القديس يوسف ودار المعلمين والمعلمات في عهد الرئيس "الفردنقاش" والجامعة اللبنانية في عهد الرئيس كميل سمعون سنة ١٩٥١ م.

وكانت المدرسة الوطنية التي أنشأها المعلم بطرس البستاني سنة ١٨٦٣ م أول مدرسة تخرج فيها صفوة من الأدباء اللبنانيين الذين كانوا عدة الكليتين الأمريكية واليسوعية في تعلم اللغة العربية. وكانت كتب التعليم في هذه المدارس هي كتب الأزهر بعد أن بيض اللبنانيون أوراقها الصفرة، وسهلوا أساليبها الوعرة، وقرنوا قواعد الجافة بالأمثلة الشارحة والتطبيقات المدرية. (١٣)

وقد ساهم البستانيون في تأسيس الجمعية الإسلامية المسيحية، وتأسيس النقابات الزراعية والصناعية في تركيا، ومدرسة الغابات والبنك الزراعي، وفي تأسيس جمعيات أدبية وتاريخية ودينية وإجتماعية كبيرة، مثلاً: الجمعية العلمية السورية.

وقد كان من البستانيين من عيّن مترجماً في القنصلية الإنجليزية وقنصلية الولايات المتحدة الأمريكية. وكانت الاضطرابات في جميع أنحاء الجبل في أواخر عهد الأمير بشير. وقد أرسلت الدول الأوروبية المتحالفة مع تركيا وإنكلترا والنمسة وبروسية مراكبها في شهر أيلول إلى سواحل لبنان لتجبر إبراهيم باشا المصري على الخروج من مناطق السلطنة العثمانية. وكان الإنكليز وهم أصحاب السهم الأعلى في تلك العلمية بحاجة إلى ترجمان فتعرف إليهم المعلم بطرس البستاني فحباوا به. (١٤)

وتعددت أشغال البستانيين فى الجمعيات المختلفة من دينية وخيرية وعلمية وأدبية . وفى تعريف الكتب والرسائل الدينية والتبشيرية المسيحية وإلقاء الخطب . وتأليف الكتب والمحاضرات . كالمعلم بطرس البستاني الذى أعظم ما قام به من الأعمال فى هذه الحقبة بمساعدة الدكتور عالى سميث فى ترجمة أكثر أسفار الكتاب المقدس وعرب لمرسلى الأميركان كتبهم. (١٥) وسليمان البستاني قد عمل فى ترجمة "إلياذه هوميروس" من أخطر أعمال الترجمة التى تمت فى تاريخ الأدب المعاصر جميعا . فقد قام بهذا العمل منفردا واستمر فيه ستة عشر عاما بدأ ترجمتها سنة ١٨٨٧م وأتمها سنة ١٨٩٥م . ووديع البستاني قد تفرد فى الترجمة التى هى ترجمة أشعار طاغور عن الإنجليزية وقد اهتم بذلك عام ١٩١٢م . (١٦)

وإن البستانيين منهم من كان وزيرا للتجارة والزراعة والغابات والمعادن وهو سليمان البستاني فعمل فيها مدة بضعة عشر شهر بجدة وحسن إدارته حتى جعلها مثالا للوزارات . كما عملوا فى وزارة الأشغال . وكانوا أعضاء فى مجلس الأعيان وسفراء وأمناء سر للوفد العربى الفلسطينى ومساعدى مدنيين عربيين للعقيد باكر . ورؤساء لمحكمة اللغة ومحكمة استئناف الحقوق والجنح الاستئنافية والإدعاء العام الاستئنافى والتجارة ودائرة الاتهام وولاية لمناصب قضائية ومستشارين فى محكمة التمييز .

لقد ترك البستانيون الآثار العديدة من أدبية واجتماعية وحدثوا التأثير البليغ فى أبناء قومهم خاصة وفى الأدب العربى عامة . وإنهم كانوا فى عصرهم من أركان النهضة ومحورا للحركة الوطنية ، ورؤساء ، وأعضاء فى أكثر الجمعيات والمؤسسات ومناديين بتعليم النساء . وزعماء الحركة الأدبية فى سوريا فقد أنشأوا ما أنشأوا من المدارس والجمعيات والجرائد والمجلات لخدمة اللغة والعلم والأدب .

وقد جمعوا بين الأدب والتاريخ والنقد والشعر والقصة واللغة والصحافة ويحملون شهادات عالية من الجامعات . (١٧)

(المصادر والمراجع)

- (١) بطرس بن سليمان البستاني: أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث المطبعة دارالمكشوف ودار الثقافة، الطبعة السادسة بيروت، سنة ١٨٦٨، ج: ٣، ص: ٢٢٤، ٢٢٥
- (٢) نفس المصدر، ج: ٣، ص: ٢٢٤، ٢٢٥
- (٣) نفس المصدر، ج: ٣، ص: ٢٢٩، ٢٣٠
- (٤) نفس المصدر، ج: ٣، ص: ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣
- (٥) نفس المصدر، ج: ٣، ص: ٢٤٨، ٢٤٩
- (٦) فواد أفرام البستاني: المعلم بطرس البستاني، في "الروائع" الجزء (٢٢) مطبعة منشورات الآداب الشرقية سنة ١٩٥٠ م، ص: ٦٧، ٦٨
- (٧) الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع الطبعة الثانية ١٩٩٩ م، ج: ٤، ص: ٨٧
- (٨) The new Encyclopaedia Britannica Peter B. Norton President
and Chief Executive officer Joseph J. Esposito President Publishing
Group Printed in U.S.A. Library of Congress Volume 7 Founded
1968 15th Edition P. 867
- (٩) أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث، بطرس بن سليمان البستاني، المطبعة دارالمكشوف ودار الثقافة، الطبعة السادسة بيروت لبنان سنة ١٩٦٨ م، ج: ٣، ص: ٤٤٤
- (١٠) [١] فواد أفرام البستاني: المعلم بطرس البستاني، في "الروائع" الجزء (٢٢) مطبعة منشورات الآداب الشرقية سنة ١٩٥٠ م، ص: ٦٩
- [٢] الشيخ عبدالله البستاني: البستان، المطبعة الاميركانية بيروت سنة ١٩٢٧ م، ج: ١، ص: ٣
- (١١) أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث، بطرس بن سليمان البستاني، المطبعة دارالمكشوف ودار الثقافة، الطبعة السادسة بيروت سنة ١٩٦٨ م، ج: ٣، ص: ٤٣٧

(١٢) القصص في الأدب العربي الحديث، الدكتور محمد يوسف نجم، المطبعة: دار الثقافة،

الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٦ م، صفحات: ١٥٩، ٤٣-٥٤، ٦٨-٧٢، ٧٩-٨١-٨٥

(١٣) [١] فواد أفرام البستاني: المعلم بطرس البستاني، في "الروائع" الجزء (٢٢) المطبعة منشورات

الآداب الشرقية سنة ١٩٥٠ م، ص: ٧٦

[٢] أدباء العرب، ص: ٤٠٩

(١٤) أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث، بطرس بن سليمان البستاني المطبعة

دار المكشوف ودار الثقافة، الطبعة السادسة بيروت سنة ١٩٦٨ م، ج: ٣، ص: ٤٠٩

(١٥) فواد أفرام البستاني: المعلم بطرس البستاني، في "الروائع" الجزء (٢٢) المطبعة منشورات

الآداب الشرقية سنة ١٩٥٠ م، ص: ٧٠-٧١

(١٦) أعلام النثر والشعر في العصر العربي الحديث، محمد يوسف كوكن، المطبعة دار حافظة

ميلابورن مدراس، ج: ١، ص: ١١٢

(١٧) [١] فواد أفرام البستاني: في "الروائع" الجزء (٤٤) المطبعة الكاثوليكية بيروت، الطبعة الأولى

سنة ١٩٥٣ م ص: ح ط ي

[٢] تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، المطبعة البولية لبنان، ص: ١٠٣٧



الفصل الثالث:

الأعضاء البارزون من الأسرة البستانية وأعمالهم الرئيسية

قام البستانيون بدور رئيسي في تعزيز هذا الاتجاه بخدماتهم في سبيل العروبة والعربية. وتناول فيما يلي ما يتيسر من خدمات البستانيين ودورهم . وفي ضوء هذا الخلفية السياسية والاجتماعية نحاول تعيين مكانة أعضاء البارزين البستانيين المارونيين في مجال الأدب . ومكانة الأسرة البستانية في المجتمع اللبنانية بارزة جداً كما تقدم . وأنجبت هذه الأسرة أساطين الأدب وأقطاب العلم واللغة ونقوم فيما يلي بسرد اسمائهم وأعمالهم بالأيجاز .

(١) المعلم بطرس بن بولس البستاني

(١٨١٩م - ١٨٨٣م)

ولادته:

ولد العالم الضليع واللغوي المحقق بطرس بن بولس بن عبدالله بن كرم بن شديد بن أبي شديد بن محفوظ ابن أبي محفوظ البستاني من أعيان الطائفة المارونية في قرية من قرى لبنان تسمى الدبية في شهر تشرين الثاني سنة ١٨١٩م على عهد الأمير بشير. (١)

وماترعرع بطرس البستاني حتى أرسل إلى مدرسة القرية إلى واحدة من مدارس "تحت السنديانة" حيث كان حوارنة الضيع يعلمون أولاد الرعية ببساطة معارفهم وقوة مثلهم مبادئ العربية والسريانية مع خدمة القدّاس وأصول الفضائل المسيحية. في تلك المدرسة كان الخوري ميخائيل البستاني يهذب صغار الضيعة . فلاحظ ذكاء نادرا في إثنين من تلامذته هما بطرس بن بولس وتربى شبلى ابن الخوري يوسف البستاني (الذي صار فيما

بعد المطران بطرس البستاني (فأخبر بهما المطران عبدالله البستاني رئيس أساقفة صور وصيدا الذي كان مقيما إذ ذاك في بيت الدين عاصمة الأمير بشير . فاهتم المطران بالأمر واستقدمهما إلى كرسيه وبعد أن تحقق ذكاءهما أرسلهما إلى عين ورقة كبرى مدارس ذلك العهد فقضيا فيها عشر سنوات . وأكّـب صاحب الترجمة مع رفيقه على الدرس بجد واجتهاد حتى حصلا كل ما كان يُلقى في فنون الأدب العربي المختلفة من صرف ونحو وبيان وعروض ولغة . وأتقنا التاريخ والجغرافية، والحساب، ودرسا اللغات السريانية، وللاتينية، والإيطالية، وحصلا المنطق والفلسفة واللاهوت الأدبي والنظري وأصول الحق القانوني .

وإذ نجحنا في جميع علوم المدرسة ، ولم يبق في برنامجها ما يتعلمانه وكان صاحب الترجمة قد بلغ العشرين من سنه فأراد غبطة بطريك الطائفة المارونية إذ ذلك إرساله مع رفيقه إلى رومية للتبحر والتضلع في العلوم المسيحية وكان والده قد توفي . وكانت والدته المعلم بطرس قد ترملت عن ثلاثة بنين . فعارضت والدته في إبعاده . (٢) ومانعت في إرسال ولدها لاحتياجها إليه فسافر رفيقه وبقي هوفتعين مدرسا في مدرسة عين ورقة مشمولاً بأنظار البطريرك وهو يعلم حيث تعلم ويجتهد في تحصيل مبادئ اللغة الإنكليزية ويهتم بقضاء بعض مصالح عامة . كان البطريرك ينفذه فيها إلى الجهات حتى كانت سنة ١٨٤٠م فترك المدرسة وهبط بيروت . (٣)

ولما هبط المعلم بطرس في بيروت سنة ١٨٤٠م كانت الاضطرابات في جميع أنحاء الجبل في أواخر عهد الأمير بشير وقد أرسلت الدول الأوروبية المتحالفة مع تركية، إنكلترة، والنمسة، وبروسية مراكبها، في شهر أيلول، إلى سواحل لبنان لتجبر إبراهيم باشا المصري على الخروج من مناطق السلطنة العثمانية . وكان الإنكليز، وهم أصحاب السهم الأعلى في تلك العلمية، بحاجة إلى ترجمان، فتعرّف إليهم المعلم بطرس فرحبوا به .

ثم تعرف إلى بعض مرسلى الأمير كان من دعاة المذهب البروتستانتي، وكانوا قد أقاموا في بيروت لنشر مذهبهم. فتعددت علاقاته معهم، وبواسطتهم كانت تزداد معارفه بالإنكليزية. ولم يلبث أن اتفق وإياهم على أن يعلمهم العربية ويعرب لهم الكتب ثم رَسخت المؤدّة بينه وبين بعض أفرادهم، ولا سيما الدكتور كرنيلوس فانديك الذي ظل أخلص اصدقائه. فاستدرجوه إلى مذهبهم البروتستانتي. وفي سنة ١٨٤٦م رأى الدكتور كرنيلوس قانديك تأسيس مدرسة في عبيه، فاستعان بالمعلم بطرس في إنشائها. فقام بذلك، وظل يعلم فيها سنتين كاملتين ألف خلالهما باكورة كتبه وهي "كشف الحجاب في علم الحساب" و "بلوغ الارب في نحو العرب". طبع مرارا عديدة وذاع استعماله في سائر مدارس سورية. وما أن عاد إلى بيروت سنة ١٨٤٨، حتى تولى وظيفة الترجمة في القنصلية الأميركية ولم يتركها إلا سنة ١٨٦٢م، إذ تنازل عنها لإبنه سليم.

وتعددت أشغاله في الجمعيات المختلفة من دينية وخيرية وعلمية وأدبية، وفي تعريب الرسائل الدينية والتبشيرية المسيحية، وإلقاء الخطب، وتأليف الكتب والمحاضرات. وهو مع ذلك لا يألو جهدا في تحصيل المعارف، فدرس اللغتين اليونانية والعبرانية، وألم بالكثير من العلوم العصرية على مختلف أنواعها. ولعل أهم ما قام به من الأعمال في هذه الحقبة مساعدة الدكتور عالي سميث في ترجمة أكثر اسفار الكتاب المقدس. ولكن الأجل عاجل الدكتور سميث فأتى الترجمة فان ديك، وهي الترجمة الأمريكية المشهورة.

وفي سنة ١٨٦٠م كانت المجازر الأهلية المؤلمة التي سببتها الحزازات والتعصبات المنفوثة في صدور اللبنانيين. فهب المعلم بطرس يعمل على تضميد الجراح وتأليف القلوب، بخطاباته وأنداراته العديدة التي كان ينشرها بصحيفته الوطنية السياسية التي أنشأها لهذه الغاية وسماها "نفير سوريا".

ثم رأى أن القلوب لا تتفق إلا إذا اعتادت الاتحاد والوئام صغيرة، فأُسِرَ "المدرسة الوطنية" الشهيرة سنة ١٨٦٣ م. وهي أفضل مؤسساته واخلص (٤) وهي في طليعة المدارس العالية في لبنان وسورية. أسسها على الحرية الدينية ومبدأ الجامعة الوطنية العثمانية وقبل فيها الطلبة من جميع الطوائف والمذاهب، فتقاطروا إليها من كل الجهات. فكان يدرس فيها أبناء سورية ولبنان إلى جنب أبناء مصر، والأستانة، واليونان، والعراق، وإيران. فيتعلمون اللغات العربية والإنكليزية والأفرنسية على مشاهير ذلك العصر. وكان المعلم بطرس يتولى رئاستها بحزم وبعد نظر، ويعلم فيها صفا باللغة الإنكليزية ويخطب في التلاميذ مرتين في الأسبوع يحثهم على التقوى والفضيلة ومكارم الأخلاق وكان نهار الآحاد والأعياد يرسل كل فئة من التلامذة النصارى مع معلّم إلى كنيسة طائفها فنالت المدرسة نجاحا باهرا، واشتهر العدد الكبير من تلامذتها في الأدب العربى مثلاً سليمان البستاني، وعبدالله البستاني، وإحراز المناصب العالية في الإدارة والسياسية. وقد كافأته الدولة العثمانية بوسام على إنشائها، وكان الولاة يزورونها مرّات شاكرين مشجعين. (٥)

وكان المعلم بطرس يعضد المؤسسات الخيرية، والجمعيات العلمية، بماله ولسانه وقلمه. ويقول فواد أفرام البستاني عن المعلم بطرس البستاني "ونحن إذا ألقينا نظرة على حياته الاجتماعية وأعماله المختلفة، رأينا رئيساً أو عضواً عاملاً في أكثر الجمعيات والمؤسسات التي عُرفت في بلاده على عهده، من ذلك أنه كان عضواً في عمدة "الجمعية السورية" الأولى المنشأة في بيروت بسعى مرسلى الأمير كان سنة ١٨٤٧ م فكتب وقائعها ونظر أشغالها، ونشر مجموعة أعمالها سنة ١٨٥٢ وهي آخر سنواتها. فخلفتهم الجمعية الثانية أو "الجمعية العلمية السورية" التي تنظمت رسمياً سنة ١٨٦٨ م. فكان عضواً فيها أيضاً. وكان عضواً فخرياً في المجمع العلمى الشرقى، أخذوا بمراسلة الكثيرين من علماء الشرق والغرب فى الشؤون العلمية". (٦)

وتألفت فى أوائل سنة ١٨٦٠م فى بيروت "شركة" رئيسها حسين بيهم وأمين سرها بطرس البستاني وكان من أعضائها حسين أبو النصر وسليم بستر وسعد حمادة و خليل الخورى . وقد أطلق عليها اسم "العمدة الأدبية لإشهار الكتب العربية" والمهم فى هذه الجمعية أن أعضاءها من مختلف الطوائف، أجمعوا على غرض واحد وهو خدمة آداب اللغة العربية بنشر كتبها .

وكان المعلم بطرس من العاملين فى هذه الجمعية كما كان فى أول جمعية أسست فى بيروت . (٧)

أراد المعلم بطرس البستاني أن يكون رجل إصلاح وعمل شريف فى أمتة فعالج ذلك بطرق شتى تارة بتأليف المعاجم والكتب المدرسية لإنهاض الحالة الثقافية وتارة بانتمائه إلى الجمعيات العلمية والعمل فيها بنشاط، وتارة بالتدريس وإلقاء الخطب . ولكن الموضوع المهم الذى عالجته فى الاجتماع هو المرأة ووجوب تعليمها .

قال جرجى نقولا باز متكلماً عن المعلم بطرس البستاني "إنه كان أول من ناصر المرأة فى سورية على منبر بل أول رسول نسائي سورى دعا إلى تعليمها وتهذيبها..... وكان بوده إنشاء مدرسة نسائية كالمدرسة الوطنية ماساعده عليها الأيام " . وقد جمع المعلم بطرس البستاني آراءه فى شأن المرأة فى خطابه الذى ألقاه فى ١٤ كانوا الأول سنة ١٨٤٩م و مرجعها إلى وجوب تعليم المرأة . فهو يرى أنه من الضروري أن تنال المرأة من الثقيف والتهذيب قسطاً وافراً يساعدها على القيام بعملها الاجتماعى . (٨)

كان المعلم بطرس ربعة ممتلئ الجسم ، ذابنية قوية ساعده على العمل المتواصل ، وكان يبدو دائماً رزيناً مفكراً مهتماً بتحسين مشاريعه الحاضرة ، وبخلق غيره من المؤسسات الجديدة ، غير هيّاب معاكسات الظروف ، وانصراف أهل الشرق ولا سيما فى ذلك العصر ، عن مطالعات الصحف وعن الاكتراث لمولدات العقل . حتى إذا أقر القيام

بأمرما، وطنيا كان أو علميا أكب عليه بجملته يصرف في إتمامه أيامه ولياليه حتى يفرغ منه . وربما شرع في عدة أعمال وتآليف معا فيسوقها جملة مقسما وقته بينها، متناولا كل نوع في ساعته، منتقلا من فرع إلى آخر بسهولة فائقة . يقرن إلى ذلك مقدرة غريبة على الثبات، وجلدا عجيبا على مداومة الشغل العقلي، لا يأخذه ملل، ولا يضعف عزيمته فتور . حتى أن أحد علماء عصره من الغربيين سماه "الجبار" دلالة على تلك الموهبة في الإقدام والثبات، وهما صفتان نادرتان، لسوء الحظ في شرق لبنان العزيز وسرى، عند ذكر آثاره أنه نال ذلك اللقب عن جدارة واستحقاق، وأنه كان في كل أعماله صاحب إقدام، وابتكار، وثبات . وقد روى جرجي زيدان بنسبة هذه الصفة، أن ذوى المعلم بطرس كانوا، إذا افتقدوه ليلا أو نهارا وجدوه في مكتبه بين كتبه وأوراقه.

ويقول فواد أفرام البستاني عن المعلم بطرس البستاني: "من كانت هذه رغبته في العلم وفي تغريزه بين بنى قومه، لا عجب أن رأيناه يضحى بكل شى في سبيله، باذلا بسخاه على المشاريع الوطنية العامة، منصرفا إلى البساطة في مظهره وسائر طرق معيشته، مجتهدا في صرف جميع مواظنيه إلى تلك الخصال الحميدة.

وقد ورث عن أجداده اللبنانيين، مع حب البساطة في كل شى، التواضع في الاستشارة والاستنصاح، وسلامة النية، والإخلاص في المعاملات فكان مفتوح القلب، صادق العاطفة، لين العريكة، واسع الصدر، خالص المودة،

وكان المعلم بطرس محبا لجميع أهل وطنه، على اختلاف مذاهبهم ونزعاتهم، لا يفتأ يحضهم النصائح والمشورات بإخلاص كل ذلك بأسلوب لطيف، وحديث عذب يرضى جليسه أيّا كان، سواء الفتيان والشيوخ، والفتيات والعجائز، الجهّال والعلماء، حتى يخرج من عنده وقد حفظ له من الاحترام أصفاه، وكان من نتيجة ذلك أنه نال في عيون القوم، من أوليائهم حتى عامتهم، مقاما عاليا جعل كلمته مسموعة، وإشارته متبوعة، وهو ما

ساعده كثيرا فى إقرار مآتيه، وتوطيد مشاريعه، كما نرى عند الكلام فى تأثيره“.(٩)

إن المعلم بطرس قد تزوج إحدى تلميذات مدرسة البنات التابعة للمبشرين . وكانت هذه المدرسة تحت رعاية زوجة القس على سمث، والتلميذة المذكورة تدربت على تدبير شئون المنزل على يدها .(١٠)

واستخدم المبشرون الأمريكان منذ أول إقامتهم فى بيروت بعض شبان لنصارى العرب ليعلموهم اللغة العربية، كما استخدموهم فى التعليم والترجمة . وكان ذلك من وسائل المبشرين لاجتذاب الشبان إلى مذهبهم البروتستنتى . وأول من اجتذبه بهذه الوسائل أسعد الشدياق المارونى المذهب، بعد أن علّم أحدهم العربية وترجم له رسالة تهاجم المذهب الكاثوليكي وتحسن البروتستنتى عنوانها ”وداع يونس كين إلى (كذا) أحبابه فى فلسطين وسورية“ .

أما صلة المعلم بطرس بهم فبدأت فى سنة ١٨٤٠م وهو فى الحادية والعشرين من عمره . فعلم سمث العربية وتعلم منه الإنكليزية، وفى الوقت نفسه اشتغل معلما فى مدرسة عبيّة التابعة للمبشرين، وساعدهم فى ترجمة بعض كتبهم . ومن هذه كتب الفه سمث فى شرح المذهب البروتستنتى، فترجمه المعلم بطرس بعنوان ”الباب المفتوح فى أعمال الروح وطبع فى بيروت سنة ١٨٤٣م . وبهذه الطريقة استدرج المعلم بطرس حتى اعتنق المذهب البروتستنتى، فعلت مكانته عند الأمريكان حتى أن رئيسهم القادم من أمريكا للتفتيش أوصى به ليكون واعظا وقسا .(١١)

ويمتاز بطرس البستاني فى حياته أنه استطاع أن يتمم رسالته فى جميع النواحي التى ساهم فيها مساهمة الأصيل، فهو يبدأ وظيفته كمعلم فى زمن كانت مهنة العلم فى الشام شاقة، ويبدأ فى تأليف آثاره الأدبية والحياة الأدبية راكدة تكلف من المال والجهد ماتوء به الجماعات وينشط إلى الصحافة ويجود فيها فى جيل لا يومن كثيرا برسالتها ، ويستطيع مع

ذلك كله أن ينال شاؤ المعلم العظيم والأديب الأريب والصحفى المطبوع ويحتل بذلك فى عالم الأدب والصحافة مكانه المقدور بين جلة الأدباء والصحفيين .

وللبستاني امتياز آخر يكاد ينفرد به ولا ينافسه فيه أحد فى ألبلاذ العربية جميعا، اللهم إلا أستاذ الصحافة المصرية رفاعة رافع الطهطاوى، فكلاهما صاحب مدرسة صحفية يوثر عنها خير كثير . وإذا كان الطهطاوى قد علم مجموعة من الشبان المصريين والشآمين فى جريدة الوقائع المصرية، وعلم غيرهم شؤون التحرير وأصول الصحافة فى مجلة روضة المدارس، فإن البستاني قد أنجب فئة قادرة من صحفى لبنان، وفى مقدمتهم بعض أفراد أسرته الذين برزوا فى هذا المضمار، وكتبوا صحيفة ناصعة البياض فى أدق المهن وأرفعها . (١٢) وكان يجتهد فى أن يجعل الوضوح فى كل أعماله، ولا سيما العقلية منها . حتى أن من يطالع تأليفه العديدة، سواء أكانت لغوية أم علمية أم تهذيبية، يلمس فيها تلك الرغبة فى الوضوح والجلال، ويرى أمامه هيكل المؤلف بارزاً فى التقسيم العقلى والتبويب الطبعى، فلا يجد أدنى صعوبة فى فهمه .

وكذلك القول فى مبنى تأليفه وسهولة إنشائه . ولعل له الفضل الأكبر فى هذا الأمر . كان المعلم بطرس يختار من الألفاظ أبسطها ومن التعابير أسهلها ومن الأساليب الإنشائية أسدجها . حتى أن من يطالع الأجزاء الأولى من مجلة "الجنان" يستغرب وجود تلك الأفكار السامية، وتلك الملاحظات الدقيقة تحت تلك الكلمات البسيطة والجمال التى تجاور الركافة أحيانا . ولكنه إذ يعمل عقله وينتقل إلى عصر الكاتب، ينحنى إجلالاً أمام من رغب حقيقة من منفعة بنى قومه فخط أمامهم سبيلاً سهلاً من الإنشاء سار عليه أولاده من بعده، "فأجادوا وأفادوا فى ابتكار هذه الطريقة لخدمة الصحافة، والعلم، والوطن". (١٣)

وأول من أسس مدرسة وطنية عالية، وأول من ألف قاموساً عربياً عسرياً مطولاً وأول

من أنشأ مجلة راقية وأول من ابتدأ بمشروع دائرة معارف باللغة العربية ، وأول من نادى بتعليم النساء فى الشرق هو المعلم بطرس البستاني ركن النهضة الأدبية الثابت، ومحور الحركة الوطنية فى عصره . من صرف حياته كلها فى سبيل العلم والوطن وترك الآثار العديدة أدبية وإجتماعية وأحدث التأثير البالغ فى أبناء قومه خاصة وفى الادب العربى عامة .

ويقول حنا الفاخورى مؤلف تاريخ الأدب العربى ”كل ما تقدم من جليل الأعمال يجعل المعلم بطرس البستاني من أكبر أركان النهضة . فهو على حد قول جرجى زيدان ”فى عصره زعيم الحركة الأدبية فى سورية من حديث المدارس والجمعيات والجرائد والمجلات واللغة والعلم والأدب“ . (١٤)

آثاره :

وقد خدم المعلم بطرس البستاني بتأليفه العديدة فى الفنون المختلفة . ونحن ، كى يسهل علينا درسها ، نقسمها قسمين نتكلم عن الصحف التى أنشأها وآزرها ، والثانى عن الكتب ، من معرب ومولف ، وعن الخطب والنشرات .

وأما كتبه التى تيسر لنا العثور عليها فهى كما يلى :

(١٦) محيط المحيط : هو أشهر مؤلفات المعلم بطرس بن بولس البستاني ، وأول قاموس عصرى فى اللغة العربية . طبعه فى مجلدين كبيرين فى بيروت سنة ١٨٧٠م ، وقد أخذه عن أشهر قدماء اللغويين كالفيروزابادى والجوهري . ولكنه يمتاز عن جميع القواميس بأشياء منها . ١ - ترتيبه على حروف العجم ترتيبا عقليا باعتبار الحروف الأول من الثلاثى المجرد . ٢ - جمعه لكثير من إصطلاحات العلوم والفنون على اختلاف أنواعها ، الداخلة فى اللغة مع المعربات . ٣ - شرحه أصول بعض ألفاظ الأعجمية . ٤ - جمعه لكثير من الألفاظ والمصطلحات العامة وتفسيرها . ٥ - سهولة عبارته .

(١٧) قطر المحيط : هذا الكتاب مختصر محيط المحيط . طبع فى بيروت فى

مجلدين أيضا بقطع وسط سنة ١٨٧٠ م .

(١٨) كشف الحجاب في علم الحساب: ألفه في عبيه متتبعا فيها آثار العرب والعجم آخذا مأخذ الأفرنج في وضع العلامات، ضامما إليه من كتبهم ما لا وجود له في كتب العرب مما اخترعه المتأخرون . طبع لأول مرة في بيروت سنة ١٨٤٨ م، في ٣١٧ صفحة صغيرة ثم توالى طبعاته بسرعة حتى بلغت تسعاسنة ١٨٨٥ م، لا يزال يعد إلى اليوم من أشهر المؤلفات المدرسية العربية في الحساب .

(١٩) دائرة المعارف: "قاموس عام لكل فن ومطلب"! . هكذا عُرفت الدائرة، ومنه يتضح اتساع هذا المشروع لجميع العلوم والفنون . أما كلمة "دائرة المعارف" فاختارها المعلم بطرس ترجمة "لانسايكلوبيديا" . وقد أخذ المعلم بطرس يهتم بتبويبها سنة ١٨٧٥ فأنتم هيكلها الأبجدي، ثم أقبل على إنشاء موادها مع ابنه سليم، ونسيبه سليمان وبعض الكتاب، فأصدر أول جزء منها سنة ١٨٧٦ م . وما زال يتابع إصدارها، كل سنة جزءا كبيرا يبلغ نحو ٨٠٠ صفحة، حتى أصدر منها ستة أجزاء . وفاجأه الموت، وقد أعد ثلثي السابع، فشاء القدر أن يوقف "دائرته" عند كلمة "دائرة" لكن ابنه سليم قام بالمشروع من بعده، فأصدر الجزء السابع سنة ١٨٨٣ م، والثامن سنة ١٨٨٤ م . ثم توفي في شبابه . فتابع العمل أبناءؤه الباقون مع نسيبهم سليمان، فأصدروا التاسع سنة ١٨٨٧ م، والعاشر سنة ١٨٩٨ م، والحادي عشر سنة ١٩٠٠ م وهو ينتهي بكلمة "عثمانية"، ثم توقف العمل .

(٢٠) مفتاح المصباح: هذا الكتاب من فن الصرف والنحو وطبع للمرة الثانية في

بيروت سنة ١٨٦٨ م، في ٣٦٠ صفحة صغيرة. (١٥)

(٢١) وشرح وحقق بطرس البستاني: ديوان جميل بثينة، وديوان ابن سهل.

فالصحف والكتب للأستاذ بطرس البستاني ولم تتوفر عندنا فهي كما يلي:

(١) نفير سورية: جريدة صغيرة ذات صفحتين، نشرها بعد مذابح سنة ١٨٦٠ م

جاءت إياها على شكل رسائل وطنية دعابها أبناء البلاد إلى الاتحاد والوئام. حتى إذا استتب الأمن أوقف نشرها. وقد بلغت أعدادها الثلاثة عشر كان يسميها "بالنفير الأول" و "النفير الثاني" بدلا من العدد الأول.....

(٢) الجنان: مجلة سياسية علمية أدبية تاريخية نصف شهرية، في ٣٢ صفحة كبيرة على عمودين، أصدرها في أول كانون الثاني ١٩٧٠م، وجعل شعارها "حب الوطن من الإيمان" وهي أول صحيفه عربية حملت شعارا خاصا. وما عتمت أن انتشرت انتشارا واسعا، وكان يكتب فيها كثير من أدباء القرن التاسع عشر المشاهير.

(٣) الجنة: صحيفة سياسية تجارية أدبية. أنشأها بمعاونة ابنه سليم، في ١١ حزيران ١٨٧٠م، صدرت في الشهر الأول من عمرها، مرة في الأسبوع، ثم مرتين. وعند وفاة المعلم بطرس البستاني، انتقل امتياز الصحيفة إلى ولده سليم. وعند وفاة سليم، سنة ١٨٨٤م، انتقل الامتياز إلى أخيه نجيب فأصدرهما سنتين. ثم اشتد الضغط على المطبوعات فأجبر على أن يحجبهما.

(٤) الجنية: كان المعلم سليم بن بطرس البستاني يفكر دائما بإصدار جريدة يومية، وما زال يلح على أبيه في ذلك حتى أصدر الجنية عام ١٨٧١م، سياسية تجارية. فكانت تصدر أربع مرات في الأسبوع، وكانت الجنية تصدر مرتين، فتؤلّفان، مجموعتين، جريدة يومية. ولكن الجنية لم تعش إلا أربع سنوات، فاحتجبت سنة ١٨٧٥م، أو أن تفسى الهواء الأصفر في بيروت.

(٥) من الترجمة: الكتاب المقدس: للمعلم بطرس البستاني آثار أخلاقية وعلوم مسيحية عديدة. على أن أشهرها وأجدرها بالذكر ترجمة الكتاب المقدس التي باشرها مع الدكتور سميث سنة ١٨٤٨م، وأتمها الدكتور فاندريك، وهي الترجمة المعروفة بالأميركانية. وكان له النصيب الأوفر في شغل الترجمة.

(٦) ومن الصرف والنحو : مصباح الطالب في بحث المطالب : هذا الكتاب من شروح وحواش وزيادات وإصلاحات علّقها على كتاب "بحث المطالب" المشهور في الصرف والنحو للمطران جرمانوس فرحات الحلبي الماروني . طبع في بيروت سنة ١٨٥٤م في ٤١٦ صفحة متوسطة .

(٧) بلوغ الأرب في نحو العرب . لا يزال مخطوطا .

(٨) ومن الاجتماع والأخلاق : له خطب عديدة في هذا الباب من أشهرها : تعليم النساء : خطاب طويل ألقاه في ١٤ كانون الأول سنة ١٨٤٩م ونشر خطابه في مجموعة أعمال الجمعية السورية سنة ١٨٥٢م أولا، وفي السنة الثانية عشرة من الجنان ثانيا .

(٩) الهيئة الاجتماعية، والمقابلة بين العوائد العربية والأجنبية : خطاب ألقى سنة ١٨٦٩م، ثم طبع في ٤٢ صفحة متوسطة .

(١٠) التحفة البستانية في الأسفار الكروزية . وقال في مقدمتها : "وإذ كانت مهذبة لا بد من أنها تكون أكثر قبولا لدى جمهور هذا العصر الذي انفتح فيه باب المعارف لجنس النساء أيضا والذي فيه يجب الانتباه إلى تنظيف دواوين العرب وكتاباتهم ومجالسهم مما لا يليق من الكلام والأعمال"

(١١) وقد نفح وطبع كتاب "أخبار الأعيان في تاريخ اللبنا" لطنوس الشدياق .

(١٢) وجمع ونشر مجموعة أعمال "الجمعية السورية" الأولى سنة ١٨٥٢م

(١٣) آداب العرب : خطاب مطول ألقاه في ١٥ شباط ١٨٥٩م، وقد حوى كثيرا

من الملاحظات الدقيقة في أسباب انحطاط الآداب ،

(١٤) شرح ديوان المتنبي : طبع في بيروت سنة ١٨٦٠م .

(١٥) مسك الدفاتر : هذا الكتاب من الرياضيات وما وجدنا مفصلا عن هذا الكتاب . (١٦)

وفاته:

وفى مساء أول أيار سنة ١٨٨٣، بينا كان بين الكتب والمحابر، يشتغل كعادته فى إعداد ما يظهر فى اليوم التالى، فاجأته نوبة فى القلب لم تمهله إلا القليل إلى أن وافاه الاجل المحتوم. وقدهز منعاه البلاد، وحصل له مناحة عظيمة حضرها كبراء الناس على اختلاف الطبقات من ذوى خطط ومناصب، وأولى علم وفضل، وأمراء وعلماء وسراة ووجهاء، ومشوا فى جنازته التى دار من حوالىها وتقدمها وتأخرها آلاف من الخلف وطينين وأجنبيين “ودفن فى المقبرة الإنجيلية على طريق الشام. (١٧)

رثاءه:

والجرائد والمجلات المنتشرة فى جميع أنحاء العالم العربى “ملأت أعمدتها رثاءً وسودت صفحاته حزناً“

وقد أبدنه ورثاه كثير من الخطباء والشعراء حفظ التاريخ أسماء ٣٦ منهم، أشهرهم صديقه الحميم الدكتور قانديك، وأديب إسحق، والشيخ خليل اليازجى، والشيخ إبراهيم الحورانى، صديقه الحميم الدكتور فانديك .

وكان من نصيب المعلم بطرس أن يكون أول نابغ شرقى أقيمت له حفلة تكريمية بمناسبة إحدى ذكرياته . وكان المنبه إلى وجوب إقامة هذه الحفلة جرجى نقولا باز، مورخ الشهيرين والشهيرات من بنى قوم البستانيين . فكتب مقالا بهذا المعنى فى جريدة “لسان الحال” فى أواخر تشرين الأول سنة ١٩١٩ م . فارتاح الناس إلى الفكرة، ولبى الدعوة الجسم الغفير من حملة الأقلام فى العالم العربى . فأقيمت الحفلة مساء الجمعة فى ٢٦ كانون الأول سنة ١٩١٩ م، فى نادى مدرسة الكلية الأميركية، واشترك فيها “٦٥ خطيباً بين عالم، وكاتب، وشاعر، ومهندس، وصحافى، ومحامى، وطبيب، وتسع من السبديات الادبيات وهكذا فقد اجتمع علماء وأدباء القرن العشرين يكرمون ويعظمون نابغة

القرن التاسع عشر. (١٨)

وقال صاحب أعلام النثر والشعر في العصر العربي الحديث . "فلما توفي صاحب الترجمة رثاه الدكتور كرنيلوس فانديك بلسان الصديق، وبكاه بدموع الأخ الشفيق، ومما قاله وقد وقف لتأبينه في الكنيسة.

إن لم يكن لك في نقد الرجال يد

أنظر إلى الموت كيف الموت ينتقد

يدور في الأرض حول الناس ملتصا

كريم قوم ولا يرضى الذي يجد

ورثاه الشيخ خليل اليازجي: (١٨٠٦م - ١٨٨٩م) أصغر أولاد الشيخ ناصيف

اليازجي بقصيدة يقول منها:

أجرى اليراع عليك دمع مداده

فكسابه القرطاس ثوب حداده

وبه نخط لك الرثاء من الأسى

فهو المقيم على عهد ووداده

فكم بميدان الطروس هززه

حتى جعلت الرمح من حساده

إن كان ييكك اليراع بدمعه

فلقد بكاك حزيننا بفواده

يا صاحب الفضل الذي لو اننا

نبكى به لم نخشى وشك نفاده

يا قطر دائرة المعارف والحجى

ومحيط فضل فاض فى إمداده

فإذا المحيط بكاك لم يك دمه

دون المحيط يزيد فى أزياده

يكى الحساب عليك متخذاله

ودمعا يسيل عليك من إعداده

خدم البلاد وليس أشرف عنده

من أن يسمى خادما لبلاده

ومحبة الأوطان كان يعدها

مما يدور عليه أمر معاده (١٩)

(٢) سليم بن بطرس بن بولس البستاني:

(١٨٤٨ - ١٨٨٤ م)

ولادته:

وهو سليم بن بطرس بن بولس بن عبدالله بن كرم البستاني ولد فى قرية عبية من

أعمال لبنان سنة ١٨٤٨ م .

تعليمه:

وقرأ سليم البستاني العلوم العربية على الشيخ ناصف اليازجى . وأتقن معرفة اللغات

التركية والإنكليزية والفرنسية على أشهر الأساتذة سنة .

خدماته الجليلة:

وفى سنة ١٨٦٢ م عين سليم البستاني ترجمانا لقنصلية الولايات المتحدة الأميركية

بدلا من أبيه . وكان الساعد الأيمن لأبيه فى جميع الأعمال الأدبية التى قام بها لاسيما فى

تدبير شئون المدرسة الوطنية . واشتغل مع أبيه فى تأليف دائرة المعارف وتحرير المقالات

المهمة فى مجلة الجنان . وأنشأ معينا أباه فى "الجنة" سنة ١٨٧٠م صحيفة نصف أسبوعية تبحث فى السياسة والتجارة ، وتتناول الأنباء البرقية على حسابها . ثم أنشأ أيضا مع أبيه "الجنينة" سنة ١٨٧١م أربع مرات فى الأسبوع ، فتم له بها و "بالجنة" التى كانت تنجم مرتين فى الأسبوع أول جريدة يومية .

وأيضا أعان أباه فى المجلة "نفير سورية" وانتخب "عضوا" فى بلدية بيروت والمجمع العلمى الشرقى والجمعية العلمية السورية .

أخلاقه وصفاته:

اشتهر المترجم الشاب سليم البستاني بالأخلاق وحدة الذكاء جامعا بين المهمة وشهامة النفس وسلامة السريرة وكان سريع الخاطر وقليل النوم . وكان معروفا بين أقرانه بكرم الأخلاق وحسن المعاملة وحدة الذكاء والانكباب على الدرس والإخلاص فى العمل ، وآثار هذه الصفات تظهر فى مقالاته وقصصه .

وفاته:

وتوفى سليم بن بطرس بن بولس البستاني شابا باحتقان القلب فى قرية بوارج سنة ١٨٨٤م .

آثاره:

وفيما يلى ذكر أعماله التى تيسر لنا للوصول إليها:

(١) تاريخ فرنسا الحديث : يتضمن تاريخ الإمبراطور نابليون الأول وينتهى بوفاته واستعان فى تأليفه بالشيخ خطار الدحداح .

(٢) زنوبيا : وأول من حاول محاولة كبيرة فى كتابة هذا اللون من القصة (كان سليم بن بطرس البستاني) وكانت قصته الأولى هى "زنوبيا" التى أصدرها سنة ١٨٧١م وهى القصة الثانية من قصص الجنان .

(٣) وقد ساعد اباه في إنشاء دائرة المعارف .

وله مؤلفات اخرى لم تتوفر عندنا وهي :

(٤) تاريخ نابليون بونابرت في مصر وسوريا نقلا عن تاريخ فرنسا الحديث .

(٥) وألف روايات أى عددا من المسرحيات، منها الإسكندر.

(٦) ومنها قيس وليلى

(٧) يوسف واصطاك

وقد أصدر سليم البستاني في مجلة الجنان القصص الاجتماعية. منها

(٨) الهيام في جنان الشام : هذه القصة تدور حول جولة لبطل القصة سليمان

الخالد في سورية وهويروتى الأصل عاش في بغداد فترة من الزمن ثم عاد إلى وطنه الأول .

(٩) ومنها "أسماء": هذه القصة لمعرض فتيات كل منهن تسعى إلى الزواج من

شباب من أبناء البلدة يضمها إلى كنفه ويخفض عليها جناح حمايته ويحقق أحلامها، وتقع

حوادثها في إحدى البلاد الشرقية، ومحورها "أسماء" ابنة التاجر نادر .

(١٠) منها "بنت العصر" وهذه القصة تدور حول تنافس الشبان على زواج فتاة

جميلة "ريمة"

(١١) منها "فاتنة": هذه القصة تدور حول تنافس شابين في حب ،،فاتنة". وهي

فتاة جميلة عاقلة رزينة

(١٢) منها "سلمى": إن هذه القصة تدور حول تنافس المحبين في حب سلمى

أيضا.

(١٣) ومنها "سامية": هذه القصة أيضا تدور حول اجتماع بعض الشبان على حب

هذه الفتاة الجميلة المهذبة العاقلة. (٢٠)

(٣) سعيد بن جرجس البستاني :

(١٨٥٢ - ١٩١٢م)

هو سعيد بن جرجس البستاني . أديب، من القضاة . ولد في دير القمر سنة ١٨٥٢م ببلبنان، وتخرج بالمدرسة الوطنية الشهيرة الأستاذ بطرس البستاني، ودرس بمعهد مارلويش في غزير بلبنان .

آثاره

له مؤلف أدبي مهم باسم ولم يتوفر عندنا:

رواية داؤد النبي شعرا .

وفاته :

قد توفي البستاني سنة ١٩١٢م (٢١)

(٤) الشيخ عبدالله بن ميخائيل البستاني :

(١٨٥٤م - ١٩٣٠م)

ولادته:

وهو عبدالله بن ميخائيل بن ناصيف البستاني الماروني . أديب، ناثر، ناظم، لغوي، صحافي، كان مولده في قرية الدبية من قضاء الشوف في لبنان سنة ١٨٥٤م وهي قرية جميلة خصيبة اشتهرت بمن نبغ فيها من العلماء الأعلام من آل البستاني .

دراسته وتدريسه:

ولما ترعرع عبدالله البستاني أدخله أبوه الخوري ميخائيل المدرسة الوطنية التي أنشأها في بيروت سنة ١٨٦٣م نسيبه المعلم بطرس البستاني الشهير وتخرج في العربية على أستاذين من أشهر أساتذة ذلك العصر وهما الشيخ ناصيف اليازجي والشيخ يوسف الأسير . وتعلم أيضا اللغة العربية والأفرنسية في عبة وصيدا والدامور وبيروت وعنهما نقل

فيما بعد التاريخ العام للمطران "بوسويت" الفرنسي الذائع الصيت ، وحكايات
 "لافونتين" بالشعر العربي ثم رحل إلى قبرص ، وأنشأ جريدة جبهة الأخبار بالاشتراك مع
 اسكندر عمون ، وانتخب عضوا بالمجمع العلمي العربي بدمشق . (٢٢)

وبعد أن حذق لغته وأحاط علما بأصولها وفروعها ووقف على غوامضها ودقائقها
 انصرف إلى مهنة التدريس . فدرس البيان عشرين سنة في مدرسة الحكمة من سنة ١٨٨٠م
 إلى سنة ١٩٠٠م ، وأربع عشرة سنة في المدرسة البطريركية في بيروت أي إلى سنة ١٩١٤م
 وكان مرجعا للأساتذة في كل ما يطراً عليهم من المشاكل في اللغة والنحو والصرف
 والبيان والعروض ، وتخرج عليه في كل هذه المدة من مشاهير الكتاب والشعراء ممن شروا
 ذكره الفياح في العالمين القديم والجديد ولا نطن أحدا من الأئمة من معاصريه تمتع
 بماتمتع به هو من نباهة الذكر وعلو القدر وبعد الشهرة فضلا عما احرزه من الثقة الراسخة
 بين أبناء وطنه في لغة مضر حتى لقد كانوا يرجعون إليه في جميع المعضلات الغوية
 والبيانية ولا يردون له حكما .

وبناء على هذه الشهرة المترامية الأطراف ندبته المطبعة الأميركانية الزاهرة سنة
 ١٩١٧م لوضع معجمه "البستان" فلبى الطلب بملا الارتياح وعكف على عمله منذ ذلك
 الحين حتى فرغ منه ١٩٣٠م وهي السنة التي قضى فيها نحبه .

ولاريب أن الاريكة التي استوى عليها في زهاء نصف قرن كانت أنصع دليل على
 مواهبه النادرة ومعارفه الواسعة وتبحره في اللغة التي وقف عليها حياته حتى بلغ منها مبلغا
 قلما بلغه غيره ممن اشتهروا في عصره من الجهابذة الافذاذ فهو وصديقه الحميم الشيخ
 إبراهيم اليازجي صنوان متكافئان وقد كان لكل منهما حيثما حلّا هيبه لا تحرق ومقام يرد
 الطرف وهو كليل .

ومن ذا الذي اجتمع يوما الشيخ البستاني ولم يغترف من حديثه الفرائد اليتيمة أولم

يظن نفسه أنه غوّاص على درر البحر ومن ذا الذى لم يعجب بما يسمعه عنه من النوادر والملح والنكات فى كل معنى حتى كأن ذاكرته خزانة الشوارد اللغة وأوا بدها، وسفر ضخّم يضم بين دفتيه أبداع القلائد من الشعر الجاهلى فالمخضرمى فالإسلامى فالأموى فالعباسى . فهو موسوعة شعرية ولغوية بل أعظم راوية عرفه العرب فى القرن العشرين . وكان شعره متين الديباجة حسن السبك ، وحسبه فخراً تشظيره لمعلقة عنترة العبسى فهى آية فى الإبداع والإحكام وستبقى أجمل أثر لسليقته الشعرية وتفوقه فى فن القريض . (٢٣)

آثاره:

فيما يلي أسماء من مؤلفاته المتوفرة عندنا :

- (١) البستان: مجلدان كبيران فى اللغة العربية أدخل فيه كثيراً من أسماء المكتشفات والمخترعات والدخيل والمولد وأنتقده الاب أنستاس الكرملى نقداً مريراً . (٢٤) وهو معجم ألفه هذا اللغوى اللبنانى خلال عشرة أعوام، وهو يشبه فى طريقته وحجمه محيط المحيط لبطرس البستانى مع إضافة زيادات على بعض مواده، وتحسين ترتيبه وتنسيق ألفاظه - وهو مرتب أيضاً على حسب أوائل الكلمات . وصدر هذا المعجم عام ١٩٣٠م . (٢٥)
- (٢) فاكهة البستان: أى الوافى، كما أشارت إليه "مكتبة لبنان" وهو مختصر من البستان . وقاموس لغوى لطلبة المدارس . (٢٦)

أما مؤلفاته الغير المتوفرة عندنا فنذكرها فيما يلى:

(٣) قصص شعرية منها إمرؤ القيس

(٤) كليب

(٥) وفاء السمؤل . (٢٧)

(٦) وخطاب فى التاريخ العام، تاليف بوسوت الفرنسى، عربيه بمعاونة شاكر عون،

(٧) كتاب النحو: وهو الجزء الثاني من بحث المطالب للمطران جرمانوس مع زيادات جدا (لبنان) سنة ١٩٠٠م، ص: ٢٩٩.

وعنى بتصحيح كتاب الاقتضاب فى أدب الكتاب لابن السيد البطليوسى. (٢٨)

(٨) وأربع "روايات تمثيلية" نثرية

(٩) وخمس "روايات شعرية"

(١٠) وترجم عن الفرنسية "حكايات لافونتين". (٢٩)

وفاته:

ومما يجدر بالذكر أن المولى أمدّ فى حياته حتى راجع آخر مسودّة من مسودات معجمه البستان ولم يسمح له بأن يراه مجلدا حتى يقرّ عينيه بمنظر الجنان - وتوفى سنة ١٩٣٠م. (٣٠)

(٥) سليمان بن خطار البستاني

(١٨٥٦ - ١٩٢٥م)

هو سليمان بن خطار بن سلوم بن نادر بن أبى يوسف ناصر..... ابن أبى محفوظ البستاني المارونى، السياسى المحنك الشهير، والشاعر النابغة المفلق، واللغوى المؤلف الكبير من أسرة عريقة فى الفضل والفضيلة والأدب والمجد الموثل. (٣١)

وأمه مريم بنت الخورى جرجس البستاني. ولد سليمان البستاني فى ٢٢ أيار ١٨٥٦م فى بكشتين، من لبنان وهى مزرعة لأبيه تقع فى إقليم الخروب (منطقة الشوف)، بجوار قرية الدبية، منزل آل البستاني فى نزوح بعضهم من دير القمر، أوائل القرن الثامن عشر. (٣٢)

وكان سليمان البستاني قد برزت مواهبه، فرأى أبوه أن يرسله إلى المدرسة الوطنية الشهيرة التى أنشأها المعلم بطرس البستاني فى بيروت. فدخلها فى السابعة من عمره،

وأخذ يتدرج في صفوفها، حتى نال شهادتها النهائية بعد ثماني سنوات، وكان من أساتذته فيها الشيخ ناصيف اليازجي والشيخ يوسف الأسير. (٣٣)

وقد أقام بعض مرسلي الاميركان في بيروت لنشر مذهبهم فتعددت علاقاته معهم وبواسطتهم كانت تزداد معارفه بالانكليزية . ولم يلبث ان اتفق واياهم على ان يعلمهم العربية ويعرب لهم الكتب .

ودرس العربية والسريانية في المدرسة الوطنية في بيروت وحصل بجهد الشخصى، إطلاعا على الإنكليزية، والفرنسية، والألمانية، واليونانية، والإيطالية والأسبانية، والبلغارية، والهنغارية، والفارسية، والتركية، والبرتغالية، وللاتينية وكان يلم بالعبرية والألمانية والروسية، والهندية. ودرس الرياضيات والكيمياء والحقوق، والزراعة والتجارة، وعلم المعادن، والاجتماع. (٣٤)

فقد كان راسخ العلم بالتاريخ والجغرافية، والاقتصاد السياسى، بارعا فى الطبيعى والرياضيات. وكان متسع الآفاق فى أدبه، لا يقصره على العربية وحدها بل يجمع إليه معها آداب الشعوب العجمية لطول باعه فى معرفة اللغات. وقلّما وجد مثله عالم باللغات، يعرف منها ما يعرف ويتقن منها ما يتقن. (٣٥)

وبعد إتمام الدراسة انضم إلى معلمى مدرسة المعلم بطرس البستاني فمارس التعليم فيها زمنا وهوى كتب فى صحف نسيبه الجنان. ثم عاونه فى إنشاء دائرة المعارف وانتظم فى سلك جمعيته "زهرة الآداب" ورأسها مرتين. ودعاه قاسم الزهير من أعيان البصرة لإنشاء مدرسة وجريدة فى بلده، فلبّى الطلب وأنشأ فى البصرة أول مطبعة وأول جريدة. (٣٦)

وكان سليمان البستاني معروفا بشدة العزم ومضاء الهمة وحب الأسفار. وعرف بسعة الصدر، وحسن المعاشرة على هيبة ورزانة وإخلاص الخدمة للدولة العثمانية، والولاء للامة العربية، والعصية للوطن اللبناني. فلطالما عهدت إليه حكومة السلطان فى الأمور

الخطيرة، فلاقت النجاح على يده . ولو وافقته على اتباع خطة الاعتزال في الحرب الكبرى لما أنهار عرش بني عثمان . ولطالما ساعد العرب ودافع عن حقوقهم في المجلسين والوزارة . ولم ينس لبنانيته في جميع أطوار حياته . فلقد كان لبنان قبلته، ومصطافه، ومرجع حنينه . وحاولت الحكومة العثمانية حمله على أن يسعى لإقناع اللبنانيين بترك حماية الدول الأجنبية والاكتفاء ببني عثمان، على أن يكون هو حاكم الجبل . فرد طلبها وأبى أن يساوم على وطنه .

وعرف بإباء النفس والزهد في المال والألقاب . فإن المشاكل المالية التي فضّها لم تقو على إغرائه . فيجمع منها ثروة كما جمع سواه . وكان مركزه في الوزارة يخوّله حق التمتع بالألقاب الضخمة . ولكنه كان يرفضها كلما عرضت عليه .

وإنه كان بقوة الحفظ والاستظهار، حدث عن نفسه أنه استظهر في صغره وهو في المدرسة نشيدا كاملا ونصف نشيد من ملحمة ملتن (الشاعر الإنكليزي) في الفردوس الغابر (المفقود)، قسما غير يسير من منظومة سيدة البحيرة لولترسكت . وحفظ ألفية ابن مالك كلها، وأنشد منها مائتي بيت تباعا في حفلة الامتحان . وقوة حافظته ساعدته على درس طائفة من اللغات . (٣٧)

وكان سليمان البستاني منذ صغره ميالا إلى الأسفار، فقد باشرها سنة ١٨٧٦م برحلة إلى البصرة، حيث أنشأ مدرسة، ملبيا في ذلك دعوة قاسم باشا الزهير، وبعد أن أدارها سنة . ثم اتخذ بغداد مقرا له، ثم انصرف إلى الرحلات العلمية، فزار بلاد العرب مرّات، صارقا أطراف نجد، واليمن، وحضر موت، دار ساشوون سكانها وأساليب معيشتهم، وعاداتهم وتقاليدهم في الأفراح والأحزان، سائرا أياما في البادية على ظهور الإبل، متفقدا الأمكن المشهورة في شعر العرب الأقدمين حتى وصل إلى "الرقمتين" فرأهما "مطمئنين من الأرض في بادية قفرة تقتله أشعة الشمس إذا وقف إليها ساعة" . وجالس شيوخ القبائل وحادث

شعراءها، وجمع الكثير من شعرهم، بلهجاتهم الحالية، واهتمامه بإحصاء البدو الضاربين من حدود سورية إلى العراق وإلى أطراف الأناضول، إلى نجد، فالحجاز، فاليمن، فحضر موت حتى عمان، وقد قدرهم جميعا بنحو سبعة ملايين .

وورده نبأ من بيروت باشتداد وطأة الداء على والده، فبرح البصرة إلى بكشتين، حيث ودع أباه الوداع الأخير سنة ١٨٨٦ م .

وسافر سليمان البستاني إلى الأستانة . وبعد انقضاء ثلاثة أشهر بالمماطلة والتسويق، فاز بالرخصة بفضل تدخل الصدر الأعظم نفسه، سعيد باشا، فعاد إلى بيروت، ثم عرض له مادعاه إلى الرحلة، مستأنفا السفر إلى الشرق الغرب، على نحو ما قال :

”ولم أكد استقر في مصر، حتى حادى حادى الأسفار التى ألفتها منذ الصبا، فبرحت القاهرة سنة ١٨٨٨ م، وفي النفس شغف بها وحنين إليها . فانتهى بى التطواف إلى العراق، بعد أن طرقت الهند، وأطراف العجم، فأقمت فيها زهاء سنتين ثم شخصت إلى الأستانة واتخذتها مقاما طيبا لبثت فيه سبع سنوات كنت كثير التنقل فى أثنائها بين الشرق والغرب، فيوم بسوريا، وسنة بأوربا وأميركا والمرجع إلى الأستانة“ . (٣٨)

وتضلع فى بلاد العجم، أو إيران، من اللغة الفارسية، فتعرف إلى مولفات أعلامها كالفرديوسى، وسعدى، وحافظ، والخيام، وأعجب بأدائها، ولا سيما ”الشاهنامة“ .

ثم عاد إلى الأستانة، فأقام بها سبع سنوات، كما قال، انتدب فى خلالها لتولى إدارة القسم العثمانى فى معرض شيكاغو . فغادرها إلى الولايات المتحدة، راجيا أن يطلع الأميركان على محاسن الشرق ومواهب أبنائه . فأنشأ هناك جريدة تركية سماها شيكاغو سر كيسى، أى معرض شيكاغو . ولكنها لم تنل حظا وافرا من الحياة، لأنها لم تقف أعمدها على مدح الباب العالى . ولم يكن حظه المالى أحسن من حظ جريدته الأدبى . فآب إلى الأستانة خاسرا .

وشهد في الأستانة، سنة ١٨٩٦م، مذبحة الأرمن، من أولها إلى آخرها . وكان ساكننا في "فنارباغجه" مجاورا للوالى فواد، منفى الشام المشهور . وكان الرجل من عقلاء الأتراك يكره الظلم والاعتداء، فرآه سليمان البستاني "يطوف مدججا بسلاحه، ينهى عن سفك الدماء . يحيى الليل بين هاتيك الأحياء واعطاء منذرا، متلفعا، متهددا، على ما تقتضيه الحال . يسأل من أنس منه خوفا أن يحلّ ضيفا كريما عليه . يومن الخائف، ويرغب الخائن.....".

وعاد إلى بلده لبنان بعد الغربة الطويلة، ثم قصد إلى مصر . ولمصر في قلبه منزلة خاصة . فأقام بالقاهرة يشتغل تارة بالتجارة فيخسر وطورا بالأدب فيربح . (٣٩)

وكان سليمان البستاني في مصر، وحدث الانقلاب العثماني سنة ١٩٠٨م، فرأى الفرصة مؤاتية لإسداء مواطنيه النصائح السياسية والمدنية والوطنية، وهم على عتبة عهد جديد . فجمع معلوماته الدقيقة، واختياراته الجمة، وآراءه المصيبة في كتاب دعاه "عبرة وذكرى أوالدولة العثمانية قبل الدستور وبعده" فأتى حافلا بالإرشادات والنصائح، مشيعا برصانة التفكير، هاديا إلى سبيل الحق القويم في تلك الغمرة من الحماسة والهوس .

وكان الدستور الجديد يخصّ ولاية بيروت بنائين فراسله مفكرو المدينة، مستقدمينه لترشيح نفسه . واسفرت المعركة الانتخابية عن انتخابه، مع رضابك الصلح نائبين عن ولاية بيروت وأقضيتهما فسافرا إلى الأستانة .

وكان في مجلس المبعوثان موضع إعجاب الأعضاء حتى أنهم أجمعوا على انتخاب رئيسا ثانيا سنة ١٩١٠م، وكان الرئيس الأول أحمد رضابك الشهير . وكان سليمان البستاني، إلى ذلك، رئيسا لخمس لجان أهمها لجنة الشؤون الخارجية، ولجنة السلام العام الأولية . وكان السلطان يعهد إليه في المهمات الدولية الخطيرة، فيزور العواصم الأوروبية رئيسا للوفود ويخطب في كل مدينة بلغة أهلها مثيرا الإعجاب حيث يمر.

ثم عين عضواً في مجلس الأعيان، وجعله السلطان سفيراً فوق العادة إلى مؤتمر سنة ١٩١٠م، فزار باسم دولته لندن، ورومو وبروسيل . وكان قد سار قبل ذلك إلى باريس، ولندن، وبرلين، رئيساً لوفد النواب العثماني، وسار وحده بمهمة سياسية إلى سان بطرسبرج.

وفي السنة ١٩١٣م، كلف البرنس سعيد حليم باشا تأليف الوزارة، فعهد إلى سليمان البستاني بوزارة "التجارة والزراعة والغابات والمعادن" فعمل فيها مدة بضعة عشر شهراً، بجده وحسن إدارته حتى جعلها مثلاً للوزارات . (٤٠)

وأخذ يسعى في تحقيق آرائه في إنماء الثروة الوطنية عن طريق استغلال الأرض في منابقتها ومناجمها وخيراتها جميعاً. فنظم مدرسة الغابات والبنك الزراعي . وكان أول من فكر بتأسيس النقابات الزراعية، والصناعية، في تركيا . وحفظ غورييسان لأصحابه العرب من مطامع الصهيونيين . وكان له المساعي المثمرة في التقريب بين الإمبراطورية العثمانية ومملكة بلغارية على اثر الحرب البلقانية . (٤١)

وفي منتصف السنة ١٩١٤م تلبد جو السياسة الأدبية، على ماهر معروف، واندلعت الحرب العالمية الأولى . وكان من رأى سليمان البستاني ألا تدخلها الدولة العثمانية فعمل كثيراً لمنعها وتمكن من إقناع بعض الوزراء . غير أن هوس انور طلعت، وحماسة سائر العناصر العسكرية، وشدة الضغط الألماني، أطاحت بالرصانة والتحفظ، فاعلنت تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا والنمسة . ولما أدرك سليمان البستاني أن أكثرية مجلس الوزراء ستقرر دخول الحرب ، قدّم استقالته، وانسحب من الجلسة واعتزل السياسة .

ولما اشتدت وطأة العسكريين في الدولة العثمانية، وباشروا أعمال التضييق على العرب، وتآمروا على إلغاء امتيازات لبنان، حاول جهده وقف هذا التيار، والدفاع عن اللبنانيين في حدود حقوقهم وامتيازاتهم . حتى إذا أخفق، وضاق به المقام، انتقل إلى

سويسرا، حتى نهاية الحرب .

ولم تطل إقامة سليمان البستاني في سويسرا حتى اتصل به طلعت باشا، وقد شعر بسوء مغبة الحرب على الدولة، فأخذ يعمل على استرضائه واعداداً إياه بمعاملة الولايات العربية بالرفق واللين، راغباً إليه في أن يسعى بعقد صلح منفرد بين الدولة والحلفاء . فوعده خيراً وقام بمساع كادت تكمل بنجاح، سنة ١٩١٧ م خاصة. (٤٢)

حينما كان سليمان البستاني في بغداد تزوج بمريم ابنة سربوس البغدادي أحد وجهاء الأرمن هناك. فلم يزد منها اولاداً. (٤٣)

يعد نقد سليمان البستاني مرحلة في تاريخ نهضة النقد العربي وذلك لما تحلى به ذلك العالم من مزايا الناقد الحقيقي مثلاً تعريبه إلياذه هو ميروس وكان أبعد ما يكون عن الناقد المحدود الآفاق المغتبط بزهد معلوماته ورقيق ثقافته، وهو في طليعة علماء الحقيقين، الذين لا توقفهم مشقة في سبيل الاطلاع على ما هم بحاجة إليه من معلومات ، وإطلاعه ظاهر في ما علّقه على تعريبه للإلياذة من شعر استقاه من آثار مئتي شاعر تقريباً، ومن نوادر وأخبار ومعلومات تشمل العرب واليونان، وهو ظاهر أيضاً في ما استشده به من شعر لاتيني وإنكليزي وفرنسي . وفي ما عارض به آراء النقاد العالميين، وفي وصفه للمواضع الجغرافية والعوائد الأهلية، ومعالجته للقضايا الأخلاقية والعلمية، بمقدرة وبرهان .

ولا يكتفى سليمان البستاني، في أبحاثه، بالأحكام المجملّة الغامضة بل يتحرى الدقة ولا يتأخر في سبيلها، عن تصفّح المجلدات والأسفار الكثيرة، وربما قرأ الكتاب كله طمعاً ببیت واحد يستشهد به . ولا شك أن إطلاعه الواسع قد يسهل له التوكؤ على أعمال غيره من رجال العلم والأدب، فدعم أحكامه بأحكام غيره، رغبة في الحصول على الثقة النقدية . وهو يعنى بالوضوح كما يعنى بالدقة . فلاتكاد تجد صفحة خالية من موازنات وأمثال تنير ماتأتيه من أحكام.

والذوق من أهم عناصر النقد . وذوق البستاني تغلب عليه النزعة العلمية الفلسفية .
 فيدرك الشعر الهوميري في نزعاته الفلسفية ومظاهره الاجتماعية وينبّه إلى الفروق التي
 تفصل بين الأدب اليوناني والأدب العربي، والمواضع التي يتواطأ ان عليها . ويحب التبحر
 في أغراض تاريخية، ولغوية وأخلاقية . إلا أن نقده لا يخلو من ملاحظات أدبية بحتة،
 وشعور دقيق بالفن الأدبي. (٤٤)

وكان البستاني على سعة مطالعته لا تأخذ الآراء المتعددة والأفكار القيمة بعنانه
 كيف تشاء فهو أبداً حاضر الذهن دقيق الملاحظة . يأخذ لنفسه ما يجده لا يتنافى مع الواقع
 ثم يتمثله فإذا هو جزء من آرائه . وهكذا تبرز شخصيته الواعية المدركة طوال مقدمة الإلياذة .
 وهو كان شديد التحري عن الحقيقة لا يغفل عنها يقول بحرية صراحة، ماله
 وماعليه، فلا ينكر فضل الأجانب ولا يححف بحق قومه . وليس أدل على ذلك من مقارنته
 بين اللغتين العربية واليونانية.

إنه كان ذواقة أديب، يتسقط اللطائف من الأفكار والآراء ويتخير جميل اللفظ
 والمعنى ولا يصدّم القارئ بغريب أو معقد لأنه يحترم ذوقه، ويهدف إلى تثقيفه دون قسر
 واستعلاء.

وهو ناقد مدقق يأخذ الأمر على وجوهه وينظر في إمكان الصواب والخطأ متسائلاً
 معللاً، حتى تبلغ الغاية من البحث . وليس عجيباً أن يخطئ رغم ذلك فحسبه أن يسلك إلى
 غاياته سلوكاً سليماً إما أن لا يصل إلى الحقائق دائماً . أو إليها كلها . فشأنه في ذلك شأن
 كل باحث . قد لا تتوفر لديه وسائل تجنب الخطأ.

وبستاني لا يجرى وراء انفعالاته مما يفسد على الناقد رائه بل كان دائماً متجرداً
 هدفه الحقيقة كلها .

وإنه لم يخضع لاتجاه معين أو نهج مخصوص وإنما أخذ لنفسه ما رآه صحيحاً من

كل الاتجاهات والأساليب فإذا هو ذو نظرة خاصة ونهج ذاتي .

ولا يحكم البستاني الخيال أو التصور، وإنما العقل والواقع، فهو ابداً يتلمس 'لوقائع، قديمها وحديثها، فإذا آنس بعض الضعف في واقعها ومدلولها أهملها دون أن يهمل التعليق عليها والبستاني يحيط بموضوعه، الإحاطة التي سمحت بهامعارف عصره، والتي أفضى إليها عقله .

وفى الحقيقة رائد البستاني هو المنطق السليم . فهو يأخذ المسائل بروية، إمعان يدرس المقدمات ويستدل منها على الشائع يقارن هذا الرأي بذلك . ويتخذ من هذا تعليلاً لآخر أو دحضاً له ثم يبلغ الرأي الأخير واضحاً سليماً . وكان الوضوح هدف من أهداف أسلوبه دون أن يمس ذلك سلامة التعبير ولا يحول دون هذا الوضوح البحث العقلي الصرف والأدلة المنطقية .

وكان أسلوبه سهل العبارة، رصين، بعيد عن الخيال، واقعي، سليم اللفظة والتعبير، بعيد عن التكلف والوشى والصناعة كل ذلك إلى متانة تركيب، وقدرة فائقة على الأداء، خال من التطويل الممل بعيد عن الغموض والالتباس موجز من غير أن يعتور المعنى نقص . (٤٥)

آثاره:

آثاره في النشر مما طبع ومتوفر عندنا فنذكره فيما يلي:

(١) عبرة وذكرى أو الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده: طبع في مصر سنة ١٩٠٨م في ٢٠٤ صفحات، أبحاثه علمية توجيهية وأساليب الحكم والحريات وموارد الثروة وطرق الإصلاح .

(٢) وساعد في إصدار ثلاثة أجزاء، التاسع، والعاشر، والحادي عشر من دائرة المعارف للمعلم بطرس البستاني .

(٣) إلياذة هو ميروس: ترجمها شعرا عن اليونانية وصدرها بمقدمة نفيسة أجمل بها

تاريخ الأدب عند العرب وغيرهم .

(٤) الاختزال: وهو البحث الذى نشر فى "دائرة المعارف" المجلد التاسع بعنوان

"سينوغرافيا" طبع فى كراس على حدة فى مصر هذا الكتاب غير متوفر عندنا . (٤٦)

وآثاره فى الشعر ولكنها غير متوفرة عندنا وذكرها فيما يلى:

(٥) الداء والشفاء: وهما قصيدتان موشحتان نشرتا معا فى مصر، سنة ١٩٢٠ م .

قالهما فى سويسرة . نظم الأولى فى أثناء مرضه سنة ١٩١٨ م فوصف الآمه وصفا دقيقا

وحسن إلى الوطن ونظم الثانية فى شفائه سنة ١٩١٩ م فوصف طبيعة سويسرة ونافسها

بطبيعة لبنان . وفيها حنين شديد إلى الوطن . ولسليمان البستاني أدب شعري لم يبق منه

سوى بعض القصائد الأخلاقية أو الفلسفية أشهرها فيما يلى .

(٦) الذنب والغفران .

(٧) الخيبة والرجاء .

(٨) الترك والعرب .

(٩) الخيانة والوفاء . (٤٧)

وآثاره المخطوطة غير المطبوعة وهى غير متوفرة عندنا فنذكرها فيما يلى:

(١٠) تاريخ العرب : هذا الكتاب يقع بحوالى ألف صفحة دون فيه معلومات ضافية

عن الجزيرة العربية بجاتها وقبائلها وعوائدها، مما عرفه وخبره أثناء تجواله فيها .

(١١) ديوان شعراء العرب الحاليين: مجموعة من شعر القبائل المعاصرة بلهجاتها

المختلفة .

(١٢) مذكراته : كتبها باللغة الإنكليزية وضمنها خواطر فى السياسة والإجتماع

والأخلاق والأدب والأسفار وقد صاغت بين نيويورك ومصر وبيروت .

(١٣) رحلاته

(١٤) ذكريات (٤٨)

أسلوبه:

وأسلوب إنشاؤه رصين عارٍ لاوشى فيه ولاصور حيالية . وإذا عرض شئ من ذلك، فإنه لأبعد من أن يأتى متكلفا، وإنما هو يجرى مع الطبع المسموح فى سياق تركيب الجمل.

وأسلوبه يسيرها دثا مترفقا لاصوت له ولاقعقة، لإارققة خفية كجرس الماء فى الجدول المستقيم المعبد . وأسلوبه حافل بفلسفة النقد والتاريخ، وبالأدلة العقلية والتعليلات المنطقية، إلا أنه واضح كل الوضوح منسجم كل الانسجام خال من الغموض والالتباس وتداخل الجمل التى تفصل ما قبلها من المعانى عما بعدها . فيه مرونة عجيبة تجعل الألفاظ لينة الجانب تقبل أدق المباحث وأعمقها، وأعلقها بالعقل والمنطق، دون أن يبدو منها تصلب واشمئزاز . وقلمما اتفقت هذه الخصائص لأصحاب العلوم لأن تضلاوة والسهولة والوضوح لاتحالف الأساليب العقلية فى الجملة . إلا أن البستاني كان يجمع إلى صفته العلمية صفة أدبية فجاء أسلوبه على ما فيه من بحث دقيق وعمق مدلول، رائع الإنشاء، مختار الألفاظ، رائق الديباجة كأنها مرآة صافية تنم بجلاء على ما ينعكس عليها من صور ورسوم .

ولإنشائه بلاغة فى تأدية المراد دون تطويل ولا إيجاز، كأن الألفاظ فصلت على مقادير المعانى لازيادة فيها ولا نقصان . وإن وجد مترادفات أو جمل متعاقبة على المعنى الواحد، فقليلة نزره لاتكاد تلمح . وليست من قبيل الحشو والتطويل وإنما هى لزيادة التبليغ والتقرير. (٤٩)

وفاته:

سافر سليمان البستاني إلى سويسرة سنة ١٩١٤م، وأقام بها خمس سنوات . يخدم

مصالح دولته. ثم جاء مصر واتخذها مقاما حتى سنة ١٩٢٤م، وفي مصر انتكست صحته، وزاد ألم عينيه. فأجريت له عملية في إحداها فلم تنجح، وضعف نور الثانية. فأبحر إلى نيويورك مستشفى من ماء في عينيه سنة ١٩٢٤م.

فاحتفى به المهاجرون، وعقدوا له حفلات التكريم بيد أن الطب لم ينجع فيه، ففقد بصره، إلى أن سطت عليه يد المنون، فأخمدت ذلك النور المتألق في غرة حزيان سنة ١٩٢٥م. وحمل جثمانه إلى الوطن في ٨ تموز. فكان له في نيويورك وداع فخيم، مشى به المهاجرون والأميركيون في مقدمتهم رجال الحكومة واستقبلته بيروت في ٦ آب فكانت له مناحة وطنية لم تبق جمعية خيرية على اختلاف الأديان والنحل إلا شاركت فيها. ومشى فيها رجال الحكومة ومجلس النواب ودار الانتداب وعقدت حفلة التأبين مساء اليوم نفسه في مدرسة الأحد الأميركية. وفي الغداة نقل جثمانه إلى إيكشتين مسقط رأسه ودفن بها. (٥٠)

(٦) سعيد أفندي بن راشد حنا البستاني :

(١٨٥٩ - ١٩٠١م)

ولادته:

ولد سعيد أفندي بن راشد حنا البستاني في قرية الدبية ببلبنان عام ١٨٥٩م. وتخرج بالمدرسة الوطنية وبمدارس الأميركان وحرر في جريدة لبنان الرسمية عدة سنين إلى سنة وفاته برح الحياة وهو في منتصف العمر وتقلب بين مصر.

إن البستاني ذهب إلى مصر سنة ١٨٧٣م ووظف في نظارة الخارجية، وكان يكتب في بعض الصحف والمجلات. وقد أصدر قصته "ذات الخدر" مستمدا وقائعها ورأسها شخصياتها من البيئة المصرية. ويقال أنه كتبها بتوجيه من الشيخ محمد عبده، الذي يعنى بالقصة ويعدها وسيلة صالحة من وسائل الإصلاح الاجتماعي.

وقد كان البستاني مقرباً إليه وإلى الشيخ جمال الدين، ويقول الشيخ يوسف توما البستاني إن سعيداً هوجم في الأوساط المصرية بسبب تعرضه للعادات والأخلاق المصرية بالنقد الشديد وإن الإمام كان يدافع عنه في مجالسه . وعند ما قامت الثورة العربية انضم للعربيين وأخذ يناصرهم ويدافع عنهم ويعمل لهم حتى أن الإنكليز حاولوا نفيه إلى سيلان بعد انتهاء الثورة، فتوسط له قنصل فرنسة واقنعهم بالاكْتفاء بنفيه إلى بلده . فعاد إليها حوالي ١٨٨٤ م . وتولى تحرير جريدة "لبنان" التي كان يصدرها إبراهيم الأسود، وكان يعمل أيضاً في الأدب والصحافة إلى آخر حياته.

وفاته:

وعكف البستاني على الآداب العربية وتوفى في أيار سنة ١٩٠١ م في الحدث بالقرب من بيروت في لبنان .

آثاره:

ولم تيسر لنا الوصول إلى شيء من أعماله فنكتفي هنا بذكر ما عثرنا عليه من ذكرها وتقاصيلها في مصادر أخرى.

(١) وأصدر البستاني بعض الروايات التمثيلية . كذات الخدر تدور هذه القصة حول أسباب خراب قصر كبير في الإسكندرية رواها للمولف صديقه الذي رافقه في جولة في هذا القصر .

(٢) ورواية سمير الأمير، إن البستاني يتناول في هذه القصة حياة أسرة لبنانية من طبقة الأمراء، تنعكس من خلالها مشكلة الطبقات والنزعات الاستعلائية عند بعضها ومؤمراتها في إدارة دفة الحكم . (٥١)

(٧) نجيب بن بطرس البستاني :

(١٨٦٢ - ١٩١٩ م)

هو ثالث أجيال المعلم بطرس البستاني الشهير . فاضل حقوقى ولد فى سنة ١٨٦٢ م فى بيروت . ودرس الأدب على أبيه وأخيه سليم البستاني وحرر فى الجنة والجنان . ثم امتحن المحاماة فى القاهرة .

آثاره

له مؤلف واحد نكتفى يذكر اسمه لعدم العثور على الكتاب :

ذكرى ومشاهدات فى الأستانة .

توفى نجيب البستاني سنة ١٩١٩ م . (٥٢)

(٨) ميخائيل بن أنطون البستاني :

(١٨٦٨ - ١٩٣٤ م)

وهو ميخائيل أو ميخايل بن أنطون بن مرعى بن إلياس بن عيد عساف البستاني ويعرف بميخائيل عيد البستاني : ولد سنة ١٨٦٨ م فى دير القمر من أعمال لبنان ونشأ بها وهو خال لبطرس بن سليمان بن حسن أفرام البستاني .

تعليمه وخدماته :

وكان ميخائيل البستاني أديبا شاعرا من القضاة ورئيس محكمة اللغة فى لبنان . ودرس فى مدرسة الحكمة ببيروت . ودرس العربية على عبدالله البستاني ، والفرنسية والتركية على بعض الأساتذة . ورغب فى الفقه فانصرف إلى دراسته حتى نبغ فيه ، وولى مناصب قضائية فكان مستشارا فى محكمة التمييز فرئيسا لمحكمة استئناف الحقوق ، والجنح الاستئنافية ، والإدعاء العام الاستئنافى ، والتجارة ودائرة الاتهام .

آثاره

ولم نعثر على عمل من أعماله العلمية فنذكر المعلومات المتوفرة عنها:

- (١) نبذة ملخصة في الفرائض ، وهو كتاب في الفقه .
 (٢) مرجع الطلاب في معاملات الفقه ، ذكر فيه مسائل المعاملات الماثورة
 والفتاوى المشهورة.

- (٣) وترجم عن التركية "قانون انتقال الأموال غير المنقولة".
 (٤) وجمع منظوماته في ديوان لم يطبع مما يدل على مواهبه الأدبية

وفاته :

قد توفي في دير القمر ١١/١١/١٩٣٤ م. (٥٣)

(٩) بطرس بن يوسف البستاني :

(١٢٩٣ - ١٣٥١ هـ = ١٨٧٦ - ١٩٣٣ م)

ولد بطرس بن يوسف البستاني في دير القمر سنة ١٨٧٦ م وكان كاهنا أديبا لبنانيا .
 ودخل في مسلك الكهان، واستقر في بيروت يعمل في التدريس إلى ان توفي .

آثاره:

ومن مؤلفاته :

- (١) جواهر الأدب، ستة أجزاء إن هذا الكتاب في الأدب العربي وقسمه المؤلف إلى
 ستة أجزاء مراعى في ذلك طبقات الإنشاء وتفاوت الأحوال وتفاضل المدارك بحيث ينتقل
 الحديث السن من جزء إلى آخر أدق منه معنى وأجزل لفظا وأمتن عبارة ولا يخفى ما تحشمه
 في هذا النسق من ضروب المعاناه وصنوف المشاق .

ومن مؤلفاته الغير المتوفرة عندنا

(٢) السنبال

(٣) والرسائل العصرية

(٤) آداب المراسلة

(٥) القناة الأفرنسية، مسرحية.

وقد توفي البستاني سنة ١٩٣٣ م. (٥٤)

(١٠) وديع بن فارس البستاني

(١٨٨٦ - ١٩٥٤ م)

ولادته ونشأته:

هو وديع بن فارس بن عيد البستاني ولد سنة (١٨٨٦ م) في قرية "انابيه" من ضواحي الشوف في لبنان .

وفيها نشأ، أيام كانت تتجاوب في ارجائها الهادئة أصداء الإطراء والثناء على نقر من أعمامه وأبنائهم من العاملين في حقل اللغة العربية، كالمعلم بطرس، وسعد الله، وسليمان، والشيخ عبد الله وغيرهم. فانطبع حب العربية على قلب الصبي "وديع" منذ نعومة أظفاره، وشغف بنثرها وشعرها، وكان كلما سنحت له فرصة يكب على قراءتها صوت عال مزعج، حتى أصبح عدو القرية الاول ومقلق راحة سكانها . وعلى هذا المنوال سار حتى أتم دروسه الابتدائية والثانوية والجامعية، ونال درجة "بكلوريوس علوم" من الجامعة الأميركية في بيروت.

وتعلم البستاني في الجامعة الأميركية في بيروت واشتغل مدرسا فيها، يدرس اللغة العربية، واللغة الفرنسية، مدة سنتين، وتعلم الحقوق في القدس واحترف المحاماة سنة ١٩٣٠ م.

أولع بالشعر وقرضه، والعربية وآدابها، حتى كان يوم جلس فيه إلى ابن عمه معرب الإلياذة، فصارحه سليمان بان عربية "وديع" ركيكة سقيمة، لن تستقيم لها حال، إلا إذا

حفظ القرآن الكريم على يدى مقرئ عليم . وأخذ ”وديع“ بتلك النصيحة الرشيدة، وقرأ ما تيسر فى مدة غير وجيزة، قضاها فى مصر بين الدرس والحفظ ومجالسة الأدباء والشعراء، وفى طليعتهم شاعر النيل حافظ إبراهيم، وشاعر القطرين خليل مطران، وأمير الشعراء أحمد شوقى .

إقامته فى الهند:

والتفت إلى الهند، فراقه اليسير مما وقف عليه من تاريخها وتراثها الأدبى . ودفعه إليها شغفه بالتجوال والمغامرات، ودم الشباب الوثاب، وحب الاستزادة من معين أدبها الفياض . أمّها عام ١٩١٢، ومكث فيها حتى عام ١٩١٤ . ثم عاد إليها عام ١٩١٥ وبقي حتى ١٩١٦ . فتنته الهند وحبّ لبه، وبات أسير روائع غرائبها وسحر غوامضها . فطاف وجاب، بقلب كبير متعطش إلى المعرفة، وذهن نير تلهبه أحلام الطموح، وتذكيه عرائس الشعر ومواكب الخيال . راح يقرأ ويطلع، ويعب من فيض أدب الهند ما استطاع، طارفها وتالدها منكبا عليه انكبابا لا يدركه سأم ولا ملل . تحت تلك السماء العابقة بالعبور والطوب، غاص المعرب فى خضم الملاحم الخالدة، والتحف المقدسة من تراث المتهندة القدامى . تعلم من السنسكريتية ما لم يطمئنه إلى الإقدام على التعريب، فاستعان بالترجمات الإنكليزية والفرنسية مقابلا بينها، حتى انتهى إلى ترجمات ”رومى د ط“ فاعتمدها أساسا لعمله .

حبه للعروبة:

ومن كان هذا اعتقاده بالشرق، وهذا انغماسه فى آداب الهندويين من أهل الشرق، أفلا يكون مؤمنا بعروبه فخورا بها، وهو ابن أسرة طالما كتبت وألفت فى العربية ما لا يجهل! كيف لا يقدر العروبة وقد حفظ الكثير من القرآن العربى الكريم او كيف لا يتغنى بالعروبة وقد دفعه حبه لها وعزمه على الذود عنها، إلى هجر مصر عام ١٩١٧ متجها إلى فلسطين للدفاع عن كيائها وعروبتها بعد ان كانت تمخضت بريطانيا العظمى فولدت

”وعد بلفور“ فى الثانى من تشرين الثانى ١٩١٧، يوم لم تعد الصهيونية سرا، وباتت فلسطين كعبة آمال اليهودية العالمية! كان اعتقاد المعرب، منذ ذلك الحين، بان الصهيونية لا تشكل خطرا على فلسطين فحسب، بل قد يتعداها إلى وطنه لبنان، فخاض ميادين السياسة حتى اتجهت نحوه الأنظار، وانتخب عام ١٩٢٣ عضوا فى الوفد الفلسطينى العربى الثالث إلى لندن للدفاع عن قضية العرب السياسة . وله فى هذ الجولات السياسية مواقف وذكريات، تسجل بعضها فى قصائده من شعر المناسبات ونشر منها شى فى ”ديوان الفلسطينيين“ سنة ١٩٤٦.

دراسته الحقوق :

وإلى جانب السياسة، شاء أن يدرس الحقوق، فنال الدبلوم ١٩٢٩، واختص بقانون الأراضى . وأهم خدماته الوطنية فى هذا المضمار، قضية غور بيسان (اتفاقية الأراضى المدورة) التى اكسبت العرب نصف مليون دونم من أنصب الأراضى الزراعية (راجع كتاب الدكتور حاييم وايزمن – رئيس الجمهورية الأول لدولة اسرائيل Trial and Error" صفحة ٣٤٢ ومايليها)

تأليفه فى السياسة:

ولم يؤلف فى السياسة إلا كتابا واحدا بالإنكليزية، ثم بالعربية، أسماه The Palestine Mandate Invalid and Impracticable ”الانتداب الفلسطينى باطل ومحال“ ومعظمه بحث فى القانون الدولى العام.

انعكافه على التعريب:

بيد أن انشغاله فى السياسة والمحاماة لم يثنه عن التردد، حيناً بعد حين، إلى مشاريعه الهندوية التى كان قد اكتنز الكثير من جواهرها أثناء إقامته فى الهند . ولما أيقن أن حياته لن تكتمل إلا بإنجاز ما كان قد شرع فيه من تعريب ذلك الأدب الجم ونظمه، ولما

باتت السياسة فى فلسطين يحتكرها ولاية وأرباب معروفون، وأخذ ابنه فواد أفرام البستاني بممارسة المحاماة طلق هو السياسة والمحاماة ثلاثاً، وقبع فى داره على "الشاطى الأزرق فى حيفا، وانصرف إلى العمل الجدى المتواصل.

ويقول فواد أفرام البستاني حكاية عن هذه الأحوال المضطربة: "هجر المدينة، وحبس نفسه عن الناس واقفاً نشاطه على التعريب دون أى أمر سواه . واكتفى من داره الكبيرة بغرفة واحدة تملؤها الكتب والأسفار وتغشى أرضها المعاجم والمراجع، يجلس بينها، وهى حوله مفتوحة مبعثرة، كأنه قارب نجاة وسط بحر زاهر بالأمواج، تحيط به سحب كثيفة من تدخينه المواصل . وعبثاً كانت سيدتى الوالدة تحاول حمله على التخفيف من التدخين أو ساعات العمل . لكنها، أخيراً، لاذت بالفرار من تلك الغرفة ودكتاتورية زوجها الشاعر . ولم يضع هذا الفرار حداً لما كانت تلقاه من الانزعاج - فكان، حتى فى الساعات المتأخرة من ليلالى الشتاء أو فى الساعات الفتية من الفجر، يوقظها من سباتها العميق لتعاجله بالقهوة . وكانت تأتى القهوة - لا فى فنجان أو اثنين - بل فى بريق كبير، يتعاطى منه جرعة إثر جرعة، على فترات طويلة التقطع، حتى تعود شربها باردة وبات يفضلها على الساخنة.

وكم من ليلة شديدة الصخب، تمتد حتى طلائع السحر، كنت أقضيها فى المدينة بين هرج ومرج، فأعود إلى البيت، وحذائى بيدى خشية انفصاح أمرى . وما أكاد افتح الباب محاولاً التسلسل، حتى يرن صوت سيدى الوالد فى أذنى، فأقف، ثم أسير بأبطأ الخطوات علنى أرتجل عذراً أبديه عن تأخرى . فكان يسمعنى - لا تأنيباً ولا تقريعاً - بل آياتاً محيدة من الشعر، يكون قد فرغ من نظمها وسبكها فى تلك الليلة". (٥٥)

رحلته وأعماله:

سافر سليمان البستاني إلى مصر وزار بلاد الإنكليز، وأقام فى الهند سنتين ومثلهما

فى جنوبى أفريقية وعاد إلى مصر . وسافر إلى فلسطين سنة ١٩١٧م فى وظيفة إدارية لدى السلطة المحتلة البريطانية فى ذلك الحين فأقام فى يافا ثم فى حيفا . واستقر فى حيفا إلى سنة ١٩٥٣م وعاد إلى بيروت . (٥٦)

ولقد عين مترجما فى إحدى القنصليات الإنجليزية سنة ١٩٠٩م وعمل فى وزارة الأشغال حينما سافر إلى مصر . وإنه حينما كان مقيما فى حيفا استقال سنة ١٩٢٠م منصرفا إلى العمل مع إخوانه عرب فلسطين، فى محاولاتهم دفع الخطر الصهيونى عن بلادهم .

وميزاته:

ولعل خير ما يتميز به من خدمة جليلة للغة العربية وآدابها هو ترجمته للملاحم الهندية مثل (الراميانة) و (المهابراته) فعرف العرب بروائع الأدب الهندى القديم ، كما عرفهم سليمان البستاني من قبل ذلك بروائع الأدب اليونانى القديم بنقله إلیاذا هو میروس إلى العربية .

وللأستاذ وديع البستاني جهاد وطنى مديد فى خدمة القضية الفلسطينية والدفاع عنها من مطامع الصهيونية فكتب وخطب وناضل بقلمه ولسانه ورحل إلى الغرب فى هذا السبيل وقد تعرض للموت فى هذا الأمر إذ أثر البقاء فى داره بعد احتلال اليهود لمدينة حيفا، على أن يغادرها وبقي عرضة للضغط والإرهاب سنوات قبل أن يسمح له بالعودة إلى بيروت . وعين مساعدا مدنيا عربيا للعقيد باكر . وساهم فى تأسيس الجمعية الإسلامية المسيحية . واختير عضوا وامين سر للوفد العربى الفلسطينى الثالث إلى لندن .

صفاته وأخلاقه :

وقد وصفه مؤلف "كتاب مصادر الدراسة الأدبية" الأستاذ داغر قائلا: أحد كبار أدباء العصر من اللبنانيين . شاعر فحل، وكاتب أديب وعالم باللغات، خطيب يتده القول،

وذولسن يسحربيانه، ورواية لاينضب له معين، من أكثر اللبنانيين إنتاجاً محام من أقدر المحامين وأحد كبار الثقافة في العصر الحديث، وكان من رجال الصفوة المختارة، علماً وأدباً وخلقاً ووطنية . (٥٧)

وفاته:

قدمت وديع البستاني في قرية الدية التابعة لقضاء دير القمر من ضواحي الشوف في لبنان سنة ١٩٥٤م وكان عمره ٦٨ سنة . (٥٨)

آثاره:

لمؤلفاته المطبوعة المتوفرة عندنا قائمة:

- (١) الانتداب الفلسطيني : باطل ومحال بالعربية والانكليزية .
- (٢) مسرات الحيات : هذا الكتاب ألفه اللورد أفبري ونقله المترجم إلى العربية عن الإنكليزية .
- (٣) ترجمة رباعيات عمر الخيام : وهو أول من ترجمها إلى العربية نقلها عن الإنكليزية نظماً . وما أن وقعت في يدي "وديع" نسخة من كتاب الشاعر الإنكليزي فتزجرلد Fitzgerald عن "رباعيات عمر الخيام"، حتى عشق عمر وفلسفة عمر وشعر فتزجرلد . فأبحر إلى لندن عام ١٩١١ حيث قضى بضعة أشهر صرفها بحثاً وتنقيحاً في مخطوطات "الخيام" ومراجعته في مكتبة المتحف البريطاني . وهناك، في ذلك الجو العلمي المهيّب، أخذ يعرب الرباعيات شعراً صاغه سباعيات طلية المعاني، موسيقية الرنة . فكان أول من ولج ذلك الباب من الأدب الفارسي، وأسبق من زفه إلى أبناء الضاد . وقد أعادت "دار المعارف" بمصر، طبع الرباعيات، ثلاث مرات .

(٤) وشارك في الكتابة في دائرة المعارف للمعلم بطرس البستاني .

(٥) المهوراته : وهي مترجمة عن الإنكليزية، وهي ملحمة هندية . ويقول "داغر"

أنها من أشهر مولفاته على الإطلاق.

(٦) الملحمة الهندوسية (الراميانة) التي تماثل الياذة هوميروس

(٧) شاكتلا (المسرحية السنسكريتية) تأليف كاليداس

(٨) نالاودامنتى : قصة المهراته

(٩) الغيتة النشيد الالهى (ادب هندوسى)

دراسة الأدب الهندوى:

ومن شاء أن يعلم كيف تكون القراءة لملمحة ينوى تعريبها، فليلق نظرة على تلك النسخة المهراتية الإنكليزية التي استعين بها فى التعريب (صحفه ٤) ليرى مدى فتك يراعة المعرب بكتاب فتكت روعته بنفس المعرب واستعبدت قلبه، واستنفدت أربعين سنة من حياته، أولها عام ١٩١٢ وآخرها هذا اليوم الذى تخرج فيه أولى الملاحم المعربة من غمرة الغناء والجهود إلى مسرح الوجود.

رابندراناث طاغور:

لم يكتف بما اكتشف من خلود الأدب الهندوى القديم، بل عالج الآداب المحدثه فى مؤلفات الشاعر الملهم والفيلسوف الإنسانى "رابندراناث طاغور" زاره فى معهده (شنتى نكتان) فى شمال الهند حيث أقام ضيفا ثلاثة أيام أطلعه خلالها على تعريبه لكتاب "البستانى" The Gardener من تأليف طاغور. ورضى طاغور عن التعريب فشر الكتاب سنة ١٩١٧ . (٥٩)

ومن مولفاته التى ليست متوفرة عندنا فنذكرها فيما يلى :

(١١) وله ديوان شعر دعاه (الفلسطينيات) طبع فى بيروت سنة ١٩٤٦م صفحة ٣١٤.

(١٢) معنى الحياة

(١٣) السعادة والسلام

(١٤) محاسن الطبيعة

هذه الكتب الثلاثة الأخيرة من مؤلفات اللورد أقبرى ونقلها المترجم إلى العربية عن الإنكليزية .

(١٥) البستاني: (رابندر نات طاغور) شعر ونثر معرب - دار المعارف بمصر

(١٦) بطريكية أورشليم الأرثوذكسية: بحث تاريخي وقانوني

(١٧) The Palestine Mandate بالإنكليزية المطبعة الأمريكية بيروت

(١٨) مختارات من شعر طاغور "شاعر الهند" ترجمها عن الإنكليزية .

(١٩) خمسون عاما في فلسطين: نثر معرب مطابق صادر ربحاني بيروت

(٢٠) رباعيات الحرب: Quatrains of war شعر بالإنكليزية

(٢١) موجز الأساطير الهندوية: نثر

(٢٢) كليلة ودمنة: شعر ونثر معرب

(٢٣) عمر الخيام: شعر ونثر - دراسة للرباعيات ومراجعها

(٢٤) رباعيات أبي العلاء: Quatrains of Abu-Al-Ala شعر بالإنكليزية

(٢٥) رسالة في الألف والهمزة والياء: دراسة لغوية صرفية

(٢٦) ذكرى الفراق: شعر

(٢٧) إلى ذى عبق: قصائد وحواش مهداة إلى الشاعر شفيق معلوف

(٢٨) نبذة تاريخية: عن نجد أملى الأمير ضارى فهيد الرشيد هذا الكتاب على وديع

البستاني في سنة ١٣٣١هـ - ١٩١٣م فكتبه البستاني في دفتر سماه الكشكول ثم نسخه

وكتب مقدمة له وهذا الكتاب عن لسان الأمير ضارى بن الرشيد ولفظه وعبارته أملاها

على وديع البستاني وهما في كنف الشيخ عبدالرحمن آل إبراهيم في مدينه بمبائي الهند

وهناك كان الأمير ضارى يستشفى في سنة ١٩١٣م. (٦٠)

ومن مؤلفاته المخطوطة الغير المتوفرة عندنا:

(٢٨) عمر الخيام : وهو غير الرباعيات .

(٢٩) مجاني الشعر .

(٣٠) الاساطير الهندية : ترجمة

(٣١) الكشكول : وفيه نبذة تاريخية عن نجد . أملاها الأمير ضاري بن فهد الرشيد

وكتبها وديع البستاني . (٦١)

(١١) رشيد بن ضاهر البستاني

(١٨٨٧ - ١٩٥١ م)

هو رشيد بن ضاهر البستاني . وكان قصصيا ولد في الدبية عام ١٨٨٧ م من أعمال لبنان .

آثاره:

ومن مؤلفاته الغير المتوفرة عندنا فنذكرها فيما يلي :

روايات تمثيلية . لم نعثر عليها وكانت تساعدنا جدا على تحديد دور البستانيين في

دفع عجلة الآداب .

وفاته :

وقد مات البستاني عام ١٩٥١ م . (٦٢)

(١٢) يوسف توما البستاني :

(١٨٩٢ - ١٩٥٢ م)

ولد يوسف توما البستاني سنة ١٨٩٢ م لم نعثر على ذكر لمسقط رأسه بالضبط .

بدا حياته بائع كتب متجولا في القاهرة واستقر سنة ١٩٢٠ م في مكتبته المعروفة

بمكتبة العرب بشارع الفجالة . واهتم بنشر مؤلفات جبران خليل جبران، وله معه رسائل

طويلة اشترتها منه مكتبة الكرنحرس ، كما نشر مؤلفات أمين الريحاني، واليازجي،

والشدياق. واشتغل بتجارة المخطوطات. وأقام عن طريقها علاقة طيبة مع مكتبة أوروبا وأمريكا. وكان من العالمين على تلوين السقاية التي ضمت المشتغلين بتجارة الكتب.

وآثاره

المتوفرة عندنا كالتالى:

(١) أمثال الشرق والغرب: إن هذا الكتاب فى الأمثال وطبع بمصر سنة ١٩١٢م وصفحته ١٢٧ وكل من طالع هذا الكتاب الذى جمع أقوال فلاسفة الشرق والغرب. لابد أن يرى من فوائده الغزار ما يغنيه عن كبير الأسفار.

ومن مؤلفاته الغير المتوفرة عندنا

(٢) نوادر الحرب العظمى، عنى بمطبوعات شتى.

(٣) روض الجنان فى تاريخ جبل لبنان، مختصر طبع بالإسكندرية سنة ١٩٠٨م صفحته ١٦٠

وفاته:

توفى يوسف توما البستاني سنة ١٩٥٢م ومدفنه غير معلوم عندنا. (٦٣)

(١٣) كرم بن سليمان البستاني

(١٨٩٤ - ١٩٦٦م)

وهو كرم بن سليمان بن حسن البستاني، وهو أخ لبطرس بن سليمان بن حسن البستاني. ولد بدير القمر سنة ١٨٩٤م وتعلم بها المبادئ فى المدرسة للأباء اليسوعيين وعلم فى عدة مدارس، وكتب فى بعض الجرائد.

آثاره:

ومن مؤلفاته المتوفرة هى:

(١) حكايات لبنانية: هذا الكتاب فى القصة والرواية وصفحته ٣٠٤ وطبع فى

بيروت سنة ١٩٦١ وهى حكايات وضعها كرم بن سليمان البستاني فى هذا الكتاب . وهى قسم مما أخذه من أفواه كرائم السيدات اللبنانية وأفواه بعض رجال لبنان . وقد ذكر به المؤلف ست وعشرين قصة مثلاً الليمونات الثلاث وغيرها .

(٢) النساء العربيات : هذا الكتاب فى تاريخ العرب صفحته ١٢٨ طبع فى بيروت . وقام المؤلف فيه بتأليف أدبهن، وغنائهن، وحربهن، وكهانتهم . وما إلى ذلك من مظاهر حياتهن .

(٣) أميرات لبنان : هذا الكتاب أيضاً فى تاريخ العرب وصفحته ١٦٧ . وطبع فى بيروت سنة ١٩٥٢ - ١٩٥٠ م، وتكلم كرم البستاني فيه حول أميرات المعنى، وأميرات العهد الشهابى، وملابس الأميرات وغير ذلك .

(٤) البيان : هذا الكتاب فى البلاغة . طبع فى بيروت سنة ١٩٦٦ م فقد جعل المؤلف فيه القواعد فى أسئلة وأجوبة موجزة بينة تناولها حافظة الطالب فى غير تعب ولا ضجر .

(٥) ترتيب وشرح ، [١] العقد الفريد، [٢] وقطوف الاغانى

(٦) تحقيق وشرح ديوان الخنساء، وديوان طرفه بن العبد، وديوان عروه بن الورد، وديوان النابغة الذبياني، وديوان ابن زيدون .

مؤلفاته الغير المتوفرة عندنا فنذكرها فيما يلى :

(١) وضع كتباً مدرسية طبعت منها "الحصائد" جزآن "ومنتخبات أدبية"، سنة ١٩٤٧ .

(٢) وضع كتباً عامة أيضاً، منها "أساطير شرقية"، سنة ١٩٤٧ .

(٣) ووقف على طبع عدة دواوين قديمة حلاها بشرح غريبها

(٤) وترجم عن الفرنسية مشاهدات فى لبنان .

(٥) ثلاث قديسات من الشرق سنة ١٩٦١ م .

(٦) سلطنة العذارى سنة ١٩٥٩ م.

(٧) أقصوصة الميلاد سنة ١٩٥٩ م. وله قصائد منشورة في الصحف

وفاته :

وقد توفي كرم البستاني سنة ١٩٦٦ م (٦٤)

(١٤) بطرس بن سليمان البستاني:

(١٨٩٨ - ١٩٦٩ م)

هو بطرس بن سليمان بن حسن أفرام البستاني، ولد في دير القمر سنة ١٨٩٨ م وهو أديب لبناني، وكان أسلوبه حسنا. وتعلم المبادئ وأحسن الفرنسية. وقرأ كثيرا وأصدر في بيروت جريدة "البيان" الأسبوعية (١٩٢٣ - ١٩٣٠ م) وعمل في جرائد "الأحوال" و"الأحرار" و"الرأية" ودرس العربية، سنة ١٩٢٩ إلى آخر حياته.

وآثاره:

الأدبية والعلمية التي تيسرت لنا هي كالتالي:

- (١) أدباء العرب: هذا الكتاب على ثلاثة أجزاء حول تاريخ العرب. فقد تكلم المؤلف في الجزء الأول عن العصر الجاهلي وصدر الإسلام وفي الجزء الثاني عن الأعصر العباسية. وتكلم في الجزء الثالث عن الأندلس وعصر الانبعاث.
- (٢) منتقيات أدباء العرب: هذا الكتاب في تاريخ العرب طبع دارمارون عبود وصفحته ٣٦٠ وقد انتقى المؤلف فيه الأعصر العباسية من الشعراء فحسب.
- (٣) معارك العرب في الشرق والغرب: وطبع هذا الكتاب بمنشورات دارالمكشوف سنة ١٩٤٤ م وصفحته ١٣١ وهذا الكتاب في تاريخ العرب.
- (٤) معارك العرب في الأندلس: وهذا الكتاب أيضا في تاريخ العرب وصفحته ١٢٧ وطبع بمنشورات دارالمكشوف في بيروت لبنان سنة ١٩٥٠ م

وللمؤلف أعمال جلييلة أخرى لم تكنه متناول ايدينا كما نذكر فيما يلي:

(٥) الشعراء الفرسان

(٦) معارك العرب

(٧) آداب المراسلة

(٨) والرسائل العصرية

(٩) وأشرف على طبع كتب منها: لسان العرب .

يقول المشرف، "أورد مؤلف الأعلام، آداب المراسلة" و الرسائل العصرية " لبطرس

بن يوسف البستاني أيضا. لعل هذين الكتابين لبطرس بن يوسف البستاني لا لهذا البستاني .

وفاته :

وتوفي بطرس بن سليمان البستاني بيروت سنة ١٩٦٩م ودفن في بلده. (٦٥)

(١٥) فواد أفرام البستاني :

(١٩٠٦ - ١٩٩٤م)

ولادته:

ولد الكاتب الموسوعي فواد أفرام البستاني في الخامس عشر من أيار (مايو) سنة

١٩٠٦ بدير القمر في لبنان .

وإنه قد جمع بين الأدب ، والتاريخ، والنقد والشعر والقصة واللغة والصحافة، يحس

شهادات دكتوراة من جامعات: ليون بفرنسا ١٩٥٧م وإدوارت كساس في الولايات

المتحدة سنة ١٩٥٨م وجورج تاون بواشنطن في الولايات المتحدة ١٩٥٨م.

وبدأ حياته العلمية بتعليم اللغة العربية وتاريخ الحضارة العربية بمعهد الآداب

الشرقية عام ١٩٣٣م كما مارس التعليم في عدة معاهد وكليات لبنانية وفرنسية، وكان من

الذين أسسوا عام ١٩٣٦م مجلة "المكشوف" الأدبية، كما أسس صفحة ثقافية في جريدة

”البشير“ عُدت من أوائل صفحات الأدب في الوطن العربي . وأسهم في تأسيس جمعيات أدبية وتاريخية ودينية واجتماعية كثيرة.

إلى جانب ذلك كان من الذين أسسوا معهد الآداب الشرقية في جامعة القديس يوسف ودار المعلمين والمعلمات في عهد الرئيس ألفرد نقاش، والجامعة اللبنانية في عهد الرئيس كميل شمعون . وساهم في استحداث شهادة البكالوريا اللبنانية . وهو الذي بدأ بتدريس الأدب الحديث في المدارس اللبنانية . وكان رئيسا للجامعة اللبنانية والأمين العام للجنة الوطنية اللبنانية ليونسكو .

وفاته:

وتوفي فواد أفرام البستاني سنة ١٩٩٤ م.

آثاره:

ومن مؤلفاته المتوفرة عندنا

(١) الروائع: هي سلسلة الأدب التي تضمنت حياة الشعراء والفلاسفة العرب منذ الهجرة النبوية . وهي ستون . مثلاً إمروء القيس ، حسان بن ثابت، الفرزدق، أبو الطيب المتنبي، أحمد شوقي وغير ذلك.

(٢) المجاني الحديثة: وهي في الحقيقة للأب لويس شيخو اليسوعي في فن الأدب ولكن جددتها اختياراً عن مجاني الأدب لشيخو درساً وشرحاً وتبويلاً لجنة من الأساتذة بإدارة فواد أفرام البستاني . وتشتمل على ثلاثة أجزاء طبع بمطبعة الكاثوليكية بيروت .

(٣) وعمل على استكمال ”دائرة المعارف“ التي أسسها عام ١٨٧٦ م بصرى

البستاني حتى توقف به الأجل وهي في الجزء الخامس عشر .

ومن مؤلفاته الغير المتوفرة عندنا

- (٤) معانى الأيام .
- (٥) أحاديث الشهور وغيرها .
- (٦) وله كتابه اللطيف على عهد الأمير .
- (٧) ونشر مقالات تاريخية وأدبية فى المشرق والبشير .
- (٨) الشعراء القديم والحديث .
- (٩) على عهد الأمير سنة ١٩٢٦ فى الرواية .
- (١٠) لما ذا أيضا فى الرواية سنة ١٩٢٦ .
- (١١) وفى التاريخ بالاشتراك مع الدكتور اسد رستم .
- (١٢) تاريخ لبنان الموجز سنة ١٩٣٩ .
- (١٣) لبنان فى عهد الشهابيين .
- (١٤) لبنان فى عهد فخر الدين سنة ١٩٣٦ . (٦٦)
- (١٦) يوسف بن جرجس البستاني :

(١٩٠٦م)

إن يوسف بن جرجس البستاني ولد سنة ١٩٠٦م .

آثاره

له مؤلفات أدبية لم نعر الا على اسمائها ونذكرها فيما يلي :

- (١) غرائب القرآن ومشكلاته وبيان شأنه ونزول آياته ومعانى بعض لغاته وترج

مبهمات

- (٢) وله قصائد أيضا . (٦٧)

(١٧) الفريد بن جرجس البستاني :

(١٩١٠-١٩٦٩م)

هو الباحث، الأستاذ الفريد بن جرجس بن شبلى بن أفرام البستاني . ولد في دير القمر سنة ١٩١٠ بلبنان، ونشأ وتعلم بها . ورحل إلى أسبانيا سنة ١٩٣٨م وأقام في "تطوان" مدرسا ومشرفا على "الإذاعة العربية" فيها أيام الاحتلال الأسباني ثم رئيسا للقسم العربى فى معهد الجنرال فرنكو .

آثارهنذكر فيما يلي أعماله التى لم يتوفر عندنا منها شئ:

(١) نبذة العصر فى أخبار ملوك بن نصر .

(٢) كليات ابن رشد .

(٣) رحلة الوزير فى افتكاك الأسير .

(٤) دراسة عن الموسيقى .

وقد توفى البستاني سنة ١٩٦٩م . (٦٨)

(١٨) يوسف أفرام البستاني :

وهو يوسف أفرام البستاني محرر بجريدة مصر .

ولادته ووفاته غير معلوم عندنا

آثاره:ولم نعثرا على ذكر مؤلف له وهو كما يلي:

تاريخ حرب البلقان الأولى والحرب البلقانية الثانية — جزء أول فيه ٤٠ رسما

وخريطان . (٦٩)

(١٩) اليس بنت بطرس البستاني:

وهي ابنة المعلم بطرس البستاني. ولكن ولادتها ووفاتها غير معروف عندنا.

صفاتها وأخلاقيها :

وهي بحكم جنسها أقدر على فهم مشكلات المرأة واستعانت بالوصف الذي جاء متغلغلا في صلب الأحداث في كثير من الأحيان، وقد ساعدها على ذلك كله قلم رشيق وأسلوب محكم ولغة نقية صافية .

هكذا تختتم اليس البستاني جهود البستانيين القصصية بعمل متقن إلى حد ما.

آثارها:

ولا قصة أدبية لم تتوفر لنا يقول فيها.....

(١) صائبة: أصدرت السيدة اليس البستاني ابنة المعلم بطرس وشقيقها سليم ، قصتها "صائبة" سنة ١٨٩١، وتناولت فيها حياة أسرة في الأستانة تنبع مشكلاتها من قضية الزواج، وشغل الكتاب الشاغل في القرن الماضي . (٧٠)

وهناك بعض الكتاب البستانيين الذين ليست أحوال حياتهم متوفرة لدينا ولكن قد نشرنا على بعض آثارهم فنذكر أسماءهم فيما يلي:

(٢٠) الدكتور صيحي البستاني: كان أستاذا للبيان والبلاغة في الجامعة اللبنانية وله الصورة

الشعرية في الكتابة الفنية الأصول والفروع .

(٢١) أدوار البستاني: رئيس دائرة الترجمة في الحكومة اللبنانية وقام بنقل كتاب فيليني الرحاة

الفرنسي إلى اللغة العربية . وله مناهج الترجمة.

(٢٢) انطوان مسعود البستاني: وله قواعد العرب

(٢٣) أميل البستاني: وله زحف العروبة

(٢٤) الدكتور سيف الدين البستاني: وله أوقفوا هذا السرطان حقيقة الماسونية وأهدافها

(٢٥) الدكتور عبدالله إسماعيل البستاني: وله حرية الصحافة دراسة مقارنة

(٢٦) الخورى بطرس البستاني: وله من المهد إلى اللحد، والطفل ورتاء الأب لويس

شيخو وغيرها من القصائد

قد عرضنا لهذه الآثار بتفصيل فى موضعها من هذه الدراسة

(المصادر والمراجع)

(١) دائرة المعارف: تأليف المعلم بطرس البستاني مطبعة المعارف بيروت ١٨٨١ء، ج: ٥، ص: ٤١٥

(٢) [١] فواد أفرام البستاني: المعلم بطرس البستاني فى "الروائع" الجزء (٢٢) مطبعة

منشورات الآداب الشرفية، سنة ١٩٥٠، ص: ٦٨، ٦٩

[٢] أعلام النشر والشعر فى العصر العربى الحديث: تأليف محمد يوسف كوكن، المطبعة

دارحافطة لطباعة والنشر ١٣ حارة ميلابورن مدراس، ص: ١٠٦

(٣) نفس المصدر، ص: ٦٩

(٤) نفس المصدر، ص: ٧٠-٧١

(٥) نفس المصدر، ص: ٧٦

(٦) نفس المصدر، ص: ٧٥

(٧) مجلة اللغة العربية بدمشق، تموز (يوليو) ١٩٧٠م مطبعة الترقى، ج: ٣، ص: ٦٠٤

(٨) تاريخ الآداب العربى، حنا الفاخورى، المطبعة البولية لبنان، ص: ١٠٣٧

(٩) فواد افرام البستاني: المعلم بطرس البستاني فى "الروائع" الجزء (٢٢) مطبعة منشورات

الاداب الشرفية، سنة ١٩٥٠، ص: ٧٣-٧٤

(١٠) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ربيع الآخر، ج: ٥، ص: ٥٩٩

(١١) نفس المصدر، ج: ٥، ص: ٥٩٥

(١٢) أعلام الصحافة العربية ، ابراهيم عبده المطبعة النموذجية ، سكة الشايبورى بالحلمية

الجديدة، ص: ٤٩

(١٣) فواد افرام البستاني: المعلم بطرس البستاني فى "الروائع" الجزء (٢٢) مطبعة منشورات

الاداب الشرفية ، سنة ١٩٥٠، ص: ٨٤

(١٤) تاريخ الأدب العربى حنا الفاخورى ، المطبعة البولية لبنان، ص: ١٠٣٨

(١٥) فواد افرام البستاني: المعلم بطرس البستاني فى "الروائع" الجزء (٢٢) مطبعة منشورات

الاداب الشرفية ، سنة ١٩٥٠، ص: ٧٧-٨٢

(١٦) نفس المصدر، ص: ٧٧-٨١

(١٧) نفس المصدر، ص: ٧١، ٧٢

(١٨) فواد افرام البستاني: المعلم بطرس البستاني فى "الروائع" الجزء (٢٢) مطبعة منشورات

الاداب الشرفية ، سنة ١٩٥٠، ص: ٧٢، ٧٤

(١٩) أعلام النثر والشعر فى العصر العربى الحديث ، ج: ١، ص: ١١١

(٢٠) [١] ادباء العرب فى الاندلس وعصر الانبعث، لطبرس بن سليمان البستاني ، المطبعة

السادسة، دار المكشوف ودار الثقافة ، سنة ١٩٦٨، بيروت ، ج: ٣، ص: ٤٠٩

[٢] الأعلام، لخير الدين الزركلى ، المطبعة دار العلم للملايين، ج: ٣، ص: ١١٦

[٣] معجم المؤلفين، قمر رضا كحاله ، المطبعة مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى سنة

١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، ج: ١، ص: ٧٧٧

[٤] معجم المطبوعات العربية والمعربة، ليوسف اليان سركيس مكتبة الثقافة الدينية، ص: ٥٥٩

[٥] الموسوعة العربية الميسرة، لمحمد شفيق غربال، المطبعة دار الشعب، سنة ١٩٦٥ م،

ص: ٣٧١

[٦] القاموس الإسلامى لاحمد عطية الله، المطبعة مكتبة النهضة المصرية، سنة ١٩٦٣ م، ص: ٣١٣

[٧] الآداب العربية في القرن التاسع عشر، للاب لويس شيخو اليسوعي ، المطبعة الكاثوليكية

للآباء اليسوعيين ، بيروت، سنة ١٩٢٤م، ج:١، ص:٦٨

[٨] القصة في الأدب العربي الحديث، الدكتور محمد يوسف نجم- المطبعة دار الثقافة ،

الطبعة الثانية، سنة ١٩٦٦م، ص:٤٣-٧٢)

(٢١) معجم المؤلفين ، تأليف عمر رضا كحاله ، مطبعة مؤسسة الرسالة ج:١، ص:٧٦٢

(٢٢) [١] البستان، تأليف عبدالله البستاني ، المطبعة الأميركانية بيروت، ج:١، ص:٥

[٢] معجم المؤلفين، لعمر رضا كحاله، مطبعة مؤسسة الرسالة بيروت، ج:٢، ص:٢٩٦

(٢٣) البستان: تأليف عبدالله البستاني، المطبعة الأميركانية ، بيروت سنة ١٩٢٧م، ج:١، ص:٥-٦

(٢٤) الأعلام، لخير الدين الزر كلّي، مطبعة دار العلم للملايين ، بيروت، ج:٤، ص:١٤١

(٢٥) مصادر التراث العربي، تأليف الدكتور عمر الدقاق، المطبعة المكتبة العربية حلب، ص:٣٠٧

(٢٦) المصادر العربية والمعرّبة- تأليف محمد ماهر حماده . مطبعة مؤسسة الرسالة الطبعة

الثانية سنة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ص:١٩٠

(٢٧) معجم المؤلفين ، لعمر رضا كحاله، المطبعة مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى

سنة ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ج:١، ص:٢٩٦

(٢٨) معجم المطبوعات العربية والمعرّبة، ليوسف اليان سركيس، مكتبة الثقافة الدينية، ص:٥٦٠

(٢٩) الاعلام- لخير الدين الزر كلّي مطبعة دار العلم للملايين بيروت ، ج:٤، ص:١٤١

(٣٠) [١] البستان، لعبدالله البستاني، المطبعة الأميركانية بيروت، سنة ١٩٢٧م، ج:١، ص:٥

[٢] الأدب العربي الحديث، أنور جندى، ص:٦١٦

[٣] أحمد عطية الله: مكتبة النهضة، القاهرة، سنة ١٩٦٣م، ج:١، ص:٣١٣

(٣١) تاريخ الآداب العربية، تأليف رشيد يوسف عطاء الله ، مطبعة مؤسسة عز الدين سنة

١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ج:٢، ص:٣٤٨

- (٣٢) فواد افرام البستاني: سليمان البستاني في "الروائع" الجزء (٤٤) المطبعة الكاثوليكية، الطبعة الأولى سنة ١٩٥٣ م، ص: ١٩١
- (٣٣) نفس المصدر، ص: ١٩٢
- (٣٤) حنا الفاخوري: تاريخ الأدب العربي، المطبعة البولوية لبنان، ص: ١٠٨٦
- (٣٥) أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث، لبطرس البستاني، مطبعة دارالمكشوف ودارالثقافة، سنة ١٩٦٨ م، ج: ٣، ص: ٤٥٣
- (٣٦) معجم المؤلفين، تاليف عمر رضا كحاله، مطبعة مؤسسة الرسالة، سنة ١٤١٤ هـ ١٩٩٣ م، ج: ١، ص: ٧٨٧
- (٣٧) أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث، تاليف بطرس البستاني، مطبعة دارالمكشوف ودارالثقافة، الطبعة السادسة، سنة ١٩٦٨ م، ج: ٣، ص: ٤٥٢
- (٣٨) فواد افرام البستاني: سليمان البستاني في "الروائع" الجزء (٤٤) المطبعة الكاثوليكية، الطبعة الأولى سنة ١٩٥٣ م، ص: و
- (٣٩) نفس المصدر، ص: ج، د، و، ز، ح
- (٤٠) نفس المصدر، ص: ح، ط، ي
- (٤١) فواد افرام البستاني: سليمان البستاني في "الروائع" الجزء (٤٧) المطبعة الكاثوليكية، الطبعة الأولى سنة ١٩٥٥ م، ص: ب
- (٤٢) فواد افرام البستاني: سليمان البستاني في "الروائع" الجزء (٤٤) المطبعة الكاثوليكية، الطبعة الأولى سنة ١٩٥٥ م، ص: ي، يا
- (٤٣) اعلام النثر والشعر في العصر العربي الحديث، محمد يوسف كوكن، المطبعة دار حافظة لطباعة والنشر، ميلابورن، مدراس، ج: ١، ص: ١١١
- (٤٤) حنا الفاخوري: تاريخ الأدب العربي، المطبعة البولوية، لبنان، ص: ١٠٩١ - ١٠٩٢

- (٤٥) [١] دراسات في الأدب العربي، تأليف انعام الجندی، المطبعة دار الانكاس، بيروت لبنان سنة ١٩٦٧م، ص: ١٩٣-١٩٤،
- [٢] حنا الفاخوري: تاريخ الأدب العربي، المطبعة البولوية، لبنان، ص: ١٠٨٨
- (٤٦) فواد افرام البستاني: سليمان البستاني في "الروائع" الجزء (٤٦) المطبعة الكاثوليكية، الطبعة الأولى سنة ١٩٢٠م، ص: و
- (٤٧) [١] المصدر المذكور، ص: ١٠٨٨، ١٠٨٩
- [٢] ادباء العرب، المصدر المذكور، ص: ٤٥٤
- [٣] فواد أفرام البستاني: في "الروائع" الجزء (٤٦)، المصدر المذكور، ص: و
- (٤٨) [١] (٤٨) الأعلام، لخير الدين الزركلي، مطبعة دار العلم للملايين، ج: ٣، ص: ١٢٤
- [٢] أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث، مطبعة دار المكشوف ودار الثقافة، الطبعة السادسة، بيروت لبنان، ج: ٣، ص: ٤٥٥
- [٣] فواد افرام البستاني: سليمان البستاني في "الروائع" الجزء (٤٦) المطبعة الأولى، سنة ١٩٥٥م، ص: ا، ب، و
- [٤] معجم المؤلفين، لعمر رضا كحاله، مطبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ج: ١، ص: ٧٨٧
- [٥] الآداب العربية في الربع الأول من القرن العشرين، للأب لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية للأباء اليسوعيين، ١٩٢٤م، ج: ٣، ص: ١١٧
- [٦] حنا الفاخوري: تاريخ الأدب العربي، المطبعة البولوية لبنان، ص: ١٠٨٩
- (٤٩) أدباء العرب في الأندلس في عصر الانبعاث، لبطرس البستاني، الطبعة السادسة ١٩٦٨
- المطبعة دار المكشوف ودار الثقافة الطبعة السادسة سنة ١٩٦٨م، بيروت ولبنان، ج: ٣، ص: ٤٥٩

- (٥٠) [١] أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث، لبطرس البستاني، المطبعة دارالمكشوف ودارالثقافة، الطبعة السادسة بيروت لبنان ١٩١٨م، ج:٣، ص:٤٥١
- [٢] فواد افرام البستاني: سليمان البستاني في "الروائع" الجزء (٤٤) المطبعة الكاثوليكية، بيروت، المطبعة الأولى، سنة ١٩٥٣م، ص: يب
- (٥١) [١] القصة في الأدب العربي الحديث، الدكتور محمديوسف نجم، المطبعة دارالثقافة، الطبعة الثانية سنة ١٩٦٦م، ص:٧٨-٧٩
- [٢] معجم المؤلفين، لعمر رضا كحاله، مطبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٣م، ج:١ ص:٧٦٢
- [٣] الأداب العربية في الربع الأول من القرن العشرين، للاب لويس شيخو اليسوعي، مطبعة الآباء اليسوعيين بيروت، سنة ١٩٢٦م، ص:٢٤
- (٥٢) [١] الأعلام، لخير الدين الزركللي، دارالعلم للدلايين، ج:٨، ص:١١
- [٢] معجم المؤلفين، لعمر رضا كحاله، مطبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٣م، ج:٤، ص:١٥
- [٣] معجم المطبوعات العربية والمعرية، ليوسف البان سركيس مطبعة، مكتبة الثقافة والدينية، ص:٥٦١
- (٥٣) [١] معجم المؤلفين، لعمر رضا كحاله، مطبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٣م، ج:٣، ص:٩٤٣
- [٢] أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث، لبطرس البستاني، مطبعة دارالمكشوف ودارالثقافة، ج:٣، ص:٤٤١
- [٣] القاموس الإسلامي لأحمد عطية الله، مطبعة مكتبة النهضة المصرية، سنة ١٩٦٣م، ج:١، ص:٣١٣

[٤] معجم المطبوعات العربية والمعربة ، ليوسف اليان سر كيس ، مطبعة مكتبة الثقافة

والدينية، ص: ٥٦١

[٥] الأعلام ، لخير الدين الزركلى ، دارالعلم للملايين، ج: ٧، ص: ٣٣٦

(٥٤) [١] الأعلام ، لخير الدين الزركلى ، دارالعلم للملايين، ج: ٢، ص: ٥٩

[٢] معجم المؤلفين، لعمر رضا كحاله، مطبعة مؤسسة الرسالة ، الطبعة الاولى سنة

١٩٩٣ م، ج: ١، ص: ٤٣١

(٥٥) المهراتة ، ترجمها رومش دط، عربها وديع البستاني ، نشرها جمعية متخرجى الجامعة

الأميركية فى بيروت من قصة المعرب ، ص: ١-٣، ٥-٧

(٥٦) [١] نبذة تاريخية عن نجد، (للامير ضارى بن فهد الرشيد ، منشورات داراليمامة ،

الرياض، ص: ٢١

[٢] الأعلام ، لخير الدين الزركلى ، مطبعة دارالعلم للملايين ، ج: ٨، ص: ١١٣

[٣] معجم المؤلفين، لعمر رضا كحاله، مؤسسة الرشيد، الطبعة الأولى سنة ١٤١٤ هـ.

١٩٩٣ م، ج: ٤، ص: ٧٢

(٥٧) نبذة تاريخية عن نجد، للامير ضارى بن فهد الرشيد، المطبعة منشورات داراليمامة:

الرياض، ص: ٢١-٢٢

(٥٨) [١] (نبذة تاريخية عن نجد، للامير ضارى بن فهد الرشيد، المطبعة منشورات

داراليمامة ، الرياض، ص: ٢١-٢٢-٢٣

[٢] الأعلام ، لخير الدين الزركلى ، مطبعة دارالعلم للملايين ، ص: ١١٣

[٣] معجم المؤلفين، لعمر رضا كحاله، مطبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى سنة

١٤١٤ هـ-١٩٩٣ م، ج: ٤، ص: ٧٢

(٥٩) [١] نبذة تاريخية عن نجد: الأمير ضارى بن فهد الرشيد، المطبعة منشورات داراليمامة

- للبحث والترجمة والشعر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص: ٢٥، ٢٤
- [٢] أدب المرأة العربية القصة العربية المعاصر تطور الترجمة، لأنور الجندى، مطبعة الرسالة، ص: ١١
- [٣] الأعلام لخير الدين الزركلى، مطبعة دارالعلم للملأين، ج: ٨، ص: ١١٣
- [٤] معجم المؤلفين، لعمر رضا كحاله، المطبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى سنة ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م - ج: ٤، ص: ٧٢
- [٥] معجم المطبوعات العربية والمعركة، ليوسف اليان سرليس، مكتبة الثقافة الدينية، ص: ٥٦١
- [٦] المهراتة: ترجمها رومش دط، وعربها وديع البستاني، نشرها جمعية المتخرجى الجامعة الاميركية فى بيروت، ص: ٢، ٣ من ديباجة المعرب
- (٦٠) [١] نبذة تاريخية عن نجد، للامير ضارى بن فهد الرشيد، المطبعة منشورات داراليمامة الرياض، ص: ١٨
- [٢] أدب المرأة العربية القصة العربية المعاصر تطور الترجمة، لأنور الجندى، مطبعة الرسالة، ص: ١١
- [٣] الأعلام لخير الدين الزركلى، مطبعة دارالعلم للملأين، ج: ٨، ص: ١١٣
- [٤] معجم المؤلفين، لعمر رضا كحاله، المطبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى سنة ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م - ج: ٤، ص: ٧٢
- [٥] معجم المطبوعات العربية والمعركة، ليوسف اليان سرليس، مكتبة الثقافة الدينية، ص: ٥٦١
- [٦] المهراتة: ترجمها رومش دط، وعربها وديع البستاني، نشرها جمعية المتخرجى الجامعة الاميركية فى بيروت، ص: ٧، من ديباجة المعرب، و، ز، ح
- (٦١) نبذة تاريخية عن نجد، للامير ضارى بن فهد الرشيد، المطبعة منشورات داراليمامة الرياض، ص: ٢٥، ٢٤
- (٦٢) معجم المؤلفين، تاليف عمر رضا كحاله، مطبعة مؤسسة الرسالة، ج: ٢، ص: ٧١٦
- (٦٣) [١] معجم المطبوعات العربية والمعركة، ليوسف إيان سر كيس، مطبعة مكتبة الثقافة الدينية، ص: ٥٦٢

[٢] الآداب العربية فى الربع الاول من القرن العشرين، للاب لويس شيخو اليسوعى ،

المطبعة للآباء اليسوعيين سنة ١٩٢٦م، ص: ١٦٨

[٣] الموسوعة العربية الميسرة، لمحمد شفيق غربال، مطبعة دارالشغب وموسسة

فرانكلين، سنة ١٩٦٥م، ص: ٣٧١

[٤] معجم المؤلفين، لعمر رضا كحاله، مطبعة مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى سنة

١٩٩٣م، ج: ٤، ص: ١٤٩

(٦٤) [١] الأعلام ، لخير الدين الزركلى، دارالعلم للملايين، ج: ٥، ص: ٢٢٢

[٢] معجم المؤلفين، لعمر رضا كحاله، مطبعة مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى سنة

١٩٩٣م، ج: ٢، ص: ٦٦٨

(٦٥) [١] الأعلام ، لخير الدين الزركلى، دارالعلم للملايين، ج: ٢، ص: ٥٩

[٢] معجم المؤلفين، لعمر رضا كحاله، مطبعة مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى سنة

١٩٩٣م، ج: ١، ص: ٤٣٠

(٦٦) تنمة الأعلام للزركلى، تأليف محمد خير رمضان يوسف ، المطبعة دارإبن حزم بيروت،

الطبعة الأولى سنة ١٩٩٨م، ص: ١٥١٤

(٦٧) معجم المؤلفين ، تاليف عمر رضا كحاله ، مطبعة مؤسسة الرسالة ، ج: ٤، ص: ١٥٠

(٦٨) (موسوعة أعلام القرن الرابع عشر والخامس عشر الهجرى، لإبراهيم بن عبد الله الحازمى،

مطبعة دارالشرىف الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ، ج: ٣، ص: ٩٢٧

(٦٩) معجم المطبوعات العربية والمعرية، ليوسف اليان سركيس ، مطبعة مكتبة الثقافة الدينية، ص: ٥٦٢

(٧٠) القصة فى الأدب العربى الحديث ، للدكتور محمد يوسف نجم، المطبعة دارالثقافة سنة

١٩٦٦، ص: ٨٤

الباب الثانى

مساهمة البستانيين فى الأدب العربى

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الاول

خدمات البستانيين تجاه اللغة والفنون الأدبية

ويتضح مما سبق ذكره من أعمال البستانيين أنهم قاموا بدور لا يمكنه التغاضي عنه، في سبيل إحياء الآداب العربية وكافة أجناسها ورفعوا قدرها في زمن أصح معروفًا بالإنخراط والجمود. ونلقى في هذا الباب الضوء على جوانب مختلفة من مساهماتهم في مجالات مختلفة واختصاصات متنوعة من أنواع الأدب ونصنفها فصلا فصلا.

(١) إعداد المعاجم:

إن البستانيين قد قدموا إلى اللغة خدمات موفورة جبارة كما كان لهم فضل سبق على أهل زمانهم في مجال إعداد المعاجم ودوائر المعارف وإخراج كتب منهجية مدرسية في الموضوعات الأدبية. أما بالنسبة للمعاجم ودوائر المعارف فالمعلم بطرس البستاني أول من ألف قاموسا حديثا باسم محيط المحيط وبحث فيما يلي عن محيط المحيط وأهميته في العصر الحديث.

(١) محيط المحيط:

لقد تعددت المعاجم العربية في العصر الحديث وتنوعت ولكن محيط المحيط لم يزل حتى الآن حجة لطلاب اللغة العربية ومرجعهم الأمثل. لقد جمع محيط المحيط بين عبقريتين الفريديتين في تاريخ المعاجم العربية. (١) عبقرية الشيخ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي صاحب القاموس المحيط. (٢) وعبقرية صاحبنا بطرس البستاني رائد التأليف المعجمي في العصر الحديث.

اعتمد المعلم بطرس على قاموس الفيروز آبادي مضيفا إليه ثروة من المفردات والتعابير المعاصرة والمولدة التي أهملها جامعوا المعاجم العربية فأخرجه بمنهجية علمية

حديثه و بتبويب سليم يتلاءم مع طبيعة اللغة العربية واشتقاقاتها الواسعة . أول طبعة للمحيط سنته غير معروفة عندنا، أما طبعته الجديدة فظهرت في سنة ١٩٨٣م وطبع هذا المعجم بمكتبة لبنان بيروت . وصفحاته ٢٤٥٢ ورأينا نسخة منه في مكتبة الجامعة المليية الإسلامية بدلهى الجديدة.

وقد حظى محيط المحيط منذ ظهوره باهتمام اللغويين والدارسين والكتاب والطلبة والمثقفين عامة فأقبلوا على اقتنائه بالإضافة إلى أن بعض كليات آداب اللغة العربية كانت ومازالت تعتبر محيط المحيط جزءا من المقررات الدراسية .

وحينما أخذت مكتبة لبنان على عاتقها الاهتمام بنشر كتب التراث . اتجهت انظار أولى الأمر فيها أول ما اتجهت إلى معجم محيط المحيط الذى نفذ من الأسواق منذ مدة طويلة فأعادت طبع كمية محدودة منه . لكن حاجة السوق كانت أكثر مما يتوقع . إذ ما لبثت نسخ الطبعة المعادة أن نفذت أيضا .

ولما عهد إلى دائرة المعاجم فى مكتبة لبنان بالإشراف على إعداد طبعة جديدة من محيط المحيط ، ارتأى الناشرون أن تكون نسخ الطبعة العتيدة أفضل من سابقتها وأقل كلفة فى الوقت نفسه ليتسنى اقتناء هذا التراث لكل مثقف عربى تلميذا وأستاذا مؤلفا وباحثا وقرراى على أن يصدر المعجم أولا فى حجم أكبر . ليتيسر استغراق جزأيه فى مجلد واحد، وثانيا بلونين كى يسهل على الباحث الوصول إلى مطلبه بسرعة ويسر.

وقد قام الفنيون بدائرة المعاجم وخبرائها بتدوير مادة المعجم وجندرة "رؤشة" أصوله وتصحيح أخطائه المطبعية ثم اختاروا المداخل الجذرية والرئيسية فجرى يبرازها بلون مغاير. (١)

قد يحتوى محيط المحيط على ما فى محيط الفيروز آبادى الذى وهو أشهر فاموس للعربية من مفردات اللغة وعلى زيادات كثيرة، فقد أضاف المؤلف إلى أصول الأركان فيه

فروعاً كثيرة وتفاصيل شتى وألحق بذلك اصطلاحات العلوم والفنون وكثيراً من المسائل والقواعد والشوارد وغير ذلك مما لا يتعلق بمتن القاموس ، وذكر كثيراً من كلام المؤلفين وألفاظ العامة منبهاً في أماكنها على أنها خارجة عن أصل اللغة وذلك لكي يكون هذا الكتاب كاملاً شاملاً يجديه كل طالب مطلوبه من هذا القبيل .

والحق أن قول المؤلف أنه قد اعتمد في تأليف محيط المحيط على القاموس المحيط للفيروز آبادي مضيفاً إليه ثروة من المفردات والتعابير المعاصرة لايهدينا إلى الصورة الواقعية . فإن نسبة قاموس المحيط للفيروز آبادي إلى كتاب المعلم بطرس البستاني المطول المسمى بمحيط المحيط توشك أن تكون كنسبة قطر دائرة إلى البحر المحيط . وهذا الكتاب قيد الأوابد، ومحطّ الشوارد، فاستحق أن يسمى محيط المحيط لأنه قد جمع ماذهب في كتب اللغة شماطيط .

وإنه لم يضاف إلى متن القاموس فروعاً كثيرة فحسب بل ألحق فيه مواداً كثيرة وتفاصيل شتى من اصطلاحات العلوم والفنون وكثيراً من المسائل والقواعد والشوارد وغير ذلك وحاول أن يحوى فيه المصطلحات المسيحية خاصة ففي باب الهمزة مثلاً يذكر المؤلف مواداً عديدة وبعضها عجيبة، غريبة مما يتعلق بالمجتمع المسيحي فيقول مثلاً: "الأب" الذي يتولد منه شخص آخر من نوعه ومن كان سبباً لإيجاد شيء أو إصلاحه أو طهوره والموتى والوصى والعم وذلك مع القرينة ولقب اعتبار من حيث السن أو المنزلة والأب الأول وإذا مددت الألف اتباعاً للغة السريانية كان علماً على الأقباط الأول عند النصارى . وأبو المرأة زوجها..... وأبا، يابو، أبوا، وأبوة، وبأوة (واوى) صار أباً..... وتآباد اتخذها أباً. (٢)

قال "المعلم" بطرس البستاني في كيفية الاستفادة من محيط المحيط: "إذا شئت كشف لفظة فإذا كانت مجردة فاطلبها في باب أول حرفٍ منها . وإذا كانت مزيدة فجردها

أولاً من الزوائد ثم أطلبها في باب الحرف الأول مما بقى . وإذا كان في الكلمة حرف مقلوب عن آخر فاطلب تلك الكلمة في مكان الحرف الأصلي المقلوب عنه . وكل ذلك يسهله الاستعمال والممارسة . وأعلم أن "ج" مقطوعة من جمع " (٣)

وقد اختار المؤلف في ترتيبه اعتبار أول حرف من الكلمة دون الأخير منها بخلاف اصطلاح الجمهور، لأن ذلك أيسر في التفتيش عليها . ولأجل التسهيل على الطالب ميز "المعلم" بين الأفعال والأسماء وبين المجرد والمزيد من الفريقين ، كل نوع على حدته مندرجا مع نظيره من الأبنية فامل المؤلف أن مشروعه هذا سيحوز القبول لدى أبناء الوطن العربى وغيره من مطالعى اللغة العربية ودارسيها، وأجل مقاصد المؤلف أن يرى أبناء وطنه يتقدمون فى الآداب والمعارف والتمدن تحت لغتهم الشريفة وأن تكون وسائط ذلك ميسورة لخاصتهم وعامتهم على أتم مايرام . (٤)

(٢) قطر المحيط :

هذا هو القاموس الآخر للمعلم بطرس البستاني ويشتمل على جزئين ومطبوعة الجزئين برخصة مجلس معارف ولاية بيروت الخلطة . وطبع الجزء الأول فى بيروت سنة ١٨٦٩م وصفحته ٢٤٥٢ . كذلك الجزء الثانى طبع فى بيروت سنة ١٨٧٠م وصفحته ٢٤٥٢ ووجدناه فى المكتبة القومية بكلكتة .

ألف المعلم بطرس البستاني قطر المحيط حينما كان إحياء اللغة العربية التى هُشمتها أيادى الزمان وحالت دون نور محياها الساطع ودون أهلها براقع الحجر والجهل والنسيان فرضا على كل من نطق بالضاد . وكان أمر تحصيلها وتسهيل أسبابه من مرغوبات من اتصف بالحماسة الوطنية والحمية العربية . فرأى المؤلف أن يضع فيها هذا المؤلف عني وجه هين المراس سهل المأخذ ليكون للطلبة مصباحا يكشف لهم عما أشكل عليهم من مفردات اللغة التى معرفتها عند المحققين هى نصف العلم لأن إفادة العلم واستفادته

تتوقفان عليها. وقد سماه بقطر المحيط (لأن نسبته إلى كتابه المطول في هذه الصناعة المسمى) بمحيط المحيط توشك أن تكون كنسبة قطر دائرة إلى محيطها. (٥)

وقال فواد أفرام البستاني في روائعه "المعلم بطرس البستاني" هذا مختصر المحيط المحيط. طبع في بيروت في مجلدين أيضا بقطع وسط سنة ١٨٧٠ م. (٦)

فأمل المؤلف أن مشروعه هذا سيحوز القبول عند أبناء الوطن ويكون نافعا لخاصتهم وعامتهم. هذا وقد جعله هدية وتحفة لسدة صاحب أبهة والعظمة والجلال الذي شاع ذكره في الأقطار وامتته الأنام من شاسع الأمصار الخديوي الأعظم سعيد باشا هدية تذكّر على الدوام أبناء الوطن فضل دولته وفضل تلك السلالة المامونية الشريفة على العصاة العربية بإحياء الآداب والمعارف وإنتشار وسائل التمدن والتقدم من القديمة والحديثة بين خاصتهم وعامتهم.

وطريقة التناول في قطر المحيط هو أننا إذا شئنا كشف كلمة فإن كانت مجردة فنطلبها في باب أول حرف منها. وإن كانت مزيدة فنجردها أولا من الزوائد ثم نطلبها في باب الحرف الأول مما بقى وإن كان في الكلمة حرف مقلوب عن آخر فنطلب تلك الكلمة في مكان الحرف الأصلي المقلوب عنه وعلى ذلك نطلب أبد في ابد من باب الهمزة ونستخرج في خرج من باب الخاء. وقاتل في قتل من باب القاف وسكران في سكر من باب السين وقام في قوم وباع في بيع. وغزا في عزو. ورمى في رى. ونقيس عليهن وكل ذلك يسهل الاستعمال والممارسة. (٧)

(٣) البستان:

هذا الكتاب عبارة من معجم لغوى للشيخ عبدالله بن ميخائيل البستاني ويشتمل على جزئين. طبع الجزء الأول من المطبعة الأميركانية، بيروت سنة ١٩٢٧ م وصفحته ١٣٨٣. والجزء الثاني من المطبعة الأميركانية بيروت سنة ١٩٣٠ م وصفحته ٢٧٨٤.

ورأيناه في مكتبة شبلى نعمانى العامة لدارالعلوم الإسلامية ندوة العلماء بلكهنو .

ألفه الشيخ عبدالله البستاني خلال عشرة أعوام . وهو يشبه فى طريقته وحجمه محيط المحيط لبطرس البستاني مع إضافة زيادات على بعض مواده وتحسين ترتيبه وتنسيق الفاظه . وهو مرتب أيضا على حسب أوائل الكلمات . يقع هذا المعجم فى مجلدين كبيرين صدر عام ١٩٣٠م . (٨)

هذا قول الدكتور عمر الدقاق . ويقول الناشر لمعجم البستاني فى ترجمة المؤلف "عكف المؤلف البستاني على عمله منذ ذلك الحين حتى فرغ منه سنة ١٩٣٠م وهى السنة التى قضى فيها نحبه . ومما يجدر بالذكر أن المولى امدّ فى حياته حتى راجع آخر مسودة من مسودات معجمه البستان ولم يسمح له بأن يراه مجلداً حتى يقر عينه بمنظر الجنان" . (٩)

وقال حكاية عن إعداد معجم البستان : "لما رأت المطبعة الأميركانية الحاجة القصوى إلى معجم عربى يضم بين دفتيه ما أحرزته أسفار القوم . وكانت المعاجم العربية نادرة الوجود أو صعبة المنال غالية الثمن لا يتسنى مشتراها للجميع أولا تفى بالمقصد . قلبت وجوه آرائها فى اهداء بناء العرب سفرا لغويا فخما يسد هذه الثلمة نذكارا لخدمتها اللغة العربية مئة سنة كما وضعت قبله "المعجم العصرى فى اللسانين الإنكليزى والعربى" وطلبت من الشيخ عبدالله البستاني أن يعد هذا المعجم مستمداً من محيط المحيط بعد حذف وتنسيق تسهيلا للوصول إلى المرام من أقرب طريق

"ولما كان الشيخ عبدالله البستاني منقطعاً عن التدريس فى آبان الحرب الكبرى انتدبته إلى هذا العمل الخطير . فصادف ذلك ما كان عاقدا عليه عزمه ولم يكن فى طاقته البذل عليه . فعدلت عن فكرتها الأولى وعقدت بينها وبينه عهداً أن يضع لها معجماً عربياً مطولاً خالياً من الألفاظ البذيئة والكلام الحوشى المهجور . فشرع حالاً مواصلاً العمل فيه

صباحا مساء غير لا وعلى شئ من غيره . راجيا أن يبدو لأهل الأدب متصوِّنا عن النقائص غير مغموز عليه وسمّاه ”البستان“ . (١٠)

(٤) الوافى .

هذا الكتاب معجم وسيط للغة العربية ألفه الشيخ عبدالله بن ميخائيل البستاني مختصرا من معجمه البستان وطبع فى مكتبة لبنان فى بيروت سنة ١٩٨٠م وصفحاته ٧٢٨ وقد قامت المطبعة الأمركانية بنشر الطبعة الأولى منه فى سنة ١٩٣٠م بعنوان فاكهة البستان وكان عدد صفحاته فى الطبعة الاولى ١٦٨٤ . ورأيناه فى مكتبة الجامعة المليية الإسلامية بدلهى الجديد .

وقد ارتأت ”مكتبة لبنان“ تسمية هذا المعجم بالوافى لأنه يفى بحاجة الطالب والمثقف وكان اختصره مؤلفه الشيخ عبدالله البستاني من معجمه ”البستان“ ليجعل منه معجما عمليا يجد فيه الطالب ما يحتاج إليه فى دراسته ويجد فيه المثقف ما يحتاج إليه فى شئون حياته . (١١)

ويمتاز هذا المعجم بسهولة الرجوع إليه . ووضوح معانيه ودقة شروحاته . كما يمتاز بالانتظام والاختصار والضبط التام ، وبالمصطلحات الحضارية الحديثة التى أضافها المؤلف وبالألفاظ المولدة التى أثبتتها . وقد ميزت الكلمة الأولى من المادة بنجمة وأنبعت الكلمة بمشتقاتها اللفظية حسب الترتيب الصرفى . وأفرد لكل مشتق مدخل مستقل كما استعملت القاطعة (—) عوضا عن تكرار الكلمة وطلبا للاختصار .

والطبعة من المعجم التى قدمتها مكتبة لبنان تمتاز مما يأتى .

أولا: إنها طبعة بلونين . فقد ميزت المداخل باللون الأحمر ، تسهيلا للرجوع إلى المعجم وسرعة النظر فيه .

ثانيا: إنها طبعة اختصرت عدد الصفحات من ١٦٨٤ إلى ٧٢٨ بتوزيع المادة فى

ثلاثة أعمدة فى الصفحة الواحدة بدل عمودين . كما أنها اختصرت من قياس الكتاب ليأتى سهل التناول والحمل .

ثالثاً: إنها طبعة مراجعة مضبوطة مصححة مدققة.

إن هذه الخصائص مجتمعة فى ”الوافى“ بالإضافة إلى غزارة مادته وموثوقيته . نجعل منه معجماً يما شئ تطور اللغة ويخدم أغراض الطلاب والدارسين . (١٢)
إن ترتيب مواد المعجم ”الوافى“ يقوم على الترتيب الألفبائى للكلمة المجردة من الزوائد . لذا يراعى فى كشف الألفاظ ما يأتى .

(الف): الكلمة المجردة تطلب فى باب الحرف الأول منها . مثال ذلك :

رشف : تطلب فى باب الرائ
غرف : تطلب فى باب الغين
فلج : تطلب فى باب الفاء وغير ذلك

(ب): الكلمة المزيدة تجرد أولاً من الزوائد . ثم تطلب بعد ذلك فى باب الحرف

الأول من اللفظة المجردة . مثال ذلك :

الجالية : تطلب فى جلى
الجبال : تطلب فى جبل
المحلجة : تطلب فى حلج
الإضبارة : تطلب فى ضبر
اليافوخ : تطلب فى يفخ

وتساعد الممارسة على سرعة الوصول إلى الهدف ، وبخاصة فى الكلمات التى

يتطلب ردها إلى لفظها المجرد مراراً ودربة . مثال ذلك :

برية : تطلب فى برر

مسافة : تطلب فى سوف

ماء : تطلب فى موه

عظة : تطلب فى وعظ

ميناء : تطلب فى ونى . هكذا تقاس عليه الكلمات الأخرى

ويقول المؤلف "إن لنا الثقة التامة فى أن هذا المعجم الجديد سيأخذ مكانه المميز فى المكتبة العربية إلى جانب عشرات المعاجم الأخرى المميزة التى تفخر "مكتبة لبنان" بأنها أصدرتها". (١٣)

(٥) دائرة المعارف - للمعلم بطرس البستاني:

إن هذا الكتاب أول موسوعة باللغة العربية للمعلم بطرس بن بولس البستاني ويشتمل على أحد عشر جزءاً. قام بطرس بن بولس بتأليف هذه الموسوعة إلى جزئها السادس. فأصدر ابنه سليم بعده الجزئين السابع والثامن. وأصدر أبنائوه الباقون مع نسيبه سليمان بن خطار البستاني الجزء التاسع والعاشر والحادى عشر. ويشتمل كل مجلد على ٨٠٠ صفحة تقريباً. ومطبوعة كل مجلد دار المعرفة بيروت فى لبنان وطبع الجزء الاول سنة ١٨٧٦م، والجزء الثانى سنة ١٨٧٧م، والجزء الثالث سنة ١٨٧٨م، والجزء الرابع سنة ١٨٨٠م، والجزء الخامس سنة ١٨٨١م، والجزء السادس سنة ١٨٨٢م، والجزء السابع سنة ١٨٨٣م، والجزء الثامن سنة ١٨٨٤م، والجزء التاسع سنة ١٨٨٧م، والجزء العاشر سنة ١٨٩٨م، والجزء الحادى عشر سنة ١٩٠٠م. وقد وجدنا جميع أجزائه فى مكتبة شبلى النعمانى العامة لدار العلوم ندوة العلماء بلكهنو.

إن دائرة المعارف لتضمن بالإجمال أولاً العلوم الأهلية والفلسفية كعلم الكلام والفلسفة وفروعها. ثانياً العلوم المدنية والسياسية كالفقه والنظامات المدينة والحقوق الطبيعية والقانونية والعمومية والتجارية والجنائية. والتوفيرات السياسية والتربية. ثالثاً العلوم

التاريخية كالجغرافية بفروعها وعلم التاريخ القديم والكنائسى والحديث وعلم الآثار
والميتولوجيا اليونانية وغيرها من الخرافات القديمة . رابعا العلوم التعليمية كالحساب والجبر
والهندسة وفروعها . خامسا العلوم الآليه والكيمياء كالفلسفة الطبيعية وعلم الهيئة أو الفلك
والكيمياء وفروع ذلك . سادسا العلوم الطبيعية . كعلم طبقات الأرض والمعادن والنبات
والإنسان والحيوان والطب وفروعها . سابعا علم الأدب كعلم اللغة والفصاحة والبيان والشعر
والإنشاء والتاريخ الأدبي ومايتعلق بذلك . ثامنا الصنائع والفنون كالاكتشافات وفن البناء
والتصوير والموسيقى والحراثة والزراعة والصيد واستخراج المعادن والمطابع واصطناع
الآلات والتجارة والأوزان والقياسات والمسكوكات وهلم جرا .

وقد رتب بطرس بن بولس البستاني دائرة المعارف ترتيبا قاموسيا سهلا يمكن كل
من يعرف القراءة أن يستعمله وإن لم يكن عالما بالصرف والنحو فيكفيه أن يعرف تهجئة
الكلمة التي يطلب التفتيش عليها فيطلبها في الحرف الأول منها سواء كان من أصول
الكلمة أو مزيذا فيها، فمن أراد مثلاً أن يفتش على إفريقية فيطلبها في باب الألف أو على
التجارة ففي باب التاء أو على مصطفى ففي باب الميم مع ملاحظة مايتبع تلك الأحرف من
سائر أحرف الكلمة بحسب وضعها في حروف الهجاء . (١٤)

وقد أخذ المعلم بطرس يهتم بتبويبها سنة ١٨٧٥م فأنتم هيكلها الأبجدي . ثم أقبل
على إنشاء موادها مع ابنه سليم ونسييه سليمان وبعض الكتاب . فأصدر أول جزء منها سنة
١٨٧٦م ومازال يتابع إصدارها كل سنة جزءا كبيرا . يبلغ نحو ٨٠٠ صفحة حتى أصدر منها
سنة أجزاء ففاجاه الموت . وقد أعد ثلثي السابع فشاء القدر أن يوقف دائرته عند كلمة دائرة .
ثم قام ابنه سليم بالمشروع من بعده فأصدر الجزء السابع منه سنة ١٨٨٣م والثامن سنة
١٨٨٤م ثم توفي شبابه فتابع العمل أبناؤه الباقون مع نسييهم سليمان فأصدر التاسع سنة
١٨٨٧م والعاشر سنة ١٨٩٨م والحادي عشر سنة ١٩٠٠م وهي ينتهي بكلمة عثمانية ثم

توقف العمل .

ونعرض فيما يلي بعض المواد من دائرة المعارف ففى مادة "أحمد" يقول المؤلف:
 "قال أبوالبقاء "أحمد أفعل مبالغة فى صفة الحمد" وهو اسم إسلامى لم يستعمل فى
 الجاهلية حتى ولا فى زمن النبى ﷺ والصحابة احتراماً له وإن النبى ﷺ أول من سُمى به ثم
 أول من سُمى به بعده أحمد بن عمرو بن تميم والد الخليل بن أحمد المشهور ثم أطلق هذا
 الاسم حتى كثر جداً". (١٥)

ويقول المؤلف فى مادة الاسلام: "الإسلام لغة مطلق الامتثال والانقياد وشرعا
 الامتثال والانقياد لما جاء به النبى ﷺ مما علم من الدين بالضرورة وقيل هو الإذعان الباطنى
 والتلفظ بالشهادتين دليل عليه وعلى الأول يفسر بالأعمال الظاهرة من التلفظ بكلمتى
 الشهادة وهما أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله والإتيان بالواجبات وهى إقامة
 الصلوة وإيتاء الزكوة وصوم رمضان وحج البيت والانتهاى عن المنهيات وقد يطلق على
 الأعمال المشروعة ومنه إن الدين عند الله الإسلام واستعمل الإسلام بمعنى المسلمين غير
 سديد وفتح همزته عند إطلاقه على المسلمين من ألحان العامة . (١٦)

ويقول المؤلف فى مادة الدين: "الدين عند العلماء وضع إلهى سائق لدوى العقول
 باختيارهم إياه إلى الصلاح فى الحال والفلاح فى المآل وهذا يشتمل العقائد والأعمال
 ويطلق على كل ملة . وعند الأئمة قد يختص بالإسلام كما ورد فى القرآن الكريم الشريف
 "إن الدين عند الله الإسلام . وتنقسم الأديان إلى أربعة أقسام كبرى وهى الدين الإسرائيلى
 وأصحابه متفرقون فى سائر أقطار الدنيا، والمسيحى وأكثر اهتداه فى أوروبا والإسلامى وأربابه
 فى الممالك المحروسة وإيران والهند وبلاد العرب والترك وشمال إفريقيا وغيرها والثنى
 مع الأديان الفلسفية فى الهند والصين واليابان وعينيا ومونوموتابا، وبلاد الكفرة فى إفريقيا
 وبعض كندا وبعض البرازيل وبارغواى وغيرها . (١٧)

نقول فيه عرف المؤلف الإسلام بأنه الانقياد لغة، الانقياد لما جاء به النبي ﷺ شرعا وهذا لا يصح عندنا فإن معنى الإسلام فى مصطلح الشرعى هو الاستسلام لله كما قال الشيخ مصطفى عبدالرزاق فى مادة الإسلام من دائرة المعارف الإسلامية وكما قال الأستاذ Jomier. فى مادة الإسلام فى The Encyclopaedia of Islam إنه معناه
(Islam' Submission total Surrender (to God) (١٨)

وتعريف البستاني للإسلام بمعنى الانقياد لما جاء به النبي ﷺ وإن صح فإنه قاصر الدين الإسلامى على المسيحية وهكذا كان دأب المستشرقين مؤخرا فيسمون الديانة، الإسلامية بالمحمدية (Mohammadansim) لا الإسلام على أنها ليست كالديانات اليهودية والمسيحية المنسوبة إلى نبي من الأنبياء وإن الانقياد فيها لله تعالى كما ورد فى القرآن: إذ قال ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين . (١٩) وأيضا قوله تعالى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين . (٢٠)

والى هنا اشارت Encyclopaedia of Britannica حينما قالت The word islam is used repeatedly in the Qur-an, the Islamic scripture, in the sense of "Surrender to the will of Allah (God)" (٢١)

ونحن المسلمون نعتقد أن دين الأنبياء والمرسلين كلهم دين واحد وهو الإسلام كما قال الله تعالى: هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا . (٢٢) ونشير الآن إلى مزيد من الأخطاء فى تعريفه لكلمة الدين وكلمة الإسلام فيقول مثلاً فى كلمة الدين: "وعند الأئمة قد يختص بالإسلام كما ورد فى القرآن الكريم إن الدين عند الله الإسلام" (٢٣)

ويقول فى تعريف الإسلام: "وقد يطلق على الأعمال المشروعة ومنه إن الدين عند الله الإسلام" (٢٤)

ومعنى قوله فى الدين إن الأئمة هم الذين قد اختصوا الدين بالإسلام وأن الله لم يختصه ومعنى قوله فى الإسلام إن الصلوة والزكاة والحج إلى آخره من الأعمال المشروعة هى المراد فى قوله تعالى إن الدين عند الله الإسلام . والقولان لا يصحان فى تفسير ابن كثير وقوله تعالى (إن الدين عند الله الإسلام) إخبار منه تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوا الإسلام وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به فى كل حين حتى ختموا بمحمد ﷺ فمن قى الله تعالى بعد بعثة محمد ﷺ بدين على غير شريعته فليس بمتقبل كما قال الله تعالى . (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً . فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين .) (٢٥)

كتب المعلم بطرس البستاني كلمة التوحيد فى مادة "الله" صحيحاً حيث كتب لا إله إلا الله ولكن أخطأ فى مادة "الإسلام" فكتب فيها أشهد أن لا إله إلا الله . نقول فيه يمكن لعله خطأ مطبعى .

(٦) دائرة المعارف - لفواد أفرام البستاني:

وجدد لها ولخصها فواد أفرام البستاني رئيس الجامعة اللبنانية، من أساتذة الأدب العربى والحضارة الإسلامية والتاريخ الشرقى فى الجامعة المذكورة، وفى جامعة القديس يوسف بيروت فى أربعة أجزاء وعاونوه فى هذا العمل جلة العلماء المتخصصين وعددهم ثمانية وخمسون ومنهم: آصاف (الخورى بطرس) كان دكتوراً فى القانون الكنسى بيروت . والبستاني (الفريد) كان عضواً من معهد فرنكو للتحريات العلمية تطوان (المغرب) . والبستاني (المعلم بطرس) وآتش أحمد من أساتذة معهد الآداب الشرقية فى جامعة استانبول (تركية) (٢٦)

وقد صدر منها الجزء الأول فى سنة ١٩٥٦م وصفحته ٤٩٤ والجزء الثانى سنة ١٩٥٨م وصفحته ٤٩٤ والجزء الثالث سنة ١٩٦٠م وصفحته ٤٩٢ والجزء الرابع سنة ١٩٦٢م وصفحته ٤٩٤ ومطبعة هذه الأجزاء المطبعة الكاثوليكية فى بيروت لبنان .

ويشتمل الجزء الأول من الهمزة الى آيين. والجزء الثانى من الأب إلى ابن الخطاب، والجزء الثالث من ابن الخطيب إلى ابن الماجشون، والجزء الرابع من ابن ماجة إلى أبو العيناء. إن فؤاد أفرام البستاني قد ترك بعض الأشياء وزاد بعضها مثلاً المعلم بطرس البستاني ما كتب حياة أبى العيناء إلا قليلاً. ولكن فؤاد أفرام البستاني قد ذكره بمزيد من التفصيل وإن المعلم بطرس البستاني قد ذكر فى دائرته المعارف أبا عيسى بن المتوكل. ولكن فؤاد أفرام البستاني ما ذكره ولكن ذكر أبا عيسى الوراق وأبا عيسى الأصفهاني ولم يذكرهما المعلم بطرس البستاني. وإن المعلم بطرس البستاني ذكر حياة أبا عيسى بن الرشيد قليلاً ولكن فؤاد أفرام البستاني ذكر حياته بالتفصيل. (٢٧)

☆ إعداد الكتب الدراسية:

ومن أهم ما يذكر من أعمال البستانيين فى هذا المجال هو سلسلة الروائع وأدباء العرب أيضاً من الكتب الدراسية التى اعدّها البستانيون ولكن ندرسها فى فصل مساهمتهم فى النقد، والتاريخ الأدبى.

(٧) مفتاح المصباح فى الصرف والنحو للمدارس:

هذا الكتاب للمعلم بطرس البستاني فى الصرف والنحو للمدارس وطبع ثالثة فى المطبعة الأميركانية فى بيروت سنة ١٨٩٥م وصفحته ٣٦٠ ووجدنا هذا الكتاب فى مكتبة الجامعة الملكية الإسلامية بدلهى الجديدة.

قسم المؤلف كتابه على قسمين هما كتاب الصرف وكتاب النحو وأفرد لكل جزء مقدمة على حدة وختمه بخاتمة.

إن هذا الكتاب مقتصر ومتجنب عن التطويل الممل ومفتاح هين المراس فى تربيته وعبارته وسهل المأخذ فى حفظه وفهمه على الطلبة. حتى انتخبه المعلم بطرس البستاني

للمناهج الدراسية فى المدرسة الوطنية ومدارس أخرى وكشف هذا الكتاب لأهل العصر
الحارى عن بحر زاخر من الفنون والاختراعات والمهمات واللغات إلى غير ذلك . وأقبل
عليه أبناء الوطن العربى وغيرهم من معلمى ومتعلمى اللغة العربية . (٢٨)

وتوجد فى هذا الكتاب فى معالجة موضوعات النحو والصرف طريقة جديدة فانه
أولا قد عرف الأشياء وقواعدها وأصولها . وانتخب مبحثا مستقلا للأمثال والموضوع
وأوزانه . وهذا الأمر لا يوجد فى كتب أخرى مثلا كلمة فعل أو اسم قد وضع أولا فعلا
وأقسامه وقواعده وجنسه . وبعد ذلك اختار بابا مستقلا لتصاريقه وأوزانه هكذا أوضح
المؤلف كلمة اسم وغيرها .

وممن قرظ هذه الرسالة الأستاذ ناصيف اليازجى ، والأستاذ يوسف الأسير الأزهرى ،
والأستاذ خليل أفندى الخورى ، والمعلم الياس الكركبى ، والمعلم إبراهيم سر كيسى ،
والمعلم إبراهيم ناصيف ، والمعلم حنا الحداد .

وقال سمعان كلهون وفانديك :

The undersigned have much pleasure in saying that, in
their opinion, Mr. Bistani's "Miftah" is a great improvment upon
the elementary works on Arabic Grammar hitherto in use.
Such full paradigms of verbs and nouns and so many
examples in parsing are not found in any other elementary
Arabic Grammar, as far as we know. We recommend this
"Key" to both teachers and pupils

S. H. Calhoun. C. V. A Van Dyck (٢٩)

(٨) أمثال الشرق والغرب :

هذا الكتاب فى الأمثال ليوסף توما البستانى وطبع بمصر سنة ١٩١٢م، وصفحته ١٢٧ ووجدناه فى مكتبة شبلى النعمانى العامة لدار العلوم ندوة العلماء بلكهنو. وان للأمثال مزىة لاتضاهى ورتبة لاتتناهى إذ هى مطمح أعين الشعراء والخطباء ومورد الفصحاء والبلغاء. بل هى كما يقال أرق من الشعر وأرفع قدرا من الخطابه، بدررها يتحلى جيد الكلام، وبفوائدها يتجلى الالتباس والإبهام. حتى قال بعض الأدباء أن الأمثال هى حلى المعنى التى تخيرتها الحكماء من العرب والعجم والإفرنج ودارت على كل لسان فى كل زمان.

وهذا الكتاب جمع أقوال فلاسفة الشرق والغرب ومن فوائده الغزار ما يغنيه عن كبير الأسفار. وذلك لأنه وضع كل أمثولة وقائلها وجعله مميزا عن بقية كل كتب الأمثال من نوعه بفصول رتبها على ما هو عليه الآن. (٣٠)

قسم هذا الكتاب على مقدمة، وأربعة عشر فصلا، وتكلم فى المقدمة عن تمهيد الكتاب، وفى الفصل الأول عن العلم والفضل، وفى الفصل الثانى عن العمل والاجتهاد، وفى الفصل الثالث عن الكسل، وتكلم فى الفصل الرابع عن الصبر، وفى الفصل الخامس عن الضيق، وفى الفصل السادس عن قصر الحياة والموت، وفى الفصل السابع عن المعروف والاحسان، وفى الفصل الثامن عن الكرم، وفى الفصل التاسع عن البخل. وتكلم فى الفصل العاشر عن السعادة، وفى الفصل الحادى عشر عن التعويل على النفس، وفى الفصل الثانى عشر عن التواضع والصلاح. وفى الفصل الثالث عشر عن الكبرياء، وفى الرابع عشر عن الأمانة. (٣١)

وفى هذا الكتاب أمثال كثيرة فى مختلف المواضيع ولكن اكتفينا بالأمثلة التالية

على سبيل الوضاحة.

ويذكر المؤلف أمثالا من أقوال الأدباء والمفكرين المعاصرين أيضا منهم سليم
 عنحورى الشاعر الدمشقى، وقاسم أمين صاحب كتاب تحرير المرأة، ومحمود الشاعر
 الاسكندرى، ومصطفى كامل باشا رئيس الحزب الوطنى المصرى، والشيخ نجيب الحداد،
 وقد أكثر فى الكتاب ذكر سليمان الحكيم ويذكر أقواله من كتاب الأمثال من بابل.
 ويذكره دائما باسم الحكيم حسب عقيدته لأن اليهود والنصارى لا يحسبونه وأباء داود
 عليهما السلام نبيا .

وقال بولانوم من كتاب له فى التلمود: النهار قصير والعمل عظيم والعامل كسلان .
 قل قليلا واعمل كثيرا. متى كانت السوق كاسدة فاشتر واذا راجت فاكفف .

وقال تينس: كن حازما جاهدا وجد وأجد ولا تستسلم. وقال اون فلتام: من لم يتعلم
 صناعة ولا عملا فهو حقير . وقال: هسيودس: الإجتهد يزيد ثمرة العمل والمهمل يصارعه
 الخسران. وقال دى بارتاس: الذى يجيد عمله لا يكون قد تأخر فيه . وقال ميغل ده
 سرفنتس: الإجتهد ابوالسعد . لم تبين روميه فى يوم واحد وقال محمود الشاعر: قد أفلح من
 كان فيه لسن المحامى ووقار القاضى ورفق الطبيب ودهاء السياسى وسحر الشاعر وصبر
 المعلم ووداعة الزاهد واقدام الجندى وحرص التاجر . اربع صفات لا بد لصاحبها أن يسود
 (عفاف واقدام وحزم ونائل) وقال سليم عنحورى: الناس مبصرون ولكن من قيمة الوقت
 عميان. (٣٢)

وكما قال الإمام على كرم الله وجهه فى فصل العلم والفضل .

ليس الجمال بأثواب تزيننا

إن الجمال جمال العلم والأدب (٣٣)

وقال شكسبير فى فصل التواضع والصلاح ، الاتضاع سلم الارتفاع .

وقال أرسطو طاليس: أقرب القرب مودات القلوب وإن تباعدت الأجسام وأبعد

البعد تنافر القلوب وإن تقربت الأجسام. (٣٤)

(٩) جواهر الأدب :

هذا الكتاب لبطرس بن يوسف البستاني كما ذكره خير الدين الزر كلّي في، الأعلام، ويشتمل على ستة أجزاء . وجميع أجزائه عندنا متوفرة إلا الجزء الثاني والسادس ويحمل مؤلف الجزء الخامس . اسم "ب" البستاني وفي مقدمة الجزء الأول يقول الناشر: "وقد انتدبنا لهذه المهمة احد الفضلاء المدققين فانصب على آثارهم يستخرج منها دررا وجواهر فنفهم من هذا كله أن احد الفضلاء المدققين الذي أشار إليه الناشر هو بطرس بن يوسف البستاني . وصفحة الجزء الأول ٢٤٠ وطبع بالمطبعة العلمية ليوسف صادر في بيروت سنة ١٩٢١م. وصفحة الجزء الثالث ٣٢٠ وطبع بالمطبعة العلمية ليوسف صاحب صادر في بيروت طبعة ثانية سنة ١٩١٤م وصفحته الجزء الرابع ٣٩٩ . وطبع بمكتبة صادر بيروت سنة ١٩٢٤م وصفحة الجزء الخامس ٤٥٥ وطبع بمطبعة مكتبة صادر في بيروت طبعة ثانية سنة ١٩٢٦م ووجدنا هذا الكتاب في مكتبة جامعة داكا بنجلاديش .

ونشر الاجزاء كلها سليم إبراهيم صادر صاحب المكتبة العمومية ومكتبة صادر في بيروت خدمة للناشئة الوطنية .

وهذا كتاب متشعب المواضيع متنوع الأغراض مختلف الأنفاس والأذواق جامع إلى سداد المنهج والسهولة والانسجام محتو على النصائح الناجعة والحكم الباهرة والعبر الزاجرة مشتمل من المنظوم والمنثور على ما يهش له ذوق العصر متضمن من الرسائل الأنيقة المنتقاة من المؤلفات لمشاهير الكتاب وجهابذة العلماء الاقدميين جديراً بأن تتحداه عشاق العلم وترشف من موارد أهل الأدب.

قد اصطفى من تلك المقتطفات ابلغها حتى إذا بقى الباب قسمه إلى ستة أجزاء مراعياف في ذلك طبقات الإنشاء وتفاوت الأهوال وتفاضل المدارك بحيث ينتقل الحديث

السن من جزء إلى آخر أدق منه معنى وأجزل لفظا وامتن عبارة. (٣٥)

ولقد اجتنى من باب الأدبيات الجواهر الفريدة حتى أنه جاء كل فصل من فصولها غاية في الإيجاز والبلاغة . وحذف من باب الحكم ما لا يترتب على ذكره كبير نفع . وابدل من درر القصائد وغرر المقالات لفحول الشعراء و كبار المنشئين مما زاد في رونق هذه الأجزاء وجعلها أوفر عائدة واغزر مادة وأكثر مطابقة لحال الطلاب لدرس البيان. (٣٦)

وقام المؤلف بإبراز أعمال الأدباء المسيحيين بشكل ملحوظ وجمع في هذه المجموعة عددا كبيرا جدا من اقطاب الفن من هذه الطائفة في العصر الحديث وما لا نجد ذكرهم مجموعا في مكان آخر.

وميزة أخرى تتجلى من مضمونات هذه المجموعة الأدبية فتستوقف النظر هي أن صاحب جواهر الأدب، التزم على ما يبدو التزاما متحذرا بإبقاء هذه المجموعة لادينية فقد كان معظم ما يدرس من الأدب في السابق يشمل بطريق آخر المضمونات المستندة من التراث الأدبي الإسلامي . أما مجموعة جواهر الأدب فقلما تجد منها هذا العنصر رغم تطرقها المتكرر إلى الموضوعات الخلقية.

(١٠) المجاني الحديثة:

وظهر هذا الكتاب تجديدا لمجاني الأدب في حقائق العرب للأب لويس شيخو اليسوعي في مادته وأسلوبه عن طريق الاختيار والشرح والتبويب وقام بهذا العمل لجنة من الأساتذة منهم كرم البستاني تحت إدارة فوام أفرام البستاني . وظهر الجزء الأول والثاني بقلم فواد أفرام البستاني والجزء الثالث بقلم كرم البستاني .

وطبع الكتاب بمطبعة الكاثوليكية بيروت لبنان في سنة ١٩٤٦م ويشتمل على ثلاثة أجزاء فالجزء الأول ٣٩٦ صفحة، والجزء الثاني ٣٧٦ صفحة، الجزء الثالث ٣٧٢ صفحة . ووجدنا هذا الكتاب في مكتبة قسم اللغة العربية وآدابها للجامعة عليكره الإسلامية .

ويمكن القول أن الجزء الأول من المجانى الحديثة الخاص بالعصر الجاهلى تظهر مادته خمسة أضعاف ما تضمنته منها الأجزاء القديمة . وكذلك القول عن الجزء الثانى . وموضوعه صدر الإسلام أما الجزء الأخير الموقوف على عصر النهضة أو الانبعاث . فجديد بكامله وهو معلوم أن مجموعة المجانى القديمة لم تتجاوز بمنتخباتها أوائل القرن الثامن عشر .

وظهر "مجانى الأدب فى حدائق العرب" للأب لويس شيخو اليسوعى سنة ١٨٨٢م لم يكن فى العالم العربى ما يذكّر من كتب القراءة فضلا عن المنتخبات والمجاميع الأدبية . وكانت المعاهد تكتفى بشواهد متفرقة يجمعها الأساتذة . وكان الكتاب "المجانى" جامعا بطريقة منسقة وأسلوب متدرج لأفضل ما ينتخب من خزانة الأدب العربى شعرا ونثرا على اختلاف فنونه وموضوعاته . فكان ظهوره من الأحداث التى تورخ بها حياة التدريس . وقد أقيمت عليه الأوساط التعليمية كل الإقبال حتى توالى طبعاته بسرعة قلما عرفها كتاب عربى فبلغت العشرات قبل اختتام القرن . وغدا اسمه مرادفا لكتاب التعليم العربى . بيد أن الكتاب على نفاسة مادته وموافقة أسلوبه للعصر الذى ألف فيه أصبح بحاجة إلى تجديد فى المادة وفى الأسلوب . أما من حيث المادة فقد رأى فواد أفرام البستانى ضروريا أن يفيد الكتاب من جمهرة الآثار المكتشفة والمنشورة بالطبع منذستين سنة فى لبنان وسورية ومصر والهند وأوربا من دواوين ، لم تكن معروفة ورسائل كانت ضائعة وتآليف أعيد النظر فى طبعاتها الأولى وهى آثار لا يستهان بها قيمة وكمية .

وأما من حيث الأسلوب فلا يخفى أن الأدب صورة الأمة فى حياتها وتطورات مظاهرها هذه الحياة وفقا للسنن الطبيعية المقدمة الأسباب على النتائج . فكان أن تمديد البستانى بهذه الترتيب . وجعل تدرج الأجزاء مبنيا على تسلسل السنين والأحقاب بدل أن يبنيه على تسلسل فى ذهن الناشئ المتعلم . (٣٧)

وهكذا كان الجزء الأول فى العصر الجاهلى أصعب الأجزاء بالنظر إلى هذا الناشئ .
ثم تتدرج الصعوبة من أعلى إلى أدنى حتى يصل البستانى إلى الأخير المتضمن آثار النهضة .
وإذا هو أسهل الأجزاء وأقربها إلى الطالب اليوم .

وقد أحدث البستانى تجديدا كذلك فى أسلوب الشروح فجعلها أوفر دقة وأخصر
عرضا ونشرها مع النص فى الصفحة نفسها . بدل أن تكون مفردة فى مجلد خاص وذلك
كى لا تكلف الأستاذ ولا الطالب عنت التفتيش وإضاعة الوقت . كما قدم على منتخبات
الشاعر والكاتب ملخصا تاريخيا نقديا فى حياته وقيمة أثره . وملخصا كتابيا فى وجود هذا
الأثر ومكان طبعه وزمنه . وجمع أيضا بين المتماثلين من الشعراء والمتزاملين من الكتاب .
فأفرد لهم قسما خاصا يحدده بكلمة تمهيدية . ففيه مثلاً قسم خاص لشعراء الصعاليك
وآخر لأصحاب المعلقات وثالث لشعراء البلاط وقسم آخر لسائر الجاهليين يذكر فيه عبيد
بن الأبرص، والسموال بن عاديا، وكعب بن سعد، والأسود بن يعفر، وأميه بن أبى الصلت .
ويقول فواد أفرام البستانى فى ملخصه عن حياة أمية وقيمة شعره . أمية بن أبى الصلت
العنزى الثقفى الإيادى شخصية تناولتها الأساطير فى أواخر العصر الجاهلى . فقليل أزه كان
يطمع فى النبوة، وقيل إنه كانت تطيعه الجن، وقيل انه كان من النساك يلبس المسوح تعبدا .
على أن مما لا شك فيه أنه كان من رؤساء ثقيف، وفصحائهم وقد اطلع على الكتب
القديمة، أى كتب الدين، الإسرائيلية منها والمسيحية، القانونية واسفار الزبور، فتثقف بها،
ودون ما عرفه من أخبارها بشعره، ذاكرًا أشهر حوادثها كالخلق، والطوفان، وماتى إبراهيم،
وقصة لوط، وخراب سدوم، وبعثة موسى . وقادته ثقافته الدينية هذه إلى القول بالتوحيد،
ونبذ الأوثان، ووصف الكمالات الإلهية وعجائب الخلق، والابتغال إلى الله بلهجة المؤمن
الواثق، مشيدا بدين يسميه الحنيفة، وهو دين موحد قد لا يبعد أن يكون خليطا من المبادئ
اليهودية والعقائد المسيحية على نحو ما كان معروفا فى بلاد اليمن إذ ذاك، وكثيرا ما كان

أمية يتردد فيها ويدون أحداثها.

أدرك أمية الإسلام، ولكنه لم يجار نبيه على دعوته . بل قاومه وحرص القرشيين على محاربته . ثم رثى قتلى بدر، وفيهم إبنائهم، عتبة وشيبة إبنى ربيعة، وحث قومه على الأخذ بشأهم من النبى ورجاله، ثم هرب بيته إلى أقصى اليمن، ثم إلى الطائف . ولما مرض مرضه الذى مات فيه جعل يقول: "قد دنا اجلى، وهذه المرضة منيتى، وأنا أعلم أن الحيفة حق، ولكن الشك يداخلنى فى محمد . "وكان النبى، إذا سمع شيئاً من شعره، يقول: "كاد أمية يسلم." "

أما هذا الشعر فسهل سائر لا يرقى إلى الطبقة الأولى، ولكنه نوع مفرد بما استوحى من مضامين الكتب المقدسة، وبما استعمل من مفردات كانت تظهر غريبة لأبناء العربية، وكلها من السريانية أو العبرانية كالساحور، والسليط، والتغور، وما أشبه حتى قال ابن قتيبة: "وعلمائنا لا يحتجون بشئ من شعره ولهذا العلة . " أما أبو عبيدة فجعله أشعر اهل المدن. وأما الكميت فقال: "أمية أشعر الناس: قال كما قلنا، ولم نقل كما قال . "

وشعر أمية كثير. إلا أنه أصيب بالضياع منذ أوائل الإسلام، بدلالة ما ينسب إلى الحجاج من أنه قال على المنبر: "ذهب قوم يعرفون شعر أمية، وكذلك اندراس الكلام . " ولهذا لم نعرف له ديواناً مجموعاً. إنما تفرقت قصائده ومقطعاته فى كثير من أمهات الكتب الأدبية والتاريخية "كالأغانى" و "العقد" و "العمدة" و "سيرة الرسول" لابن هشام، و "تاريخ مكة" للزرقي . فجمع كل ذلك الأب شيخو فى "شعراء النصرانية" سنة ١٨٩٠ . وفى السنة ١٨٩٩، باشر كليمان هيوار (Cl.Huart) نشر كتاب "البدء والتاريخ"، للمقدسى، وفيه الكثير من شعر أمية غير المعروف قبل ذلك، فأمكن فريدريك شولتس (F. Schulthess) أن ينشر مجموعة لهذا الشعر فى ديوان متوسط الحجم ظهر مترجماً إلى الألمانية، حافلاً بالشروح والتعليق فى لىسغ سنة ١٩١١، على أنه يصعب تمييز الصحيح

فيه من المنحول . وأكثر هذا الشعر فى الشؤون الدينية والتاريخية . ولهذا فهو فريد فى الشعر الجاهلى . وقد رأينا تمثيل أشهر موضوعاته فى المنتخبات . (٣٨)

ويختتم الكتاب بفهارس عامة غنية بالمعلومات رتب فيها كل ما تضمنته المنتخبات والشروح من أعلام الأشخاص والقبائل . والأماكن والمحال والنبات والحيوان . وكذلك ضم إلى الكتاب فهارس لمعتقدات العرب . ومعبوداتهم وخرافاتهم وعاداتهم واسلحتهم وآنياتهم وسائر مواعينهم مما قد يحتاج إليه الباحث فى الشؤون العربية . فيتناوله بسرعة وسهولة .

وهكذا حمل فواد افرام البستانى المجانى القديمة إلى عصره فى حلة أنيقة ترمز إلى ما قصده عندما اسماها المجانى الحديثة . (٣٩)

(١١) البيان:

هذا الكتاب هو الآخر فى علم البيان والبلاغة لكرم بن سليمان البستانى وكان أستاذ البيان فى معهد الفرير فى لبنان ودفع المؤلف إلى وضع هذا الكتاب ما خبره فى مزاوخته تعليم فنون الأدب من تطويل وغموض ومصاعب فى معظم الكتب التى تعالجها . وطبع هذا الكتاب دار صادر فى بيروت بالطبعة الرابعة سنة ١٩٦٦ م . ووجدنا هذا الكتاب فى مكتبة شبلى النعمانى العامة لدار العلوم ندوة العلماء بلكنهو .

وحاول المؤلف "كرم البستانى" فى كتابه أن يجعل القواعد فى أسئلة وأجوبة موجزة بينة تناولها حافظه الطالب فى غير تعب ولا ضجر . كما عودته كتب الآداب الأجنبية الحديثة أساليب مختصرة، سهلة، واضحة . وشرح شرحا واضحا مثل كل قاعدة رأى فيها غموضا، وفى مثلها إبهاما، وجعل لكل فصل تمرينا أعطى فى أوله مثالا لطريقة التحليل المطلوب فيه لسييل تطبيقه على القواعد.

وقد أثبت فى هذه الطبعة الثالثة ما كان قد أضافه فى الطبعة الثانية من موجز علم

العروض، وترك المطول كما كان لمن يريد التوسع فى درس هذا العلم .

وكذلك ما كان قد أضافه من تمارين ضرورية لزيادة الإيضاح، وأبقى اختصار الأشياء التى رأى الخير فى اختصارها، ولكنه جعل الأسئلة المتعلقة بالقواعد فى أواخر الفصول، لا كما كانت فى الطبعتين السابقتين جريا على الأساليب الجديدة.

وإنه لآمل أن يكون قد بلغ ما أرادته فى محاولته هذه فقام ببعض ماوجب القيام به على كل من يغار على لغته ويتعشق آدابها . (٤٠)

وتحدث المؤلف فى هذا الكتاب عن الفصاحة والبلاغة، وعلم المعانى وعلم البيان، والبديع، وعلم العروض، وموجز لعلم العروض . وفى الفصاحة والبلاغة تكلم عن فصاحة الكلام، وبلاغة الكلام . فيقول مثلاً يعرف الفصاحة والبلاغة : الفصاحة هى وضوح الكلام، وذلك بأن تكون ألفاظه جميلة، سهلة، مألوفة الاستعمال لمكان حسنها . والبلاغة هى وضع الكلام موضعه من طول وإيجاز مع حسن العبارة . الفرق بين الفصاحة والبلاغة: أن الفصاحة لا تكون إلا فى اللفظ لإشتمال اللفظ على الوصف المختص بها، وهو الحسن . أما البلاغة فشاملة للالفاظ والمعانى بشرط التركيب . اشترط التركيب فى البلاغة لأن اللفظة وحدها خالية من المعنى المفيد الذى ينتظم كلاماً، ولهذا قيل كل بليغ فصيح وليس كل فصيح بليغاً . تكون الفصاحة وصفاً للكلمة والكلام والمتكلم، فيقال: كلمة فصيحة، وكلام فصيح، ومتكلم فصيح . تكون البلاغة وصفاً للكلام والمتكلم، فيقال: كلام بليغ، ومتكلم بليغ . ولا يقال: كلمة بليغة، إلا إذا كانت الكلمة بمعنى الكلام . (٤١)

وتكلم فى علم المعانى عن الحقيقة والمجاز، وعن تركيب المعنى والجملة الخبرية والإنشائية، وحكم أدوات الاستفهام، وأحوال المسند إليه . وأحوال المسند . والإصلاق والتقييد، ومتعلقات الفعل، والقصر وأحكامه، والوصل والفصل والمساواة والإيجاز والإطناب . والعدول عن مقتضى الظاهر وتكلم فى علم البيان عن التشبيه، والمجاز،

والكناية. وتكلم فى البديع عن البديع المعنوى والبديع اللفظى .

وقد تكلم فى علم العروض عن بيت الشعر، وأجزاء القافية، والتصريع والتقنية وعيوب القافية وما يصح أن يكون روياء، والزحاف والزحاف المزدوج، والعلة ومواطن التغيير، وأوزان الشعر، والطويل، والمديد، والبسيط، والوافر، والكامل، والهزج، والرجز، والرمل، والسريع، والمنسرح، والخفيف، والمضارع، والمقتضب، والمجث، والمتقارب، والمتدارك، والجوازات الشعرية .

وتكلم فى موجز لعلم العروض عن علم العروض، وأوزان الشعر، والطويل، والمديد، والبسيط، والوافر، والكامل، والهزج، والرجز، والرمل، والسريع، والمنسرح، والخفيف، والمضارع، والمقتضب، والمجث، والمتقارب، والمتدارك. (٤٢)

(١٢) قواعد العرب :

هذا الكتاب لانطوان مسعود البستاني وراجعته وقدم له العلامة عبد الله العلايلي وإن مؤلفه قد زاول التعليم ومارسه أمدا طويلا. فكان الكتاب (قواعد العرب) وليد اطلاع واسع على المصادر القديمة والحديثة فى هذا المضمار كالكتاب لسيبويه، والمفصل للزمخشري والتسهيل لابن مالك، وأوضح المسالك والمغنى لابن هشام، وقواعد الشرتوني وحلقات الشيخ مصطفى الغلاييني، والنحو والصرف لعلى الجارم، إلى كثرة كاثرة كما يقول الأستاذ عبد الله العلايلي فى مقدمة لهذا الكتاب (٤٣)

وهو كتاب مسلسل فى أربعة أجزاء لتعليم قواعد النحو والصرف على أوضح هج وفقا للمنهج الرسمى الجديد الذى اقرته وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة لحكومة لبنان. ويحتوى الجزء الأول على ٢٠١ صفحة، أما الجزء الثانى فيضم ٢٠٣ صفحة، والجزء الثالث ٢٣٥ صفحة، والجزء الرابع ٢٤٤ صفحة. وطبع جميع الأجزاء بمكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبنانى فى بيروت. وطبع الجزء الأول بالطبعة الثالثة سنة ١٩٦٨ م

والجزء الثانى والثالث بالطبعة الثانية سنة ١٩٦٦م والجزء الرابع سنة ١٩٦٧م. ووجدناها فى مكتبة قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة عليكرة الإسلامية.

وانتخب المؤلف جميع الأجزاء لمنهج التعليم الرسمى من مرحلة التعليم الثانوى . فالجزء الأول للسنة الثانوية الأولى من الصف السادس الثانوى . والجزء الثانى للسنة الثانوية الثانية من الصف الخامس . والجزء الثالث للسنة الثانوية الثالثة من الصف الرابع . والجزء الرابع للسنة الثانوية الرابعة من الصف الثالث للطلاب الشهادة التكميلية .

كتب انطوان مسعود البستانى فيه أولا عنوان الدرس وأمثله ،استرعاء لانباه التلاميذ . وشرح هذه الأمثلة على الطريقة المتبعة حتى ينتهى إلى الاستنتاج فاستخراج القاعدة ودعا الطلاب إلى فتح الكتاب لقراءة الدرس تحت إشراف الأستاذ وتوجيهه فيزداد الدرس رسوخا وانطبعا فى اذهانهم . وفى المرحلة التطبيقية اختار لهم من التمارين مايدربهم على مراعاة القاعدة المدروسة . بجمل بسيطة صريحة ولغة سهلة صحيحة مثلا .

الكلمة والجملة

الكلمة وأنواعها

أمثلة

خرج التاجر إلى الصيد صباحا

هاهو كلبه الأمين يمشى خلفه

الشرح والتحليل

فى القطعة كلمة "التاجر" تدل على شخص وكلمة "كلب" تدل على حيوان. هكذا شرح

المؤلف كل الكلمة .

القواعد

الكلمة تكون إما اسما أوصفة أو ظرفا أو ضميرا أو فعلا أو حرفا

بعده عرف الاسم والصفة والفعل والضمير والظرف والحرف

أسئلة

ما الاسم؟ مثل له؟ ما الصفة؟ مثل لها؟

تمارين

أذكر نوع كل كلمة فى القطعة التالية مبينا السبب .

فى أثناء الحرب أسر ابن أمير كبير ولم يهتد إلى مقره أحد

١- ركب جملة من اسمين . ركب جملة من فعل وضمير وحرف واسم

٢- عرب مايلى: أبدا تحن إليكم الأرواح + ووصالكم ريحانها والراح

نموذج إعرابى

ضغطك فى ارتفاع

ضغطك: مبتدأ مرفوع أصلا . وعلامة رفعه الضمة الظاهرة

والكاف: ضمير متصل مبنى على الفتح مضاف إليه

فى ارتفاع: جار مجرور (فى) حرف جر (ارتفاع) مجرور بفى وعلامة جره الكسرة

الظاهرة وشبه جملة (فى ارتفاع) خبر المبتدأ. (٤٤)

(١٣) الصورة الشعرية فى الكتابة: الفنية الأصول والفروع

هذا الكتاب لصباحى البستاني كان أستاذا للبيان والبلاغة فى الجامعة اللبنانية

وطبع دار الفكر اللبنانى بيروت فى لبنان بالطبعة الأولى سنة ١٩٨٦م وصفحته ٢١٥

ووجدنا هذا الكتاب فى مكتبة شبلى النعمانى العامة لدار العلوم (ندوة العلماء) بكنهنو

وتكلم المؤلف فيه عن هذا الموضوع وقسمه على سبعة فصول . الفصل الأول: الصورة

الشعرية، دراسة نظرية، الفصل الثانى: الفصاحة والبلاغة، الفصل الثالث: الحقيقة والمحاز،

الفصل الرابع: الاستعارة، الفصل الخامس: التشبيه، الفصل السادس: علاقة المجاز فى

المجاز، الفصل السابع: الرمز.

إن الصورة الشعرية تحتل عناوين كثيرة من الكتب والدراسات البلاغية التي قلما تتصفح أحدها دون أن تقع على صفحات قد تصل إلى فصل في بعض الأحيان أو أكثر تعالج موضوع الصورة الشعرية. ولكلمة (صورة) دلالات شتى متنوعة او متناقضة؛ متسعة او محدودة في مختلف الأحيان. (٤٥)

إن الدراسات الأسلوبية الحديثة تسعى إلى وضع المميزات الرئيسة للخطاب الأدبي، وهذا العمل هو خطوات أولى على طريق تبيان أسس الخطاب عامة والخطاب الأدبي بشكل خاص.

ساهمت فصول هذا الكتاب في تحطيم القوالب التي تحول الدراسة الأسلوبية وبالتالي البلاغة إلى معادلات حسابية عقيمة، تحفظ و كأن لها عالمها الخاص البعيد عن عالم الخطاب الأدبي. والدراسة بتأكيدها على جوهر التبدلات الأسلوبية الطيعة، تعيد إلى هذا العلم الحياة التي هي له في الأصل. فتغدوا البلاغة لذة اكتشاف بعد أن أصبحت عبأ تطبيق. (٤٦)

لقد سعى المؤلف في الفصل الأول إلى طرح مسألة الصورة وعلاقتها بالبلاغة مع الإشارة إلى وظيفتها الشعرية، متوقفا في الوقت نفسه عند مفهومها في النقد العربي القديم، وتطرق الفصل الثاني إلى الإيقاع الموسيقي كعنصر أساسي مرتبط بالصورة. فحاول الدكتور صبيحي البستاني بعد معالجة الارتباط بين الفصاحة والبلاغة أن يظهر دور الموسيقى في التعبير الشعري. طارحا دراسة المستوى الصوتي كبديل عن هذه الفصاحة. أما في الفصول اللاحقة فقد تتبع أشكال الصورة في الكتابة الأدبية، وذلك من خلال الأساليب التعبيرية القائمة على علاقات انحرافية بين ألفاظها، والتي تغني الدلالة وتحيدها بالتالي عن الحدود الاصطلاحية المعجمية.

لقد ولج المؤلف عالم عناصر الصورة من باب "المجاز" فكان الفصل الثالث "الحقيقة والمجاز" مدخلا طبيعيا إلى الفصول الأربعة الأخرى . إذ ركز المؤلف فيه على ثوابت وضوابط عملية انتقال الدلالة في المجاز . و موضوع دراسة المؤلف هذه الثوابت والضوابط التي تسهم في توضيح جوهر الأوجه البيانية والفصلان الرابع والخامس تناولوا الشق الأول من الصورة، القائم على "المشابهة" فعرض فيهما بشكل مفصل خصائص كل من التشبيه والاستعارة مظهرين نقاط الالتقاء ونقاط الاختلاف بينهما.

أما الفصلان السادس والسابع، فعالجا الشق الثاني المرتكز على "المجاورة" والمتمثل بالمجاز المرسل والرمز . وحاول المؤلف فيهما أيضا أن يظهر بشكل دقيق الميزات الخاصة لكل منهما والرابط الذي يربطهما بالأشكال الأخرى للصورة.

وكان يوضح دائما هذه المفاهيم من خلال الرجوع إلى مقاطع أو نصوص أدبية مأخوذة من الأدب القديم والأدب الحديث من الشعر ومن النثر .

وبالرغم من العودة الدائمة إلى آراء ومفاهيم النقاد وعلماء البلاغة العرب، وأمّهات كتب الأدب مثل أسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، ونقد الشعر لقدامة بن جعفر، وكتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، والعمدة لابن رشيق، والمقدمة لابن خلدون وقد استفاد من الدراسات الأسلوبية الحديثة في الشرق والغرب أيضاً مثل

"Legant de crin" for a Reverdy. " l' Image poetique" By octavio paz. " La connaissance peotique" By Jean Onlmus. "Poetique de l, espace" By Gaston Bachelard. "Image et metaphore" By Plerre Caminade. "Manifeste du surrealisme" By Andre Breton. "La stylistique" By Plerre Guiraud. "Linguistique et poetique" By D. Delas etj. "Metonymie et metaphore" By Albart Henry filliolet. "Art poetique"

By Roger Caillios.

وفن الشعر لاحسان عباس ، والشعر العربى المعاصر، لعزالدين إسماعيل . وملامح الأدب العربى الحديث، لانتوان غطاس كرم، وزمن الشعر، لأدونيس .

وإهتم بإيراد الأمثلة من النصوص الأدبية الكلاسيكية والحديثة . وسعى على ضوء منهاجها إلى تحليل وإظهار الاتجاه الذى يتم فيه تغيير الدلالة وانتقالها داخل الأوجه البلاغية التى تشكل عناصر الصورة.

لقد قام بهذه الدراسة وهو على يقين من أن مظاهر الصورة الشعرية لاتجمد فى قوالب أسلوبية مهما كانت هذه القوالب حديثة . وإنما تبقى الصورة عملية تعبيرية حية مرتبطة بتطور الخلق الأدبى من جهة ، وبالمناهج النقدية الحديثة من جهة أخرى.

وهذا الواقع هو الذى دفع المؤلف إلى تجاوز التسميات المختلفة فى علم البيان . فتوقف فقط عند جوهر الدلالة فى الصورة الشعرية . واكتفى بذكر الاتجاهين الرئيسيين الذين تنمو من ضمنهما الصورة وهما الاستعارة /التشبيه والمجاز المرسل /الرمز.(٤٧)

ولقد لخص المؤلف فى خاتمة الكتاب أهم النقاط التى تشكل خلاصة ما استنتج من فصوله المختلفة .

الصورة الشعرية لها دورها الجوهرى فى الكتابة الفنية كما أنها جعلت لها مفهوما شاملا تتوحد فيه وتنظم مختلف وحدات البلاغة . فبدت الصورة على رأس هرم هى فيه الأصل . ومن هذا الأصل تتفرع الأوجه البيانية فى البلاغة ، وفى تفرعها تنتظم تبعاً لتسلسل هرمى نابع من الاصل .

رمت هذه الدراسة إلى إظهار العناصر الأساسية المكونة للأسلوب البليغ وللأسلوب الفصيح . وذلك من خلال الكشف عن المواطن التى تضافى على الأسلوب جماله وفنه . فلم تكتف بالتوقف عند وصف التأثير الشعورى حيال التعبير الجميل . وإنما حاولت من

خلال تحليل عناصر الصورة، إلى تعيين وتحديد التبدلات الأسلوبية التي تفسر هذا التأثير. وإن قيمة الصورة الشعرية التي ارتبطت في البحث بمدى البعد قطبيها هي قيمة في المطلق، ولكنها لا تكتسب بعدها الكامل إلا من خلال السياق وبالتالي من خلال الخطاب الأدبي كوحدة متكاملة. فهذه الأسس هي برأى المؤلف منطلق صالح نحو تحديد القيمة الفنية للنص الشامل. والاقرار بدور السياق لا يتعارض معها وإنما يكملها. (٤٨)

(١٤) منتقيات أدباء العرب:

هذا الكتاب للأديب الكبير بطرس بن سليمان البستاني ضمنه منتخبات من أدباء العرب في العصر العباسية على وجه التخصيص بعد أن عني عناية خاصة بانتقائها وشرحها وشكلها ما لا يوجد له مثيل في الوضوح في كثير من المنتخبات التي صدرت قبل هذا الكتاب ويقع في ٤٩٤ صفحة من القطع الكبير وطبع بمكتبة صادر، بيروت سنة ١٩٤٨م ووجدناه في مكتبة قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة على كره الإسلامية.

قد انتقى في هذا الكتاب من الأدباء والشعراء من العصر العباسي الأول بشار بن برد، وأبو العتاهية وأبونواس، وأبو تمام، ودعبل، وابن المقفع، فقد انتخب من أشعار بشار بن برد من هجائه ومدحه وغزله وفخره وحماسه وآرائه وعقائده وانتقى من أشعار أبي العتاهية، من زهده وحكمه، ومن أشعار أبي نواس من خمره، وغزله ومدحه، وهجائه، وطردياته، وزهدياته وانتخب من أشعار أبي تمام من مدحه، وهجائه، وراثته وأغراضه المختلفة ومن أشعار دعبل من هجائه ومدحه وراثته وأغراضه المختلفة.

وعبر عادل الغضبان رئيس التحرير لمجلة الكتاب عن رآيه في منتقيات أدباء العرب فقال: "ولقد اختار الأستاذ المصنف من أعيان الأدب العربي في العصر العباسية أربعة عشر علما مابين كاتب وشاعر فعرف كيف يختار لهؤلاء الأعلام، وعرف كيف يتخير من أصايب آثارهم ما يدل أوضح الدلالة على خصائصهم في الشعر أو النثر وعرف فوق ذلك كيف يقع

على أكرم النصوص حتى لو كانت هجاء مرًا للشاعر بشار، أو خمريات صاحبة للشاعر أبي نواس، أو فخر الرجل الذي تمرس بالآفات كالمتنبى.....

”ولاشك أن مائدة العصر العباسى فى الأدب من أحفل الموائد بأبكار المعانى وعونها، فالانتقاء منها أدل على ذوق المنتقى وعلى حسن تخيره، كالذى يدخل الروض فيتخير بين وروده وأقاحيه..... ولكن الأستاذ المصنف البستانى لم يتخير حينما تخير..... لأنه جعل للاختيار مستوى لم ينزل عنه، فجاء الكلام كله على سمت واحد مع تنوع أغراض القول من المدح والغزل ولرثاء والفخر والوصف والنقد والرسائل والمقامات. وتمتاز هذه المنتقيات العباسية بضبطها، بالشكل التام فى شعرها ونثرها، فلم يخل حرف واحد من ضبطه وكاد الكتاب يسلم من خطأ الطبع إلا أموراً يسيرة استدرك المحقق عليها فى آخر الكتاب.....

”أما الشرح الكثيرة التى ازدحم بها هامش الكتاب فى كل صفحة فهى فى الحق تجمع إلى فرائد اللغة ولطائف النحو فوائد غزيرة فى الأدب والتاريخ يغدو معها الكتاب ذخيرة أدبية من ذخائر العصر العباسى“ (٤٩)

وللبستانيين فى هذا الباب مؤلفات كثيرة أخرى إلا أننا لم نتمكن من الحصول عليها فنمرى ذكرها بشكل عابر فهى الكتالى:

(١) مفتاح الطالب فى بحث المطالب: هذا الكتاب من شروح وحواش وزيادات وإصلاحات علّقها على كتاب ”بحث المطالب“ المشهور فى الصرف والنحو للمطران جرمانوس فرحات الحلبي الماروني. طبع فى بيروت سنة ١٨٥٤م فى ٤١٦ صفحة متوسطة. للمعلم بطرس البستانى

(٢) بلوغ الأرب فى نحو العرب: لا يزال مخطوطاً للمعلم بطرس البستانى

(٣) كتاب النحو: وهو الجزء الثانى من بحث المطالب للمطران جرمانوس مع

زيادات جدا (لبنان) سنة ١٩٠٠م، ص: ٢٩٩. للشيخ عبدالله البستانى

- (٤) الرسائل العصرية: بطرس بن يوسف البستاني
- (٥) السنايل: لبطرس بن يوسف البستاني
- (٦) آداب المراسلة: لبطرس بن يوسف البستاني
- (٦) نبذة ملخصة في الفرائض: لبطرس بن سليمان البستاني
- (٧) مرجع الطالب في معاملات الفقه: لبطرس بن سليمان البستاني
- (٨) الحصائد: لكريم البستاني
- (٩) الاختزال: لسليمان البستاني هو بحث علمي طريف في الاختزال العربي . نشر
اولا في المجلد التاسع من الدائرة تحت مادة ستينوغرافيا . ثم اعيد النظر فيه و
طبع بعد ذلك على حدة وقف الرغبة الخديوى توفيق الذى اراد ان يعمه في مصر .
- (١٠) غرائب القرآن: ليوسف جرجيس البستاني ومشكلاته وبيان شأنه ونزول آياته
ومعاني بعض لغاته وشرح مبهماتة .

(المصادر والمراجع)

- (١) محيط المحيط، تاليف المعلم بطرس البستاني، مطبعة مكتبة لبنان، بيروت ص: ٣
- (٢) نفس المصدر من باب الهمزة
- (٣) نفس المصدر من فاتحة الكتاب
- (٤) نفس المصدر، ص: ٣
- (٥) قطر المحيط، للمعلم بطرس البستاني، رخصة مجلس معارف، ولاية بيروت سنة
١٨٦٩، ص: ٢
- (٦) فواد أفرام البستاني: المعلم بطرس البستاني، في "الروائع" الجزء (٢٢) المطبعة
منشورات الآداب الشرقية، سنة ١٩٥٠م، ص: ٨٠

- (٧) قطر المحيط: للمعلم بطرس البستاني ، طبع فى بيروت سنة ١٨٦٩م، ص: ٢
- (٨) مصادر التراث العربى، للدكتور عمر الدقاق، المكتبة العربية محمد بلاسنى حلب، ص: ٣٠٧
- (٩) البستان، للشيخ عبدالله البستاني ، المطبعة الاميركانية ، بيروت سنة ١٩٢٧م، ج: ١ ص: ٣
- (١٠) البستان، للشيخ عبدالله البستاني ، المطبعة الاميركانية ، بيروت سنة ١٩٢٧م،

ج: ١ ص: ٣

- (١١) الوافى: للشيخ عبدالله البستاني - مطبعة مكتبة لبنان - سنة ١٩٨٠م، ص: ٣
- (١٢) نفس المصدر، ص: ٣
- (١٣) نفس المصدر، ص: ٣، ٤
- (١٤) دائرة المعارف، تاليف المعلم بطرس البستاني، المطبعة: دار المعارف بيروت

لبنان، ج: ١، ص: ٦٠٥

- (١٥) نفس المصدر، ج: ٢، ص: ٥٧٠
- (١٦) نفس المصدر، ج: ٣، ص: ٦٠٥
- (١٧) نفس المصدر، ج: ٨، ص: ٥٨٩
- (١٨) (The Encyclopaedia of Islam J. Jomier, Leiden E.J. Brill 1976)

V.17 Page 181

- (١٩) البقرة: الآية ١٣١
- (٢٠) النمل: الآية ٤٤
- (٢١) (Encyclopaedia of Britannica V.6 Page 409 Founded 1768 E)

1993

- (٢٢) الحج: الآية، ٧٨
- (٢٣) المعلم بطرس البستاني: المصدر المذكور، ج: ٨، ص: ٥٨٩

- (٢٤) دائرة المعارف، المصدر المذكور، ج: ٣، ص: ٦٠٥
- (٢٥) اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، الجزء الأول، دارالمعرفة بيروت، لبنان، سنة ١٩٨٤، ص: ٣٥٤
- (٢٦) فواد أفرام البستاني: دائرة المعارف، المطبعة بيروت، سنة ١٦٩٢ م، ج: ١، ص: ٩
- (٢٧) نفس المصدر، ج: ٤، ص: ٤٩٠، ٤٩١
- (٢٨) مفتاح المصباح في الصرف والنحو للمدارس، تاليف: المعلم بطرس البستاني، المطبعة الأميركانية في بيروت، سنة ١٨٩٥ م، ص: ٣، ٤، ٥
- (٢٩) نفس المصدر، ص: ٣٥٩
- (٣٠) أمثال الشرق والغرب، ليوسف توما البستاني، طبع بمصر، سنة ١٩١٢ م، ص: ٢
- (٣١) نفس المصدر، ص: ١٢٧
- (٣٢) نفس المصدر، ص: ٢٠، ٢١
- (٣٣) نفس المصدر، ص: ٥
- (٣٤) نفس المصدر، ص: ٥٨-١٠١
- (٣٥) جواهر الادب، لبطرس بن يوسف البستاني، المطبعة العمومية ليوسف صادر بيروت سنة ١٩٢١ م، ج: ١، ص: ٤، ٣
- (٣٦) نفس المصدر، ج: ٤، ص: ٤
- (٣٧) نفس المصدر، ج: ١، ص: ب
- (٣٨) المجاني الحديثة: لفواد أفرام البستاني، المطبعة الكاثوليكية، بيروت سنة ١٩٦٠، ج: ١، ص: ٣٥٩، ٣٦٠
- (٣٩) نفس المصدر، ج: ١، ص: ١، ب
- (٤٠) البيان، لكرم البستاني، مطبعة دار صادر، الطبعة الرابعة سنة ١٩٦٦ م، ص: ٣، ٤

- (٤١) نفس المصدر، ص: ٥
- (٤٢) نفس المصدر، ص: ١٦٥، ١٦٦
- (٤٣) انطوان مسعود البستاني: قواعد العرب، المطبعة دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج: ١، ص: ٨
- (٤٤) نفس المصدر، ج: ١، ص: ١٢، ١٤، ١٦
- (٤٥) الصورة الشعرية في الكتابة الفنية الأصول والفروع، للدكتور صبيح البستاني، المطبعة دار الفكر اللبناني، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٦ م، ص: ٦
- (٤٦) نفس المصدر، ص: ٢٠٢
- (٤٧) نفس المصدر، ص: ٧-٨، ١١، ١٢، ١٤، ١٦-١٩
- (٤٨) نفس المصدر، ص: ٢٠٢، ٢٠٣
- (٤٩) مجلة الكتاب (رئيس تحريرها عادل الغضبان) المطبعة دار المعارف بمصر سنة ١٩٤٩ م ١٣٦٨ هـ المجلد السابع، الجزء الأول، السنة الرابعة، ص: ٦١٦-٦١٧.



الفصل الثانى

مساهمة البستانيين فى الترجمة والتعريب

لقد كانت لبنان فى القرون الأخيرة محط أنظار أهل الغرب وميدانا فسيحا للنشاطات التبشيرية نظرا لتركيبية السكان المخلوطة بين المسيحيين والمسلمين مع أهل العرب والبعثات الأميركية الوافدة فى بلادهم بحكم ديانة واحدة.

وكان للبستانيين المارونيين بطبيعة الحال دور بارز جدا فى دفع عجلة حركة الترجمة ومساهمات عظيمة فى مجال الترجمة والتعريب ونقل آداب شعوب مختلفة إلى لغة الضاد. وكان لهم علاقات ودية مع أهل الغرب والبعثات الأميركية الوافدة فى بلادهم قامو بتوظيف البستانيين مترجمين وناقلين لأفكارهم إلى الأمة العربية فقد تعددت علاقات المعلم بطرس البستاني معهم فإنه قد تولى وظيفة الترجمة فى القنصلية الأميركية كما علم سمث (Smith) الإنكليز اللغة العربية وتعلم منه اللغة الإنكليزية وفى الوقت نفسه اشتغل معلما فى مدرسة "عبيه" التابعة للمبشرين الأميركيين. وغادر سليمان بن خطار البستاني إلى الولايات المتحدة راجيا أن يطلع الأميركان على محاسن الشرق ومواهب أبنائه وسافر كثير من البستانيين المارونيين إلى مصر وإفريقيا وأوروبا وأميركا وفرنسا للدراسة والتحصيل فقامت حركة الترجمة واسعة واقتترنت بحركة إحياء الآداب العربية وجمع مخطوطاتها وتأليف المعاجم العربية وكان سليم بن بطرس بن بولس البستاني ترجمانا لقنصلية الولايات المتحدة "الأميركية" وهكذا كان وديع بن فارس البستاني مترجما فى إحدى القنصليات الإنكليزية. وتوجد لهم فى مجال التعريب كتب قيمة منها مسرات الحياة للورد أفبرى (Avebury) ورباعيات عمر الخيام وإلياذة هو مبروس كما يوجد لهم

فى مجال فن الترجمة كتاب قيم باسم مناهج الترجمة لأدوار البستاني . وناول فى هذا الفصل أعمال البستانيين فى مجال الترجمة والتعريب .

(١) مناهج الترجمة

هذا الكتاب ألفه الأستاذ أدوار البستاني رئيس دائرة الترجمة فى الحكومة اللبنانية كما قام ادوار البستاني بنقل كتاب فولنى الرحالة الفرنسى إلى اللغة العربية وقد زار فولنى الشرق فى سنة ١٧٨٣م ونزل مصر وسورية ولبنان . وكتب عنها فصولاً نفيسة تتعلق بالحياة الاجتماعية والثقافية .

أما كتاب مناهج الترجمة فقد عرض فيه أدوار البستاني لقواعد الترجمة وأساليبها بسهل العبارة وحسن تنسيقها والأمثلة الرشيقة . وعدد صفحاته ١٢٨ وطبع بدار الطباعة والنشر الشرقية ، بيروت ، الطبعة الأولى سنة ١٩٤٥م ، ووجدناه فى مكتبة قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة على كره الإسلامية .

قد قسم أدوار البستاني هذا الكتاب على أربعة أبواب .

الباب الأول أصول الترجمة، والباب الثانى الترجمة العملية، والباب الثالث تصادم العبقریات، والباب الرابع الأمثلة والشواهد.

وتكلم فى الباب الأول عن أصول الترجمة وفيه فصلان، وتكلم فى الفصل الأول عن القراءة ومعانى المفردات وكيف تبحث فى القاموس ومخاطر القاموس ومزىء الجمل .

وقد دل الأستاذ أدوار البستاني الطلاب فى "مبحث القراءة" على أسلوب مطالعة الكتب وطرازها . ويقول لهم فيه: "اقرأ متن الكتب تكررارا ولا تركز إلى ماتناولته من معناه أولاً. ولا تنفك عنه حتى تتلمس الروح المختلجة فى حروفه، والحياة المتحركة فى عروق ألفاظه والموسيقى المندفقة من انسجام كلماته، والروعة المسيطرة على معانيه ومبانيه .

فثمة جمال يبرز من تناسق الكلم، وهزة خفية يلم بها الحس . ويعجز عنها التعبير . فالقراءة الثانية أو الثالثة أكثر ثمرة مما تقدمها يمكنك من تتبع الأفكار في تسلسلها والتعبير في دقائقها وتفصيلها“. (١)

وبعد ذلك رغبهم إلى طرق استقاء معاني المفردات فوضحها لهم قائلا: "متى وقعت على كلمة تجهل معناها أو تعرفه معرفة غامضة ناقصة فابحث عنه بآناة وروية . وإنها لطريقة رديئة أن تقرأ مقطعا من المقاطع وتفرد الكلمات التي لم تفهمها ثم تعود إلى القاموس فتتحري معانيها الواحدة تلو الواحدة بقطع النظر عن مواقعها من الجمل . بل يجب أن تفهم النص جملة جملة، فقد يختلف معنى الكلمة الواحدة باختلاف مركزها من هيكل التركيب".

وقد أرشدهم المؤلف إلى طراز مطالعة القاموس في مبحث "كيف تبحث في القاموس"

ويقول فيه: "سواء كنت في معرض الترجمة أو التعريب لا تلجأ بآدى ذى بدء إلى قاموس فرنسى عربى أو عربى فرنسى . بل اعتمد للترجمة القاموس العربى وللتعريب القاموس الفرنسى . وتتبع فى كليهما — حسب الاقتضاء — دقائق المعنى وحقيقته . ولك بعد ذلك أن تبحث عن مقابل الكلمة فى اللسان الآخر معتمدا على معجم ينطوى على اللغتين معا". (٢)

ويقول فى مبحث مخاطر القاموس "قد تقع الصعوبة على كلمة أوجد لها الاستعمال معنى لاتجده فى كلا المعجمين الفرنسى — العربى والأفرنسى، فإليك جملة نأخذها اتفاقا.

Ma confiance en vous ne saurait se dementir

فتجد فى معجم لاروس ان معنى Se dementir : Se contredire وفى

المعجم الأفرنسي العربى: ناقض نفسه أو تناقضوا وكذب نفسه . فإذا اعتمدت على القاموس كنت مسوقا إلى تعريب الجملة هكذا.

ان املئ بك لايمكن أن يكذب أو تناقض وبئس التعريب . والصواب ان ثقتى بك لن تخيب. (٣)

وقد أشار المؤلف التلاميذ إلى "مؤدى الجمل" فقال: "إنك الآن ألممت بمعنى الجملة بعدما تتبين معانى المفردات ولكن هناك فكرة مسيطرة تستخرج من مقابلة الجمل ومقارنة الألفاظ وهو ما نسميه بروح النص . فتلك الفكرة المسيطرة يجب أن تلازمك أثناء العمل لتستطيع معها من الإحاطة بشئ تحسه ولا تراه . فهو تارة روعة وفخامة وقوة، وهو تارة عذوبة ولين وموسيقى، أو هو سمو واعجاز وقد يكون سخافة وابتذال وانحطاط واسفاف . وهو ما كان القلب إلى قبوله أسرع من اللسان إلى وصفه". (٤)

وتكلم فى الفصل الثانى عن تأدية المراد أو الإفصاح، والنفاذ إلى روح المنشئ، والمحافظة على الأصل، وتلازم المعنى والمبنى، والترابط بين الجمل، والمحافظة على الإيقاع، وإلباس المنقول صيغة المنقول إليه.

وشرح الأستاذ أدوار البستانى للطلاب النفاذ إلى روح المنشئ فقال: "النفاذ إلى روح الكاتب أو الشاعر جهد نفسانى ومصدره الإحساس، قلت جهد نفسانى وهو كذلك فى بدء التماس بين روحى المنشئ والمترجم . فإذا تداخلتا واستحكمت التمازج بينهما تحول جهد المترجم إلى طمأنينة وارتياح إلى فكرة المنشئ ، فيألى شعور ذاتى بها، فيألى استيلاء عليها فيألى إحاطة وإمام بالحالة التى أوحى بها". (٥)

مثلاً:

فى العمر سر كامن ودفينة فى مهجتي

يا للهوى الابدى يبعث من خلال هنيهة

كتمته فيا

داء بلاأمل

من أمره شيئا

ومادرت ويحها

إن الشاعر Felix d'Arvers الذى عاش فى النصف الأول من القرن التاسع عشر علق فتاة حسناء لم يجرأ على البوح لها يحبه طوال حياته فعاش خائبا يائسا . وقد نظم فيها بعد زواجها هذه القصيدة الرقيقة التى فتحت أمام ذكره سبيل الخلود . وعندئذ تستم حلقات ذلك النطاق الذى حصرت ذاتك فيه . فقد نفذت إلى روح الشاعر وشعرت أنه أنت وإنك هو وإن نفثاته نزلت عليكم إحياء لك أن تخرجه بصيغتك وتلبسه وشاحا من سويدائك وتستودعه قطرة من قطرات نفسك. (٦)

وبعده نبههم إلى المحافظة على الأصل وقال "انقل الأصل بحذافيره ودقائقه معنى ومبنى . فال مترجم ملزم بالأمانة فى تأدية المعنى وفى طريقة إخراجه أحيانا . وكما ينبغى أن تنقل الفكرة صحيحة سالمة يتحتم أيضا أن تلبس هذه الفكرة دياجة الأصل أو مسحتته أو بروح النص .

إن الفكرة تتكيف بتكيف المبنى وإليك المثل .

واجتاز البرق السماء ولعلع الرعد فخاف الرعاة وتفرقوا . فلو قلت إضاء البرق الغمامة ومزقتها الصاعقة بلعلة مريعة فأخذ الرعاة من الهول وأدبروا .

وقرأت الجملتين على مسمع البعض لقال إن كلا المعنيين واحد ولو تبدل المبنى

وإن الصورة تنحصر فى هذا التعبير: أبرقت السماء وقصف الرعد وهرب الرعاة . (٧)

وتكلم فى "مبحث المحافظة على الإيقاع أو موسيقى الألفاظ" فالإيقاع هو تأخى

الصيغة والمعنى وتوافق النبرات بين الأصل والنقل . وهو يفترض الأذن الصادقة والذوق

الصحيح . يكثر فى الإنشاء الوصفى ويندر فى سواه . ومن البديهى أن الإيقاع نسبى أى أنه

خاص باللغة التى ينقل إليها ويخضع لأحكام بديعها وبيانها .

وإن الإيقاع كثيرا ما ينهمر من تقديم كلمة أو تأخير كلمة. إقرأ هذه الجملة التالية :
انطلقى يا طيور ليبيا التى تنحنى أعناقها الغيداء بإنافة.
وإقرأها مركبة هكذا :

انطلقى يا طيور ليبيا التى تنحنى بإنافة أعناقها الغيداء.
فهو من هذا القبيل وقف على توازن التراكيب وتراوج الألفاظ . وهنا ترشدك العين
والاذن، فلأعين آذان وللآذان أعين. (٨)

ثم استجلى إلياس المنقول صيغة المنقول إليه . فالصيغة من كل لغة صحة الديباجة
وانسجام التراكيب وهى بالنظر إلى الترجمة آخر ريشة يمرها الرسام إبرازاً لفتنة أو جمال أو
استكمالاً لفن غير ملحوظ . ويصح القول: إن الترجمة الصحيحة هى التى يفوت المطالع
أنها ترجمة . ومثاله قولك:

لا تترجل إلى اليوم الثانى مايمكنك أن تفعله اليوم . وما احسن أن تقول: لا تترجل إلى
غداك مايمكنك منه يومك. (٩)

وتكلم فى الباب الثانى عن الترجمة العملية، وفى هذا الباب ثلاثة فصول، وتكلم فى
الفصل الأول عن كيف تترجم والنهج، ومراعاة مقتضى الحال، وتكلم فى النهج نحت
عنوان "كيف تترجم" عن أن المترجم — والكاتب على السواء — له أن يسلك السبيل
الذى يجد فيه طمأنينته لدفع الخطاء وإتقاء الزلل. بيدان المؤلف ينصح للطلاب.

(الف) أن ينقلوا الأصل أولاً كأنهم ينسخونه نسخاً فيتأثرون المعنى فى دقائقه
وتفاصيله دون أن تستوقفهم إحكام لغة النقل. فإذا تم لهم ذلك :

(ب) طرحوا الأصل جانباً وعالجوا الصيغة على ضوء المبادئ التى يعرفونها من لغة
النقل فيقدمون ويؤخرون ويحذفون ويزيدون ويبدلون كلمة من سواها ويحلون عبارة محل
أخرى والشرط الايمسخوا.

ويقول المؤلف على سبيل المثال: "فنطبق هذا الإرشاد على القطعة التالية:

Puis ils opercurent une infinite de betes, efflanquees, haletantes, herissant leurs griffes, et confondues les unes par dessus les autres dans un desordre mysterieux qui epouvantait. Des serpents avaient des pieds, des taureaux avaient des ailes, des poissons a tetes d'homme devoraient des fruits, des fleurs s'epanouissaient dans la machoire des crocodiles, et des elephants, la trompe levee, passaient en plein azur, orgueille usement, comme des aigles.

ولنقلها حسب ماأرشدنا إليه في الفقرة الأولى:

ثم رأوا عددا لا نهاية له من الوحوش الذابلة اللاهثة المزبثرة الاظافر المختلطة بعضها فوق بعض في عدم نظام سرى يخيف، افاع لها ارجل، وثيران لها اجنحة، اسماك لها رؤوس، رجال تأكل الاثمار بجشع، وزهور تتفتح في اشداق التماسيح، وفيلة وترتفع خراطيمها وتمرفى صميم زرقة السماء بكبرياء كالنسور". (١٠)

وتكلم فى "مراعاة مقتضى الحال" فقال: "لا يتسنى للمعرب أن يراعى مقتضى الحال ما لم يجهد نفسه فى اختيار الألفاظ وتوشية الديباجة ونمنمة العبارة كما تنمى الريح وجه الماء والرمال، فيشد الجملة ويلزها فتنتطق رشيقة عضه، أو يلين أجزاءها ويرقق ألفاظها فتروح لدنة ومنسجمة، ويعالج منها موضع المعنى القوى فيقلب الكلام حتى تنصاع له الكلمة القوية المفعمة". (١١)

وتكلم فى الفصل الثانى عن "الترجمة الحرفية"، وهى أصدق وجوه الترجمة. وقال إن الترجمة الحرفية (La traduction litterale) هى أن يأتى المترجم جملة الأصل فينقلها بمعناها تفصيلا وبمبناها لفظ لفظة، فيرصفها على منهاج اللغة التى ينقلها إليها،

وينصب أمام عينيه قسطاسا فيضع الأصل في إحدى كفتيه والترجمة في الكفة الثانية حتى تتعادل الكفتان . ولا يفرض على المترجم أن ينقل جملة الأصل حسب ترتيب كلماتها بل عليه أن لا تفوته شاردة من معناها ومن مبنائها وكلاهما واحد . ومثاله:

الأصل:

Conserve-toi, instruis-toi, modere-toi, vis pour les autres afin que
les autres vivent pour toi (volney)

تعريبها:

ذاتك احفظ وتفقّه واعتدل
وأحى للناس ليحيا الناس لك

اسكندر العازار

فيمكن الترجمة الحرفية عند ما تجرى الصيغ والتراكيب في اللغتين المنقول عنها
والمنقول إليها على نمط واحد من التركيب مثلاً:

Conserve toi	(ذاتك احفظ
Modere toi	واعتدل
Instruis toi	وتفقّه
Vis pour les autres	وأحيا للناس
afin que les autres vivent pour toi (١٢)	ليحيا الناس لك

وتكلم في الفصل الثالث عن مالا يترجم بحرفه . ويدخل في هذا البحث

١- الأعلام - ٢- بعض المفردات - ٣- الجنس اللفظي. (١٣)

وتكلم في الباب الثالث عن تصادم العبقریات وغير ذلك

فالعبقرية هي الميزة التي تتسم بها اللغة والطابع الذي ترتديه في طرق التعبير

والتفكير وفى الصيغة والديباجة والاستعارة والكناية إلى ما هنالك من القوالب التى تبسها
مظاهر الفكر البشرى . ليس أدل على عبقرية أمة من عبقرية لغتها . وكماتتباين أخلاق الأمم
وعاداتها هكذا تتباين مناهجها وأساليبها فى الإبانة عن أغراض النفس .

وفيه ثلاثة فصول . وتكلم فى الفصل الأول عن "طريقة التفكير" فطريقة التفكير هى
ضروب المجاز والاستعارة التى يعتمد عليها الكاتب أو الشاعر وهى تختلف اختلافاً بيناً من لغة
إلى أخرى وبالأخص بين العربية والأفريقية، فهما من هذا القبيل متنازعتان متنازعتان ولعل
العربية أرحب صدرًا لتلقى محاسن زميلتها الفرنسية بطمأنينة ورضى وارتياح، بينما
لا يصدق العكس، وما كان الفضل بذلك لرحابة صدر العربية بل لكون الفرنسية أكثر انطباقاً
على الذوق الأدبى العام . فهى تنسجم فى كل العبقريات ويندمج جمالها بالجمال الأدبى
الشامل دونما جهد وعناء .

ألا ترى فى قول ابن المعتز:

وكان البرق مصحف قار

فانطباقاً مرة وانفتاحاً

صورة متحركة حية أيا كان اللسان الذى وشحتها به ،

وفى قوله:

البدر من شمس الضحى نوره

والشمس من نورك تستملى

مجازاً قد يحمل فى نظر المتأدبين العرب ويعرض أدباء الغرب على قحته وبهرجته .

إن ركن الجمال هو الحقيقة أو ظاهرها . وإنما تشوبه الغرابة فى الوصف والتكلف

فى التصوير والجهد الظاهر فى التخيل . والطريقة التى يجب اعتمادها فى نقل المكرة

المتسمة بسمة إحدى اللغتين دون الأخرى . وذلك الفكرة التى يلبسها مجاز يختلف الرأى

فى حسنه وقبحه بحسب ماتنطبق به العربية أو الفرنسية . (١٤)

وتكلم فى الفصل الثانى عن "طريقة التعبير". فقال: إن العبارة هى "الكلام العابر من لسان المتكلم إلى سمع السامع" — وطريقة التعبير هنا الأسلوب الكلامى الذى يراد به الإبانة عن الفكرة الواحدة . ويختلف هذا الأسلوب بين الفرنسية والعربية حيناً ويتفق أحياناً.

وفى هذه الجملة: "إن الرجل الذى يقف عند خيالاته يمنح نفسه لنفسه أكثر مما يجب وينقص من نفسه بالمقدار ذاته". ثمة مسألة جوهرية هى إنك لم تحكم الديباجة وبإمكانك أن تتوخى الإيجاز والوضوح. عليك إذن أن تطرح النص الفرنسى جانباً لأنك استفرغت معناه وعالج التعريب ضبطاً وتنقيحاً، وقل: "منح نفسه لنفسه انصرف إليها، وفى عبارة "أكثر مما يجب" معنى التجاوز، وعبارة "بالمقدار ذاته" تنطوى على إبهام فأى مقدار أنت تعنى . فلنعد على الجملة ونستبدل منها هذه الثانية "إن الرجل الذى يقف عند خيالاته يتجاوز الحد فى الانصراف إلى نفسه ويحط من شأنه بمقدار تجاوزه" فى هذه الصيغة مايفضل الأولى ولكن فى محمل التركيب بعض العرج فليس مايجوزنا مثلاً إلى نقل كلمة deceptions بصيغة الجمع وبإمكاننا أن نحل فعل أفرط محل تجاوز الحد . واستعمالنا هذا الفعل يمهد لنا استجلاء الغموض من طرف الجملة الأخيرة على ما ترى فى هذا التركيب: "من توقف عند خيسته فقد انصرف إلى نفسه وأفرط وحط من شأنها بمقدار ماأفرط". (١٥)

وتكلم فى الفصل الثالث عن "النبرات والأجراس" و"مناسبة الألفاظ للمعانى" و"موسيقى الحروف".

ويقول المؤلف فى عنوان "مناسبة الألفاظ للمعنى" إن العرب اعتمدوا الخفة والسلاسة فى صياغة الألفاظ وأهملوا كثيراً من الأصول للاستثقال، وقد انكروا تقارب

مخارج الحروف باعتبار أن حسن التأليف بينها يقضى بتباعد تلك المخارج وأن أفصح الكلام ما ينطلق عن ظهر اللسان مطمئنا رشيقا.

وإذ كانت الحروف تقسم إلى شديدة ورخوة ومهموسة كان لابد أن تحدث فروقا في وجوه المعانى بحسب وقوعها وموقعها من الكلمات، فمن أبرز خصائص الحروف دلالتها فى الغالب على المعنى المقصود، فقد أجمع أئمة اللغة مثلا على أن الحاء إذا تطرفت فى الكلمة دلت هذه الكلمة على معنى الاتساع والامتداد والانتشار، فى مثل قولك :

باح، ساح، طاح، لاح، سبح، تمدح.

وإن الألفاظ المبدؤة بالشين تدل على التفريق أو القطع أو الكسر، مثلا: شتت، شدخ، شطر، شق. (١٦)

وتكلم فى الباب الرابع عن الأمثلة والشواهد وبعض الأوضاع وبعض الأمثال وبعض الحكم وفى آداب المضيف و(حكاية) الثعلب ومن بيان وزارى (حكومى) ومقتطفات من نشيد الأناشيد ومقطعات من سفر الأمثال (بائبل) ومن بيان وزارى . ومقتطفات من سفر الجامعة ومقطعات من سفر أيوب . وتكلم فيه أيضا عن معركة، والغوطة، ومضيق فارس باشا، والمسيفرة، ووادى الحجارة وأمثولة فى المساواة، والأسد، وإستهلال تابين، ولمحة تاريخ، وليلة فى غابات الجديد، التورط فى الرحلة الخاسفة، وعن الإلياذة. (١٧)

إن هذا الكتاب نموذج عملى كامل فى فن الترجمة لجميع الطلاب والإساتذة

كما نراه.

(٢) مسرات الحياة: The Pleasures of Life

العالم الكبير اللورد افبرى هو مؤلف سلسلة ذهبية تأليف "معنى الحياة" و "السعادة والسلام" و "محاسن الطبيعة" و "مسرات الحياة" وهو المعروف بفيلسوف الحياة اليومية

و كان شيخا جليلا وأديبا بارعا وكاتبا عظيما وأكبر فرد من أفراد مجلس الأعيان الإنكليزي وعضو شرف في أكبر جمعيات العالم العلمية والفنية.

ومسرات الحياة كتاب أخلاقي في توجيهات سلوك إنساني عام وحياة اجتماعية مثالية. يبحث في فلسفة الحياة اليومية وهو معربّ ببعض التصرف نظما ونثرا بقلم وديع بن فارس البستاني وهو الذي قام بتعريب مؤلفات للورد من قبل مثل "معنى الحياة"، و "السعادة والسلام" و "محاسن الطبيعة". متوخيا الحرص على أفكار المؤلف وعلى لذة المطالع وفائدته في وقت واحد.

عربه وديع بن فارس البستاني من اللغة الإنكليزية قد سلك في تعريب هذا الكتاب طريق حنين بن إسحق والجوهري وغيرهما وهو الطريق المختار عند الجمهور أيضا كما ذكرناه آنفا. وصفحته ٢٠٧ وطبع بمطبعة المعارف ومكتبتها سنة ١٩١١ م. ووجدناه في مكتبة جامعة دلهي.

لقد نقله المعرب بعارة سهلة وألفاظ محكمة ومعاني غزيرة ورسمه رسما صحيحا ينطبق على لغة النقل ومشرب قرائه فإذا قرأ المطالع فيه مقالات اللورد المعروفة فكأنما يقرأها عربيا ولا يقرأها أعجميا ولم نعثر على النسخة الإنكليزية لكتاب اللورد ابيري فلانعرف السياق من أصل الكتاب لاستشهاد المعرب بالأشعار العربية لشعراء نالافحول ولكن كان عمله هذا على سبيل تجميل التعريب. وقد نجح فيه إلى حد كبير كما نراه في الصفحات التالية.

ويضمن هذا الكتاب مجموعة إثنين وعشرين مقالة توجيهية حول موضوعات مختلفة من مواقف الحياة اليومية منها.

(١) واجب السعادة (٢) سعادة الواجب (٣) تحية الكتب (٤) اختيار الكتب (٥)

نعمة الصداقة (٦) قيمة الوقت (٧) مسرات الأسفار (٨) مسرات البيت (٩) العلم (١٠)

التهديب (١١) المطامع (١٢) المال (١٣) الصحة (١٤) المحبة (١٥) الفنون الجميلة (١٦) الشعر (١٧) محاسن الطبيعة (١٨) مصائب الحياة (١٩) العدل والراحة (٢٠) الدين (٢١) تقدم العالم (٢٢) مصير الإنسان .

قد عرض له ”واجب السعادة“ فقال ما معناه إن السعادة متوقفة على اجتهد الناس بأنفسهم . وأورد عليه أقوال ابيكتاتوس وهو يقول: ”من كان غير سعيد، فالذنب ذنبه“ فإن الحياة هبة عظيمة وهدية قيمتها كل القيمة..... وهى سفر ومسير من المهد إلى اللحد ومملوءة فى الشقاوة والسعادة والمشقة والراحة . (١٨) فسقراط قضى عمره يعانى مزالمة ”الظلمة الثلاثين“ و ابيكتاتوس كان عبد امسكينا، ولكن افضاله جمه وآثاره خالدة . (١٩) والصحيح قول القائل .

أيها الإنسان فاعلم ليس لك
من نحوس او سعود فى الفلك
إنما نجمك ما أنت وما
لك غير الفعل جن أو ملك
إن ما تفعل من خير وشـ
ر كله منك تأتى وهولك

والخير والشر وإن كانا ضددين مختلفين، فكأنهما يتناوبهما المرء، صنوان لا يفترقان، ومن لا يخبر الإثنين فليس له أن يعرف للأول شأنًا وللاللثانى قدرا. (٢٠)

هكذا قد أظهر فى مقالة ”سعادة الواجب“ وقال: ”هاك كلمة ماركوس اوريليوس فى تأيبن انطونيوس ”أذكروا ثباته فى كل عمل معقول، ورضانته فى كل الأمور، وورعه وتقاه، ووجهه الملائكى المتدفق بشرا، وعذوبة عشرته، واحتقاره لكل مجد باطل، ومعاناته إدراك الحقائق وإجتلاء الغوامض فلم يكن ليدع أمرا إلا يتلافاه بالفحص والتنقيب

فيفهمه ويتبينه“ (٢١).

وتكلم فى مقالة ”تحية الكتب“ عن أهميتها ورغب إلى مطالعتها لأنها هى الأساتذة التى تعلمنا بلاعصا تأديب أو تعنيف، وبدون حدة ولا كلمات خشنة، وبدون أجر ولا مكافأة. نأتيها متى شئنا فلا نجد لها نائمة، نساثلها ونستفهما، فلاتضن علينا بما عندها من جواب وفصل خطاب. نخطئها ونناقضها، ولا تملنا ولا تحقد علينا. ومن كان جاهلا علمته وأخرجته من جهله بدون هزء به ولا سخرية. فمن ابتغى الحكمة والحقائق مطلبا، نشد السعادة ضالة، فليعشق الكتب ويولع بالمطالعة وأوضح تحية الكتب بكلمة المتبنى.

اعزّ مكان فى الورى ظهر سابح

وخير انيس فى الزمان كتاب (٢٢)

وأثار فى مقالة ”اختيار الكتب“ إلى أية كتب نختارها وأية منها نتركها لأن الكتب تختلف أنواعا وتتفاوت منافع وفوائد. فمنها الطيب والنافع والخبيث والفاسد. ومنها ما هو جدير بأن يطبع بماء الذهب إذ كله درر وفرائد ومنها ما هو بياض بسواد وورق ومداد، حرام أن يباع وغبن أن يشتري. بل ومنها عديم النفع، عظيم الضرر، ورب حبر على القرصاس هو البسم يدس فى النفوس، فيميت الشريف والنبيل من خلالها. فلذا أتى هنا بقول بترارك.

نقطة الحبر فكرة فوق طرس

والوف لها ومليون قار (٢٣)

وقد نبهه فى مقالة ”نعمة الصداقة“ على ضرورتها وأهميتها وفوائدها فأتى بقول بياكون: ”يحدث الصاحب صاحبه فيطيعه الكلام، وتحضره الأفكار ويعرف إذ ذاك حقيقة ما يدور فى خلده منفردا وما يتأمله معتزلا. ولمحادثة ساعة تكسب المرء من الحكمة ما لا يكسبه إياه يوم تأمل وتفكير بطوله“. ”مثل المستغنى عن الصداقة فى الدنيا، مثل القائل للشمس غيبى ولا تطلعى بعد، فقد استوت فى عيني الظلمة والنور“ كما قال شيشرون. (٢٤)

قد نصح فى مقالة "قيمة الوقت" للناس بالألفاظ المتشبهة والأقوال المتنوعة كما قيل
 "إن الوقت ذهب" ولكنه أثنى من الذهب فهو الحياة بعينها . فإن الحياة لتقاس بعمقها
 ولا بطولها، وبالأفكار والأعمال لا بالأيام والأجيال . ونعم الآتى قولاً بهذا الصدد: نبضات
 الفوائد معدودة، وثوانى الحياة محصورة، وآجالنا محدودة، ومنايانا مقدورة، والدنيا جميلة
 يعز علينا فراقها، فما الذى نحن صانعوه، وأى طريق نسلك، لكيما نموت وليس فى النفس
 رغبات ولا حسرات؟ وهاك نصيحة لورد شسترفيلد لولده: إعلم يا بنى أن كل دقيقة ضائعة
 سدى إنما هى فرصة فائتة وشيمة مائتة، وإن كل دقيقة مشغولة بعمل صالح هى وقت ثمين
 يعود بالفوائد والمنافع أضعافاً مضاعفة فالحياة أقصر من أن يحازف بأيامها يا بنى، فاعرف
 قيمة ساعاتك، واحرص على دقائقك وثوانيك. (٢٥)

وصور فى مقالة "مسرات الأسفار" المناظر البهيجة الخلافة للأقطار والأمصار
 المختلفة والمواضع المتشبهة من أنحاء العالم . فرسم أودية سويسرا بمحاريبها الصغيرة
 كأنها قد اختارت منحدرات الجبال مصدراً ومنبعاً، حباً منها للطفر والقفز من أعالى
 الصخور إلى أسافلها، تاركة ماءها على رحمة الهواء يقذف به ذات اليمين وذات الشمال،
 وينثره بلورا صافيا تكسبه أنوار الشمس لون النضار . ويلوح له ويقول المؤلف: "إننا نفوق
 السلف بجملة ميزات، ومن أهمها توفر أسباب الراحة والسرعة فى تحشم الأسفار، وزيارة
 الأمصار والأقطار". (٢٦)

وهكذا صور فى مقال "مسرات البيت" مناظره الرشيدة الأنيقة وبيئته الرائعة البديعة .
 فمصدر السعادة البيتية إنما هو التبسّمات، والنظرات الضاحكة، التى يتبادلها الاهلون،
 وتلك الشعائر الحبية المتجاذبة كمجارى الكهرباء بين القلوب الصافية الخالية من كل
 مايكدّر ويسى كما قال امرسن: وإنما نحب ساعة البيت وناره من فرط حبنا لأعضاء لعائلة
 وأفرادها كقول الشاعر العربى .

امرّ على الديار ديار ليلي

فألثم ذا الجدار وذا الجدارا

وماحب الديار يهيج وجدى

ولكن حب من سكن الديار (٢٧)

واستجلى فى مقالة "العلم" عظمتة الوافرة ومنافعه الجليلة ومناصبه العالية وحوائجه الغالية. فطوبى للانسان الذى يجد الحكمة، وللرجل الذى ينال الفهم. لأن تجارتها خير من تجارة الفضة، وربحها خير من الذهب الخالص. هى أثنى من اللآلىء وكل جواهرها لا تساويها. فى يمينها طول أيام، وفى يسارها الغنى والمجد. فالعلوم تحلى الأذهان وتنبه قوة الملاحظة وتقويها وهى الموقظ الوحيد من ذلك النخمول الذى يعترى الأذهان الخامدة المتبلدة وبها تعرف الأشياء كلها. (٢٨)

وتكلم فى مقالة "التهذيب" عن أهمية التهذيب والتعليم البارزة. فالتهذيب هو خزن المعلومات فى الحافظة بينما التعليم لا يقوم إلا بريضة العقل وتثقيفه وتقويم النفس وتربيتها. وقد يصح القول أن كل تهذيب تعليم وإن كل مهذب معلّم ولا يعكس. فالتهذيب لا يكون تاماً إلا إذا شمل وعم بعضاً من كل ماتوصل إليه الإنسان من المعرفة والاختيار فتحدث هذه المقالة عن الأمور المختلفة من التهذيب فالفيلسوف ابيكتاتوس يقول: "إذا أردتم خدمة المجتمع الخدمة الحقيقية، فارفعوا النفوس وقومو المعوج من أميالها وأهوائها عوضاً عن أن ترفعوا المنازل وتقيموا سقوفها. فلأن تسكن النفوس الكبيرة فى البيوت الحقيمة، خير من أن تقيم النفوس الصغيرة فى البيوت الكبيرة. (٢٩)

ورغب الناس فى مقالة "المطامع أو الطموح وطلب العلى" إلى حصول المجدو الشرف وأرشد إلى طرق أحدهما فمن أراد تحقيق الآمال، فليحد غايته منها أولاً، ثم ليشرعن ساق الكد والاجتهاد، ويجدّ فى السعى إليها، منتهزاً الفرص فى أحيانها، باذلاً

خير ما فى وسعه وطاقته . فإن هذه هى الطريقة المثلى للنجاح والفلاح . ولا يحتقرن الفرص
وأهمية اغتنامها عند سنوحها، فالفرصة إن أدبرت فلن تقبل بل هى إن فاتت ماتت فالمجد
من بعد الجد والعلاء من بعد حسن البلاء ولله در القائل .

ومن طلب العلى من غير كد

اضاع العمر فى طلب المحال (٣٠)

وأظهر فى مقالة "المال" فوائده ومضراته فطبائع الناس مختلفة كثيرة منهم يطمعون
فى الثروة ومنهم يطمحون إلى العلوم والفنون ولا مشاحة أن للغنى شوائبه وآفاته . ومن
أحب المال، كان له من نفس حبه آفة هى أم الآفات لأنه يصبح، كلما نال منه نصيبا ازداد
إليه شوقافهو أبدا صديان لا يروى له غليل، وسغبان لا يقتله إلا جشعه ونهمه . ولا ريب أن
الثروة نعمة مشكورة، ورغبة محموددة لما أنها تمكن المرء من مساعدة إخوانه المحتاجين
وتبليغه غاياته وتنيله مآربه، من مثل اقتناء الكتب وإتباع الميل فى الفنون، واغتنام فرص
السفر والسياحة فى هذا العالم الجميل . فزبدة القول أن الثروة لا تكون بركة إلا إذا أحسن
استعمالها والانتفاع بها . (٣١)

وهذه المقالة "الصحة" تشتمل على أهميتها وقيمتها العظيمة جدا . فالصحة رأس
أمور الإنسان وأولها، والجمال ثانيها، والغنى المكتسب كما يحق ثالثها، ومسرات
الشباب بين الأصدقاء رابعا . وهى نعمة عظيمة وبركة كبيرة فكثير منهم يستخفون بأمرها
ولا يكلفون أنفسهم أقل مشقة فى سبيل حفظها والاعتناء بها . ولها شروط بسيطة مفهومة —
وماهى إلا تنظيم العادات، والمواظبة على الرياضة البدنية، ومراعاة النظافة، والإعتدال فى
كل الأمور من مأكل ومشرب وغيرها . هكذا القى المؤلف الضوء على الأمور الصحية
المهمة. (٣٢)

ومقالة "المحبة" مجتمعة على الأمور الحبية والترغيبات عليها وفوائدها الوافرة

جدا . فالمحبة شمس الحياة ونورها . والمرء لا ينعم إلا أن يشارك في نعمته . وهى ترافق المرأ فى جميع أدوار الحياة وأطوارها . وهى فى الطفولية والصبوة حب الأبوين وفى الرجولية حب الزوجة ، وفى الشيخوخة حب البنين ، وأبدا حب الإخوة والأخوات والأقارب والأصدقاء . فالحب هو الباعث الوحيد على التفانى والتضحية بالنفس فدى لأحبا بها . وهو علة الحركة فى النفس ، ومصدر اللطف وأس الصداقة . وما الحب مما ينتهى بانتهاء الحياة بل أنه من الباقيات الخالدات . فشأن الحب مع المكان شأنه مع الزمان فهو موجود فى كل أين وآن . (٣٣)

وقد كشف فى مقالة "الفنون الجميلة" قيمتها العظيمة وأهميتها الكبيرة . فالعن عبارة عن اختيار كل ما هو طاهر ومحبوب من محاسن الطبيعة . أما محاولة التغيير والتحسين فهى التفنن والتصنع . ولذة المصور عشق تلك المحاسن ، وفضله إظهارها للملاء وتشويقهم إليها . والعظمة فيه تكون بنسبة حب الجمال الذى يدعوا إليه المصور ، بشرط ألا يجيئ ذلك الحب مجحفا بحق ذرة من الحقيقة . فالفنون من أعظم مناهل السعادة البشرية وأصفى مواردها . ومن خاصياتها أنها تروض العقل بواسطة العين وتمرن العين بواسطة العقل . كالشمس للأزهار كذلك الفنون الجميلة لأيام الحياة فإنها تزيد فى زهائها وبهائها . (٣٤)

وأوضح فى مقالة "الشعر" حقائقه وما هيته وضرورته أشد ضرورة فقال تنسون: الشعر إن حرك قلب الأمة، فنعمة اكرم بها من نعمة . فالشعر أمير الفنون الجميلة، لأنه يموق سواء فى وصف غير المحدود . والفنون الجميلة تكاد تكون مستقلة متفردة . والشعر ييقظ العقل وينبهه بما يجعله مسرحا للأفكار المتسلسلة المترابطة تسلسلا وترابطا . (٣٥)

ورسم فى مقالة "محاسن الطبيعة" حقائق العالم ومحاسنه وجماله والأمور الخارجية له . يقول شاكسبير: وإذا سلمت من شر الناس فى هذه الحياة، غدوت ترى السنأ

للأشجار، فتناجيهما، ومعانى فى صفحات الأنهار فتأمل فيها، وعظات على أفواه الحجر، فتصيخ إليها ورحت ترى فى كل شى صالحات وطيبات“. ويقول المؤلف: ”وإن المقام ليضيق بنا ووصف كل من الفصول الأربعة هى بنات العالم الأربع، المتفردات بجمالهن ومحاسنهن تفردهن بالأسماء“. والأزهار هى ريش الأكواخ الفاخرة، وحلى الفلاح الثمينة. وإذا استنبتت فى الشرف والنوافذ من بيوت الفقراء، كانت فلذة من قوس الألوان، بل نطاق الجمال الذى تشمل به السماء. وهكذا الشمس والقمر والليل والنهار والأشجار والجبال والأنهار والبحار وجميع الأشياء فى العالم نجد هناك المناظر البهيجة الخلافة والجذابة. (٣٦)

وقد أبان فى مقالة ”مصائب الحياة“ إن المصائب والافراح والشر والخير للحياة صنوتان لا تفترقان. فكثيرة هى المصائب التى يمنى الناس بها فى هذه الحياة، ولكنها أنواع. فبعض الأحزان حقيقة شديدة الوطأة على النفس، ولكن البعض الآخر وهو الأكثر، ليس إلا أشباح أتراح، وخیالات مصائب موهومة، يكفى أن يقال إنها ليست من بنات الدهر بر من بنات التصور والفكر. وبعض المصائب شرور وبلايا ولكنها ليست بمصائب. وبعضها مصائب حقيقة ولا شر فيها. فنعم مقال الشاعر أوبردى فر:

وإن ما حُببت بخير فشكرا

وإما ابتليت بشرف صبرا

فكالفرح الحزن إن حل صدرا

ليدخله تربا ويتركه تبراً (٣٧)

وحت فى مقالة ”العمل والراحة“ للناس على الأشغال فى حصول الراحة. فقال: ”اشتغل فى كل حين اشتغل، سواء مأجورا أم غير مأجور، اشتغل. كل ما عليك أن تشتغل. وجزاؤك لن يضيع..... وليكن شغلك بأمانة..... ومهما فشلت فلا تيأس ولا تعجب“. فإن العمل، ولو كان شاقا، إذا لزمته فيه حدود الاعتدال كان ينبوع سعادة لا ينضب. وجوائز

الحياة أكثر من أن يستنفدها العمل، والاجتهاد والثبات، والنجاح، فإن المجال واسع
والجعالات كثيرة والميدان فسيح، وقصب السبق نصيب المجتهدين كثروا أم قلوا.
والراحة هي خير جزاء وخير أجر يناله المرء بعد العمل . ولا بد من الراحة دون إستطاعة
العمل، ولا بد من العمل دون التمتع بالراحة.(٣٨)

وقد ألقى ضوءا فى مقالة ”الدين“ حول حقائقه وماهياته المهمة . فالدين يدور بين
أمرين مختلفين وهما دين القلب ودين الرأس أو دين العقل . فالأول يبحث فى المبادئ
وواجبات الإنسان وهو الدين فى الأصل . وأما الثانى فبحته يتناول الطبيعة، وما فوق الطبيعة،
والنفس ومستقبلها، وهو فى الحقيقة فرع من فروع العلم والمعرفة . ويقول المؤف
”وعندى أن الدين يجب أن يكون قوة فى النفس، ودليلا أميناً وسلوة وعزاء..... لا منشأ
لإضطرابات العقلية والمشاغبات الجدلية“ . فزبدة القول إن الدين هو العلاقة بين النفس
ورب النفس كما يقول الشاعر :

الدين لله ليس الدين للبشر
والدين بالفعل ليس الدين بالنظر
ولا غرابة أن تكثر مذاهبنا
إذا ارتحلنا وجدّا لكل فى السفر
الله فى كونه بالقلب نعرفه
لا بالسمع ولا باللمس والبصر
وفى ضميرك صوت امره حكم
ونهيّه حكم من آية الغرر
ما الدين بالكتب واللاهوات أفضله
بل بالشعور بفرض بالنجاز حرى (٣٩)

وتتضمن المقالة "تقدم العالم" على الأمور التي تدل على أن العالم على مسير التقدم والرقى بالنسبة إلى الماضي فاخترع المهندسون الكهرباء والسكة الحديدية والعمليات الجراحية والغاز المضحك، والمجهر، والمقرب وغير ذلك. وهذه الأشياء ما كانت في العهد الماضي، ويستقدم في المستقبل أيضا.

قد صور في مقالة "مصير الإنسان" أحوال حياة الإنسان من المهد إلى اللحد فالإنسان تتعرض له في حياته المصائب والشدائد والراحة والفرحة فحياة الدين كم قال مانو: "فردا يولد المرأ، وفردا يموت . وفردا يعاقب، وفردا يثاب . وإذا مات الإنسان كان جسمه كالشجرة الساقطة على الأرض، أما فضائله فتلزم روحه، لزوم الروح للجسد إذ كان حيا. ولما كان الموت ظلما لابد من اختيارها، فليكسب المرأ من الفضائل من أيديها، تكن له مؤنسات في وحشة الظلام، فكل امرؤ يجزى بما كسبت يده". ويعتقد البعض بخلود النفس على الإطلاق بعد الموت ولا يعتقدون بخلود الشخص، أى ان نفس زيد هي نفس زيد قبل الموت وبعده. وكون حياتنا تستمر في حياة أولادنا ذلك مما قد يستنتج من تشبيه بولس الوارد في الكتاب إذ يقول إن حياة الإنسان كحبة القمح التي تحفظ فيها لتكون حياة النبات في السنة التالية. (٤٠)

(٣) رباعيات عمر الخيام:

قام بتأليف هذا الكتاب في اللغة الفارسية غياث الدين أبو الفتح عمر ابن إبراهيم الخيام أو الخيامي .

وأما الكتاب الذي نحن بصدده فهو تعريب لمختارات من رباعيات عمر الخيام ترجمها وديع بن فارس البستاني من اللغة الإنكليزية إلى العربية نظما وطبع بمطبعة دار المعارف بمصر، الطبعة الأولى سنة ١٩١٢م والطبعة الثالثة سنة ١٩٤٧م ووجدنا هذا الكتاب في مكتبة قسم اللغة العربية وآدابها للجامعة الإسلامية عليه كره وصفحته ١٣٧،

فيشتمل هذا الكتاب على ديباجة ومقدمة والنشيد الأول والنشيد الثاني وتفسير الألفاظ الغربية وكلمة مصطفى لطفى المنفلوطى حول روح الخيام رباعياته . وقد عربه فى اللغة الإنكليزية الشاعر الإنكليزى المطبوع فتزجرلد فهو الذى استوحى الخيام روحه ونظم رباعياته فى رباعيات إنكليزية خلدت إسمه فى تاريخ الأدب الغربية وطيرت شهرته فى إنكلتر وأمريكا وأوربا قاطبة ولا بدع أن لقبوه بعمر الخيام الغربى كما فعلوا. (٤١)

والطريق الذى اختاره وديع بن فارس البستانى فى تعريب هذا الكتاب هو أن يأتى الجملة فيحصل معناها فى ذهنه ويعبر عنها من اللغة الأخرى بجملة تطابقها سواء سارت الألفاظ أم خالفتها وهذا الطريق أجود هكذا عرب وديع بن فارس البستانى كتابه هذا . وهو أول من ترجمه إلى اللغة العربية نقلا عن الإنكليزية نظما . وقد اتبع فى درس الرباعيات أولا وفى نظمها وتنسيقها ثانيا وثالثا طريقة فتزجرلد كما هو يقول : ”فبعد ما وثقت من أن رباعيات فتزجرلد هى نفس الدرر الفارسية منظومة فى عقد يأخذ جمال تنسيقه بمجامع العقل والقلب والنفس جميعا، عدت إلى تلك الكتب التى تبحث فيها وتفندھا تفنيداً وتنتقدھا انتقاداً وجعلت أدرسها وأطالعها بكل تودة وامعان . فكنت اقضى فى سبيل الرباعية الفتزجرلدية الواحدة ثلاث ساعات أو أربعا موازنا بينها بين الرباعية أو الرباعيات التى تعد أصلا لها فى ترجمات هو نيفلد ونيقولاس وغارنر وميكارتى وأعود فاستصفى معنى السباعية الواحدة من تلك المصادر جميعا . وكنت اتوخى فى جميع ذلك الحرص على تادية المعنى الخيامى بعينه بل كنت أميل إلى الاقتصار على اليسير من كثير منى إلى زيادة شئ من عندى . وجل قصدى الإشارة إلى ما بذلته من الجهد وافرغته مما فى الوسع فى درس الرباعيات بترجماتها المتقنة الإنكليزية والأفرنسية نثرها وشعرها وحرفها وغير حرفها“ . (٤٢)

وكان سليمان البستانى أول من فتح الباب ووضع الأصول والقواعد للتعريب

الشعري أو المنظوم للروائع في مقدمته للإلياذة الشهيرة الجديرة بمطالعة المتأدين . وأما رباعيات عمر الخيام فهي كإلياذة في أنها نقلت إلى لغات أوروبا قبل أن تعرف الأدب العربي الحديث . وأول ترجمة عربية لها هي التي نشرها وديع البستاني نظماً سنة ١٩١٢ م معتمداً فيها بالأكثر ترجمة فيتزجرلد الإنكليزية. (٤٣)

إن "رباعيات عمر الخيام" من الآثار الشعرية الرائعة التي تعاورها المترجمون العرب بين الترجمة الشعرية والنثرية . وكان وديع البستاني الرائد الأول في ترجمتها إلى العربية شعراً، ثم جاء المرحوم محمد السباعي فترجمها من الإنكليزية أيضاً - كما فعل البستاني - واختار لها الشعر قالبا كذلك، وترجمها الشاعر العراقي السيد محمد الهاشمي شعراً، وكذلك فعل الشاعر جميل صدقي الزهاوي، وأحمد رامي، اللذان ترجمها عن الفارسية إلى شعر عربي، وإن كان الزهاوي قد قرن بين النثر والنظم، وجاء الشاعر العراقي الأستاذ عبدالحق فاضل من سنوات قليلة فترجم الرباعيات شعراً عن الفارسية التي تعلمها من أجل ذلك - كما فعل سليمان البستاني حين تعلم اليونانية من أجل ترجمة الإلياذة - ونشرها في كتاب يشتمل على دراسة جيدة وترجمة رصينة قوية بعنوان "ثورة الخيام" وممن شارك في ترجمة رباعيات الخيام شعراً شاعران آخران: أحدهما مصري هو المرحوم الدكتور أحمد زكي أبو شادي، وثانيهما عراقي هو الشاعر أحمد الصافي النجفي .

وفي زحام هذه الكثرة الطيبة من ترجمة الرباعيات الخيام الشعرية، نرى ترجمة نثرية للأديب العراقي أحمد حامد الصراف . وقد وضع الترجمة العربية لكل رباعية عقب إيرادها مكتوبة باللغة الفارسية وجاء بعد ذلك توفيق مفرج اللبناني المتمصر، فترجم رباعيات الخيام في نثر شعري. (٤٤)

ولقد عرب وديع البستاني رباعيات عمر الخيام مسايرامع تيار التجدد والتطور الفكري، وذلك في سنة ١٩١٢ م. ثم يقول في سنة ١٩٤٧ م: "وسأثبت في الإخراج الثالث

كلمة المنفلوطى إلى، بخط يده الكريمة، فإنها كانت ترسى ومجنى وبها ادرعت، يوم فتحت الباب عن أدب فكرى جرى رمى صاحبه بالزندقة، فى حياته، وبالتهتك، بعد مماته، وها أنا ذا اليوم وورائى جيش من اخوانى العمرين العرب. (يعنى الأدباء الذين صرّفوا همّتهم إلى درس فلسفة عمر الخيام وشعره). وقد انطلقت الحرية الفكرية، انطلاقاً كاد يلتبس ببوح الإباحة وفوضاها. (٤٥)

وبالإخراج الثالث هذا يرمى وديع البستاني إلى أغراض علمية وأدبية معينة منها:

- ١- التفريق بين الترجمة والتعريب فى نقل الشعر.
- ٢- إثبات فضل التقدم، والجرأة الفكرية، لأبى العلاء المعرى.
- ٣- الدلالة على أن عمر الخيام كان فيلسوفاً، بشعره، وبرسالته المذكورتين، وأن رباعياته أدب عالمى موفق يعين على النظر إلى الحياة نظراً صالحاً. (٤٦)
- وعلى رغم من شعره ما لا يشم منها إلا رائحة الخمر والكفر والتهكم واللامبالاة فإن وديع يعتقد أنه لم يكن سكيراً و كان مسلماً طليق الفكر وشديد الجراءة. (٤٧)
- ويقول: "ونحن اليوم فى عصر لا ينظر فيه إلى من قال بل إلى ما قيل. (٤٨)
- وأما السباعيات هذه فقد قام بنظمها وديع البستاني فى أثناء إقامته مدة وجيزة فى لندن حيث وجد فى مكتبة متحف البريطانى مائة وثلاثة وخمسين كتاباً فى عمر الخيام ورباعياته فانتخب من تلك الكتب ما يسد حاجته ويقضى لبائته. وقرأ كثيراً من أعمال العمرين الأوروبين نثرهم وشعرهم العمرى ومن أسماء من اعتمد منهم واستعان بهم فى درس عمر ورباعياته: أدورد هرون ألن، وأدورد برون، ونيكلسن، وشيرازى، وهو يغلد، وغارنر، وميكارتى، وهنرى فرنان، ونيقولاس، ولوران تايلاد، وجارسان دى تسي، ومسزجسيى، ومسزبورين. (٤٩)

ويقول وديع البستاني عن فترز جولد إن ترجمته محور تدور عليه تأليف متعددة لأدباء

كثيرين الإنكليز والفرنسيين والأميركان وقد اعتمد نفسه على رباعيات فترزجرلد في إخراج سباعياته . ويقول عنها: "إن منظومة فترزجرلد هي الفضلى لأن طريقته هي المثلى، ولأنها بمثابة محاوردارت عليه دراسات ومباحث . ولذلك فقد اتبعتها في درس الرباعيات أولا وفي نظمها وتنسيقها ثانيا وثالثا". (٥٠)

وفترزجرلد هو الشاعر الإنكليزي المطبوع الذي استوحى الخيام روحه ونظم رباعياته في رباعيات إنكليزية خلدت اسمه في تاريخ الآداب الغربية، وطيرت شهرته في إنكلترا وأمريكا وأوربا قاطبة ولا بدع أن لقبوه بعمر الخيام الغربي ظهرت رباعياته لأول مرة في سنة ١٨٥٩م. (٥١)

ويقول وديع البستاني عن ميزة منظومة فترزجرلد: "إن الرباعيات مرتبة في النسخ الخطية المختلفة بحسب قوافيها لا بحسب معانيها ومراميها وأغلب مترجميها ترجموها وشرحوها، إن نثرا أو شعرا أو بتصرف أو بدون تصرف، رباعية رباعية، أما فترزجرلد فإنه بعد الفراغ من درسها وتفهم مغازيها وإدراك مرامي الخيام فيها، فضل عنده أن يجعلها محمة واحدة أو نشيدا وحيدا بل عقدا فريدا، فكان يقوم ويؤخر في ترتيبها متوخيا تسلسل الأفكار واتساقها . فجاءت منظومته، بفضل حسن اختياره وإصالة ذوقه، حيث اعترف له الثقات العارفون وقالوا إنه لو بعث الخيام من قبره في أواسط القرن التاسع عشر وكانت نفسه نفسه ولسانه الإنكليزية لكان نظم رباعياته كما فعل فترزجرلد تماما. (٥٢)

وليس هذا فحسب، بل يعتقد وديع البستاني أن رباعيات فترزجرلد هي نفس الدرر الفارسية منظومة في عقد يأخذ جمال تنسيقه بمجامع العقل والقلب والنفس جميعا. (٥٣) ولذلك يقول: "عساني لم أظلم تلك الروح بنقلها من بيت فارسي إلى بيت عربي بل من رباعيات إلى سباعيات . (٥٤) وهذا من الغريب فإنه كما يقول نفسه لا يكاد يعرف من الفارسية حرفا واحدا. (٥٥) وعذره في هذا الصدد أنه قضى في سبيل الرباعية الفترجرلدية

الواحدة ثلاث ساعات او اربعا موازنا بينها وبين الرباعية أو الرباعيات التي تعد أصلا لها في
ترجمات هو ينفلد ونيقولاس وغارنر وميكارثي (من الكتب التي تبحث فيها وتفندھا تفنيدا
وتنتقدها انتقادا) ويعود فيستصفى معنى السباعية الواحدة من تلك المصادر جميعا . (٥٦)
ويضمن هذا الكتاب سبعين سباعيات مع الفاتحة التي هي مستمدة من ثلاث
رباعيات مختلفة وجدها وديع البستاني في مطلع ثلاث من النسخ الخطية وهي من أجمل
أقواله التي يشير بها إلى إسلامه وحسن عقيدته . يقول:

رب رحماك إن أردت الحسابا إنما قلت ما حسبت صوابا
أفلقى، على يدك، العقابا بين من صوروا الوجود سرايا
أنا أجلك في الكؤوس حبابا أنا شيخ التوحيد بين الندامى
لا أثنى إن عددوا الأربابا (٥٧)

إلا أننا لم نعثر على الأبيات الفارسية التي هي أصل هذه الفاتحة . (٥٨)
ولكن لا يفوتنا خبرة وديع البستاني في اختيارها للفاتحة فإن ميزتها الاستنفاع
بحسن العقيدة برحمة الله وكرمه وليس فيها الاعتذار بالقدر وجور المتدينين كما هو دأب
المبتدعين في جرئتهم على الفسوق وكما هو دأب أكثر الشعراء الهنود والأعاجم ومنهم
عمر الخيام في كثير من رباعياته المنسوبة إليه والتي نراها في سباعيات وديع البستاني أيضاً
فيقول مثلاً:

أنا عبد عاص، رجوت رضاكا وفؤادى المظلم رجى ضياكا
تفضل، واسكب علينا صفاكا رب حاشاك أن تبيع النعيما
بيع سوم إن كنت ربا رحيمًا فأنت المدين يدفع دينا؟

أم كريم يعطى ندى ونوالا؟ (٥٩)

ويقول مشيرا الى قدر الأفعال:

عندما أسرج الجياد وهيا لعلى الشمس موكبا ذهيب
وجاننا بالمشتري والثريا قام فى الغيب للقضا ديوان
ونصيبى مارجح الميزان قسمتى.....ماترون فى ومنى

فاعلموا..... إن ذمتم الأفعالا (٦٠)

هذا، وفى قوله من الفاتحة:

بين من صوروا الوجود سرايا أنا أجلك فى الكؤوس حبابا
أنا شيخ التوحيد بين الندامى لا أثنى إن عددوا والأربابا

ما يشير إلى أصالة هذه الأبيات فإنها تحكى بيئة عمر الخيام الفلسفية الصوفية التى من خصائصه تسوية الدنيا والآخرة والتوحيد والشرك والحق والباطل . فإن الوجود ، واحد (يمسى الحق لا الله إما الوجود غير الحق فهو سراب عندهم) قد يتعدد مظاهره ، وهكذا يهدى توحيد الوجود إلى تعدد الآلهة لدى المتصوفين و المتألهين والفلسفيين من أهل العجم والهند واليونان وفى تقابل كلمة سراب مع حباب فى الكؤوس) ربما يكون جمل تعبير حسن العقيدة مع ملابسة بشيئ من الأبيات والفساد والسلوك .

ولنعرض هنا لبعض سباعيات وديع البستانى وتقابله مع رباعيات فتزجرلد ومع

رباعيات بعض الأدباء العرب فيقول عمر الخيام فى رباعية فارسية:

آمد سحرى نداز ميخانه ما كای رند خراباتى ديوانه ما
برخيز كه پر كنيم پيمانه زمی زان پيش كه پر كنند پيمانه ما

ويقول فتزجرلد:

"Before the phantam of False morning died,

"Me thought a voice within the Tavern eried,

"When all the Temple is prepared within,

"Why lags the drowsy warshipper outside?" (٦١)

ويقول وديع البستاني في أول سباعياته تعريبا لرباعية فتزجرلد:

بُتُّ في حانتى سميرا المدام وقبيل انهزام جند الظلام،

هتف الطيف بالندامى النيام أيها الغافلون هُبُّوا قياما،

وارشفوها، وودعوا الأيام قبل أن تجرعوا كؤوس المنايا

وتعافوا، والخمر عزت شرابا (٦٢)

ويقول أحمد رامى في أول رباعيته:

سمعت صوتا هاتفا فى السحر نادى من الحان: غفاة البشر

هبوا ملاؤا كاس الطلى قبل أن تفعم كاس العمر كف القدر (٦٣)

إن رباعيته فتزجرلد أبعد ترجمة من أصلها الفارسى وخاصة ترجمته للمصرعتين الأخيرتين فإنها لا مناسبة لها بأصلها وهذه هي كيفية كثير من رباعيات فتزجرلد فإنه يترجم الأصل الفارسى لا بتصرف فحسب بل بتوسع كبير وهذا على رغم قول وديع البستاني في رباعياته أنها هي نفس الدرر الفارسية كما مر . ومما لا شك فيه أن وديع البستاني يصدق في قوله إنه قابل رباعيات فتزجرلد مع الرباعيات التى تعد أصلا لها فى ترجمات أخرى لها متوخيا تأدية المعنى الخيامى بعينه إلا أن ترجمة أحمد رامى أقرب إلى الأصل فى المثال الذى نحن بصدده.

ونذكر الآن مثالا آخر يشير إلى أن وديع البستاني قد راجع عند تعريبه الأصل

الفارسى فيقول عمر الخيام :

اين چرخ و فلک که مادر او حیرانیم فانوس خیال ازا و مثالی دانیم

خورشید چراغدان و عالم فانوس ماچون صوریم کاندرا و حیرانیم

"We are no other than a moving row"

"of visionary shapes that come and go

"Round with this sun illumin'd lantern held

(٦٤)"In Midnight by the Master of the shiw;

ويقول وديع البستاني في سباعيته معربا لها :

فلك دائر، وحيرى ظلال	وخيال ينساب خلف خيال
وخذ الكون كله بالمثال	شمعة، شمس، ومثلك يدري؛
هو مثل الفانوس، فانوس سحر	صور نحن حركتها الليالي

وحيارى، كالظلال انتقالا (٦٥)

إن هذه السباعية لوديع البستاني عنوانها فانوس الخيال وهذا لا يمكن إلا بعد مراجعته الأصل الفارسي الذي وردت فيه كلمة "فانوس خيال" أما ترجمة فتزجرلد فهي كما قلنا أبعد من الأصل الفارسي إذا قوبلت مع ترجمة وديع البستاني كما نراه .

ومن سباعيات وديع مالم تتضح معناه وحتى بعد زيادة كثيرة و مثاله قوله :

يعلم الله اننى سكير	وهو أمر عند العليم يسير؛
ونظيرى، بين الكرام كثير	يعلم الله، يعلم الله، فعلا؛
رب خاشاك، ليس علمك جهلا؛	فزقاقى مملوءة و دنانى؛

وأنا أشرب الكؤوس امتثالا (٦٦)

وكل ما يريد أن يقول هو:

يعلم الله بشرى هذا الصهباء قدما فإذا لم احسها لم يك علم الله علما (٦٧)

وفى بعض الأمثلة نرى سباعيته أجمل تعريب للأصل الفارسي و مثاله قوله:

إن عقلى ضياع عقلى ودينى؛ قلة الدين، وأحد يكفينى ،

بعد شكى، فى الخمر جاء يقينى؛ وثلاثا، دينى وعقلي بتاتا؛
 بت طلقت فالخطبوا الى الفتاتا؛ بنت كرم، وكنت اشرب رطلا؛
 فاجعلوه فى عرسنا ارطالا (٦٨)

وأصله الفارسي مايلي:

امشب مى جام يكمنى خواهم کرد خود را بدو جام من غنى خواهم کرد
 أول سه طلاق عقل ودين خواهم کرد پس دختر زرا برنى خواهم کرد
 وترجمته الفتزجر لدية:

"You know, my friends, how bravely in my house"

"For a new Marriage I did make carouse:

"Divoreed old baren Reason from my Bed,

"And took the Daughter of the vine to pouse. (٦٩)

وتعريبه فى ثورة الخيام مايلي:

سوف احسو اليوم بالجام الذى يملأ رطلا
 وبجامين سأغدو موسرا جدى أعلى
 فلا طلق يا نديمى الدين والعقل ثلاثا
 فسابنى بابنة الكرم، ولا أسمع عدلا (٧٠)

وهكذا يمكن القول فى مثال آخر له، فقابل مثلاً قول عبدالحق الفاضل فى "ثورة الخيام"

كرّبى الفكر إلى أول يوم فى الخليفة
 ناشدا فى اللوح والجنة والنار الحقيقة
 وإذ العقل ينادى قائلما أضيعك
 ويك أن اللوح والجنة والنار معك (٧١)

اما قول البستاني فهو:

قلت: يانفس، أين منى القضاء أين منك الحجيم أين السماء؟
 قأجابت أمارتى الحوباء فى، فى، الافلاك والأقدار
 فيك، فيك الفردوس، فيك النار ذا سؤالى، وذا جوابك يانف
 س، وكنت الخيران فيه سؤالا (٧٢)

وتصبح هذا المقابلة تشير شوقنا وفضولنا فى الأبيات التالية:

من بنده عاصيم رضاي تو كجاست تاريك دلم نور وضيای تو كجاست
 مارا توبهشت اگر بطاعت بخشى اين مزدبود لطف وعطای تو كجاست
 وترجمة فتزجرلد هي:

oh Thou who man of baser Earth didst make,

And ev,n with paradise devise the snake,

For all the sin the Face of wrctehed man"

Is black with - Man's Forgivene's give - and take. (٧٣)

وسباعية وديع البستاني هي:

أناعبد عاص، رجوت رضاكا، وفؤادى المظلم رجى ضياكا
 فففضّل، واسكب علينا صفاكا؛ رب حاشاك أن تبيع النعيما؛
 أفأنت المدين يدفع ديننا؛ أم كريم يعطى ندى ونوالا؟ (٧٤)
 ورباعية أحمدرامى هي:

عبدك عاص أين منك الرضا وقلبه داج فايں الضياء
 إن كانت الجنة مقصورة على المطيعين فأين العطاء (٧٥)

ورباعية عبدالحق فاضل هي:

إننى يا رب عبد مذنب، أين رضاؤك؟ وفؤادى كالدياجى مظلم أين ضياؤك؟
وإذا أعطيتنا الجنة بالطاعة منا كان هذا منك بيعاً، أين يارب عطاك؟ (٧٦)
ونقول فيه إن رباعية فاضل أقرب إلى الأصل الفارسي وأما رباعية فتزجرلد فهي
أبعدها منه كما نراه.

ونريد أن نشير هنا إلى بعض الأقوال التي تنم عن سوء فهم بعض الأدباء لشعر عمر
الخيام ففي رباعيته هذه مثلاً:

قران كه مهين كلام خوانند أورا گه گاه نه بردوام خونند أورا
در خط پياله آيتى هست مقيم كاندر همه جامدام خونند أورا
وترجمته الحرفية لوديع البستاني هي :

أما القرآن الذى يسمونه الكلام العلوى المنزل، فيقرأونه فى الفترات وليس على
الدوام، وأما الآية المحفورة على حافة الكاس، فتلك يقرأونها فى كل زمان ومكان . (٧٧)
ويترجمها عبدالحق الفاضل ثم يقول: الحق أنه لا مجال للإنكار أن بعض الرباعيات
يمكن عده من باب التساؤل وإظهار الحيرة فى شؤون الدنيا، على حد تعبير المرحوم
فروغى . ولكن ثمة بعضاً آخر لأياتيه الشك ولا يمكن عده إلا من باب الجحود وإظهار
الكفران . تأمل هذه الرباعيات:

إن قرآنا دعوه فى الورى خير البيان ليس يتلى دائماً، بل بين آن وإوان
وعلى الأقداح خطت آية بينة أبداً تقرأ فى كل زمان ومكان
أبدع الصانع تركيب طباع البشر فلما ذا شأنها بالنقص أو الوضر؟
إن تكن جاءت ملاحاً، فلما ذا خربها؟ أو تكن جاءت قباحاً، فعلى من عيبها
حار قوم بين شك ويقين، يا صديق وأطال الفكر فى المذهب والدين فريق

أنا أخشى أن ينادى ذات يوم: أن أفيقوا أيها الجهال، لا هذا ولا ذاك الطريق!
 أفهذا مقال من يتحرى حكمة الله؟ وإن لم يكن هذا كفرا، فالكفر كيف يكون؟ إن
 هذه الرباعيات موجود كلها في مجموعة فروغى من أمثالها ما يربو على العشرين . (٧٨)
 ونقول فيه: شعر مرا بمدرسة كئي برد (من الذى أتى بشعرى إلى شيخ الكتاب) فإن
 الأبيات المذكورة لعمر الخيام ليس فيها من الكفر بشيء؟ ليس لنا فى هذا المقام أن نبحث
 عن عقيدة عمر الخيام إلا أن نقول إن فى لغتنا الأردية كثيرا من الأشعار لشعرائنا الفحول
 مثل مير تقى مير، مرزا أسدالله غالب، ومحمد إقبال ما يوازي مقالات عمر الخيام الجريه
 وليس فحسب فان فى العربية أيضا مقالات كثيرة من هذا القبيل لشعرائها الفحول ومنهم
 أبى العلاء المعرى وقد عقد عبدالحق فاضل فصلا مستقلا فى كتابه "ثورة الخيام" يقارن فيه
 نفسه بين تفكير الخيام والمعرى فذكر فيه من كلام المعرى شعرا أو أكثر لرباعيات الخيام —
 رقما على رقم ما يصل إلى ثلاث مائة وتسع وستون رباعية وهو تمام الكتاب "ثورة الخيام"
 تقريبا.

أما وديع البستانى فهو براء من سوء التفاهم من هذا القبيل وقصارى قوله فى هذا
 الباب أنه قد أعجبه فى هذا الصدد قول أحد العمريين الغربيين: إن الخيام بسعة علمه
 وإطلاعه كان مسلما طليق الفكر من قيود التقاليد، وشديد الجراءة على المجاهرة باعتقاده
 المطابق للمعقول ولو جاء مخالفا للمقول، شأن السواد الأعظم من علماء المسيحيين اليوم
 الذين يصلون رجال الدين حربا عوانا، يرمون الرؤساء الروحيين بأسهم الانتقاد والتشريب. (٧٩)
 ولننظر فى مزيد من الأمثلة لتعريبات الرباعيات ونشير إلى بعض القضايا الأدبية التى
 تتعلق بها فيقول عمر الخيام مثلاً:

آن قصر كه جمشيد در او جام گرفت آهوبچه كرد و شیر آرام گرفت
 بهرام كه گور میگرفتی همه عمر دیدی كه چگونه گور بهرام گرفت؟

ويقول فتر جرد:

They say the Lion and the Lizard keep,

The courts where jamshyd gloried and drank doop,

And Bahram that great Hunter the wild Ass

Stamps o'er His head but cannot break his sleep. (٨٠)

ويقول وديع البستاني:

قصر "جمشيد" مجمع الندمان صار كُنّا للخشف فى الصحصحن،

ومقيلا للنصب والثعلبان وابن جور الصياد صيد. وأردى

ومن العرش حطّ حطّاً للحد بقر الوحش فوقه رائحات،

غاديات، تجتاحه أسراباً (٨١)

أما الإخراج الثالث السباعيات وديع البستاني فمن مزاياه أنه توجد فيه توضيحات إضافية لبعض الكلمات من الرباعيات بعنوان تفسير. ونورد فيما يلى بعض الأمثلة فيقول مثلاً:

المراد داود بن سليمان الحكيم. وهو عند العرب والفرس رب الغناء أما البلبل فهو الطاهر الموصوف بطلاقة اللسان. وشعراء الفرس متقدموهم ومتأخروهم كثيراً ما يذكرونه كعاشق مقيم هائم فى حب الورد.

المراد بمناداة الحمام يوسف خلوا القصر من السكان بعد ما كان أهلاً بهم. والعرب يعبرون عن سجع الحمام بالهديل، إذ يقولون إنه كان للحمام ولد يدعى "هديل" وفقد، فالحمام ينشده حين يسجع. ويوسف: ولد الحمام عند الفرس.

الأربع: أى المواد الأربع (التراب والهواء والنار والماء) والسبع: سبع الطباق أو السماوات ونبو الأربع والسبع: الناس.

البندق قطعة (حجر) فى لعبة الشطرنج . و”موتا“ من قولهم ”مات الشاه“ أو غيره فى هذه اللعبة . ولأبأس بتصحيح اسمها إلى صورته المألوفة .

الجوكان: اسم لعبة فروسية . وهى لعبة ”الغلف“ المغمرم بها الإنكليز اليوم ، وقد أخذوها عن الفرس .

النجم: النبت الأخضر القصير يستنبت فى الحداثق لتناسب شكله ولونه .

الهزار، فى المعجم: ”طائر يغنى ألوانا“ وأظنه ”الكنار“ واحسبه من الاسم الفارسي

الذى معناه ”ألف حكاية“ والأصل ذكر الطير ولم يسم . (٨٢)

وخلاصة القول أن وديع البستاني، الشاعر الفحل كما عرفه الأستاذ داغر صاحب

مصادر الدراسات الادبية . على رغم حداثة سنه، قد أدى خدمة موفقة بتعريب رباعيات عمر

الخيام وهو أول من قام بهذه الخدمة الجبارة فى الأدب العربى الحديث كما يقول نفسه فى

المقدمة لسباعياته . ”إنى مقر بعجزى ومعترف بحداثة عهدي فى حلبة الكتاب والشعراء،

وقائل قول نسيبى معرب الإلياذة فى دياحة الكتاب: ”فإن أحسنت وفيه منتهى جهدى

فذلك من حسنات الاجتهاد . والإفحسبى أن افتحه بابا يلجه من وفقه الله إلى سبيل

السداد . (٨٣)

وقد أكمل وديع البستاني تعريبه هذا سنة ١٩١١م ولم يتجاوز عمره خمس

وعشرين سنة . وقبل ظهور منه فى سنة ١٩١٢ كتب إليه صديقه السيد مصطفى لطفى

المنفلوطى ”نظرة“ من نظراته فى آخر الشهر الأخير من سنة ١٩١١م ذاتها بعنوان ”روح

الخيام فى رباعياته“ ويقول فيه:

”صديقى الفاضل وديع أفندى البستاني الآن فرغت من قراءة سباعيا تك الجميلة

التي ترجمت فيها رباعيات عمر الخيام، فلم أربداً من أن أكتب إليك كلمة أصور لك فيها ما

استحالت إليه نفسى من الصور عند قراءتها وما لا يزال باقيا عندي من الأثر بعد الفراغ

منها“.

ويقول فى آخر كتابه: ”هنالك شكرت لك أيها البستاني الصغير نعمتك التى اسديتها إلى وإلى أبناء الضاد عامة، بترجمة هذه الرباعيات ترجمة شعرية بديعة سدّدت بها من اللغة العربية ثغرة قد سدّ مثلها من قبلك البستاني الكبير فى ترجمة إلياذة هوميروس، وهنالك لثمت فى يدك البيضاء هذه الزهرة الجميلة التى ستنبت حولها الزهرات، والثمرة الحلوة التى ستبعتها الثمرات ان شاء الله تعالى . (٨٤)

(٤) مقدمة إلياذة هوميروس

إن للكتاب البستانيين فضل السبق والريادة فى مجال التعريب فى العصر الحديث ونحاول فى هذا الفصل استيعاب ما قاموا به من خدمات فى هذا الباب .

وهذا الكتاب تعريب منظوم لإلياذة هوميروس وهو ميروس هو شيخ شعراء اليونان وإلياذته من أشهر الروائع العالمية نظمها باليونانية القديمة وقد اهتم الأوروبيون بها ونقلوها إلى عدد من لغاتهم وفى السنة ١٩٠٣م أخرجت المطبعة العربية ترجمة شعرية لها بقلم سليمان البستاني .

وعربه سليمان بن خطار البستاني من اللغة اليونانية إلى اللغة العربية وكان يعرف الإنكليزية والفرنسية والألمانية واليونانية والإيطالية والأسبانية والهنغارية والبلغارية

ونرى سليمان البستاني بذهب إلى أن الشعر إذا ترجم نثرًا ذهب رونقه، وبهت روائه، ومن هنا كان إقدامه على تكليف نفسه مشاق كثيرة جدا فى ترجمة الإلياذة شعرا، حتى يكون منطقيا مع نفسه، ومتمشيا مع رأيه فى ترجمة الشعر إلى شعر. ولكننا وجدنا من أدبائنا المعاصرين والمحدثين فى القرن العشرين من ذهب إلى ترجمة الشعر فى أسلوب النثر، إيمانًا منهم بأن الوزن هو ليس كل شئ فى الترجمة، وإن المهم هو الأمانة فى نقل المعانى والصور والخيال، مع المحافظة على الروح فى الأثر المنقول . فلا يضير هوميروس

أن يترجم نشرًا مادامت معانية وظلال معانية وأحاسيسه وعواطفه وشخصيته قد نقلت نقلاً أميناً، بغض النظر عن القالب الذي تصب فيه: أشعر هو، أم نثر أم شعر مرسل؟ (٨٥)

وقد أرفها سليمان البستاني إلى قراء العربية شعراً عربياً ولقد استفد. وسعه في نظمها والهامها راجياً أن تكون محكمة التعريب خلية من شوائب اللكنة والعجمة.

وقد صدرها سليمان البستاني بمقدمة أتى فيها على سيرة صاحب الإلياذة وأشار إلى منظوماته ومنزله عند القدماء ورأى المتأخرين فيه وأقوال العرب في شعره. وبحث في الإلياذة وموضوعها وطرق تناقلها قبل الكتابة ثم في جمعها وكتابتها وسلامتها من التحريف مع ما فيها من قليل الدخيل والساقط والمكرر والمغلق. وأتى على تحليلها وتشريحها وبسط ما فيها من الفائدة للأدب والتاريخ وسائر العلوم والفنون والصنائع. وأوضح ما كان من الأسباب الداعية في صدر الإسلام إلى إغفال العرب نقلها إلى لغتهم.

ويتفق مؤرخ الأدب جرجي زيدان مع سليمان البستاني معرب الإلياذة في التعليل لإحجام العرب عن ترجمة أشعار القدماء إلى اللغة العربية. فتعليله باكتفاء العرب بما عندهم من الشعر العربي قد عبر عنه قبله سليمان البستاني في عبارة واضحة مشرقة يقول آخرها:

فهذا أيضاً كان من دواعي تقاعدهم عن الإقبال على شعر الأعاجم، اكتفاء بما لديهم من درر ذلك البحر الزاخر. (٨٦)

وتطرق إلى التعريب فقص حكاية المعرب في وضع الكتاب وذكر مناهج العرب في نقل الكتب الأعجمية والطرق التي يجدر بالنقلة التعويل عليها. وساقه ذلك إلى النظر في التعريب الشعري ثم إلى النظم على الإطلاق وأوزان الشعر وقوافيه ووقع كل منها في معانيه وجوازات الشعر من مأنوس ومكروه إلى غير ذلك مما يعد من خصائص هذه الصناعة.

وإنتقل إلى المقارنة بين الإلياذة والشعر العربي فوطأ لذلك بالشعر القديم، وأصله وسبب طموسه ومناشدات سوق عكاظ وشأن لغة القريش فيها، وفضل القرآن في جميع أُنْتات

اللغة وتوحيدها وإحكام بلاغتها فى النظم والإنشاء وقابل بين لغة قريش المضربة ولغة الإلياذة اليونانية. وفصل أطوار الشعر العربى مميزا بين طبقات الشعراء من عهد الجاهلين حتى العهد الجديد. وأتى البستاني مزايا كل طبقة منها مع تعيين مدتها وأسماء فحولها وإيراد ما اتسع له المقام من نفيس شعرهم. ثم أشار إلى مغامز الشعر العربى ومناهج المؤلدين فى أبواب الشعر وفنونه وأساليبه وعلوم الآداب العربية وتاريخها. وإنتهى إلى أسباب الضعف والانحطاط فى شعر المحدثين وجنوح النوابع من أبناء هذا العصر إلى سد الخلل وتعديل الخطأ. وافرد بابا للملاحم أو منظومات الشعر القصصى مما يماثل الإلياذة فأشار إلى ضروب الشعر عند الإفرنج وقابل بين ملاحم الأعاجم والملاحم العربية من الشعر الجاهلى وجمهرة أشعار العرب. واستطرد من ذلك إلى إلقاء نظرة على الجاهليتين جاهلية العرب وجاهلية اليونان. ثم إلى ملاحم المؤلدين ورجع بعد هذا إلى الحقيقة والمجاز وما يلصق بالمعانى الشعرية من التشبيه والكناية والاستعارة والبديهيّات وما ينتابها من النقل والسرقة وتوارد الخاطر وما قد يطرأ عليها من التغير بفعل الحضارة. وألمع إلى مسالك الأعاجم فى ذلك مبينا مزية العربية على لغاتهم فى بعض الأحوال وذيل المقدمة بخاتمة فى الشعر واللغة عارض فيها بين العربية واليونانية وبحث فى اتساع العربية وثروتها القديمة وكثرة مترادفاتهما وتعدد المعانى فيها للفظ الواحد مع إيضاح فائدة ذلك وضرورة وإيراد أسباب الضعف فى تأدية ما استحدثت من المعانى العصرية. وأشار البستاني إلى نهج العرب بالتوسع فى اللغة والاصطلاح وختم بخلاصة موجزة فى ما تراءى له من الداء والدواء والنهضة الحديثة ومستقبل اللغة والشعر.

وقد علق على الكتاب شروحا توخى فيه الفائدة والتفكيك ورصعه بزهاء ألف بيت مما قاله العرب فى مثل معانى الإلياذة أو حوادثها وضمنه كل ما تجدر معرفته من أخلاق الأمة العربية فى جاهليتها وبدائيتها وحضارتها والمشهور من أساطيرها وعباداتها والماثور

من آدابها وعاداتها ومناهج شعرائها وأدبائها ومواقف ملوكها وأمرائها وساستها وزعمائها.
إلى غير ما هنالك مما أوضح فى باب حكاية المعرب وقدمثل المتن الشعرى
مطبوعا بالشكل الكامل وادع الشرح كثيرا من رسوم الإلهة وغيرهم مما يحسن الاطلاع
عليه .

وأضاف البستانى فهرسا لتلك الرسوم وآخرها للقوافى . ومعجما للألفاظ اللغوية
ومعجمين آخرين لجميع مواد الكتاب من أعلام وتاريخ وعلم وصناعة وخلق وعادة وهلم
جرا . تلك هى الحملة محتويات الكتاب . (٨٧)

وتحدث المؤلف فى مقدمة الإلياذة عن معرفة العرب لها فى العصور الماضية فقال:
”قال ابن أبى أصيبعة فى كتابه ”عيون الأنبياء فى طبقات الأطباء“ نقلا عن يوسف بن
إبراهيم، فى ترجمة حنين بن إسحق، أثناء تنكر حنين، وهو عاكف على درس الطب: ”فتبنت
خرشى (جارية الرشيد الرومية) ذلك الغلام (وهو إسحق المعروف بابن الخصى) وأدبته
باداب الروم وقراءة كتبهم. فتعلم اللسان اليونانى علما كانت له فيه رئاسة. فكنا نجتمع فى
مجالس أهل الأدب كثيرا فوجب لذلك حقه وذمامه. واعتل إسحق بن الخصى علة، فاتيته
عائدا. فإنى لفى منزله إذ بصرت بإنسان له شعرة قد جللته، وقد ستر وجهه عنى ببعضها،
وهو يتردد وينشد شعرا بالرومية لأوميرس رئيس شعراء الروم فشبهت نغمته بنغمة حنين،
وكان العهد بحنين قبل ذلك الوقت بأكثر من سنتين، فقلت لاسحق بن الخصى: هذا حنين.
فأنكر ذلك إنكارا يشبه الإقرار فهتفت بحنين فاستجاب لى“.

فيؤخذ مما تقدم أن اليونانية كانت معروفة لذلك العهد فى بغداد، تقرأ وتدرس حتى
فى بيوت الخلفاء وإن منظومات هو ميروس كانت معروفة فيها بين المشتغلين بلغات
الأجانب، ومعظمهم إذ ذاك من النصارى. (٨٨)

وقد ورد ذكر هو ميروس فى المؤلفات التى وضعها كبار المعربين والمؤلفين من

الكلدان كإبن ماسويه، وإبن الخصى، وحنين إبن إسحق . مثال ذلك قول إبن أبي أصيبعة فى عيون الأنبياء: "وكان الشعراء فى ذلك الزمان على ما ذكره حنين بن إسحق، أو ميرس وقوله فى ترجمة أرسطوطاليس: "ومن كتبه كتاب فى مسائل من عويص شعر أو ميرس فى عشرة أجزاء" وقوله فى ترجمة جالينوس، عند ذكر الكتب التى اعترض حنين بن إسحق على نسبتها إليه: "ومنها كتاب الطب على رأى أو ميرس" ومن هذا القبيل قول البيرونى: "أميروس المتقدم عند اليونانيين كإمرئ القيس عند العرب ."

وذكره إبن خلدون فى مقدمته، وأورد الشهر ستانى بعض الشواهد من كلام هو ميروس فى كتاب "الملل والنحل" والبهاء العاملى فى "الكشكول" وخلاصة القول أن هو ميروس كان له شأن مذكور عند نقلة الكتب من بطانة الخلفاء . ولكن المام أدباء العرب بأقواله كان الماما ناقصا بقى منحصر فى أفراد معدودين من كبار الكلدان . وأما منظوماته فالثابت أنها لم تعرب . (٨٩)

وكان سليمان البستانى فى أول أمره يعتمد الترجمات الأوروبية ثم رأى أن يدرس اليونانية ليتناول تعريب الإلياذة من أصلها وقد قدم لها ببحث ضاف . فجاءت سفرا عظيما جديرا بمطالعة المتأدبين . ولم يتقيد فى ترجمتها بأسلوب القصيدة ذات القافية الواحدة بل نوع النظم على طرق شتى ووسع لنفسه باستنباط ضروب غير مطروقة على أنه لم يخرج عن أصول الشعر العربى .

وإليك مثالا من نظمه وهو مأخوذ من النشيد السادس وفيه يظهر البطل هكطور مع زوجته وكانت قد فقدت والدها وإخوتها فى الحرب فهى تحاول أن تصرف زوجها عن القتال رفقا بها وطفلها فتقول:

أنت بعلى أنت كل الأرب
أنت كل الأهل لى إذ أنت حى

آه فارحم وانعطف رفقا على

آه فارفق بى وبالطفل لدى

أما هو فتأبى عليه أنفته وحميته أن يتقاعس عن مساعدة قومه فيجيئها:

لست أَرْضَى العار أن تعل النصول

أو عن الهيجاء يثني نى الخمول

على أن الذى يخشاه هو أن تصبح إمرأته بعد موته سبية الأعداء فيقول من قلب

متألم:

سوف تندك بأليون القلاع وتوافينا الملمات الفظاع

كل هذا منه قلبى لا يراع

لا إذا أُمى فى التراب ثوت أو أبى من دمه السمرات توت

أو رميم الإخوة الأرض احتوت لا إذا الطرود بادوا وإذا

خرق الزرقاء للجو العويل

بيد أن الخطب كل الخطب آه أن تكونى من سبيات العده

تدرفين الدمع عن مر الحياة

تستقين الماء كالعبد الأسير من "مسيس" أوينابع "هفير"

تنسجين القطن والقلب كسير كل بؤس كل زرع وعنا

كله إن حل ذا الرزء قليل

كله لا شئ إن صح الصحيح ولديهم كنت والدمع يسيح

والذى يلقياك بى هزء ايصيح

تلکم زوجة هكطور الشديد خير ما فى القوم من قرن عنيد

تل صدر الجيش تلاوهنا سبيت زوجته وهو تليل

وهكذا إلى آخر هذا النشيد . وهو نقطة من بحر إذ تبلغ الإليان نحو أحد عشر ألفا من الأبيات . (٩٠)

وتنبع الملاحم اليونانية من الأساطير (الميثولوجيا) الإغريقية والآلهة في الميثولوجيا تدفعها حيوية عارمة إلى كل تصرفاتها، حيوية لا تعرف العدل والحن والخلق والفهم لأنها حيوانية عانية شهوانية طائشة أما الإسلام فينبذ نهائيا فكرة الشهوة والظلم عن الله .

ولما ظهرت ترجمة (الإلياذة والوديسية عام ١٩٠٣م) التي قام بترجمتها سليمان البستاني فقد كتب السيد رشيد رضا يقول: الآن عرفنا موقف العرب من الشعر اليوناني ولما ذا نبذوه ولم يترجموه أو يقتبسوا من معانيه، فلما ذا اطلعنا على الإلياذة وهي أعلى شعر الإغريق ومفخرتهم التاريخية حكمنا بأن أجدادنا لم ينبذوا شعرهم وراء ظهورهم إلا لأنهم وجدوه دون الشعر العربي في حكمه وسائر معانيه وأنه على ذلك محشو بالخرافات الوثنية التي طهر الله عقولهم ومخيلاتهم منها بالاسلام . (٩١)

وفعلا كانت ترجمة هذه الأسطورة الإغريقية نقطة انطلاق لحركة قوية لنقل الآداب اليونانية وتعريف القراء العرب بهذه الأساطير التي تنافي في شئ غير قليل مع روح العقائد الإسلامية . وليست الإلياذة الشئ الوحيد الذي نقل حديثا عن أدب اليونان فبعد ظهور ترجمة الإلياذة في سنة ١٩٠٣م، قد حمل طه حسين لواء ترجمة الأدب الإغريق والتعريف به على أكثر من اتجاه . فقام بتأليف كتب عديدة في هذا الباب مثل "نظام الأثينيين لأسطورة" و "آلهة اليونان" و "صحف مختارة من الشعر التمثيلي عند اليونان" و "قادة الفكر"

وكتب تلك الفصول التي أطلق عليها (قادة الفكر) والتي طبعت من بعد وقررت على طلاب المدارس الثانوية وضمنت تراجم بعض فلاسفة اليونان أمثال أرسطو وأفلاطون

وسقراط: ويذكر فيه قول أنور الجندى: "وكلمة قادة الفكر من العبارات الغامضة الماكرة أريد بها أن يقال هؤلاء القادة إنما هم قادة الفكر البشرى كله، وفي هذا توجيه خطير لشباب الأمة العربية..... فإن الفكر العربى الإسلامى له قاداته النوابع الذين استمدوا منهمجهم من الإسلام والقران ومن النفس العربية الإسلامية ومن المزاج النفسى والإجتماعى الخاص لهذه الأمة، وإن بيننا وبين قادة الفكر اليونانى فوارق كثيرة وخلافات واسعة: أهمها الوثنية والعبودية التى أقرها أفلاطون فى جمهوريته وتابعها عليه أرسطو وقامت عليها الحضارتين اليونانية والرومانية فضلا عن مذهب سقراط الإباجى الاجتماعى . ولما تركه حسين دراسة التاريخ اليونانى إلى الأدب العربى القديم لم يترك دعوته إلى اعلاء آداب اليونان ومذاهبهم بل حمل معه هذه المعانى إلى الأدب نفسه . فزعم بسبق الأدب اليونانى وتأثيره فى الأدب العربى وفى كل الآداب . (٩٢)

فظاهر إن هذا الولع باليونان وآدابها عند صاحب الإلياذة وصاحبنا طه حسين سببه ملاءمة الفكر اليونانى بالعقلانية والعلمانية التى كانت كالأساس لفكرة القومية الجديدة.

(٥) أصول التعريب:

وأفرد الكاتب المترجم سليمان البستانى للإلياذة هو ميروس مقالا قيما فى التعريب وذكر فيه توجيهات فنية فى أصول الترجمة والتعريب .

هذا مقال فى أصول التعريف ضمنه المؤلف سليمان البستانى مقدمة لكتابه المعرب إلياذة هو ميروس . تعتبر هذه المقالة دليلا للمعربين على أساليب التعريب وقواعده، بإشارة خاصة لتعريب إلياذة هو ميروس . قد أدمج مؤلفها سليمان بن خطار البستانى فيها طرق التعريب التى نقلها البهاء العاملى فى الكشكول عن الصلاح الصفدى وهى طريقة يوحنا بن البطريق وابن الناعمة الحمصى وغيرهما والأخرى طريقة حنين بن إسحق والجوهري وغيرهما.

وإن هذين الطريقتين اللذين أشار إليهما الصلاح الصفدى منذ زهاء ستة قرون هما المذهبان المعمول عليهما فى النقل وليس وراءهما مذهب ثالث فى التعريب الصحيح . فالطريقة الأولى رديئة إذ أريد بها استجماع محصل المعانى وهى أيضا تذهب بطلاوة التركيب فلا تبقى لها أثرا ولا تصلح للكتب التى تتداولها الأيدى من الخاصة والعامة ولا ترتاح إليها نفس مطالع وقلمما تجد قارئاً يقوى على استتمام صفحة منها ولكنها مع هذا مفيدة لطالب اللفظ دون المعنى . ويشترط لصحة فائدتها أمران أولهما أن يكتب الأصل بلغته ومردفاً فى اللغة المنقول إليها والثانى أن يكون بإزائها ترجمة أخرى على الطريقة الثانية التى هى طريقة حنين لاستجلاء المعنى وإلا اختلطت المعانى على المطالع وغاب عنه فهم قوة العبارة لأن الجمل على الطريقة الأولى تأتى مختلفة التركيب مقلوبة الموضع فما يجب تقديمه فى لغة يجب تأخيرها فى أخرى وما يجب إثباته فى الأصل يجب تقديمه فى النقل وهلم جرا . فإطلاوة ولا إحكام ولا إعراب ولا انسجام . أخيراً أشار المؤلف إلى ضريقتيه فى التعريب فيقول: "أما الطريقة الثانية فهى التى عول عليها الجمهور - حصول الفائدة فيها من الوجه المطلوب وأيضاً يصح أن يقال أن طريقتنا إنما هى طريقة حنين بن إسحق والجوهري وهى الطريقة الثانية". (٩٣)

ويرى سليمان البستاني أن اختصار التراجم وتلخيصها لا يجرى مجرى السلامة والدقة، ولا يتمشى مع أصول التعريب، وقد حمل فى المقدمة التحليلية الطويلة التى قدم بها للإلياذة المعربة على النقلة والمترجمين إلى العربية الذين تجاوزوا مناهج الصواب فى الترجمة (فأجروا قلمهم، بل هو جرى بهم، مطلق العنان، يجد ما يريدون ما أراد الوضع، فمن متصرف بالمعنى يزيد وينقص على هواه، فيفسد النقل ويضيع الأصل . ومن متسرع يضمن بدقائق من وقته للتثبت من مراد المؤلف، فيلبس عليه فهم العبارة، فينقلها على ما تصورت له لأول وصلة، فتعكس عليه المعانى على كره منه . ومن ماسخ يلبس الترجمة

ثوباً يرتضيه لنفسه، فيتقلب بالمعاني على ما يطابق بغيته ويوافق خطته، حتى لا يبقى للأصل أثراً ومن عاجز بجهد النفس ما استطاع، وهو إن أجهد ما شاء، غير كفأ لخوض هذا العباب، ثم يقوم هؤلاء الكتاب ويسمون ما كتبوا تعريباً، وأولى بهم أن يسموه تضميناً أو اختصاراً أو معارضة أو مسخاً..... (٩٤)

تسوق مسألة الحذف والبت والإسقاط في الترجمة حسب البستاني إلى قضية أخرى أكثر عموماً وأكثر تعرضاً لاختلاف الرأي فيها، وتباين جهات النظر إليها. وهي قضية الترجمة بين الأداء الكامل للنص المترجم وبين التلخيص له. فهناك من المترجمين القادرين من يؤثر التلخيص على الترجمة، لا لضعف فيه، ولا لنقص في الأداء عنده — فقد احترزنا لذلك بوصف هذا الصنف بالمترجمين القادرين — ولكن لاعتبارات يراها المترجم، وهي اعتبارات قد يكون فيها من قوة الحجة وسلامة المنطق ما يجيز تسويغها، ويحمل المخالفين على قبولها. (٩٥)

لقد جرى الكثيرون من نقلة لغات الإفرنج إلى العربية على أصول ابتدعوها لانفهم فشطواً أكثرها عن منهج الصواب. فأجروا قلمهم، بل هو جرى بهم، مطلق العنان يحبر ما يريد، دون ما أراد الواضع. فمن متصرف بالمعنى يزيد وينقص على هواه، فيفسد القل، ويضيع الأصل. ومن متسرع يضمن بدقائق من وقته للتثبت من مراد المؤلف، فيلبس عليه فهم العبارة، فينقلها على ما تصورت له لأول وهلة، فتعكس عليه المعاني، على كره منه، ومن ما سخ يلبس الترجمة ثوباً يرتضيه لنفسه، فيتقلب بالمعاني على ما يطابق بغيته ويرافق خطته، حتى لا يبقى للأصل أثراً، ومن عاجز بجهد النفس ما استطاع، وهو إن أجهد ما شاء، غير كفؤ لخوض هذا العباب.

وقال: إن منه ما هو حرى أن يسمى بالدجل والسرقة: وليس من التعريب في شيء ولكنهم جميعاً أولى بالعدو والعفو من فئة أخرى يأتي الواحد منها على الكتاب فينقله كله

أو بعضه، ثم يعرضه على الناس تأليفا من نتاج قريحته. وهؤلاء هم السرقة الدجالون.

وقال إن الأوائل أو زمرة كبيرة منهم على الأقل أجادت تأدية وتوخت الصدق والدقة على أن لدينا، والحمد لله، رهطا من ذوى الذمة والعلم، يتوخون الصدق ويتحرون الضبط والأحكام، ويجيدون الرسم فيأتى مثالا صادقا، فاذا نقلوا، قالوا: نقلنا وإذا تصرفوا، قالوا: لغرض تصرفنا، وإن ضمنوا، قالوا: لأمر ضمنا، وإن عارضوا، قالوا: لسبب عارضنا. فهؤلاء، إذا صحت كفاءتهم، هم الذين يجب أن يصدق خبرهم ويقتفى أثرهم.

وإذا رجعنا إلى النقلة الأوائل رأينا أن زمرة كبيرة منهم كانوا من هذا الفريق الأخير، وهم، على تفاوت إجادتهم فى تأدية المراد، ممن قصد الفائدة الحقة وتوحي الصدق والدقة.

وتحدث المؤلف عن ترابط أبحر الشعر بمواضيعه وأبوابه فأحسن الحديث وقال:

لا بد للشارع فى تعريب منظومة كالإلياذة أو نظم ملحمة على مثالها، من أن يتف طويلا ويتردد برهة قبل أن يعين أوزان منظومته وقوافيها. وليس لنا فى أوضاع السلف أصول نرجع إليها فى مثل هذه الحال. وهيهات أن يتسنى وضع مثل هذه الأصول، فيتقيد كل بحر من بحور الشعر بباب من أبوابه، أو تتعين كل قافية من القوافى لمعنى من المعانى.

فقد نظم العرب كل معنى على كل بحر، وكل قافية وأجادوا.

والقريحة الجيدة نقادة خبيرة إذا طرقت بابا انفتح لها ملء رغبتها، فتقع على السحر والقافية، وهى لا تعلم من أين تأتى لها أن تقع عليهما، وإنما هو الشعور الشعري يدفعها إلى حيث يجب أن تندفع. كل بيت بنى عليه قصديته فهو الأساس الذى يصح أن يستند إليه ويبنى عليه.

ولا يخرج عن هذه القاعدة إلا الشعر المنظوم لأغراض معلومه، ودعت الحاجة إلى تقييده بقيود لا مناص له منها كالأراجيز المنظومة فى العلوم وبعض المؤشحات، والأغاني

المربوطة بأنغام معينة، فالشاعر مقيد فيها بنمط لا يتيسر له العدول عنه إلى غيره .

على أن قريحة الشاعر، وإن كان مجيدا، ليست كيدا النساج تنطلق في العمل بأن حركتها العامل . ولهذا رأيت أن أذكر في ما يلي ما تيسر لي استخراجا من شعر العرب، بالنظر إلى ترابط بحور الشعر بمواضيعه وأبوابه . فقد راعيت هذا الترابط في بعض الأناشيد، فأدت تلك المراعاة إلى فائدة يحسن التعويل عليها في بعض الأحوال .

ولا شك أن العروضيين نظروا إلى أبحر الشعر من هذه الوجهة، ولكنهم لم يزدوا على تسميتها بأسماء تنطبق توسعا على مسميات مواضيع القصائد المنظومة عليها فقالوا: هذا طويل، وذاك بسيط، وذلك خفيف أو سريع، وهلم جرا ووقفوا عند هذا الحد . ولكنه يستفاد من هذه التسمية أن لكل بحر ساحلا يقف عنده ويرشد اسمه إليه . فإذا قلنا هذا بحر طويل، علمنا أنه لا يسوغ أن ننظم عليه الأهازيج والموشحات والأغاني . وإذا قلنا هذا بحر مقتضب أو مجتث، علمنا أنهما لا يصلحان للمنظومات على إطلاقها ولا يصح فيهما تدوين الروايات التواريخ .

وحكى المؤلف طريقته في وضع الأصول في هذا البحث فقال:

”ولو أردنا أن نضع أصولا وافية لهذا البحث ، لوجب أن نرجع إلى منظوم نوابغ الشعراء، ونقابل بين أبوابه وبحوره، فتظهر لنا أغلبية كل وجه في كل بحر . وهو بحث طويل لا يتسع له هذا المجال . فحسبنا إذا فتحنا لهذا الباب أن نبه إليه، ونذكر موجرين خلاصة ما اتضح لنا بالتطبيق والمقابلة . (٩٦)

(٦) المهبراتة:

وللأستاذ وديع بن فارس البستاني كذلك أعمال جلية في باب تعريب الأساطير مجاراة للأستاذ سليمان بن خطار البستاني الذي سبق بترجمة الأسطورة اليونانية إلحادا هو ميروس فقام بتعريب عدد من الأساطير الهندية العريقة مثل المهبراتة، الرامبانا،

والشاكتلا، والغيتة، ونالادامينتى . والمهبراتة هى قصة بنى بهرات، كبرى الملاحم العالمية وشقيقة الإلياذة الأوديسية وأختها الهندوية كما يراها الأستاذ وديع البستاني وترجمها عن السنسكريتية رومش دط، وعربها شعرا وديع البستاني، ونشرتها جمعية متخرجى الجامعة الأميركية فى بيروت سنة ١٩٥٢م ورأينا هذا الكتاب فى مكتبة مجلس الهند للروابط الثقافية، آزاد بهون دلهى الجديدة الهند.

ويضمن هذا الكتاب إثنى عشر سفرا وخاتمة وشروح وبين جميع السفور عناوين كثيرة. وعناوين السفور كما يلى على حسب الترتيب .

يوم العرض، خيرة العروس، قربان السيادة، القمار، حب المرأة، الغزو، الاستعداد، مقتل بشيما، مقتل درونا، مقتل كرنا، المناحة، قربان الحصان.

وفى ديباجة المعرب تحدث الأستاذ وديع البستاني عن الشعر الملحمى وأنواعه وملاحم فينيقية والآلهة الملحميون وعن قدامة الشعر المهبراتى ويقول وهو يقوم الاسطورة الهندية الشهيرة.

والشعر فى عرف الأدب العالمى شعران، القصصى أو الملحمى، والموسيقى أو الغنائى.

والملحمى نوعان: أصيل، وتقليد

وملاحم النوع الأول أربع لا غير: الإلياذة والأوديسية اليونانيتان، المهبراتة والر ميانة الهندويتان. وسائر الملاحم من إنياذة فرجيل إلى فردوس ملتن، من النوع الثانى .

هذا إجمال لأقوال جهابذة أساطين فى نقد الأدب العالمى وتاريخه مما وقفت عليه فى مطالعات انتظمت آثار هو ميروس وفرجيل ودانتى والفردوسى وملتن .

أقدم الشعر :

وتحدث عن قدامة الشعر المهبراتى فقال:

”ولم أقف على قول فصل فى تعيين التقدم والأسبقية لهذا أو تلك من الملاحم الأربع الأصائل، سوى أن المتهندة مجمعون على تقدم الراميانة عن المهراتة بمئة عام وإن الإلياذة والمهراتة تربان فى القرن العاشر قبل الميلاد أو نحوه.

والمتهندة وأصحاب الأدب الهوميرى متفقون على أن شعر الملاحم الأصائل كان قبل عهد الكتابة، فى الهند وفى اليونان، ينشد ويروى محفوظا غير مكتوب.

وكانت للهندويين قبل الملحمتين تسايح يقال لها الأ بانشادات، زعم صاحبنا رابندر اناث طاغور أن أجداده الأريين كانوا يتناشدونها فى أثناء نزوحهم من موطنهم الأصلى بجوار ايران القدامى، إلى أحواض أنهر الهند وغاباتنا، قبل الميلاد المسيحى بمشرة آلاف سنة. فمن أثر عنهم تسايح كانوا يرتلوننا قبل ١٢٠٠٠ سنة، لا بدع أن يكون شاعرهم قد قال المهراتة، منذ ٣٠٠٠ سنة أجل يمر على الملحمة أكثر من ٣٠٠٠ حول، لتعود الهند — فى عصر الجسد والمادة — إلى مشرق المهراتة ميلادها فتجمع الأصل من الشتات فى اللعظمة . . . ويا للخلود . . .!!

ملاحم فينيقية:

ولئن بقى بعض الناس فى شك من أمر الشعر الملحمى كيف يكون قد قيل قيل ولئن بقى بعض الناس فى شك من أمر الشعر الملحمى كيف يكون قد قيل قيل ٣٠٠٠ سنة، فقد كشف لنا الأثريون، منذ بضع سنوات، عن ملاحم فينيقية وجدت أشعارها محفورة فى قطع الحجر لعصر عينته الكتابة للقرن الرابع عشر قبل الميلاد، أى قبل عصر الإلياذة والمهراتة ببضعة قرون. وعن الملاحم الفينيقية، الحديث اكتشافها، حدثنى ابن العم العلامة فؤاد إفرام البستانى وأطلعنى على صور فوتوغرافية لشذرات من شعرها كفتنى دعامة لميلى إلى الاعتقاد بقدمية الملاحم الأربع الأصائل. وبالفينيقية مثل ما باليونانيتين والهندويتين من ذكر آلهة بادوا ومابادت عبادهم.

الآلهة الملحميون:

وتحدث أستاذ البستاني عن آلهة الملاحم فقال: "إن شعراء الملاحم هم من خلقوا آلهة القدماء كما خلق الكتاب لهذا العصر أيديولوجياته من فاشية، ونازية وشيوعية وهلم جرا. سبّح شاعر الشمس أو القمر وترنم بسبحته ورتلها، فأعجبت وأعجبت من حوله، فحفظها منهم واحد أو غير الواحد. وتكاثر مع الأيام حافظوها ومنشدها، فإذا الكوكب الممجد، الإله يعبد.

وما زفس الإلياذة إلا المشتري. وربما صح القول أن زفس من ديوس، أو أن جوبتر (وهو الإسم الروماني للمشتري) من ذبوس بتر. وما أشبه زفس بديوس، وديوس بديوس. وفي الميثولوجية الهندوية ديوس "السماء" ومنه كلمة دي، بالإنكليزية للنهار، وفيما أن أول معبود سبّحه الهندويون كان ديوس بترى، ومعناه الآب السماوي، ولليوم الأب بالفارسية وبالطليانية وبالإنكليزية تمت إلى "بترى" بنسب. (٩٧)

قدسية المهبّراتة:

ويروى لنا الأستاذ البستاني أن السير ورّن هيستنغ، هو الذي فاز بإذن من بعض البراهمة بترجمة "الغيتة" من كتاب المهبّراتة، بعد أن كانت المهبّراتة كنزاً مرصوداً، إذ كان الشرع الهندوي يقضى بقتل من دنس قدسيته بنفسه، إن هو وجد على مقربة من قارئ يقرأ فيها ولم يكن هو مثله من طبقة طاهرة. وإنها بقيت محرمة محجوبة إلى العقد الثامن من القرن الثامن عشر، وحتى إلى العقد السابع من القرن التاسع عشر كان الهندويون يشددون النكير على من تحدثه نفسه بالخروج من بلاد بهرات المباركة إلى ما وراء بحرها. وروموش دط الذي إعتد الأستاذ البستاني ترجمته للمهبّراتة والراميانة، إنما تنكر وتخفي، وسرا أندس في باخرة، لما قصد إلى إنكلترة ليستوفي ثقافته. (٩٨)

ويبدو كأن المعرب قد يتعهد نشر الشعر الملحمي الهندوي في آخر الأطوار من

سيره العلمى والأدبى فيقول فؤاد أفرام البستاني ”ولا أدري كيف اجتازت تلك الحففة
(التي ضمننت المهراتة المخطوطة) الحدود إلى في بيروت، فهي عندي في حرز حريز
والمعرب باق في حيفا في بيته على شاطئ البحر، ينظر إلى لبنان فيرى جبل الشيخ ويقول:

جبل الشيخ بعيني ناهض	وأنا الشيخ على الشاطئ وركودي
أرسل الطرف إلى ذروته	ولدى البحر قيامي وقعودي
أصحب النسكين شعري والهوى	عريباً بين آلاف اليهود
شت أولادي، ديوان المنى	وبهم ألحقت ديوان الهنود
كل ماعز وما أحببته	كل ذخرى من طريف وتليد.
كل ما صرت وما أمّلته	في يد المجهول من خلف الحدود
وبأولادي يومي وغدي	وبحي الشعر بعثي وخلودي
لم يدع لي الدهر شيئاً في يدي	غير قلب الصّب يهفو من بعيد

نشر المهراتة:

ويضيف فؤاد أفرام البستاني يحكى قصة ”و ذات يوم من صيف ١٩٥١، زار الأديب
الكبير الشيخ سعيد تقى الدين — وكان رئيس جمعية متخرجى الجامعة الأميركية في
بيروت — سيادة الحبر النبيل أوغسطين البستاني في كرسيه في بيت الدين، وقادهما،
الحديث من الأدب والشعر إلى إلياذة هوميروس الخالدة. وبهذه المناسبة، ذكر الحبر النبيل
أن ابن عمه ”وديع“ قد أنجز تعريب بعض الملاحم الهندوية شعراً وأن المخطوطات في
حوزة ولده فؤاد. وما كاد يعي الشيخ سعيد ذلك النبأ، حتى إتصل بى هاتفياً، فضر بنا موعداً
في بيت الكاتب المعروف الدكتور جورج حنا في عاليه. وفي الموعد، أتى الشيخ سعيد
مصحوباً بالأستاذ عزمى البحيرى مدير ”دار الأحد“ وأتيت أنا مصحوباً بالمخطوطات.

وأخذ الشيخ سعيد يقرأ فى الملحمة المخطوطة، ويتلو من آياتها بنهم أدبى بالغ.

ودبّت به نشوة الشعر فصاح فى وجهى: "يا فؤاد أن إبقاء ملحمة رائعة كهذه طيّ الكتمان لحرم كبير ونكران لشعرو ديع البستاني وجهوده". وحول عينيه عنى إلى الأستاذ عزمى — فتباحثا وتداولوا — ثم قال: "إن وديع البستاني خريج الجامعة الأميركية . وكنت فى حدثى قد قرأت تعرييه المنظوم لرباعيات "عمر الخيام" فسحرنى جداً وحفظته عن ظهر قلبى، والآن لا أرى أنفع وأجدى من أن تقوم جمعية المتخرجين بطبع هذه الملحمة ونشرها"

وهكذا كان فليسجل للشيخ سعيد إعجاب وإكبار خالदान . وللجامعة والجمعية فضل عظيم .

وكان "رئاسة" جمعية متخرجى الجامعة و "المهبراتة" اسمان يأبيان إلا تلازما . فما كادت تشرف المهبراتة على آخر مراحل الطباعة والإخراج حتى انتخب أميل البستاني — ابن شقيق المعرب وعضو المجلس النيابى اللبنانى — رئيسا لجمعية المتخرجين . فجاء الرئيس الجديد خير خلف رئيس الذى أطلّت على أصابعه المهبراتة .

وكما قدّر الشيخ سعيد الملحمة فأمر بطبعها، كذلك قدرها أميل البستاني فطار بها إلى الكويت يهدى منها نسخة شبه كاملة، لصاحب السمو الشيخ عبدالله السالم الصباح وأخرى للزعيم الهندى البنديت نهرو . وقد صرح البنديت قائلا: "إن هذه الملحمة المعربة هى خير ما يستطيع العرب إهدائه للهند، وإن لجنة كبيرة من علماء الهند وأدائها تعمل الآن على جمع أبيات المهبراتة السنسكريتية الكاملة، وبعد مضى ١٢ عاما لم يجمع منها إلا مقدار الربع فقط"

ويحدثنا الأستاذ فؤاد أفرام البستاني عن منهج المعرب فى نشر المهبراتة فيقول: وقد طبع الشعر قصيدة قصيدة، محافظة على جمال الشكل والإخراج، مع العلم أن هذه الملحمة ليست من كتب المدارس الابتدائية بالنسبة إلى سمو لغتها وغناها بالمفردات . وقد جاء بعد كل كلمة قد يغيب معناها عن بعض القراء، وبعد كل إسم من أسماء الآلهة

والأعلام أو المواقع والأشياء، رقم متسلسل . ولكل من هذه الأرقام شروح وحواش وافية كافية طبعت على الصفحة ٣٠٠ وما يليها . وقد أورد المعرّب في هذه الحواشي بُدًا من الأدب العربى فى سياق البحث فى بعض الكلمات المعربة، وأثبت بعض نصوص الأصل السنسكريتى حيثما إضطر إلى بعض التصرف فى التعريب .

ولن يفوت القارئ أن يلاحظ بعض الفروق فى كتابة بعض الكلمات . فكلمة ”مِهْرَاتة“ أو ”رامِيَانة“ قد ترد أحيانا منتهية بألف: ”مِهْرَاتَا“ و ”رامِيَانَا“، وهاتان، كغيرهما من الكلمات السنسكريتية الهندوية، يجوز فى كتابتهما الوجهان . لكن المعرب يميل إلى الطريقة الأولى ويفضلها . وقد انفرد بتهجئة بعض كلمات العربية والقرآنية كإله وإلهى فيكتب إله وإلهى مثلاً ويترك الإملاء القرآنى ويرى أن تهجئة هى أصح وأصوب كمال قال فواد أفرام البستاني: ”وله تفضيلات أخرى فى تهجئة بعض الكلمات العربية ”كإله“ و ”إلهى“ فهو يكتبها ”إلاه“ و ”إلاهى“ وهذا أصوب . وقد مرّ بنا، فى بيان ”المؤلفات المعدة للنشر“ (صفحة ح) ، ذكر ”رسالة فى الألف والهمزة والياء“.

ومع أن بعض التنوين فى هذه الملحمة، وارد على شكله، إلا أن المعرب يجعل التنوين على الحرف السابق للألف . فالمالوف عندنا أن نكتب ”واحدًا — أبدًا — شيئًا . . . الخ . . .“ . لكن المعرب يجعل التنوين قبل الألف فيكتب : ”واحدًا — أبدًا — شيئًا . . . الخ . . .“ . (٩٩)

وإليك أبيات رومش دط وقد ضمنها هذه العبارة بكلماتها الأصلية السنسكريية:

And she clasped her dear Duryodhan, held him close unto her breast,
Sobs convulsive shook her bosom as the lifeless form she prest,
And her tears like rains of summer fell and washed his noble head,
Decked with garlands still untarnished, graced with nishkas bright and red,

"Mother," said my dear Duryodhan when he went unto the war,

"Wish me joy and wish me triumph as I mount the battle-car!"

"Son", I said to dear Duryodhan, "Heaven avert a cruel fate,

Yato dharma stato jayah" - Triumph doth on Virtue wait!

وهذا تعريبها:

تنهّدها يهزّ به المنون	فضمّته إلى الشدين أُمّا
له رأسا بتاج الملك زينا	بهطل القبط دمعاً غسّلته
بها النشقات من دمه طلينا	أكاليل الزيان عليه تدمى

فإننا للوغي متاهبونا	"لنصربا أميمة ودعيني
فأعداء الفضيلة خاسئوننا	فقلت: وقتكه قدرا سماء
من الأعلى عون الصابرينا	ومن يؤت الفضيلة يؤت نصرا
ستاتوياييا" قولاً مبينا"	"يات درما

والهند الهندوية موطن التنجيم الأول . وفى المهوراته من ذلك أثر حسبك منه ذكر المريخ فى آخر بيت من فصل "يوم العرض" فإذا علمت أن "درونا" هو من قيل إنه إنما جاء بلط الكورو، وفى قرارة نفسه ضغينة على ملك البنشالة من يوم غادر بلاطه، بدا لك أن الشاعر ربما أراد أن تنافس الأمراء فى يوم العرض كان نذيرا بحرب الملحمة . لأن المريخ أيضا عند الهندويين، كان إله الحرب . وإليك البيت تعريبا وأصلا:

With his son renowned for valour, walked forth Drona, radiant, high

So the Moon with Mars conjoined walks upon the cloudless sky!

وتعريباً:

وتبدى للحافلين درونا وإبنه الفيل، فتنة الأفيال
 قمر هل بالقران مع المر يخ، صحوا، من كوكب في هلال
 ويقول إن "برهم" هو اسم الجلالة بالسنسكريتية إن "الله". اسم الجلالة بالعربية،
 أكرم أسمائه تعالى بإفادته التوحيد بذات لفظه. فهو "لاه" ومعناه "إلاه" مع أل التعريف
 للاستغراق، فقولنا فلان "الشاعر" بأداة التعريف هذه، معناه أنه هو الشاعر الكامنة فيه
 خصائص الشاعرية، فلا شاعر إلا هو. فمن قال "الله" فقد قال "لا إله إلا هو" واسم
 الجلالة الهندوى: "برهم" ومنه البرهمة (العبادة) والبراهمة (طبقة رجال الدين في المجتمع
 الهندوى). ونقول فيه: اسم الجلالة الهندوى هو "أوم" ومعناه المغيث والرفيق (الاعلى)
 والبرهمة ليست العبادة بل معناه إخلاص في الصلوات ولا نرى أى صلة بين الله وبرهم معناً
 أو لفظاً

الوثنية مظهر لادين:

يقول البستاني إن الوثنية ليست ديناً للهنود بل هي مظهر حياتهم الاجتماعية.
 وبعينى رأيت في السوق في بمباي صنّاماً في حانوته، فرغ من صنع صنم خشبي، فسجد له
 ورفع إلى الرف في الواجهة، ريثما يجيء وثني يسومه فيشتريه. وكثيراً ما كنت امر
 بموكب من القوم، في يوم عيد وقد حملوا الأصنام. ولا سبيل إلى إنكار ما بالهند حتى
 اليوم من مظاهر الوثنية، ولكنها عند إنعام النظر، مظهر من مظاهر حياتهم الاجتماعية
 لا عقيدة.

الهندوية والتوحيد:

ويقول الأستاذ البستاني إن الأدب الهندوى لا أثر فيه لوثن أو وثنية وهذا لا يصح.
 فإن الأدب الدينى وغيره الهندوى مشحون بالوثنية يقول:

أما الأدب الهندوى، ملحميه ومولده، فلا أثر فيه لوثن أو وثنية بل الأمر على العكس

فإنه يخيل لقارئه أن الهنوديين أهل توحيد، ففي قصة "سافترى" المهرباتية يحدثنا الشاعر عن "عصوبات" ملك مدرا الذى شاب وشاخ ولم يولد له، فما انفك عن نذر النذور وتقديم القرابين متواصلة عبادته، صلاة وصوما. وذات يوم برزت له صلاة (سافترى) من نار القربان، وقالت له: إن الموجد ذاته، هو السميع المجيب وهو ذو المشيئة التى بها كل شئ يكون:

فاطلب عصوبات من شيخ الوجود، وما
للسيخ ييكى؟ فقال القيل مبتسما:
فإن أشك، أشك السن والعقما
وانت انت صلاة قامة ولمى

قالت: "تجابه، ونعم النذر والسول

من موجد ذاته لبيته طلبا
بننا سترزق فيها تحمد العقبا
عقت بعد صلاة تبتغى أربا
وهو السميع الذى ماشاء، كان أبا

كن، إن ما شاءه الخلاق مفعول

الله وابن الإنسان:

وعلى رغم قوله أن الأدب الهندوى لا أثر فيه لوثن أو وثنية يقول الاستاذ البستاني إن السفر الثالث من مهرباة يصف الإلاه الفشنو (Vishnu) بأنه ابن الإنسان وابن فطام. يقول:

بالسفر الثالث فصل عنوانه "حق الملوك الإلاهى" فيه من ذكر الألوهية الفشنوية النريانية: "علة الخلق" و"حافظ الكون" و"خالق نفسه" و"معبود الناس" — أذكار ينكرها من لا يطيق أن يسمع غير "الله" اسما أو وصفا للغة، حتى إذا علم أن "نريانا" بالسنسكرتية لفظ مركب معناه "مكان النور" هان عليه الأمر إلى أن يعود فيقول: كبرت كلمة "تخرج من أفواههم" إذ يقرأ عن نريانا ذاك، "معبود آلهة الناس" إنه هو "ابن الإنسان" وإليك الأبيات:

ونراد، فكراً رأى نريانا
علة الخلق رب كل إمام
'حافظ الكون' كله نريانا
منح الأرض نعمة الحكام

نريانا "معبود آلهة الناس" هو "إبن الإنسان" وإبن فطام

"خالق نفسه" تصور طفلا علة الخلق منشئ الأجسام

وقد يقف قارئ عند قافية "إبن فطام" متسائلا كم عسى أن يكون هذا التعريب قد
 باعد الأصل، وكم قدم وأخر أو زاد وأضاف، أو حذف وكتم! ومن حقه أن يقف وأن يستاءل،
 وما هو الأصل ليتبين بنفسه مبلغ ما هنالك من ذلك، ذاكرًا أن المقام مقام حفلة قربان
 أقيمت لتتويج ملك وإعلان سيادته على من دونه من ملوك وأن نراد الهندويين كهرمس
 اليونان رسول الآلهة، والفصيح البليغ، والعالم الكامل الملم بما فى السماء وما على الأرض
 من علم وخبر:

Deva rishi, saintly Narad, marked the sacrificial rite
 Sanctifying by its lustre good yudhishtir's royal might,
 And a ray of heavenly wisdom lit the rishi's inner eye,
 Saw, the ancient Narayna, great Creation's Primal Cause
 Who had sent the gods as monarchs to uphold his righteous laws,
 Narayana world's Preserver, sent immortal gods on earth
 He himself in race of yadu hath assumed his mortal birth.
 Like the moon among the planets born in Vrishni's noble clan—
 He whom bright gods render worship,—Narayana, Son of Man!
 Primal Cause and Self created,!...

ونقول: إن الأستاذ البستاني مسيحي العقيدة وهذا هو السبب لقوله إن الإلاه قد
 يوصف هكذا "إبن الإنسان" ولا اثر فيه للوثنية.

التجسد المنتظر:

فإن بيد اللقارى أن هذه اللمة المهراتية من نبا تجسد "فشنو" حفيظ الكون فى كرشنا(الذى جعله شاعر الملحمة حوزيا لمركبة أرجون الحربية) وفى تسميته بإبن الإنسان، شبهها بما جاء فى الأناجيل عن السيد المسيح إبن مريم، فما أنا بمنكر على القارئ من ذلك شيئا. بل أنه ليزداد من مثله أشياء وأشياء عندما يقف على "الغيتة" درة درر المهراتة الجارية على لسان كرشنا نفسه.

وحسبى فى هذا المقام، وقد استطرد إليه الكلام، أن أذكر أن فشنو، إنما هو أقنوم واحد من الثلاث الهندوى . وهو: "برهما" (الخالق) ومعنى لفظه السنسكريتى "المنشى" أكثر مما هو الخالق وفشنو (الحفيظ) ومشيفا (المبيد) . ولكن كلا من الثلاثة والثلاثة معا، دون "برهم" (الابدى). وشأنه، عز شأنه، موضوع الغيتة التى ذكرنا.

وما كرشنا، تجسدا فشنويا، الا التاسع من تجسيدات الحفيظ . وقبله جاء الثامن فى شخص "راما" إبن دزاراتا، ملك عود، وذكره موضوع الراميانة، وهو من كان اسما، آخر نفس لفظه، المهاتما غندى، كما تقدم القول:

وعندهم أن التجسيدات عشرة، كان أولها خنزيرا يسبح فى الماء حاملا الأرض على نابيه وثامنها "راما" ولذكره الراميانة، والتاسع كرشنا، وبالمهراتة ذكره، أما العاشر فمنتظر وعلامة ظهوره أن تقوم الملوك ملكا على ملك وأن ترفع المرأة العقيمة طالبة المساواة بالرجل.

وما زال اليهود يزعمون أن المسيح لم يأت كما يزعم النصارى أن المسيح آت ثانية،

فاقرأ لهم من سورة الانعام: ١٥٨

هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم تأتي
بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا

قل انتظروا إنا منتظرون.

إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شئ إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم
بما كانوا يفعلون.

واقراً لهم سورة الإخلاص:

قل هو الله أحد - الله الصمد - لم يلد ولم يولد - ولم يكن له كفواً أحد

وهو وحده المسؤول أن تيسر لنا بمشيئته ثقافة لا طائفية فيها، لتستقيم لنا جدارة

بالانتماء إلى أمة نبيه العربى الكريم، فنحمده كثيراً ونسبحه كثيراً. (١٠٠)

ونقول فيه: إن الآيات القرآنية التى أوردها الأستاذ البستاني لا يؤيده بل ينفى قوله إن

الأدب الهندوى لا وثنية فيه. أما المعنى الذى يتشهد عليه الأستاذ البستاني بهذه الآيات

القرآنية فقد يصح بمعنى أن لا طائفية فى الدين فإن الدين الذى أرسل به المرسلون هو دين

واحد كما ورد فى القرآن: **إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون** - الانبياء: ٩٢

وللمعرب تسامحات فيقول مثلاً. إن الهندوانيون قد سموا الهنادك بالشاهنامة

للفردوسى وكانت هذه الصيغة الكافية للتحقير. وهذا لا يصح عندنا فإنهم يسمون الهندود

بالفارسية لا الهنادك وقد استعمل هذه الكلمة لهم فى واحد من شعره كما يلى:

شت أولادى، ديوان المنى وبهم ألحقت ديوان الهندود

ويعتقد أن هناك نهران هندو وسندو واللذان يرجعان إليهما التسميتان الهند والسند.

ومن نهري "هندو" وسندو" التسميتان الهند والسند، وكان عرب الجاهلية، ومنهم عنترة

يقولون الهندوانى، بإزاء اليمانى. وبالشاهنامة سمي الهندوانيون الهنادك. وقيل لى إن هذه

الصيغة الكافية كانت للتحقير، فتجنبتها وتجنب "الهندوس" لأنها غلط والتزمت

"الهندوى" نسبة متميزة عن "الهندي" التى كانت تصح على الهندوى دينا وقوما وعلى

غيره من أهل الهند. وهذا لا يصح فإن هناك نهر واحد وهو السند (Indus) وتسمية الهند

من أجل إبدال السين بالهاء كما هو عادة العرب في تعريب بعض الكلمات.

نورد هنا بعض الأمثلة من تعريب وديع البستاني فيقول رومش دط:

Whose this bow so tall and stately, speak to me my gentle friend,
On the wood are golden bosses, tipped with gold at either end?
Whose this second ponderous weapon, stout and massive in the hold,
On the staff are worked by artists elephants of burnished gold?
Sure some great and mighty monarch owns this other bow of might.
Set with golden glittering insects on its ebon back so bright?
Golden suns of wondrous brightness on this fourth their lustre lend.
Who may be the unknown archer who this stately bow can bend?
And the fifth is set with jewels, gems and stones of purest ray,
Golden fire-flies glint and sparkle in the yellow light of day. (١٠١)

وتعريبه لوديع البستاني:

لُمن هذه القوس التي لجالالها،	تُرى من بعيد، لاتمد لها اليد؟
طويلة عُود بالنضار مجلل،	وقابانضار، مذهب ومعسجد!
وهذي، من قيل تكون سلاحه؟	لهيبتها تعنو لدى القيل أقيال
تفنن فيها صانعوها، سياتها	من الذهب الإبريز للحرب أفيال
وثالثة، هذي الأميرة في القسي	بها اعتزباريها، وعزّ أميرها
صلية عود سأسمى، سوادها	تألق، نمل عسجدى ينيرها
ويالشموس من نضار وضيّة	تشع بقابى هذه وسياتها
حنية من هذه الصقيلة؟ نبعها	شريف، كتوم، سرها فى قناتها

ونخامسة، ذات الجواهر زانها فريد محار البحر والحجران
 تريك فراش الليل فى وضح الضحى وفيها الدجى والصبح والقمران (١٠٢)
 ويقول رومش دط فى مثال آخر :

Who doth own these shining arrows with their heads in gold encased,
 Thousand arrows bright and feathered, in the golden quivers placed?
 Next are these with vulture-feather, golden-yellow in their hue,
 Made of iron keen and whetted, whose may be these arrows true?
 Next upon this sable quiver jungle tigers worked in gold,
 And these keen and boar - eared arrows speak some chieftain fierce
 and bold!
 Fourth are these seven hundred arrows, crescent in their shining
 blade,
 Thirsting for the blood of foemen, and by cunning artists made!
 And the fifth are golden-crested, made of tempered steel and bright,
 Parrot feathers wing these arrows whetted and of wondrous might! (١٠٣)

وتعريبه لوديع البستاني:

وسهام من النضار ظباها ألف سهم مقذذ فى لجعاب
 ولمن هذه السهام جميعنا؟ ياعجابا ما بعده من عجاب
 وسهام معذبات بريش ذهبى الرّوعات فى الألوان
 من جديد، حديدة النصل إن طا رت ففيتها ريش من العقبان
 ونمور الغاب النّضار عبوس فى السواد النمسي؛ يا للرزانة

بسهم مؤذونات رتوتاً. أى رب رب لهذى الكنانة؟
 ونبال بالعد سبع مئات بنضال وضاء كالهلال
 عطشت للدم الدفوق اشتياقا ما برى الفن مثلها فى النبال
 خمس النيل بالنبال ظباها من نضار، برّاقة الفولاذ
 ريشها ريش بيغاء جميل ولمن جمة المحاسن هذى (١٠٤)

And the consecrated altar built and raised of bricks of gold,
 Shone in splendour like the altar Daksha built in days of old,
 Eighteen cubits square the structure, four deep lairs of brick in height,
 With a spacious winged triangle like an eagle in its flight!

وترجمته: "والمحراب المكرس بنى فقام من آجر (صفاح) الذهب، فسطع فى بهره،
 كمذبح دكشا؛ وكان ١٨ ذراعاً مربعاً سطحه، وأربعة مدا ميك سمكه". (١٠٥)

وتعريبه لوديع البستاني:

ذهبيّ الصّفّاح، زين المحارِب لذبح يزهيّه للموت خيم
 دكشوىّ، عالى المثلث، نسر طائر فى سمائه، كروبيم
 سطحه، أذرعاً، ثمان وعشر، سمكه أربع، بهى يهيم (١٠٦)

ويقول رومش دط فى مثال له آخر:

Hymns and gifts and pure devotion sanctified the noble Queen,
 Woman's worth and stainless virtue, woman's pride and wisdom keen!
 Priests with holy contemplation cooked the horse with pious rite,
 And the steam of welcome fragrance sanctified the sacred site,
 Good Yudhishtir and his brothers' by the rules by rishis spoke,

Piously inhaled the fragrance and the sin-destroying smoke,
 Severed limbs and sacred fragments of the courser duly dressed,
 Priests upon the blazing altar as a pious offering placed,
 And the ancient bard of Vedas Vyasa raised his voice in song,
 Blessed Yudhisthir, Kuru's monarch, and the many-nationed throng!

وترجمته:

”وقدست الترانيم، والعطايا، وخلوص التعبد، الملكة النبيلة
 (عنوان) كرامة المرأة، والفضيلة الخالصة (من كل شائبة) وكبر المرأة، وحكمتها.
 وبالتأمل المقدس طها الكهنة الحصان على تقوى المراسم
 وطهر بخار النفحة الشائقة المقام المقدس
 وعلى حد ما وضعته الرياشي (ال دراويش) من أحكام، نشق يدشتير،
 ونشق إخوته، النفح، والدخان المبيد للإثم
 ووضمت (قطعت) أوصال الحصان الجواد وإربه المقدسة
 وجعلتها الكهنة على المذكى (المذبح) الملهب قربانا تقويا.
 وقام فيازى شاعر البيد (صحف المعرفة) العتيق، فأنشد
 مباركا يدشتير ملك الكورو، والجمع المتعدد الأقوام“. (١٠٧)
 وتعريبه لوديع البستاني:

وباركت التقادم والعطايا	جلالتها، بناد، أى ناد
وعطر شعرها قدس الأغاني،	فحلت للعبادة فى العباد
فضيلة زوجة، ورشاد أنثى،	وأنعم بالفضيلة والرشاد
وللكهان طهرتاملات	وتحت الذبح نارباتقاد

طهوه فى قد استهم، صلاة
 وتسيحها، برفق واتاد
 ورائحة "الكرم" تطيب مسكا
 يفوح بكل رابية وواد
 زكت ريحا، وصح بها هواء،
 تطهر من جرائم الفساد
 بخارجوا دخيل الهندي يطهى
 بخور رائح بالهسد غاد
 وأنشقت الرياشى يدشتيرا
 وإخوته وقد نادى المنادى:
 "لقد نشقوا بخار زكاة مهر
 كريم الأصل من خيل الهنادى
 فقد طهروا وزال الإثم عنهم،
 ودام النفوز من أثر الجلاذ"
 ولما سَفَدُوا المفروض شرعا
 على النيران، شبت بازدياد
 بصدر المذبح الأوصال، وصلا
 فوصلا، فالقبول على المراد
 ومجدد شتير، مليك كورو،
 وفود، فى جداه، على اتحاد
 وأنشد شاعر البید ارتجالا
 قصيدا ماشداه قبل شاد (١٠٨)
 وكما نرى هنا فان وديع البستاني يبدئ جدارته الفنية والصناعية وبراعته الأدبية فى تعريب
 المهراته ويبرز أمام قارئه كأحد المتهمدين البارزين فى اللغات الأوروبية.

(٧) الراميانة:

هذا الكتاب لم يزل مخطوطة ولم نثر عليه ولكن المعلومات التالية حصلنا عليها
 من ديباجة المهراته لوديع البستاني، ومن مقال للأستاذ سليمان أشرف الرئيس الأسبق
 للقسم اللغة العربية فى جامعة دلهى . ولا نعرف من أى ترجمة إنكليزية عربى وديع البستاني
 ولعله عربى من ترجمة رومش دط كما هو يقول: "وقاليداس، عند رومش دط مترجم
 المهراته والراميانة من شعراء الهندوية المؤلدين فهو من أبناء القرن الرابع بعد الميلاد، وبينه
 وبين شاعر الراميانة ١٥٠٠ سنة" (١٠٩)

هى قصة رحلة رامما من شمال الهند إلى جنوبها قد عربى وديع بن فارس البستاني

شعرا وفي كل من الترجمة والتعريب الشعري عدد السفور إثنا عشر سفرا وخاتمة . وعناوين السفور على حسب الترتيب فيما يلي:

خيرة العروس سيتا، النفى، موت الملك، النقاء الأمراء، وادى الغد فارى، خطبة سيتا، جبال التلغر، الاهتداء إلى سيتا، مجلس الحرب، الحرب فى سيلان، العود إلى عود، قربان الحصان .

وراما، هو التجسد الفشنوى الثامن، بطل الراميانة، أولى الملحمتين الهندويتين . وقد عربها تعريبا وقع فى ٣٩٥٠ بيتا، وهذا قد أرضاه أكثر من رضاه عن تعريب المهيراته . ومنه على لسان سيتا زوجة راما، أمير مملكة عود، وقد آلت مكيدة مبعثها غيرة الضرة، إلى نفيه مدة ١٤ عاما يقضيها فى الغابات، ليخلو العرش لولدها هى . جاء راما يودع سيتا، ويوصيها بطاعة صاحب العرش وبالصلاة والصيام، فأبت إلا أن تصحبه وتنفى معه:

امى الوفا علمتنى سيد الشرفا أبى بسمعك أوصانى بما عرفا
فقال: "كالظل كونى، واصدقيه وفا حتى الممات" - فما أرضاه منصرفا
لى عنك، واذكر أبى والأم ياراما

واسمح أصحابك فى الغابات تسيارا إن سرت محتارة إن قمت محتارا،
دعنى من القصر فى الغابات أطيارا ألقى، وآنس غزلانا وأنمارا
وقد صحبت براما عود ضرغاما

راما أخو الباس، سيتا أخته ومنى قلب الأمينة سر مصبح علنا
فى الغاب أجنى إذا زوجى الكريم جنى، وما يذقه أذقه لذة وهنا
حتى إلى الموت أتلو الزوج إقداما

وأشوق عينى لأرض فى براريها خضر الروابى، ويا سبحان باريها
وأشوق قلبى لأنهار تساريها ليلا، وبلورها الضاحى يجاريها

والموج يرقص للأزهار بساما

وفى البحيرة، فى ضحاحها الساجى لألاء در كتاج الملك وهّاج

يطفو النلوفر فوق الماء كالعاج ولإوز اصطفاق فوق أمواج

وقدغدونا وقد عمنا، كما عاما

ما بالسماء ربوع طاب مغناها

لقلب سيتا، فترضاها لسكانها

إن بت أنت بعيدا يا معناها،

سيتا، الوفاء عن الهجران، أغناها،

أنا وأنت "الحياة" الحب هناها

وهو الوفاء فلا ضيعت معناها؛

أما العروش، فقلبي ما تمنّاها،

بل قرب الحب غابات وأدناها

وما نقضت لعهد الزوج إبراما

ثم تدخل سيتا على حماتها، كبرى ملكات عود، والدّة راما، لتودعها، فيقول شاعر

الراميانة، على لسان الحماية، كوزلية، قولاً لا يجارى بيانه الا ما يقوله على لسان الكنة

الأمينة ، سيتا:

جواهر دونها در حكاها

دموع الأم تهطل فى بكاهها

فلاقتها تزودها رضاها

دنت سيتا تودع أم راما

وتسكب من ماقيها حشاها:

مليكة عود تلثم رأس سيتا

لأنت من الأمانة منتهاها

بنيتى الأمينة، طلت عمرا؛

محبتهن لا تعدو الشفاها

لأنت الصدق بين نساء زور

بسمن لعز أيام طوال
فلمما اقلبت سود الليالى
ورام الزوج زوجته لأمر
صفون مع الصفاء فإن تولى
وجوه الخير تضحك فى ضحاها
وجاءت ليلة داج ودجاها
تلمس ، ثم صفق ، مارآها
بأيديهن عكرن المياها

وفاضلة النساء فتاة صدق
وراما ابنى ، بعرش أو بغاب
وتجيب سيتا:

أجل ، راما إلاه عند سيتا
يفارق بدر ليلتنا سنه
إذا القيثارة الحسناء باتت
يعطر قلبها راما ، وفاها
وسيتا لا يفارقها وفاها
بلاوتر ، فقد فقدت غناها

وقل لكة ما ترجيه
هناء الزوجة الزوج المفدى
بأسلاف ولو عبت حمادها
بمهجتها ، هواه على هواها

ومن شعر الراميانة على بحر الشلوقة السنسكريتى ، وقد نوع الأستاذ البستاني فيه
الضرب والتوشيح بعد أن أجراه رجزا ، أبيات فى "وصف الشتاء" فى بنشفاتى :

وخريف ذهبى جاء بالطل وراح
فهو وقت خضرمى من شمال وجنوب
وشمالى السواقى صفقت فوق ابطاح
حل والليل تولى سحراً بعد الغروب

وقضى راما وضوء الصبح فى الماء الفرات
وبإبريق تهادت بعده أخت المهة

فيطلب راماً من أخيه لقشمان أن يصف له فصل الشتاء:

وشتاء الهند فصلاً صفه لي يا لقشمان

أنت يا مصداق ظني أنت عني ترجمان

فيقول لقشمان، وهو أخو رام لأبيه من وسطى زوجاته:

شيم الأرواح نور فوق نور فوق نور كعروس تتجلى بسرور وحبور

ليست أزهي وأبهى ماتسني عندها فهي تشدو وتغنى وتحيى عندها

نجم كانون تهادى في السموات العوالى حرم النوم بقلب الغاب مقرر الليالى

وفى "القمر" يقول شاعر الراميانة (وهنا نوع التوشيح مجازاة لنفس الشاعر السنسكريتي):

شاحب مصفر وجه في غلالات السحاب قمر كان منيرا كل أرجاء السماء

نوره المظلوم مثل الحسن من خلف الحجاب نفس اللاهث غشي وجه حسناء المرائى

فغيوم من بخار ودخان وضباب غيرت منه محيا كان وضاء البهاء

فحكى من حسن سيات لمعات كالشهاب طمس الزهد عليها بمسوح المسحاء

وفى "الفيل" وقد أنف ان يشرب وهو عطشان لشدة برودة الماء، فرفع خرطومه

عنه:

وأنظر الفيل الجليل الصادى العطشان جدا

يرفع الخرطوم للنابين لا يرضاء وردا

جمد الماء جليداً فوق رأس الزنبقة

فانضوت عرياوبات ما عليها ورقة (١١٠)

ويحدثنا الأستاذ ودیع البستانی عن هذا الأثر الأدبي الهندوى فيقول: "وهذا شعر

هندوى سنسكرتى عمره ٣١٠٠ سنة.

وقد يبدو أن الكتاب الأصلي إنتهى بسفرة السادس (عودة بطل الملحمة إلى وطنه وشعبه المحبوب) أما السفر السابع (العطارة أى الذيل الملحق فإنه بيان عن حال الملحمة بعد ما طرأ عليها ما طرأ من مكرر ودخيل فى غضون بضعة قرون . فبالعطارة أن أسفار الملحمة ستة، وأنشادها ٥٠٠، وشعرها ٤٠٠٠، مبيتا سنسكريتيا . وما جاء فيها أيضا أن أبناء رامما وإخوته أسسوا بضعا من المدائن والممالك، هى مدائن وممالك، ذكرت مصادر أخرى أنها ازدهرت فى القرنين الخامس والرابع قبل المسيح . فمن المحتمل إذن، ان يعين البدء فى هذه الملحمة لأوائل الألف الأخيرة قبل المسيح وأن تكون قد بلغت حجمها الحالى قبل المسيح ببضعة قرون.

وقد عبر الأستاذ البستاني عن رائه فى الراميانة أولى الملحمتين الهندويتين فقال:
وبما تقدم من الكلام على نشأة الراميانة وتناميها بالمكرر والدخيل ما يعيننا على المقارنة بينها وبين المهبارة استبانة لوجوه الشبه ولوجوه الخلاف بين الأثرين . وخلاصة ذلك أن المهبارة نشأت عن أساطير ومأثورات تناقلتها أجيال عن حرب عظيمة وقعت بين جماعة الكورو وجماعة البنشالة فى حين أن نشأة الراميانة جاءت عن ذكريات العصر الذهبى لقومى القزالة والفداة فمن ثمة يصح القول إن أشخاص المهبارة أناس من لحم ودم، ذوو فضائل أو نقائص عرف مثلها عن أهل الأثر والإحداث فى عالم التاريخ ، بخلاف أشخاص الراميانة، فإنهم مثل عليا لتبين المرء وجه الحق وثباته عليه ونضاله دونه، ولتمسك المرأة بفضيلة أمانتها الزوجية وصحتها الوالدية فى سائر ظروف الحياة البيتية . فاعتماد شاعر المهبارة إنما هو على المزعوم أو الواقعى من أخبار حرب تنوقلت جيلا بعد جيل فى المحفوظ المروى من أنشاد وأشعار . يتناول ذلك كله فيحيكه سدى ولحمة لبردة خالدة . أما شاعر الراميانة فإنه يستوحى ذكريات عصر ذهبى للثقافة الهندوية فيبدع مثلاً سامية للتقوى والإيمان، ويتناول من عالم الحياة البيتية نواحي ومشاهد يبالغ فى وصف قوامها من

العواطف وصفا دقيقا رقيقا هو السرفى تحبيب شعرها حتى لأبناء الأجيال الهندوية الحديثة، فمن يرم شعر البطولة، المهراتة ملحمة المفضلة ومن يرم شعرا متأصلا فى قرارة قلوب ملايين الأمة الهندوية فالراميانة ملحمة .

ومع أن الراميانة لاتكاد تدالى المهراتة عظمة بطولة فإنها لتعلوا عليها درجات فى تصويرها للأرق والأعمق من تلك العواطف الواشحة فى حياتنا اليومية والرابطة بين الناس فى عالم الاجتماع . وإن تلك الصور، لاسيما الهندوى منها، مازالت حتى اليوم صورا تصدق الطبيعة وتنطبق على سائر الأقوام والامم . (١١١)

وكثيرا ما نرى الأستاذ البستاني يخلط بين الاصطلاحات الإسلامية كالإيمان والتقوى والصلوة والصيام وبين المعانى الوثنية فيقول مثلاً: جاء رامايودع سيتا ويوصيها بطاعة صاحب العرش وبالصلوة والصيام فأبت إلا أن تصحبه وتنفى معه .
ويقول: أما الشاعر الراميانة فإنه يستوحى ذكريات عصر ذهبي للثقافة الهندوية فيبدع مثلاً سامية للتقوى والإيمان .

وقد رأينا فى مقدمته للمهراتة أنه قد ادعى أن الأدب الهندى، ملحمة ومونده، لا أثر فيه لوثن أو وثنية بل الأمر على العكس فإنه يخيل لقارئه أن الهندويين أهل توحيد . (١١٢)
وقد عرضنا لقوله هذا فى موضعه بقدر من التفصيل ولانريد هنا إلا أن نورد مثالا من الراميانة الذى ينفى قوله هذا فيقول يحكى جواب من سيتا:

أجل، رام! إله عند سيتا يعطر قلبها راماً، وفاها

وإله (الاه) من الاصطلاحات الإسلامية المعروفة ومنه إسم الجلالة الله وهو كما هو معروف، الإله ولا يستعمل لغيره فى أثر أدبى ولید فى بيئة اسلامية ولكن فى بيئة وثنية كما فى الهند هذا هو دأب الأدب .

(٨) الغيتة:

هذا الكتاب لم يزل مخطوطة ولم نعر عليه ولكن المعلومات التالية حصلنا عليها من ديباجة المهراتة لوديع البستاني، ومن مقال للأستاذ سليمان أشرف الرئيس الأسبق للقسم اللغة العربية في جامعة دلهي.

والغيتة هي النشيد الإلهي من كتاب المهراتة قد عربه وديع بن فارس البستاني شعرا وفي كل من الترجمة والتعريب الشعري عدد الفصول ثمانية عشر (١٨) كل لأصل الديوسي. وعدد الآيات في كل فصل من الترجمة والتعريب الشعري واحد كما في الأصل المذكور. وعدد الآيات في التعريب الشعري ١١٠٤، وعدد الحواشي في باب الشروح ٦٠٣، وصفحات هذا المجلد أربع مائة سبعة وأربعون (٤٤٧) والترجمة منها من الصفحة الأولى إلى مائة وتسع عشر صفحة (١-١١٩) والتعريب الشعري من مائة وعشرين إلى مائتين وخمسين صفحة (١٢٠-٢٥٠) والشروح من مائتين وإحدى وخمسين صفحة إلى أربع مائة وسبعة وأربعين صفحة (٢٥١-٤٤٧).

ويقول وديع البستاني عن تعريبه للغيتة: "قد جاء تعريبي للغيتة تعريبين إثنين، شعرا على بحر الشلوقة السنسكريتي، ونثرا مردفا بحواشٍ تفسيرية، معتمدا في ذلك كله على خمس ترجمات إنكليزية، إحداهن الترجمة التي لنائب الإمبراطور الهند، السيرورن هستنغ (سنة ١٧٨٣) وسادسة فرنسية. ولعل تعريبي للغيتة شعرا هو أول ترجمة نظامية لها هي، ولأريب أنفس آثار الأدب الهندي كافة. وكانت أول ما وقفت عليه من جواهر ذلك الأدب، وآخر ما عربت منه. وما جرئت على التصدي لتعريبها إلا بعد أن طال تبخرى، في ما وفقت إليه وأنا في الهند، وبعد خروجي منها، من ترجمات صالحة، ومن مباحث في الميثولوجية الهندوية لأبأس بها، بل بعد أن كنت قد فرغت من تعريب كل ما عربت، ومن تعليق ما علقت عليه من الحواشي، حتى شهر آذار من سنة ١٩٤٧. وكان فراغي من

تعريبها في نفس اليوم الذي نعى فيه البرق ودور الإذاعة المهاتمة غاندى قتيلا في سبيل إصلاحه وصلاحه، وهو خارج للصلاة من بيت صديقه الحميم ج. د. برلا، في دلهي الجديدة. وكنت في شهر شباط قد كتبت إلى السيد برلا عن معرباتي، وجاءني منه رد كريم محفوظ ليومه، ففي الغد، وقبل أن يحتفل بحرق المصلح العظيم، أبرقت إلى صديقه الحميم معلنا فراغى من تعريب الغيتة واهداءه إلى روح المهاتما، باسم عرب فلسطين، بمثابة اشتراك في مراسم التكريم.

ويرى الأستاذ وديع البستاني أن الغيتة يمكن أن قد أخذ عنها للأناجيل المسيحية الأربعة أم هي الآخذة عن الأناجيل.

وهي فريدة العقد المهراتي، درة الدرر، يتيمة الدهر "البغفادغيتة" التي ترجمت أول ما ترجمت نثرا إلى اللغة الإنكليزية وطبعت بلندن بأمر مخصوص من نائب إمبراطور الهند المذكور، فكانت أول عهد العالم خارج الهند بكنوز الأدب السنسكريتي، وفاتحة عهد جديد لعلم فقه اللغة، انصرف فيه اللغويون والمتهندة إلى البحث عن جذور مفردات اللغات الحية، فإذا السنسكريتية أصل كالأصليين، اليوناني واللاتيني. وإذا الهند بلاد انبتت قبل بوذا وتعاليمه، شاعرا نظم البغفاد غيتة حوارين بطل المهراته، "أرجون" وحوذيه "كرشنا" بسط فيه يوغية سامية لاقبلها ولا بعدها ما يضارعها أو يدانيها. وعنها أخذ بوذا في عصره، والمهاتمة غاندى في يومه. وحسبك من أمر الغيتة (الأنشودة) الفذة إنها تعددت أسماءها في ترجماتها، فهي "النشيد الإلهي"، و"النشيد السمادي"، و"أنشودة الرب المبارد" (أي كرشنا) ولليوم لم ينته البحث في أمرها؛ اعنها أخذ للأناجيل المسيحية الأربعة، أم هي الآخذة عن الأناجيل. ! (١١٣)

(٩) نالاداميتي:

ويرى الأستاذ وديع البستاني أن قصة نالاداميتي وقصتين من كتاب كليلة ودمنة

مأخوذة من مهبراته وهى قصة الحمامة المطوقة وباب الأسد والثور ويقول إن كليله ودمنة أول ما نقل من شعر الهند وقصة نالودامينتى مسرحية سنسكريتية تقص علينا حب نالا ودامينتى قد عربها شعرا وديع بن فارس البستانى، وطبع بالطبعة الأولى للترجمة العربية سنة ١٩٧١م فى الهند فى مطبعة أميره بمدراس ١٨ (الهند) ونشرها انعام رحمن سكرتير مجلس الهند للروابط الثقافية، آزاد بهون، دلهى الجديدة، الهند . وصفحته مائة وست وارعون (١٤٦) ويشتمل هذا الكتاب على قسمين، والشروح، وفيه عدد الأبيات فى التعريب الشعرى ١٢٥٦. وعناوين القسم الأول كما يلى على حسب الترتيب: نالا، دامينتى، الاوزة، الحب، أهل الجنة، الآلهة ونالا، دامينتى ونالا، العهد، الحفلة، العرس وعده، القمار، الفراق، الوحشة، الوحش، الغابة، الالاه الضائع، الشجر، الصخر، النمر، والجبل، فى المنام، العشقة، القافلة، الأمة الحرة، وعناوين القسم الثانى فيما يلى على حسب الترتيب: الحمة، الذكرى، المنشودة، الشامة، الشعر، العلم، السحر الحلال، قدوم الخير، القلب دليل، أيهم ربى، البرهان، السحر، الازار، اللقاء، العود الأحمد.

ونورد هنا بعض الأمثلة من تعريبات وديع البستانى:

كربك أندرا المولى تعالى	تعالى فى ذوى التيجان نالا
تألق حسنه خلقا وخلقاً	كشمس كان يبهزهم جمالا
روت عنه المحامد والمعالي	وطبق صبتة الدنيا فعلا
وطبع من رعال نشاد جردا	فشرفها، وشرفت الرعالا
أباللناس كان الرب نالا	حكى ماتو، وعالهم عيالا
فقيها يحفظ الصحف القدامى	عفيفا، يقتنى المال الحلالا
وإن ملك الفتى وأطاق ملكا	فناسوت يملكه الرجالا (١١٤)

ويحتوى الكتاب بعض الشروح والحواشى القيمة للمعرب ومنها ما يلى: فيشرح

كلمة أندرا والجرد والرجال من الأبيات المذكورة: رب الصواعق، كثير الذكر في الأدب الهندي، له سماء لذاته. الرجال: جمع الرعيل للجماعة من الخيل أو غيرها، والجرد جمع الأجرد أى سباق الخيل المنجرد منها. (١١٥)

وفي مثال آخر يقول:

وكان لملكه الميمون جارا	ملك طاهر زين الطهاري
تبوأ عرش فيدر با سليلا	لأكرم محتد، وعلا منارا
وعطر باسمه الأرجاء بيما	وفاخر عهده فيه الفخارا
ولم يوحشه غير النسل يمن	ولما زاره دامان زارا
وما أغنته من قبل المذاكى	فأوقد للقرى فى الحى نارا
وأكرم مقدم الضيف البرهمى	وأنزله حزام القصر دارا
وأكرمت المليكة ضيف بيما	حكى ما ذكره فى الأرض سارا
ومن أطفافها أجرت عليه	ومن بركاته جود تجارى
فصارت أم دميان، ودنتى	وداما، بعد ما كانت بوارا،
وعزت بالنجىة داميئتى	وعز البيت بالأمرء دارا
ثلاثة فتية، و فتاة حسن؛	فقل للعيش يزدهر ازدهارا
وحدث عن محاسن داميئتى	جمال حدثت عنه العذارى
فتاه فتنة عجب عجاب	سنى ساكى بجنيتها أغارا
وعينا لقشمى العينان، سحرا؛	ووجه نوره فضح النهارا (١١٦)

فيشرح كلمة البيت من الأبيات المذكورة فيقول:

البيت: من حكم لقمان: كل امرئ فى بيته أمير: والدار وردت للقوم، والمراد أن قصر الملك لم يكن يعجبه حتى صار بيتا، بالبيتين. ويقول مشرعا لبعض الألفاظ ساكى،

معناه: الإلاهة زوجة الإلاه اندرا . ولقشمى، معناه: تصحيف لقشمى، الالهة الحب والجمال والتوفيق زوجة فشنو، الإلاه "الحفيظ" وتام، معناه: تعبد، ومنه "تيم الله" كعبدالله، من أعلامنا. وكاها، معناه: الاله الحب الهندوى. (١١٧)

ومثال آخر لتعريب وديع البستاني:

وخاب السعى فى أثر وعين فما وجدوا الأثيرة والاييرا
و"نسخ الخير" "سدوى"، تاه يومما فجاء، على عماه، "شيد بورا" (١١٨)
فيشرح كلمة الأثير من الأبيات المذكورة فيقول:

الأثير: المكرم والأثير العلامة كأثر القدم فى الأرض، العين الذات، كالماشى نفسه
والتورية فى "أثر بعد عين" من قول مالك بن عمرو العاملى . وكان قد أخذه وأخاه سماكا
ملك غسانى فى ثارله، ولما خيرهما فى أيها يقتل استبقا فقال كل منها . اقتلنى أنا فختار
سماكا وخلقى مالكا فقال سماك:

وأقسم لو قتلوا مالكا لكنت لهم حية راصدة

وبعدها مرركب واحدهم يتغنى بهذا البيت، وسمعتة الأم، فقالت لمالك: أخرج فى
الطلب بأخيك: فجاء الركب، وبينهم قاتل أخيه، فقال: من أحس لى الحمل الأحمر: فقالوا،
وقد عرفوا الشرفى وجهه: لك مئة فكف: فقال "لا أطلب أثرا بعد عين". (١١٩)

(١٠) الشاكنتلا:

هذا الكتاب مسرحية هندية شهيرة باللغة السنسكريتية للشاعر الأعظم كاليداس
ترجمها عن السنسكريتية إلى الإنكليزية مونير وليمس وعربها شعرا وديع البستاني.

وطبعه ونشره انعام الرحمن سكرتير مجلس الهند للروابط الثقافية آزاد بهون، دلهى
الجديدة (١) فى مطبعة محمد إلياس القريشى جى - سى، برنترز (٢١٤١) شارع
- ايم - بى - دريا كنج دلهى ٦، سنة ١٩٦٦ وصفحته ٣٧٦.

ورأيناه في مكتبة مولانا آزاد بجامعة عليكره الإسلامية . والتفت الشاعر "وديع" إلى الهند، واطلع على نبذ من حضارتها القديمة، فراقه اليسير مما وقف عليه من تاريخها وتراثها الأدبي، ودفعه إلى أن يقوم بزيارتها شغفه بالتجوال والمغامرات، وحرصه على الاستزادة من معين أدبها الفياض.

قدم إلى الهند لأول مرة عام ١٩١٢م، ومكث فيها حتى عام ١٩١٤م ثم عاد إليها مرة ثانية سنة ١٩١٥م وبقي حتى عام ١٩١٦م . فتنته الهند، وحببت لبه، وبات أسير روائعها وسحر غوامضها. فطاف وجاب، بقلب كبير متعطش للمعرفة راح يقرأ ويطلع، ويغيب من فيض أدب الهند ما استطاع، طارفها وتالدها، منكبا عليه انكبابا لا يدركه سأم ولا ملل . تحت تلك السماء العابقة بالعطور والطيوب، فاص المعرب في خضم الملاحم الخالدة، والتحف المقدسة من ترات، المتهندة القدامى . تعلم من السنسكريتية ما لم يطمئننه إلى الإقدام على التعريب فاستعان بالترجمات الإنكليزية والفرنسية مقابلا بينها حتى انتهى إلى ترجمة منير وليمس، فاعتمدها أساسا لعمله.

وفى هذا الكتاب سبعة فصول والحواشى وعنوان الفصول كما يلي على حسب الترتيب: الغابة، سهل بجانب الغابة، الغيضة المقدسة، جوار الصومعة، قاعة فى القصر، فاتحة البركة، حديقة قصر، الجلد، ومن بين فصل وآخر تمهيد وعنوان التمهيدات كما يلي :

الصومعة، حديقة الصومعة . (١٢٠)

وفى أكثر الأحيان جاء التعريب على قدر من التصرف وفى بعضها أحسن المعرب بإيراد الأصل: ونورد هنا بعض الأمثلة فيقول منير وليمس:

Although she mingles not her words with mine yet doth her
listening ear drink in my speech, Although her eye shrinks from my
ardent gaze, No form but mine attracts its timid glances.

وترجمته: "إنها لاتمزج كلامها بكلامى، ولو أن أذنها تترشف ما أقول إصغاء، ومع أن عينها ترتد حسرا دون نظراتى الحارة، فما من شكل سوى شكلى أنا بالمقام ليجتذب نظراتها الحية". (١٢١)

وتعريبه الشعرى:

سمعت منى عنها، وعننى	حدث الخاتم، والداعى الهيام
لم تكلمنى ولا كلمتها	وجرى ما بيننا غير الكلام
ملء عينيه رأت عينى، الهوى	أغمض الجفن على شخصى ونام
خفرت فى دلها إنسانة	وأنا الإنسان وحدى فى المقام
ولها أشهد مثلها تشهدلى	أنت يا خاتم بدء وختام (١٢٢)

ويقول مونير وليمس فى موضع آخر:

To longer can I bend my well braced bow Against. The timid deer; nor e'er agein With well - aimed arrows can I think to harm. These her beloved associates, who enjoy The privilage of her companionship; Teaching her tender glances in return. (١٢٣)

وتعريبه لوديع البستانى مما يلى:

مسخ الصيد، فأمسى ولها	وهياما، بعد تيهات الهيام
ولها بالقوس زندق مالها،	وعليه غير قوسى سينم
قوتل القتل، فما شبهها	بمهاة القاع، هيفاء القوام
للمها، يافاع، منى، مالها	ولها منى عهدى والذمام
فاكتبوا عهد أمان للمها	وعلى الصيد واهلية السلام (١٢٤)

ويقول مونير وليمس أيضاً:

She smiled upon me sweetly, but disguised with maiden grace
the secret of her smiles; coy love was half unveiled; then sudden
checked By modesty leff half to be divined.

وترجمته: "نظرت إلى بسمات احجوجب سرها برقتها العذراوية، فكأنما انحسر عن
الحب الحبي نصف اللثام وبقي نصفه الآخر يخمن تخميناً . (١٢٥)

وتعريبه:

سرقـت منى، غـضـيـضا، طـرفـها

نـظـرات بـيـن دُلِّ ووجـل

ورمـت لى بـسـمـات سـرّـها

دقّ، وأعلـولـى علـى غنـج المـقل

حجّـبـت بـالكـبـر، ماأبـدت، وما

كـدت لولا هـدى قـلبـى، اسـتـدل

عن مـحـيا الحـب نـصـفا زحـزحـت

من نصـيـف، وتولاها الخجل (١٢٦)

ويقول منير وليمس فى مثال آخر:

I know not the secret thy bosom coaceals, Thy form is not near
me to gladden my sight, But sad is the tale that my heart reveals, of
the love that consumes me by day and by night.

وترجمته: "مأدرى ما الذى يخفيه صدرك من سر، ولا شخصك قريب منى، ليهج

نظرى، ولكن ما بينه قلبى من شكوى لنبا أليم، هو نبا الحب يذيني ليلا ونهارا". (١٢٧)

وتعريه لوديع البستاني:

من لى بكشف ظنونٍ عن خفاياكا
والعين تبكى، وماتحظى بمراًكا
أعِذْ كَفْكَ من حمى تساورنى
ان جدّ وجدى فاذوانى، وأعداكا (١٢٨)

يقول منير وليمس فى ترجمته الانكليزية:

....Listen to me' thou favourite guest of flowering plants; why give
they self the trouble of hovering here? See where thy partner sits on
yonder flower, And waits for thee eve she will sip its dew. (١٢٩)

وتعريه لوديع البستاني:

ماهنا، ياأخت، روحى من هنا	اسمعى، يا أخت، يا أم الجنى
زهرة ترشف منها بالهنا	أدركى أختك، هاتيك، على
لكما ذاك، وهذاى أنا (١٣٠)	راشيفها الطل ندى ثغرها

ويقول مونير وليمس:

Unceasing toil is aye the lot of kings, who, in return draw nurture

from their subjects. (١٣١)

ويقول وديع البستاني فى تعريه:

أجراء عندالرعايا ملوك الأرض
يشقون شقوة الأجراء (١٣٢)

ويحتوى الكتاب بعض النظائر لشعر كاليداس من كلام العرب وغيرهم من الشعراء .

ومثاله قول الملك: لى الويل، حقاً، زوجتى، ونبذتها وانكرت، فى انكارها ذاتى الاخرى. (١٣٣)

وبعد كاليداس بستة قرون قال أبو العلاء:

مل المقام، فكم اعاشرأمة
أمرت بغير صلاحها أمراؤها
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها
وعدوا مصالحها وهم أجراؤها (١٣٤)
ومنه، عندنا، للسموال:

علونا إلى خير الظهور، وحننا
لوقتٍ إلى خير البطون نزول (١٣٥)

أأطيب من طفل تغفر بالثرى
إذا ما ارتمى فى الصدر مسكا وغبرا
أأهنا قلبا من أبيه وأمه
إذا رام نسا، ما أطاق فثرترا
وافراحة الروحين فى بسماته
إذا افتر عن مثل اللآلى مثغرا (١٣٦)

ويحتوى الكتاب بعض الشروح والحواشى القيمة للمعرب ومنها ما يلى: فيشرح قول
الكاهن:

الكاهن: (مشيرا إلى الملك) ياذوى الاحترام، ذاك ولى طبقات الشعب الأربع، وراعى
حالات البرهمة الأربع، قام عن مجلس القضاء ولبث هنا من انتظاركم، أترونه؟ (١٣٧)
فيقول فى شرحه:

طبقات الشعب وحالات البرهمة: ولكن الطبقات: ١- البرهمية- رجال الدين- ٢-

القشطرية أى الجهادية وهم المقاتلة المحاربة، ومنهم الملك والجندي - ٣ - المالية - التجار والملاكون - ٤ - الخدم: الاجراء والعبيد . هذه هى طبقات المجتمع الهندى القديم، وإن سلم منها. لليوم، من شوائب الهجنة، فالأولى، وربما صح لبعض الحكام زعمهم أنهم بقية الثانية . وكانت البرهمية معتدة بذاتها وقدم البرهمى نفسه على الملك، وحمت الشرع البرهمى وماله، حماية خاصة، كلية . وكانت له فى عيشته حالات اربع، لزمته رعايتها: التلميذة، فالأعيال، فالتوحيد، فالسياحة. (١٣٨)

ويشرح قول الملك :

الملك: صدقت، ولكن النظر إلى زوجة الغير محرم شرعا. (١٣٩)

ويقول فى شرحه:

النظر إلى زوجة الغير محرم شرعا: حرص الهندوى على حجب الزوجة عن الغرباء
وسن له شارعها مانو "أن يلزم الأزواج زوجاتهم الحجر الداخلية المعدة لهن
(antahpura)(١٤٠)

ويشرح قول متالى: هذا صراط بريواها الذى حمل الغنج المثلث إن عدت

عوالمه. (١٤١)

فيقول فى شرحه:

صراط بريواها: الصراط الطريق . وبريواها نوء من الأنواء يعرف بريح الصراط السادس،
صراط بنات نعش (الدب الأكبر) فانهم قسموا السماوات إلى سبع مرغات (دوائر) لكل مرغة
ريحتها، وهذه من الرياح السبع تحمل نجوم الدب الأكبر، وتسير بنهر الغنج السماوى الأكرم.
الغنج المثلث: الغنج نهر الهند المقدس الأعظم ومن اسمائه عندهم "فشنوبادى" قدم
فشنو من قولهم أنه خرج من إبهامها، وجرى عبر السماء، على يد الريح، بريواها فعرف فى
مجراه ذاك بالمند كينى، وهى المجرة، مجموعة النجوم الممتدة ضياء مشبه نهر والمعروفة

عندنا يدرب التبان وعند الفرنجة بدرب اللبان لبياضها. وللغنج مجراه الأرضي المعروف،
والحديث الماثور أنه خيف على الأرض هول انصبابه عليها دفعة واحدة، فتلقيه الا لاه شيرة
برأسه حتى تضعضعت قوة انحداره تطوفا في شعور الا لاه، وعندئذ انسرب ماؤه العظيم في
شق من الأرض بجبال حملاية. وثالث مجارى الغنج في العالم السفلى الذى يقال له
البطالة، موطن الديتية العفارتة) والناغة(الحيات) وهو غير نراك أى جهنم النار مكان العذاب
والعقاب. (١٤٢)

جبل القداسة جلد أفعى حلّ في الصدر المسفع شرعة حكت النجاد. (١٤٣)
جبل القداسة: هو جبل البرهمة، شعار الانخراط في سلك أهل الدين، شرعة، أى حباله
من قطن أو قنب، أوصوف، يلبس على الكتف اليسار متدلّيا تحت إبط اليمين، ويقال
للابسه "النسخ" أى "مكرر الولادة" فكان لبسه بمثابة طقس العماد عند النصارى، إلا أنه
لا يكون للطفل كالمعمودية، بل تتفاوت السن للتكريس به حسب الطبقة فهى للبرهمى
المحتدين ٨ و ١٦ وللشطرى بين ١١ و ٢٢ وللمالى بين ١٢ و ٢٤. كذلك كان حكمه
قديمًا. واليوم لا يحل تقلده إلا لبرهمى قح، أولمن لا غش في قشطريته.
أما الزاهد فكان يتخذ جلد الحية حبلًا لبرهمته يتقلده. (١٤٤)

وللبستانيين فى باب الترجمة والتعريب أعمال أخرى لم تصل إليها — مع الاسف —
أيدينا ونذكرها استقاء من مصادر أخرى.

(١) معنى الحياة. (٢) السعادة والسلام. (٣) محاسن الطبيعة هذه الكتب الثلاثة
من مؤلفات اللورد أفبرى نقلها وديع بن فارس عيد البستاني إلى العربية عن الإنكليزية.
(٤) مختارات من شعر طاغور "شاعر الهند" ترجمها وديع بن فارس البستاني عن الإنكليزية
إلى العربية. (٥) خمسون عاما في فلسطين قد ترجمه وديع بن فارس البستاني ولكن لانعلم

أنه ترجمه من أى لغة إلى أى لغة. (٦) حكايات لافونتين ترجمها عبدالله بن ميخائيل البستاني عن الفرنسية إلى العربية (٧) خطاب فى التاريخ العام مولفة بوسوت الفرنسى .
عربه عبدالله بن ميخائيل البستاني بمعاونة شاكر عون (٨) قانون إنتقال الأموال، غير المنقولة . ترجمة ميخائيل بن أنطون عن التركية (٩) مشاهدات فى لبنان . ترجمها كرم بن سليمان بن حسن البستاني عن الفرنسية (١٠) ترجمة الكتاب المقدس . قد ترجمه بطرس بن بولس البستاني . (١١) الاساطير الهندية: لوديع البستاني . (١٢) كليلة ودمنة: شعروشر معرب لوديع البستاني . (١٣) رباعيات أبى العلاء: Quatrains of Abu-Al-Ala شعر بالانكليزية لوديع البستاني .

(المصادر والمراجع)

- (١) مناهج الترجمة تأليف: ادوار البستاني مطبعته غير معروف - الطبعة الأولى سنة ١٩٤٥ م، ص: ٧
- (٢) نفس المصدر، ص: ٧
- (٣) نفس المصدر، ص: ١٠
- (٤) نفس المصدر، ص: ١٠
- (٥) نفس المصدر، ص: ١١
- (٦) نفس المصدر، ص: ١٤
- (٧) نفس المصدر، ص: ١٦، ١٧
- (٨) نفس المصدر، ص: ٢٤، ٢٦
- (٩) نفس المصدر، ص: ٢٩، ٣٠
- (١٠) نفس المصدر، ص: ٣٩، ٤٠
- (١١) نفس المصدر، ص: ٤١، ٤٢

- (١٢) نفس المصدر، ٤٦، ٤٥
- (١٣) نفس المصدر، ص: ٥٧
- (١٤) نفس المصدر، ص: ٦٥، ٦٧، ٦٨، ٦٩
- (١٥) نفس المصدر، ص: ٧٣، ٧٥، ٧٦
- (١٦) نفس المصدر، ص: ٧٧، ٧٨
- (١٧) نفس المصدر، ص: ١٢٨
- (١٨) مسرأت الحياة تأليف: اللورد اقبرى، المطبعة المعارف لندرا، سنة ١٩١١ م، ص: ١
- (١٩) نفس المصدر، ص: ١٢
- (٢٠) نفس المصدر، ص: ٧
- (٢١) نفس المصدر، ص: ٢٤
- (٢٢) نفس المصدر، ص: ٢٦
- (٢٣) نفس المصدر، ص: ٣٥
- (٢٤) نفس المصدر، ص: ٤٥-٤٨
- (٢٥) نفس المصدر، ص: ٥١-٥٢
- (٢٦) نفس المصدر، ص: ٥٧-٦١
- (٢٧) نفس المصدر، ص: ٦٥
- (٢٨) نفس المصدر، ص: ٦٧-٧٢
- (٢٩) نفس المصدر، ص: ٧٧-٧٨-٧٩
- (٣٠) نفس المصدر، ص: ٨٣-٨٤
- (٣١) نفس المصدر، ص: ٩١-٩٣
- (٣٢) نفس المصدر، ص: ٩٥، ٩٧، ٩٩

- (٣٣) نفس المصدر، ص: ١٠٦، ١٠٨، ١١١، ١١٨
- (٣٤) نفس المصدر، ص: ١١٩-١٢١
- (٣٥) نفس المصدر، ص: ١٢٨، ١٢٠، ١٣٣
- (٣٦) نفس المصدر، ص: ١٣٧، ١٤٠، ١٤٣
- (٣٧) نفس المصدر، ص: ١٥٢، ١٥٨
- (٣٨) نفس المصدر، ص: ١٦١-١٦٣، ١٦٤-١٦٦
- (٣٩) نفس المصدر، ص: ١٦٩-١٧١
- (٤٠) نفس المصدر، ص: ١٩٤، ١٩٧
- (٤١) وديع البستاني: رباعيات عمر الخيام، المطبعة دار المعارف بمصر، سنة ١٩٤٧، ص: ٢٨، ١٣١
- (٤٢) نفس المصدر، ص: ٣٣-٣٥
- (٤٣) انيس المقدسى: الاتجاهات الأدبية فى العالم العربى الحديث، دار العلم للملايين، بيروت، سنة ١٩٨٨، الطبعة الثانية، ص: ١٧٤
- (٤٤) محمد عبد الغنى حسن: فن الترجمة فى الأدب العربى، المطبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة، ص: ١١٦، ١١٧
- (٤٥) وديع البستاني، رباعيات عمر الخيام، ص: ٨
- (٤٦) نفس المصدر، ص: ٧
- (٤٧) نفس المصدر، ص: ٧، ٢٠، وانظر، ص: ١٧ ايضاً
- (٤٨) نفس المصدر، ص: ٧، ٢٠، ٢٧، ٢٨
- (٤٩) نفس المصدر، ص: ٣١
- (٥٠) نفس المصدر، ص: ٣٣، ٣٤

(٥١) إن السابق إلى ذكر الخيام من الغربيين هو توماس هيدالانكليزي أستاذ العربية والعبرانية في جامعة أكسفورد، وذلك منذ سنة ١٧٠٠، ويتلوه قون همر النمساوي الذي ترجم بضع رباعيات عام ١٨١٨؛ وظهرت بعد ذلك في فرنسا ترجمة الرباعيات الحرفية المسيو ينقولاس زعيم القائلين إن صاحبها (عمر الخيام) كان صوفياً.

(٥٢) نفس المصدر، ص: ٣٤

(٥٣) نفس المصدر، ص: ٣٤

(٥٤) نفس المصدر، ص: ٣٢

(٥٥) نفس المصدر، ص: ٣٣

(٥٦) نفس المصدر، ص: ٣٥

(٥٧) نفس المصدر، ص: ٣٧

(٥٨) نذكر هنا واحداً من رباعياته نسخة هندية على أنها ليست في مطلعها ولكنها قريب المعنى بهذه الفاتحة،

گرگوهر طاعتت نه سفتم هرگز + ورگرد گنه زرخ نرفتم هرگز

نومیدنیم ز بارگاه کرمیت + دانی که یکے را دونگفتم هرگز

(٥٩) نفس المصدر، ص: ١١١

(٦٠) نفس المصدر، ص: ١٠٧، انظر سباعيات رقم ٦٦، ٦٠، ٦١ أيضاً

(٦١) أدوارد فيتزجرالد: ترانه هائی خيام، ترجمه واقتباس: يوسف جمشيد پور غلام

محسين آمين، پنگاه مطبوعاتی پاینده تهران، ١٩٥٦ م - ١٣٣٥ هـ ص: ٣٨، ٣٩

(٦٢) ودیع البستانی: المصدر المذكور، ص: ٤١

(٦٣) احمد رامی: رباعيات عمر الخيام، مكتبة الناشر الخانجي ومكتبة المثني ببغداد، الطبعة

الخامسة سنة ١٩٥٣ م، ص: ٣٧

(٦٤) أدوار فيتزجرالد: ترانه هاى خيام، المصدر المذكور، ص: ١٠٢، ١٠٣

(٦٥) وديع البستاني: المصدر المذكور، ص: ١٠٠

(٦٦) نفس المصدر، ص: ١٠٨

(٦٧) عبدالحق فاضل: ثورة الخيام، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، سنة

١٩٥١ م، ص: ٦٣

(٦٨) وديع البستاني: نفس المصدر، ص: ٨٥

(٦٩) ادوارد فيتزجرالد: المصدر المذكور، ص: ٨٨، ٨٩

(٧٠) عبدالحق فاضل: ثورة الخيام، ص: ٢٩٧

(٧١) نفس المصدر، ص: ٦٤

(٧٢) وديع البستاني: المصدر المذكور، ص: ٩٨

(٧٣) ادوار فيتزجرالد: المصدر المذكور، ص: ١١٦، ١١٧

(٧٤) وديع البستاني، المصدر المذكور، ص: ١١١

(٧٥) أحمد رامى، المصدر المذكور، ص: ١٠٤

(٧٦) عبدالحق فاضل: المصدر المذكور، ص: ٦٥

(٧٧) وديع البستاني: المصدر المذكور، ص: ٢٣

(٧٨) عبدالحق فاضل: المصدر المذكور، ص: ٥٩، ٦٠

(٧٩) وديع البستاني: المصدر المذكور، ص: ٢٠، ٢١

(٨٠) أدوار فيتزجرالد: المصدر المذكور، ص: ٥٦، ٥٧

(٨١) وديع البستاني: المصدر المذكور، ص: ٥٤

(٨٢) نفس المصدر ص: ١٢٤، ١٢٩

- (٨٣) وديع البستاني: المصدر المذكور، ص: ٣٥
- (٨٤) وديع البستاني: المصدر المذكور، ص: ١٣١، ١٣٧
- (٩٣) فواد أفرام البستاني: سليمان البستاني، في "الروائع" الجزء (٤٤)، المطبعة الكاثوليكية، الطبعة الأولى بيروت، سنة ١٩٥٣ م، ص: ٢٤١، ٢٤٢
- (٨٨) فواد أفرام البستاني: سليمان البستاني، في "الروائع" الجزء (٤٤)، المطبعة الكاثوليكية، الطبعة الأولى بيروت، سنة ١٩٥٣ م، ص: ٢١٠
- (٨٩) نفس المصدر، ص: ٢١٠، ٢١١، ٢١٢
- (٩٤) محمد عبد الغنى حسن: فن الترجمة فى الأدب العربى، المطبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة، ص: ٦٥
- (٩٥) نفس المصدر، ص: ٦٣
- (٨٦) نفس المصدر، ص: ١٠٨، ١٠٩
- (٩٦) فواد أفرام البستاني: سليمان البستاني، في "الروائع" الجزء (٤٤)، المطبعة الكاثوليكية، الطبعة الأولى بيروت، سنة ١٩٥٣ م، ص: ٢٣٩، ١٤٠، ٢٤٩، ٢٥١
- (٨٥) محمد عبد الغنى حسن: فن الترجمة فى الأدب العربى، المطبعة الدار المصرية، للتأليف والترجمة، ص: ١٠٩، ١١٠
- (٨٧) سليمان البستاني: دياحة إلياذة هو ميروس، المطبعة الهلال مصر، سنة ١٩٠٤
- (٩٠) أنيس المقدسى: الاتجاهات الأدبية فى العالم العربى الحديث، دار العلم للملايين، الطبعة الثامنة سنة ١٩٨٨ م، ص: ٣٧٢، ٣٧٣
- (٩١) أنور الجندى: موسوعة مقدمات العلوم والمناهج، دار الأنصا عابدين سنة ١٩٧٩ م، ص: ١٣٩٩ هـ، ص: ٢٩١
- (٩٢) أنور الجندى: المصدر المذكور، ص: ٢٩٢

(٩٧) المهراتة، ترجمها رومش دط، عربها وديع البستاني، نشرها جمعية متخرجي

الجامعة الأميركية في بيروت، من ديباجة، ص: ١-٣

(٩٨) نفس المصدر، ص: ٤، ٥ من ديباجة

(٩٩) نفس المصدر، ص: ١٠-١٣ من قصة المعرب

(١٠٠) نفس المصدر، ص: ١٦-٢٥ من ديباجة

(١٠١) نفس المصدر، ص: ٣٥٠

(١٠٢) نفس المصدر، ص: ١٣٢

(١٠٣) نفس المصدر، ص: ٣٥١

(١٠٤) نفس المصدر، ص: ١٣٣

(١٠٥) نفس المصدر، ص: ٨، ٩، ٤٠

(١٠٦) نفس المصدر، ص: ٢٨٥

(١٠٧) نفس المصدر، ص: ١١، ١٢، ٤١

(١٠٨) نفس المصدر، ص: ٢٨٧، ٢٨٨

(١٠٩) نفس المصدر، ص: ١١ من ديباجة المعرب

(١١٠) المهراتة: المصدر المذكور، ص: ٦-١٠ من ديباجة المعرب

(١١١) استقيننا هذه المعلومات من مسودة الأستاذ سليمان أشرف الرئيس الأسبق للقسم

اللغة العربية في جامعة دلهي

(١١٢) المهراتة، ترجمها رومش دط، عربها وديع البستاني، نشرها متخرجي الجامعة

الأميركية في بيروت من ديباجة، ص: ٢٢

(١١٣) [١] استقيننا هذه المعلومات من مسودة الأستاذ سليمان أشرف الرئيس الأسبق

للقسم اللغة العربية في جامعة دلهي

[٢] المهراتة، ترجمها رومش دط، عربها وديع البستاني، نشرها متخرجى الجامعة

الأميركية فى بيروت من ديباجة، ص: ٤-٦

(١١٤) نالا ودامينتى، تعريب: وديع البستاني، المطبعة مجلس الهند للروابط الثقافية، دلهى

الجديدة، سنة ١٩٧١، ص: ٣

(١١٥) نفس المصدر، ص: ١٥

(١١٦) نفس المصدر، ص: ٤

(١١٧) نفس المصدر، ص: ١١٤

(١١٨) نفس المصدر، ص: ٧٥، ٧٤

(١١٩) نفس المصدر، ص: ١٤١

(١٢٠) الشاكتلا: كاليداس، عربها وديع البستاني، المطبعة مجلس الهند للروابط الثقافية،

آزاد بهون، دلهى الجديدة، من صفحات المقدمة.

(١٢١) نفس المصدر، ص: ٣٠٠

(١٢٢) نفس المصدر، ص: ٣٤

(١٢٣) نفس المصدر، ص: ٣٠١

(١٢٤) نفس المصدر، ص: ٤٣

(١٢٥) نفس المصدر، ص: ٣٠٦، ٣٠٥

(١٢٦) نفس المصدر، ص: ٥٦

(١٢٧) نفس المصدر، ص: ٣١٤

(١٢٨) نفس المصدر، ص: ٨٩

(١٢٩) نفس المصدر، ص: ٣٣٨

(١٣٠) نفس المصدر، ص: ٢٢٠، ٢١٩

(١٣١) نفس المصدر، ص: ٣٢٤

(١٣٢) نفس المصدر، ص: ١٥١

(١٣٣) نفس المصدر، ص: ٢٢٨

(١٣٣) نفس المصدر، ص: ٣٢٤، ٣٢٥

(١٣٥) نفس المصدر، ص: ٣٣٩

(١٣٦) نفس المصدر، ص: ٢٥٦

(١٣٧) نفس المصدر، ص: ١٥٩

(١٣٨) نفس المصدر، ص: ٣٢٨

(١٣٩) نفس المصدر، ص: ١٦١

(١٤٠) نفس المصدر، ص: ٣٢٨، ٣٢٩

(١٤١) نفس المصدر، ص: ٢٤٣

(١٤٢) نفس المصدر، ص: ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥

(١٤٣) نفس المصدر، ص: ٢٤٩

(١٤٤) نفس المصدر، ص: ٣٥٠

☆☆☆

الفصل الثالث:

دراسات البستانيين حول تاريخ العرب

كان للبستانيين نشاط ملحوظ فى حركة إحياء العروبة وترويج فكرة القومية العربية ومن ضمن نشاطاتهم فى هذا المجال مؤلفاتهم التى جاءت تخليدا لذكرى الثقافة والعادات والتقاليد العربية على اختلاف عصورها . لقد جددت هذه الكتب فى أذهان القراء العرب ما أسدل عليه مرور الزمان أستار التغافل والتناسى من مشاهد الحياة الإجتماعية القومية للعرب ولا سيما فى ظل سيادة الأتراك وسيطرة تقاليدهم وفيما يلى نورد ذكر ما تيسر لنا من هذه الكتب .

(١) النساء العربيات:

هذا الكتاب لكرم بن سليمان بن حسن البستاني الذى كان أستاذ البيان فى معهد الفريز، وطبع هذا الكتاب بمكتبه صادر بيروت وسنة طباعته غير مذكورة . ويشتمل الكتاب على ١٢٨ صفحة ووجدناه فى مكتبة قسم اللغة العربية وآدابها لجامعة عليكرة الإسلامية إنه كتاب قيم جدا وفريد من نوعه فى هذا المجال ويحتوى على عادات النساء العربيات من قبل العصر الجاهلية إلى العصر الحديث . لقد استعرض فيه المؤلف أحوال النساء العربيات الشهيرات وخدماتهن وتمهرهن فى ميدان الأدب، والغناء، والحرب والكهانة .

فذكر تحت عنوان الأدب "أن المرأة العربية منذ جاهليتها كانت أديبة تستسيع وتقرض وتلتذ النثر وتنسجه على ما كانت عليه من الأمية شأن العرب فى ذلك الزمان . ولكن لاينفى أن تكون بين العربيات شاعرات مجيدات فيقول المؤلف: "أعظم شاعرات العرب لا منازع الحسناء بنت عمرو بن الشريد وهذه أشعارها فى رثاء أخويها معاوية وصخر وما

فيها من لوعة وتفجع وشعور بالكبرياء والافتخار بقتيلين كريمين مشهورة بين أبناء لعرب كلهم^(١) وقد ساعد الشاعرة العربية في العصر الإسلامي على إرهاف حسها ورقة ألفاظها كثرة روايتها لأشعار شعراء العرب وشواعرهم فقد بلغت الرواية عندها مبلغا عظيما . كالجارية العامرية . ومن النقد سكينه بنت الحسين وولادة بنت المستكفي ، وكان لذوق الشعري النسائي ، في أيام العباسيين بين عربيات الأندلس أكثر ازدهارا منه بين عربيات بغداد كعليّة بنت المهدي التي كانت العربية الوحيدة المتحضرة التي ثقفت الأدب ونذوقت الشعر بيذا أن الأندلسية تفننت أكثر من أختها العباسية كحمدونه بنت زياد ، وحفصه بنت الحاج الركونية .^(٢)

ولقد سادت النساء المستعربات أي الجوارى كبنات الفرس في الأدب ، الشعر أيضا كما كانت العربيات وإن تكن الولائد الفارسيات نظمن الشعر أكثرهن ، لم يتفرق فيه منهن إلا قليلات أشهرهن وأشعرهن عنان ، ومحبوبة ، ودنانير ، وعريب ، وفضل . والجوارى المستعربات الأندلسيات لم يكن شأنهن في دولة الأندلس أقل من شأنهن في دولة العباسيين فأشهرهن في الشعر "قمر" فإن الجوارى المستعربات وإن كن أسأن إلى الأخلاق بمانشرون من الخلاعة والمجون وأسأن إلى الدولة العربية إذ كن من العوامل التي أضعفتها في الشرق والغرب ، قد أثرن في شعر شعراء زمانهن تأثيرا عظيما .^(٣)

وقد تكلم المؤلف في مبحث "الغناء" عن خدمات النساء العربيات في مجال الغناء . فقد تغنى العرب في جاهليتهم بأنواع الغناء كلها من النصب والسناد والهزج أما النصب فغناء الركبان والفتيان . والسناد هو الثقيل ذو الترجيع ، الكثير النغمات والنبرات . وأما الهزج فالخفيف الذي يرقص عليه ويمشي بالدف والمزمار فيطرب ويستخف الحلوم . وكن الغناء في الجاهلية كان جله من اختصاص النساء . فهن اللواتي كن يغنين في الإحتفالات الدينية وفي التحميس للحرب . وفي إستقبال البطل المنتصر وتكريم الشاعر النابغ ، وفي

مجالس اللهو والانس والاعراس والمآتم. وتزعم الأساطير العربية أن أول من شدا بالغناء من النساء قينتان لمعاوية بن بكر أحد العمالق الأول . فقد اشتهرت هند بنت عفرز في الغناء الحربى فى الجاهلية . واشهر قينات صدر الإسلام ثنتان: عزة الميلاء، وجميلة ولمعت منهن فى أيام الأمويين سلامة القس، وحبابة، والذلفاء، وعاتكة . وقيان العصر العباسى كثيرات أشهرهن دفاق، وبذل، ودنانير، وبصبص، وشارية، وريق، وشاجى، و متيم الهاشمية، ومحبوبة ، والفريدتان، وسلامة الزرقاء، وقلم الصالحة وعريب (٤)

وقد أبان المؤلف فى مبحث ”الحرب“ أن النساء العربيات كن يساهمن فى الحروب والمعارك وينازلن الفرسان فى حومات الوغى منازل الأبطال للأبطال فى مختلف العصور كما يظهر من قصة ليلى العفيفة وعنتره فى العصر الجاهلى . وكانت العرب شديد الحب للمرأة عظيم الاحترام لها . فالمرأة العربية كانت كل شئ للرجل فمن أجلها كان يحارب وبها كان ينظم الشعر، ومنها يستمد حميته ولاجلها يدل بشجاعته ونسبه وخيره، فيطلب منها أن تسأل عن شرفه وفتكه وعزة نفسه وكرمه ليعلى منزلته فى عينيها . وهى التى كانت تستثير الرجل للأخذ بالثار فتقذفه فى لهوات الموت وليس لها عنه غناء مؤثرة له حياة الخلود والمجد والذكر الكريم على حياة مكتنفة بالذل والعار . كما تخاطب بنت حكيم العبدية قومها .

فان كنتم قوما كراما فاعجلوا

له جرأة من باسكم ذات مصدق (٥)

ومن البطلة الجاهلية القديمة بين أبطال الرجال زينب ملكة تدمر . وتزوج أذينة وقال عنها زوزيموس المورخ اليونانى: إن سيرتها سيرة بطل لاسيرة امرأة فقد حاربت زينب بين سابور بن اردشير ملك الفارس وبين غالينا نوس وشيوخ روما، وأورليانوس . والمرأة المسلمة أيضا ساهمت فى المغازى النبوية والحروب الإسلامية . كحمنة بنت جحش

أخت زينب زوجة النبي صلى الله عليه وسلم وأم أيمن حضرتنا أحدا وسقتا العطشى وآست الجراح . وهكذا نسيبة بنت كعب المازنية، وصفية بنت عبدالمطلب عمه النبي صلى الله عليه وسلم وعائشة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم التي خاضت موقعة الجمل . وأسماء بنت أبى بكر، وخولة بنت الازور، وغزالة الحروبة ولىلى بنت طريف . (٦)

وقد استجلى تحت عنوان "الكهانة" عن حقائقها ومساهمات النساء العربيات فيها . فالكهانة ضرب من العلوم الغيبية التى يزعم مزاولوها أنهم يعرفون بها ما خفى من أمور الكون و المخلوقات . وهذه العلوم كانت كثيرة بين العرب فى الجاهلية شأنها فى سائر الشعوب الفطرية دع المتمدنة . والعلوم الغيبية التى كان يعرفها العرب هى : الكهانة والعرافة والقيافة وزجر الطير والفراصة وطرق الحصى . يكشفون بكل منها ما يعود إليه من أسرار الحياة وغوامض النفوس وصفات الأخلاق والأمور المستقبلية .

وقد كان كهان العرب وكاهناتهم كثيرين . ففى كل قبيلة كاهن أو كاهنة غير أن المشهورين كانوا قليلا أعظمهم فى الرجال شق، وسطيح، والكواهن الشهيرات هن : طريفة، ووزراء القضاعية، وعفراء الحميرية .

وأما فى الإسلام فقد بطلت الكهانة . وكانت مذاهب العرب تجاه العلوم الغيبية متباينة : فمنهم من آمن بها ومنهم من قال أن القليل الذى يصح منها إن هو الاموافقات وأن الكثير باطل ومنهم من أنكرها كل الإنكار وكذب القائلين بها وفى هذا قال الشاعر لم يذكر الرواة اسمه :

لا يعلم المرء ليلا ما يصبّحه

إلا كواذب مما يخبر الفال

فالفال والزجر والكهان كلهم

مضللون ودون الغيب اقفال (٧)

إن هذا الكتاب جيد وفريد من نوعه وللكتاب مصادر درجتها المؤلف في أوله كما يلي: الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، ومقدمة ابن خلدون وتاريخه، ومجمع الأمثال للميداني، ونفح الطيب المقرئ، تاريخ الطبري، ومروج الذهب للمسعودي، ونهاية الأرب للالوسي، ومجلة المشرق السنة الأولى: بحث في زنوبيا ملكة تدمر .

(٢) أميرات لبنان:

يُعد هذا الكتاب جزء من سلسلة مؤلفات البستاني حول تاريخ العرب . ذكر المؤلف كرم البستاني فيه من أحوال الأميرات اللبنانية الشهيرات وخدماتهن السياسية والاجتماعية والثقافية . وقد وضعه كرم بن سليمان بن حسن البستاني الذي كان أستاذ البيان في معهد الفرير وطبع بمكتبة صادر بيروت حاويا ١٦٧ صفحة في سنة ١٩٥٢-١٩٥٠م ووجدنا هذا الكتاب في مكتبة قسم اللغة العربية وآدابها لجامعة عليكره الإسلامية وقد صدره بعنوان أميرات لبنان، وأولى الأميرات، وأميرات العهد المعنى . وأميرات العهد الشهابي، وملابس الأميرات، وخدماتهن، ومسرحهن الخ.

فقد حاول المؤلف أن يستجلي تحت عنوان "أميرات لبنان" عن أمورهن المهمة في عهدهن . فيقول: "لم أبحث في تاريخ أميرات لبنان إلا لأتخذهن مثلا أضربه عن المرأة اللبنانية القديمة والحديثة، وعما هي عليه من ذكاء وفطنة وثقافة وحكمة وبصيرة ؛ وما عرفت به من إقدام على مصاعب الأمور، ومن مشاركة للرجل في أعماله الوطنية والسياسية والعمرانية . (٨) فكانت المرأة اللبنانية منذ أقدم العهود ولا تزال ذات تأثير عظيم في شتى الحياة اللبنانية، فالأميرات اللبنانية الشهيرات في العهد القديم كثيرات كد منهن جوليا ماميا والدة الأمبراطور الروماني اللبناني اسكندر ساويروس، وجدته جوليا ميزا . وأوروبا بنت اجينور ملك صور، ومونيا، زوجة أخى أوروبا قدموس، وكذلك ليبيا عمة أوروبا ابنة بُدْعَشْتَرْت ملك صيدون، وزوجة بوسيدون والد اجينور، وملكة عمعشترت،

كاهنة عشتروت، ابنة الملك أشمنعزر (أشمون ساعد) الأول ملك صيدون وهو رأس
السلالة الصيدونية التي يرجح أنها ملكت، في العهد الفارسي من سنة ٤١٠ إلى سنة
٤٧٠ ق م!

وليس شأن اللبنانية في العصور الأخيرة بأقل من شأن اللبنانية المتوغلة في القدم ،
فكثيرات هن اللبنانيات اللواتي لمعن في التاريخ اللبناني وكان لهن أثر جميل في حياة لبنان
السياسية والعمرانية . فمنهن ايزا بلأبنت جان دى بلان أمير بيروت . ولدت هذه الأميرة في
بيروت ونشأت فيها . ولمامات أبوها خلفته في إمارة المدينة من سنة ١٢٦٢ م إلى سنة
١٢٨٠ م وأدارت الحكم على أفضل ما يكون من حكمة وشجاعة . وأم منصور زوجة الشيخ
فضل الخازن، التي تولت عهدة كسروان في أيام الأمير بشير الثاني، وجلّول المرعب والددة
حمد بك المرعب التي تولت حكم عكار من قبل إبراهيم باشا المصري ، وفاطمة الأسعد
الكاتبة الشاعرة التي شاركت زوجها على بك الأسعد في حكم جبل عامل وأنشأت في قلعة
تبنين ملحاً لتربية اليتامى وإيواء المعوزين . فيقول المؤلف: ”وما برحت لبنانيات أيامنا
سائرات على نبالة خطى أمها تهن وجداتهن، ولنا منهن كواكب لامعات في سماء لثقافة،
ومعالجة الشؤون الاجتماعية والإنسانية، وعاملات نشيطات في خدمة وطننا العزيز“ . (٩)
وتكلم في مبحث ”أولى الأميرات“ عن أحوال ديدون الصورية التي بنت قرطاجنة
وهي فتاة لبنان في عزتها وابائها وشجاعتها وطيب شمائلها وتضحيتها في سبيل مجد
وطنها وأنها بنت حصنها على مقربة من أوتيكا المستعمرة الصيدونية القديمة، لتزاحمها
وتتنزع منها سيطرتها، وهناك لقبها أصحابها بديدون أى اللاجئة لأنها هجرت وطنها
ولجأت إلى تلك الأرض البعيدة . وفي الحقيقة أنها هذه الأميرة اللبنانية قضت ضحية زكية
على مذبح الوطنية وقضت بعيدة عن وطنها في وطن جديد خلقت له لتخدم فيه بلادها الأم
وتقيم لها صرحاً من المجد خالداً . (١٠)

وتكلم فى مبحث "أميرات العهد المعنى" عن أحوالهن الإجتماعية والسياسية والسلالة المعنية تنتسب إلى جدها الأمير معن . وقد اختلف المؤرخون فى نسب المعنيين ، فزعم بعضهم أنهم أكراد من سلالة الأيوبيين ، وجعلهم آخرون مغولا ، وقد بوجه دى سان بير فى كتابه "تاريخ الدروز فى لبنان" كل هذه المزاعم وأثبت أن المعنيين عرب خلص . ومن أميرات هذا العهد المعنى طيبة المعنية ، وأم قرقماز المعنية ، ونسب التنوخية ، ونساء فخر الدين وبناته وجهان الشهابية .

فكانت الأميرة طيبة المعنية أول صلة بين المعنيين والشهابيين ، فإن زواجها بالأمير محمد الشهابى وهى كانت بنت الأمير يونس ذات حسن فتان وجمال رائع ، فلولا الأميرة طيبة لما نشأت تلك القرابة الوثيقة العرى بين المعنيين والشهابيين . (١١)

وأما أم قرقماز المعنية فكانت زوجة فخر الدين الأول وأم ولده قرقماز والد فخر الدين الثانى . وأنها عاشت بعد موت ولدها قرقماز زمنا ، وكانت ذات عظمة وغيرة على قومها ووطنها . (١٢)

وأما نسب التنوخية فهى والددة الأمير فخر الدين الثانى هذه الأميرة التى كان يلقبها المؤرخون الأجانب بالسلطانة ، يلقبها اللبنانيون بالست الكبيرة كانت موضع حب أهل لبنان وإحترامهم . وقد بلغ من إعجابهم بسديد آرائها وبلاغه منطقها وحسن سياستها وشجاعتها أن أنزلوها منزلة الأنبياء على حد تعبير سانتى ، أحد مهندسى البعثة التى أرسلها إلى لبنان قزما الثانى غرا ندوق توسكانا . ولدت الأميرة نسب فى عيبة فى الأسرة التنوخية العربية دخلت لبنان وتولت الأمانة فيه منذ أوائل القرن التاسع إلى أوائل القرن الثانى عشر . ولم يذكر المؤرخون زمن مولدها ، ولكن وفاتها فى سنة ١٦٣٣ عن سبعة وثمانين عاما ، تدل على أنها ولدت فى سنة ١٠٤٦ ، وكذلك لم يذكروا من هو والدها وإنما ذكروا أحاها الأمير سيف الدين التنوخى . وحوالى سنة ١٥٧٠ تزوجت الأميرة نسب التنوخية الأمير

قرقماز سليل الأسرة المعنية، فولدت له ولدين ذكرين فخر الدين الثانى فى سنة ١٧٥٢ء، ويونس فى سنة لم يذكرها المؤرخون . ووصفها المؤرخون بتوقد الذهن وإصالة الرأى وبعد البصر فى الأمور فأخذت هذه الأميرة تسير بحكمتها ودرايتها ومقدرتها سفينة ولدها الإدارية والسياسية بين الأخطار المحدقة بها، إلى أن مكنتها من الوصول إلى الميناء الأمين ولم يكن الأميرة ذات إدارة وسياسة وحزم وشجاعة وحكمة فحسب وإنما كانت كذلك ذات ثقافة ومعرفة. (١٣)

وتكلم المؤلف عن نساء فخر الدين وبناته: فقال إن الأمير فخر الدين الثانى كان أشد أمراء عترته تمسكا بالزواج السياسى الذى كان زيامتبعاً عند المعنيين . فإنه تزوج ابنة الأمير جمال الدين الأرسلاى، زعيم اليمنية . ثم تزوج كريمة أحد كبار الدروز . وفى سنة ١٦٠٣م تزوج فخر الدين علوة بنت الأمير على سيفاً . أما زوجته الرابعة فهى خاصكية بنت الشيخ ظافر شقيقة على الظافرى الذى كان يتولى صيدا من قبل الأمير المعنى .

وكان لفخر الدين ثلاث بنات: الأولى ست النصر، وهى ابنة علوة السيفية . والثانية فاخترة وهى بنت خاصكيه الظافرى . والثالثة أيضا بنت لخاصكية. (١٤)

وأما جهان الشهابية فهى الأميرة بنت الأمير على الشهابى صاحب وادى التيم، ولدت فى حاصبيا ونشأت فيها ولم يعرف عن سنة مولدها وأن الأمير فخر الدين لما بلغ ابنه على الثامنة عشرة من سنه فكر فى أن يزوجه فاصطفى الأميرة جهان ابنة صديقه وحليفه الأمير على الشهابى فزفت إليه صبية فى سنة ١٦١٦م.

وكانت الأميرة جهان فضلا عن جمالها الرائع وصباها الريان متحلية بأجمل المزايا وأسنى الصفات، وأنها كانت محبوبة لفخر الدين كما كانت محبوبة الشعب أيضا . والأميرة جهان لم تلد لعلى أبناء فليس فى التواريخ ذكر لذلك. (١٥)

وتشتمل أميرات العهد الشهابى على أحوال الأميرة أم دبوس اللمعية، والأميرة

شمس الشهابية، والأميرة حبوس الأرسلانية، والأميرة حسن جهان، وسعدى، وسعود .

فأم دبوس اللمعية: وهى الأميرة خنساء بنت الأمير فارس أبى اللمع من بسكتنا .

واشتهرت الأميرة خنساء بكنيتها أم دبوس وتزوجت هذه الأميرة الأمير أحمد ابن الأمير حيدر صاحب معركة عيندارا، التى دارت رحاها بين القيسيين واليمنيين فى سنة ١٧٠٩ وقد ولدت هذه الأميرة ابنين وهما مراد وعمر . وتوفيت أم دبوس سنة ١٧٧١م ولم يذكر أحد سنة وفاتها ولكنها دفنت فى غابة الصنوبر فى عينطورة . (١٦)

أما الأميرة شمس الشهابية فهى ابنة الأمير محمد الشهابى وكان يقال لها شمس المديد واختلف الرواة فى إسمها: فقالوا حبوس، وقالوا شمس . وتكنت بأم قاسم . وولدت هذه الأميرة فى حاصبيا ولم يعرف سنة مولدها وتزوجت ابن عمها الأمير بشير بن نجم . فولدت له الأمير نسيماء، والأميرة خدوج، والأمير قاسم، وخليل وأمين، وتوفيت الأميرة شمس فى يوم الثلاثاء من محرم سنة ١٣٤٥هـ ١٨٢٩م . (١٧)

والأميرة حبوس الأرسلانية: وهى ولدت فى الشويفات سنة ١٧٦٨، ووالدها هو الأمير بشير بن محمد الأرسلانى، وينادونها اللبنانيون بالست حبوس، مثلت فى السياسة اللبنانية، على عهد الأمير بشير الكبير دورا سنيا، كان له شأن عظيم فى إدارة دفة الحكم فى لبنان، فاتخذوها مثلاً يضرب فى العزة والشجاعة والاقدام . وهى كانت حاذقة، سديدة الراى ثابتة الجنان، عالية الهمة، كريمة اليد، حسنة السياسة، وكانت إلى ذلك تجالس الرجال، وتقودهم بفصاحة خطابها، تغيث الملهوفين، وتعول من يلتجئ إليها، وتعامله معاملة القريب والصدى، وتجاهد فى إقامة الحقوق له، وإن لم تكن تحقق له . (١٨)

تزوجت الست حبوس الأمير عباس بن فخر الدين الأرسلانى فولدت له أربعة ذكور، منصورا وحيدرا وأحمد وأميناء . ولما توفى عنها سنة ١٨٠٩م تولت شؤون إقطاعته فى الغرب اللبناني لأن أولادها كانوا لا يزالون قاصرين وتقول دائرة المعارف للبستاني: "إن

الأمير بشيرا جعلها، في سنة ١٧٩٣، حاكمة على اقطاع الغرب، فأدارت الحكم بفطنة قلّ نظيرها، جعلها موضع اعجاب اللبنانيين وقبلة أنظارهم“ - (١٩)

ويروى المؤرخون شيئا عن شجاعة الأميرة وبطشها في حوران: فقدروا أن بعض العرب تعدوا على الدروز هنالك وأوقعوا بهم الأذى، فخرجت الأميرة إليهم برجالها تحاربهم فاستظهرت عليهم وردتهم مهزومين. (٢٠)

وإنما لها أياد أخريات جليّة في سبيل تأييد حكمه في البلاد واستجلاب ميل أهلها إليه. (٢١)

ورأت الست حبوس في سنة ١٨٢٤ أن الشيخ بشيرا قد غلب على أمره، فأدركت أن الأمير لابد أن يفتك بها، فأثرت اللجوء إلى بشامون. ويقول طنوس الشدياق في كتابه ”أخبار الأعيان“ إن ولدين من أولادها صحباها، ولكنه لم يسمهما. (٢٢)

ويروى طنوس الشدياق إنه ”لما شدد الأمير بشير قاسم حيدر على الأميرة بطلب المال، وضيّق عليها، ذهب ولداها إلى عين تراز يلتمسان من الشيخ منصور الدحداح، مدير الأمير، أن يسترضيه بتعيين ما يمكنهما دفعه من المال المطلوب، وفي غضون ذلك توفيت. ولما بلغ أولادها خبر وفاتها حضروا إلى بشامون وعملوا لها مأتما، ودفنّت في قبة الأمير نجم“. (٢٣)

هكذا ختمت حياة هذه الأميرة اللبنانية العظيمة، التي إتخذها اللبنانيون مثلاً لمازالوا يضربونه في تحدّثهم عن العزة والشجاعة والنبيل والاقدام. (٢٤)

وأم حسن جهان (سعادة الست) تزوجها الأمير بشير الكبير بعد وفات زوجته الأميرة شمس سنة ١٨٢٩م، وكانت سعادة الست كما كان يدعوها اللبنانيون رائعة الجمال يلبق بها إسمها الفارسي حسن جهان، الذي معناه حسن الدنيا، وولدت حسن جهان للأمير بنتين سعدى وسعود وتوفت حسن جهان في ٣٠ كانون الأول سنة ١٨٧٥م. (٢٥)

أما الأميرتين سعدى وسعود: فتزوجت الأميرة سعدى الأمير سليم عبدالله حسن الشهابي. وتوفيت سنة ١٨٨٤م ودفنت في ديرمار الطونيوس في بعيدا.

أما الأميرة سعود فتزوجت الأمير خليل بشير أحمد اللمعي. وقد توفيت في سنة ١٨٦٠م في بيروت قبل أمها وأختها. ودفنت في قبة خاصة في مقبرة المدور. (٢٦)

أما ملابس أميرات لبنان فتقلبت الأزياء النسائية في لبنان على أطوار شتى شأنها في أقطار العالم حتى وصلت إلى الطراز الحديث فيقول المؤلف: "يقول لنا مؤرخو لبنان إن ملابس القديمات كانت على زين أحدهما. زى المارونيات الذي حملته معهن من شمالي سوريا وهو زى جميع نساء الشعوب القديمة تقريبا: ثوب مسترسل إلى الأرض يغطي الجسم كله، نسيجه من القطن الأبيض، بسيط التشكل، وربما كان أزرقا أو بنفسجيا، ويرقع يغطي شعر الرأس من أمام ووراء، وأساور عظيمة أو نحاسية تحولت بعدئذ إلى فضية، أو ذهبية، بحسب منزلة التي تلبسها ومستوى ثرائها، وخلاخيل في الأرجل، وعصابة للجهة تُرصف عليها نقود نحاسية وربما كانت عند الغنيات فضية، أو ذهبية، ومداس من جلد في الأرجل..... أما الزى الثاني فزى اللواتي قد من ورجالهن من جنوبي لبنان وهو عربي مؤلف من قميص طويل ينسدل من العنق إلى القدمين وكوفية وعقال وقد تلف لابسته كوفيتها على وجهها فلا تظهر عيناها". (٢٧)

وأما الأزياء اللبنانية الحديثة فقد بدأت بالتطور منذ عام ١٨٩٠م فلبست الفسطين القصيرة قليلا، الضيقة دائرة الذيل، وعقص الشعر ورفع على قمة الرأس من أمام ووراء. وفتحت صدور السلطات ورفعت قباتها واقفة تغطي الرقبة حتى أصول الشعر، ثم الغيت واعتض منها بالقبات القليلة الإرتفاع اللينة. وفتحت الأكمام حتى المعاصم، وزرت هناك أطرافها ثم قصرت إلى الأكواع. (٢٨)

حمامات الأميرات: وكانت الحمامات للأميرات وغيرهن من النبيلات، ممكنة

يظهرون فيها عظمتهم وفخفتهم واناقتهم، ومعارض لملابسهن الجميلة الفخمة، وحلاهن الثمينه، وجواهرهن التي كانت تسطع بين أنوار الشموع سطوعا يبهل الأنظار، فيتنقلن فيها من غرف تبعث ببخار الماء الغالي، فيحلل عن أبدانهن ما يكون قد علق بها من الادران، إلى غرف تصب من حنفياتها الماء الساخن؛ ثم إلى غرف الماء الفاتر، فغرف الابتعاد والراحة وتناول الأشربة المرطبة والأطعمة الفاخرة، وسماع الموسيقى والغناء، ومشاهدة الرقص الشرقي تزاوله راقصات من الإماء. (٢٩)

ومسرح الأميرات: ليس مسرح الأميرات إلا ديرا القمر فيقول المؤلف: "هذه البلدة إذاً مسرحاً للأميرات اللبانيات وتلك الأبنية الفخمة الباقية والأبنية التي تهدمت وبقيت آثارها كانت منازل لهن . ولو أن جدرانها اتصلت بلسان ناطق لقصت علينا قصص أولئك الأميرات في غبظتهن وكدرهن وفي أفراحهن وأتراحهن وفي حبهن وبغضهن قصصاً ما كان أروعها وأعذبها لو قدر لتلك الجدران العتيقة أن تكشف عنها". (٣٠)

(٣) معارك العرب:

إن هذا الكتاب من سلسلة الأبحاث في معارك العرب الشهيرة وتواريخهم صاغه يراع الأديب الكبير بطرس بن سليمان البستاني وتشتمل على ثلاثة كتب فالكتاب الأول هو معارك العرب في الشرق والغرب والثاني معارك العرب في الأندلس ويخبرنا المؤلف على حاشية الغلاف من كتابه "معارك العرب في الأندلس" أن له كتاب ثالث من هذه السلسلة بعنوان "معارك العرب في الشرق" ويقول إن الكتاب تحت الطبع ولم يصل إلينا ولا نعرف هل تم الطبع أم لم يطبع.

معارك العرب في الشرق والغرب :

يعد هذا الكتاب الأول من سلسلة مؤلفات بطرس بن سليمان البستاني حول تاريخ العرب احتوى على تاريخ مجموعة من معارك العرب الشهيرة بين الشرق والغرب وانتهى

طبع هذا الكتاب فى مطبعة الإتحاد بيروت فى ١٨ أيار سنة ١٩٤٤م بمائة وإحدى وثلاثين (١٣١) صفحة . وجدناه فى مكتبة قسم اللغة العربية وآدابها لجامعة عليكره الإسلامية.

ففى كتابه هذا لم يتناول المؤلف التاريخ من وجهته الشاملة ليأتى على جميع أقسامه . وإنما أخذ نفسه بأبحاث فرعية تلامس أشهر المعارك التى نشبت بين الدول العربية والدول الأخرى العجمية . مثلاً موقعة القادسية، وواقعة اليرموك، وحصار القسطنطينية ولم يعرض إلا للحروب التى خاض العرب غمارها فى الشرق والغرب مواقعين جيوش الدول المنظمة كالفرس والبننطين والممالك الأوروبية . وترك الثورات والفتن الداخلية، والغارات التى شنها غزاة مغامرون غرباء حال فهم التوفيق فتغلبوا على دولة الخلافة لتفسخها وفساد نظامها السياسى ثم استعربوا لغة وحضارة كالبويهيين والسلاجقة وسراهم إلا إذا كان لهذه الغارات والفتن هدف يرمى إلى نقل الإمامة وتبديل السلطان كموقعة الزاب التى تحولت بها الخلافة من بنى أمية إلى بنى العباس وانتقلت دار الملك من دمشق إلى بغداد، أو كموقعة البذ التى هدمت مطامع الفرس فى إسترجاع عرش الأكاسرة، أو كغارة هولاءكو على البلاد الإسلامية وما كان من مقتل الخليفة والتجاء العباسيين إلى مصر .

ورأى المؤلف ألا يقصر مباحثه على ذكر القتال ونتائجه بل يتعهد فيها تعليل الأسباب التى قادت فريقا إلى النصر وآخر جرتة إلى الوبال ولا سيما المواقع العظيمة التى إن اجتزئ بسرد أخبارها دون شرح وتعليل، أخرجت النصر عجيبا مدهشا غير منتظر ربما يرضى عشاق سير البطولة وخوارق الأساطير، ولكنه لا يرضى أهل العلم ولا يشبع طالب الحقيقة . فموقعة القادسية التى انتصر بها العرب على الفرس وهزموا كتائب كسرى المنظمة . وهم قوم على الفطرة لا يعرفون من شرائع الحروب غير الغارة والغزو والكرو الفر، هذه الموقعة تدخل حتما فى باب الأسطورة إنم تفصل العوامل النفسانية والإجتماعية التى جعلت هولاء البدويستقوون، وأولئك المتحضرين يستضعفون . وكذلك واقعة اليرموك

التي اندحرت بها جيوش الدولة البزنطية لاثقل غرابة عن القادسية إذا لم تعرف حالة بزنطة وسورية في ذلك العهد. وهكذا فتح الأندلس ومعركة بواتيه وموقعة الزاب وغيرها لا يرتاح إلى نتائجها الفكر السليم قبل أن يطلع على ماتقدمها وتخللها من الأسباب والعوامل.

وعنى المؤلف بالجانب الفنى من المعارك على قدر ما استطاعت المراجع التي بين أيديه أن تمده من الإرشادات إلى الخطط الحربية والحركات العسكرية التي تظهر فيها عبقریات القواد وحيلهم ومكايدهم في توجيه القتال واغتنام النصر. ويبدو ذلك في أكثر المواقع ولا سيما حصار الفسطنطينية، وموقعة البذ، وموقعة عمورية، وحروب سيف الدولة ونقفور.

ومن المعلوم أن الرواية العربية لا تغنى وحدها إذا اقتصر عليها في مثل هذه لأبحاث لما يعتورها من غموض وخبط واقتضاب. فآثر أن يعود معها إلى التواريخ الغربية وما كتب عن كل دولة من هذه الدول التي حاربت العرب وحاربوها، لتتضح للناس بمقابلة المساند المختلفة وجوه الحقائق، وتستوى مسالك البحث وتتوفر موارد التفصيل. فقد يكون في الرواية العربية أشياء لا توجد في الرواية الغربية. وقد يكون في هذه أشياء لا توجد في تلك.

فالمؤرخون الإفرنج كالمؤرخين العرب لا يبرؤون في الجملة من الحمية لأرضهم وجنسهم وديانتهم، وكثيرا ما يسخرون تفكيرهم لخدمة عاطفتهم في معالجة قضية تاريخية تمس شواعرهم، فينقضون مالا يروقه من الأقوال متوكئين على تضارب الروايات واختلاف مصادرها بحيث لا يؤمن الانسحاب على آرائهم دون تنخلها وتقليب وجوها لتميز الحق من باطلها.

ورأى أن يستهل كتابه بموقعة القادسية وإن تأخر يومها عن واقعة اليرموك. لأن الحملة التي نشطت لفتح العراق تقدمت الحملة التي قامت لفتح الشام فكانت الأحداث الممهدة للقادسية أسبق من الأحداث الممهدة لليرموك. وجعل المعارك بعدها تنتقل بين

الشرق والغرب بحسب ازمنتها وعصورها إلى أن انتهى إلى حروب صقلية. (٣١)

معارك العرب فى الأندلس:

يعد هذا الكتاب الثانى من سلسلة مؤلفات بطرس بن سليمان البستانى حول أشهر المعارك فى التاريخ الإسلامى . أورد فيه من معارك العرب الشهيرة فى الأندلس وانتهى طبع هذا الكتاب على مطابع نصار فى اليوم العاشر من تموز سنة ١٩٥٠م بمائة وسبع وعشرين صفحة. (١٢٧) ووجدنا هذا الكتاب فى قسم اللغة العربية وآدابها لجامعة عليكرة الإسلامية . تناول الكاتب فى هذا الكتاب المعارك الشهيرة التى نشبت فى الدول الأندلسية منذ صدر الإسلام إلى ما قبل عصر الخلافة العثمانية مثلاً يوم طليطلة، ومعركة الزلاقة، ورذريق والمرابطون، ويوم سرقسطة ومعركة الارك، ومعركة العقاب، ويوم قرطبة، وفاجعة غرناطة . لقد افتتح المؤلف الجزء الثانى بيوم طليطلة ويتبع بعده مانشب من المعارك الكبرى فى الأندلس حتى خروج العرب منها .

فيتم الكتاب حاملاً إلى القراء لونا جديداً من البحث فى تاريخ العرب لا يتجاوز ميادين القتال إلا ليشق دربايقود إليها . وفى هذه الميادين ولدت المملكة العربية وترعرعت واتسعت وامتدت اطرافها . وفى هذه الميادين تقلصت ظلالها، وأنها رعروشها شرقاً وغرباً . ويبدوا للقارى بعد دراسة هذه الكتب أن الكاتب متحيز ومهتم بإحياء الأمجاد العربية بما فى عهد الإسلام ويحاول بكل ما فى وسعه إبراز العروبة فى هذه الكتب . وأيضاً أنه قد ذكر فى هذه الكتب المعارك التى وقعت بين العرب والعجم فى عهد الإسلام رغم أن العجم الآن جزء من العالم الإسلامى فيتجلى منه أنه قد عزز أفكار القومية العربية بعد لتفرقة بين العرب والعجم وفى الحقيقة أنه قد اجتهد لإنهاك الجامعة الإسلامية وروابطها حق الإجتهد فلذا قد سمى هذه الكتب بمعارك العرب ولا بمعارك المسلمين وكان من المقترح أن يذكر المؤلف المعارك التى دارت فيما بين أهل الإسلام أنفسهم من العرب وغيرهم

فيقول: وإنما أخذنا أنفسنا بأبحاث فرعية تلامس أشهر المعارك التي نشبت بين الدول العربية والدول العجمية منذ صدر الإسلام إلى أن زالت كلمة الضاد بانتقال الخلافة إلى بني عثمان“ . (٣٢) ولعله عند ظهور الكتاب الثالث من هذه السلسلة . ولكن الكتاب لم يصل إلينا فلا نعرف هل تحقق هذا الاقتراح أم لا .

قد استعرض المؤلف في هذه المعارك استبداد الخلافة الإسلامية وخلفائها كما هو يقول: ”تلك المملكة التي أسسها بنو أمية في الأندلس، وحقق عبدالرحمن الناصر وحدتها، وبسط بعزواته الظافرة سلطانها، صار أمرها إلى الضعف والانحلال بعد أن سطا عليها الحاجب المنصور وأنشأ دوائه العامرية في قلب درلتها، حاجرا على الخليفة هشام مستقلا دونه بالنهي والأمر. فأسقط هيبة الأمويين من نفوس أهل الأندلس، ووطد فيهم هيئته بما أوتي من فتوح وإنتصارات. وانتقل الملك من بعده إلى ابنه عبدالملك ثم إلى ابنه الآخر عبدالرحمن . وكلاهما جرى على سنن أبيه في الحجر على الخليفة، والإستبداد بالسلطة والنفوذ“ . (٣٣)

وقد ذكر المؤلف ثلاثة أمور لأسباب المعارك فيقول: ”خرج العرب من قلب البادية وأطرافها، شراذم منتشرات لانظام يجمع اشتاتهم حفاة لانعال في أرجلهم، عراة أو عليهم أسمال بالية . فاجتازوا حدود العراق ثم توغلوا في سواده يفتتحون البلاد أرضا أرضا ويخضعون السكان شعبا شعبا . على ألسنتهم ثلاث كلمات يرددونها في مسامع أعدائهم قبل أن يباشروا القتال: الإسلام وأما الجزية أو الحرب . ثلاث كلمات لهم فيها غيمتان . فالكلمة الأولى تدعوا الناس إلى الدين الجديد. وأصحاب الدعوة يرجون بها غنيمة الآخرة والكلمة الثانية تضرب عليهم الجزية إلم يجيبوا دعوة الإسلام . وفيها غنيمة المال تستقيم به أمور المسلمين في حياتهم المادية ثم الكلمة الثالثة وهي الحرب جهادا في سبيل الدين، وفتحاً لكنوز الدنيا. فيها غنيمة الأرض وغنيمة السماء“ . (٣٤)

ولكن حقيقة الأمر أن المسلمين الأولين لم يكتفوا الجهود في جميع حياتهم إلا لإعلاء كلمة الله تبارك وتعالى ودعوة الناس إلى الله عز وجل . كما يتجلى من دعوة ربيع بن عامر لرستم فدعا ربيع بن عامر وأصحابه إلى الله تبارك وتعالى حيث قال: "الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام. فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه . فمن قبل ذلك قبلنا منه ورحعنا عنه ومن أبى قاتلناه أبدا حتى نفضى إلى موعود الله. (٣٥)

(٤) أدباء العرب :

تحدث المؤلف بطرس بن سليمان البستاني في الكتاب الأول من أدباء العرب عن ديار العرب وأصناف العرب، وأحوالهم الاجتماعية، وغزواتهم ومعاشهم وأديانهم، وعقائدهم، وعلومهم، ولغتهم، وأدبهم، وقال عن ديارهم أنها سميت جزيرة من قبيل التوسع لأن البحر لا يكتنفها إلا من ثلاث نواحيها: من الغرب البحر الأحمر، ومن الشرق بحر فارس وخليج العجم، ومن الجنوب المحيط الهندي، وأما الشمال فمتصل بأرض الشام والعراق. (٣٦)

وقال إن جزيرة العرب هي مهد العروبة الخالصة : إذا قيل ديار العرب تبادرت إلى الذهن خيالات جزيرتهم الصحراوية العارية ، مع أنه كان لقوم منهم مواطن في الربع الشامية والعراقية، إلا أن هذه المواطن ، على جمالها وتحضر بعضها لم تكن إلا غديرا من غدران الجريزة وطللا من أطلال البادية . فالجزيرة مهد العروبة الخالصة، وكل عربي صحيح النجار يعتزى إليها وإن شطت به الدار عنها . (٣٧)

وتحدث عن شخصية العربي ومثاله فقال : للعربي شخصية قوية تظهر بأنانيته ، ونزوعه إلى الحرية والاستقلال وحب الخير لنفسه دون غيره، والاستئثار بالجاه والذكر لحسن وحميد الصفات وعلمته الصحراء بقحطها الغزو والترحل في طلب الماء والكلاء وصيرته كريما مقداما يقرى الضيوف ويلتقي الأهوال، ويمنع الجار ويغيث الملهوف، لتعرضه في

ترحاله إلى أن ينزل ضيفا على غيره، وفي مخاوفه إلى أن يستغيث قوما يجيرونه ويدفعون الضر عنه، حتى أصبح حب القرى وحسن الجوار من طبائعه ويفاخر بهما، ويرى من العار عليه ألا يكرم الضيف ويحامي عن الجار. (٣٨)

وتحدث المؤلف عن أديانهم في الجاهلية فقال: وهم إلى ذلك ليسوا على دين نابت، أو عقيدة مكينة، شأنهم في حياتهم المتنقلة المضطربة.

وكان اليونان والرومان قد حملوا آلهتهم إلى بادية الشام، فاخذت العرب عنهم عبادة الأصنام، وأخذت المجوسية عن الفرس، واليهودية عن الذين هاجروا من بنى إسرائيل هاربين من وجه الأشوريين ثم من وجه الرومان بعد خراب الهيكل في السنة وأخذوا النصرانية عن الرسل الذين دخلوا مبشرين بالمسيح، ثم عن أهل الشام زمن البيزنطيين ثم عن الجيش في غاراتهم على اليمن واستقرارهم فيها. (٣٩)

نقول فيه: إنه يستعمل كلمة الرسل بمعناها المسيحية وهو المبشرين الأولين الدعاة إلى دين النصارى ولا يصح، فيما نرى، قوله أن العرب أخذوا النصرانية عن الرسل الذين دخلوا مبشرين بالمسيح ولم يثبت وصولهم إلى ديار العرب الخلف والصحيح أن العرب أخذوها بمجاورتهم وتعاملهم مع أهل الشام والحبس واليمن.

ويقول أيضا إن النصرانية في حوران وبادية الشام وبين النهرين والعراق والبحرين وعمان واليمن ومكة والطائف. وانتشرت في قبائل ربيعة وكندة وقضاة وجذام وغسان وتميم. وكانت كعبة نجران مزارا للمتصرة وحرما كمكة لا يحل انتهاكه. ولكن النصرانية التي شاعت في قبائل العرب لم تكن صافية خالصة، لأنهم أخذوها، في الغالب، عن المبتدعة المارقين، فمنهم النساطرة القائلون بأقنومين في المسيح، وهم نصارى حوران وبادية الشام وبين النهرين واليمن، ومنهم المريميون وهم الذين يؤلهون مريم العذراء، وقد ورد ذكرهم في القرآن، ومنهم الحنيفية، ومذهبهم خليط من النصرانية واليهودية، وكان منهم أمية بن أبي

الصلت وزيد بن عمرو بن نفيل . (٤٠)

ونقول فيه لعل المؤلف أراد بالنصرانية الصافية الخالصة التي تقول باقانيم ثلاثة في المسيح وهم الله، وجبرئيل ونفس المسيح وعلى هذا يستبدل جبرئيل بمريم . وفي نظر الإسلام كل هذا بدعة وليست من الديانة الصافية الخالصة التي دعا إليها المسيح عليه السلام في شئ .

أما تعريفه للحنيفية أنها خليط من النصرانية واليهودية فلا يصح أيضاً لأنها عند المؤرخين المسلمين هي ما بقيت من دين إبراهيم عليه الصلوة والسلام . وكان العرب بنو إسماعيل عليه الصلوة والسلام.

وتحدث المؤلف في الكتاب الثاني من أدباء العرب عن أسباب سقوط الأمويين وعددها فمنها الأحزاب السياسية، والشعرية، وترف الأمويين وإهمالهم، وشقاق البيت الملك، والدعوة العلوية، والدعوة العباسية .

وتحدث عن ميزة العصر العباسي الأول فقال: وخلفاء هذا العصر كانوا شديدي الحرص على ملكهم، يستحلون كل شئ في سبيل تأييده . فقد تجدهم أعدل خلق الله وأعظمه تسامحاً . ثم تجدهم أكثره جوراً وتشدداً . وهذه الصفات على تناقضها تجتمع فيهم محافظة على العرش وذوداً عن حياضه . فإذا نظرت إلى تساهلهم الديني، إطلاقهم حرية الفكر، فلا ينبغي أن تغفل عما كان يعانيه الأفراد والجماعات من ضغط وتنكيل . فاحرية عندهم مكفولة مادامت بعيدة من سياسة الأحزاب . والتساهل عندهم مباح مادام لا يؤثر في الملك . (٤١)

وجماع القول أن العصر العباسي الأول يمتاز بالنفوذ الفارسي، وحرية الفكر، والتساهل الديني، ولكن ينبغي أن نضع دون هذه الميزات مصلحة المملكة، فعندها يقف كل نفوذ، وكل حرية وتساهل . (٤٢)

ونقول فيه: لعل المؤلف أراد بالتساهل الديني التسامح الديني ورأى أن الخلفاء قضت عليهم مصلحة الدولة باطلاق حرية الدين، فأطلقوها محافظة على الأمن واسترضاء للعناصر الغربية. ولا يصح عندنا فإن حرية الفكر والتسامح الديني من أصل ديانة الإسلام وهو يامر به كما يراه المسلمون وخاصة المثقفين منهم.

وتحدث المؤلف البستاني عن ميزة العصر العباسي الثاني فقال: يمتاز هذا العصر بالنفوذ التركي، وقد رأيت ما كان للأتراك من تأثير في مجرى الخلافة العباسية، فقد جعلوا المملكة ألعبوبة في أيديهم. فكان عصرهم معقلاً للذعر والإرهاب والاضطهاد، وموطناً للتمثيل والتقتيل والاغتيال، وملعباً للدسائس والرشى والاختلاسات.

وأصبحت حرية الفكر والدين في الصميم، فخرست السنة الفلاسفة، وعلماء الكلام من أهل الاعتزال، وخصوصاً في أوائل العصر. وحرم عليهم البحث في مسألة خلق القرآن، ولم يسلموا من الحبس والتنكيل. واضطهدت الشيعة العلوية، واضطهد النصارى فكان الاستبداد والجور من أظهر ميزات العصر. (٤٣)

وتكلم المؤلف عن ميزة العصر العباسي الثالث فقال إن هذا العصر يمتاز في تبيين مختلفين، أولهما سوء الحالة السياسية في ممالك الإسلام، واضطراب الأمن في جميع الأمصار وانتشار الدعوات والفتن والحروب. والثاني حسن الحالة الفكرية وقيام المدارس والمكاتب، وازدهار العلوم والآداب. فإن الأمراء المستقلين لم يقتصر تنابذهم وتحاسدهم على أن يتقاتلون ويكايد بعضهم بعضاً، بل تعدى ذلك إلى التنافس والتباهي بتقريب الشعراء والعلماء، والتزيد في الكتب ودور التدريس، فبذلوا المال، وأجزلوا العطاء. ومالوا إلى التساهل فلم يتخرجوا من حرية القول والتفكير. فأتسع مجال الارتزاق على أهل العلم، فتنفروا في الممالك المستقلة، وأصبح لهم جملة حواضر ترفه لهم العيش، وتضمن لهم الشهرة، بعد أن كان الرزق والشهرة مقصورين على بغداد فانبسط أحوالهم، وفرغوا إلى النظم والتأليف،

فنهضوا بالفكر الإسلامى نهضة عظيمة، وتم على أيديهم نضج العلوم والآداب .

ويمتاز هذا العصر بتخليط لغة الأعاجم وغلبة اللفظة مع اللغة العربية عليها واجتياحة البلاد العربية بلغاتها ولهجاتها وإن كانت الأولية للغة العربية طوال هذا العصر فيقول المؤلف: "ومع أن بعض الدول التى استقلت كانت عجمية الاصل فارسية او تركية كالبيهيمة، والسامانية، والغزنوية، فقط ظلت السيادة فيها للغة العربية لأن ملوك العجم وهم مسلمون ابوا إلا أن يحافظوا على لغة القرآن، فتركوا لها السيادة الدينية . ثم إن العربية كانت لغة الآداب والعلوم، فلم يستغنوا عنها فى إنشاء حضاراتهم، فاعتمدوا عليها وجعلوها لغتهم الرسمية فى مدارسهم ومساجدهم ودواوينهم . على أن الفرس جاهدوا فى إحياء لغتهم القومية فتأتى لهم أن ينظموا الشعر فيها، وينقلوا إليها بعض الآداب، ولكن تعسر عليهم نقل العلوم ولا سيما الشرع لافتقار الفارسية الحديثة إلى الأوضاع العلمية . وظلت الأولية للغة العرب طوال هذا العصر ومعظم العصر الذى يليه حتى تمت السيادة للشعوب الغربية، واجتاحت البلاد العربية بلغاتها ولهجاتها، فتضاءل سواد لغة الضاد وباد حمايتها، وأهل العلم بها، وغلبت عليها طمطمانية الأعاجم . (٤٤)

وتحدث المؤلف عن ميزة العصر العباسى الرابع فقال: إن الحالة السياسية كانت على أسوأ ما يكون، فمن حروب متواصلة، ودول متداولة، وفتن مشتعلة، إلى تشقق مطرد، حتى أصبح على كل بلد ملك ذو عرش وصولحان . وهذه الحالة القلقة كانت لاجرم نذيرا بمصير البلاد إلى الانحطاط، وبئس المصير . (٤٥)

إن للمؤلف فى كتابه أدباء العرب ملاحظات كثيرة فى الأدب العربى يمكننا أن نتعرف من خلالها آرائه النقدية فعن اللغة العربية مثلاً يقول: "العربية هى إحدى اللغات المشتقة من الأصل السامى، وبينها وبين شقيقاتها مشابهاة كثيرة . وكانت فى العصر الجاهلى منقسمة على لسانين: الحميرى فى الجنوب، والعدنانى فى الشمال، وكلاهما يغاير الآخر فى أوضاعه

وأحكامه، وإن تشابهها في كثير من الألفاظ والتراكيب..... واللسان العدناني هو الذي نستعمله اليوم في الكتابة على ما لحقه من تحضر وتبدل، وبه جاء الأدب الجاهلي، ولم يأتنا أدب بلسان حمير، لأن لغة الجنوب فقدت سيادتها بعد كساد التجارة هناك . وسيل العرم في مأرب، وتشتت أهلها وهجرتهم إلى الشمال، ثم أفضى بها إلى الضعف غزوات الحبش والفرس ونزولهم في اليمن“. (٤٦)

ويرى المؤلف أن اللغة الجاهلية على كونها قوية التعبير لاتلين للعلوم والآداب والفنون فيقول: وطبيعي أن تكون لغة العرب المتحضرة في اليمن وعمان والبحرين والحيرة والشام أكثر اتساعا لمعاني الاجتماع والعمران من لغة أهل الوبر في الشمال، غير أنها لم تصل إلينا في جملتها، لأن الذين جمعوا اللغة من المسلمين، أهل البصرة والكوفة، نبذوا كل لغة تخالف لغة القرآن، واقتصروا على اللسان المضري، ينقلون الفاظه ونراكيبه عن قبائل مضربة خالصة البداوة، ماجاورت الأعاجم ولا خالطتهم، كتميم وقيس وأسد وكنانة وهذيل . ولم ينقلوا عن سكان الحواضر، ولا عن سكان البراري المجاورة للأمم الغربية، فحرموا اللغة أوضاعا كثيرة تفتقر إليها . ولم يخلص إلينا من الألفاظ الدخيلة إلا ما تكلمت به هذه القبائل، أو جرى على ألسنة الشعراء. أو اثبتته القرآن.....

”واللغة الجاهلية قوية التعبير . لاتخلو من خشونة البداوة وغرابة اللفظ، كثيرة الإيجاز . حافلة بضروب الكناية والمجاز، تسلس للشعر والوصف والاندفاعات الخطابية . ولاتلين للعلوم والآداب والفنون“ (٤٧)

وتحدث المؤلف عن تسمية الأندلس فقال حالة أسبانية قبل الفتح . وحالة جيش المسلمين . وحالة جيش الأسبانيين وانتصار المسلمين، وإحراق الفن ومتابعة الفتح، ومجى موسى، ومقتل عبد العزيز، وعن طلب الخليفة موسى ونفيه:

وقال إن الأندلس اسم محرف من فند ليسا وسموها على اسلم اقطاعة من البلاد

الأسبانية . أطلق العرب اسم الأندلس على جميع البلدان الأسبانية التي فتحوها، وكان لا يعرف به غير إقطاعة الفندال التي أبحر منها جماعات الفنداليين في هجرتهم إلى إفريقية، فسميت باسمهم، وقيل لها فندا لسيا . وهى أول أرض وطئها العرب من أسبانية، وعرفوا اسمها، فحرفوه فقالوا اندلس . (٤٨)

وتحدث المؤلف عن احراق طارق السفن بعد عبور البحر فقال: ورافق خبر النتح اسطورة مفادها أن طارقا لما وطئ أرض الأندلس أمر بالسفن فأحرقت، وخطب فى جيشه خطبته الشهيرة التى يقول فيها: ”أيها الناس! أين المفر؟ والبحر من ورائكم والعدو أمامكم وليس لكم والله إلا الصدق والصبر“ فإن صحت هذه الخطبة لطارق، فليس فيها ما يشير إلى إحراق السفن . ثم إن السفن كانت للكُنت يليان، تسير بامرته، فأنى لطارق أن يتصرف فيها ويأمر بحرقها؟ هذا وإن أخبار الفتح تنبئ بأن السفن كانت تختلف بين إفريقية والأندلس حاملة الأمداد والذخائر للقاتحين وفى ذلك ماينفى رواية إحراقها . ونيس فى نفح الطيب ماثبت هذه الرواية مع عناية صاحبه بتدوين أخبار الفتح على علاقتها . وغير معقول أن يغمر طارق بجيشه فى أرض غريبة، ويقطع الصلة بينه وبين بلاده، فما هكذا تكون حكمة الفواد وخبرتهم فى الحروب . (٤٩)

وتحدث المؤلف عن أمور خطيرة من غير شعور بالمسؤولية ومثاله قوله: وذهب موسى إلى طليطلة، فاستقبله طارق، ونزل إليه إعظاما فقتنه موسى بالسوط وروّبه على عصيانه له ومخالفته لرأته، وطالبه بمال الفئ وذخائر الملوك، فقد مهال له وفى حملتها المائدة التى غنمها من كنيسة طليطلة، وكان يوضع عليها الإنجيل . ويقول المؤرخون إنها مصنوعة من الذهب الخالص، مرصعة بفاخر الدر والياقوت، وكان طارق قد خلع رجلا من أرجلها وخبأها عنده، فسأله موسى عنها فقال: ”لاعلم لى بها، وهكذا أصبتها“ فأمر موسى فجعلت لها رجل من ذهب جاءت بعيدة الشبه عن سائر أرجلها فأخل بها . (٥٠)

ولانعرف مصدر طعنه هذا فى سيرة طارق ابن زياد وهو بطل من أبطال الإسلام
ويصوره المؤلف كأنه خائن وكذاب وهذا فى كتاب قد أعده المؤلف للطلاب الناشئين وفى
الكتاب أمثال أخرى مما لا يليق أن يحويه كتاب مدرسى كأدباء العرب .

ونذكر هنا رأى مورخ من العلماء المسلمين المعاصرين فى هذا الصدد فقال: وذكر
بعض المؤرخين المسيحيين حبس طارق بنية إعدامه، ومجئ مرسوم إطلاقه من عاصمة
الخلافة فيما بعد إلا أن المؤرخين العرب والمسلمين لا يؤيدونه . وذكروا أيضا أن طارقا خبا
رجلا من المائدة السليمانية لإضرار موسى . ثم شهد عليه أمام بلاط الخلافة ولا نرى ابن
خلدون وغيره من العرب يذكرونه لهذا ذكر مولانا السيد رياست على الندوى فى كتابه
”تاريخ أندلس فى اللغة الأردية“ أنها أسطورة افتراضية محضة . (٥١)

ونشير هنا إلى بعض الأقوال، الذى كتبه المؤرخون الغربيون وبعض الشرقيين الذين
أخذوا منهم حول علاقة طارق بن زياد وموسى بن نصير بعد انتصارات طارق بن زياد على
الأندلس وهى غير معقول وغير موثوق عندنا بتاتا .

فقال المؤلف: وبلغ موسى بن نصير فتح الأندلس، فحسد طارقا وتقدم إليه بأن يتوقف
عن الإيغال فى البلاد حتى يأتى إليه فلم يطعه طارق بل تابع الفتح..... (٥٢)

وبعد التأمل فى أحوالهما يعلم بالسهولة أنها أسطورة من قبيل الافتراء والغرض منها
انتقاص قدر القائدين المسلمين المعروفين . فالحقيقة أن طارق بن زياد كان مدربا ومرسلا من
جانب موسى بن نصير ومن ضباطه تحت أمره . وكان الاختلاف بينهما عاديا وفيما يمكن
بين جنديين فى استراتيجية الاقدام ولم يكن بينا على الحسد. (٥٣)

وفى الكتاب ما يؤيد قولنا فذكر المؤلف أن موسى أظهر الرضا عن طارق بعد ان ناقشه
واطمئن إلى تعليله: ”وذهب موسى إلى طليطلة، فاستقبله طارق، ونزل إليه إعظاما ففقهه
موسى بالسوط وبخه على عصيانه له ومخالفته لرأيه..... ثم أن موسى صالح طارقا، وأظهر

الرضاعنه وأقره على مقدمته وتابع وإياه الفتح متوغلين فى بلاد الفرنجة.....(٥٤)

واحيانا يكتب المؤلف بعصية مسيحية لم تعوز المؤرخين المسيحيين الإفرنج فى القديم الحديث ويقص علينا فتح قرطبة فيقول:

وسار مغيث إلى قرطبة وكان لها سور عال، فنما اجنهم الليل أقبلوا نحوها، وقد جادت السماء برذاذ أخفى دققة حوافر الخيل، فعبروا نهر قرطبة، وتسلق بعضهم وهجموا على الأحراس وهم غافلون، وفتكوا بهم، وكسروا أقفال الباب وبيتوا المدينة فهرب ملكها وأربع مائة من أصحابه إلى كنيسة وتحصنوا فيها، فدعاهم مغيث إلى الجزية أو الإسلام فابوا، فأوقد النار عليهم حتى أحرقتهم فسميت كنسية الحرقى ونجا ملكهم فأخذ أسيرا. (٥٥)

ويرى لنا هذا الفتح مؤرخ من علماء المسلمين فيقول: وأخيرا اختار مغيث تدبيرا شديدا لهزمهم أى أنه أوقد النار فى جوار الكنيسة فاستسلم أهلها لمغيث مكرهين.

ويقول فى هامشه "اختلف المؤرخون المسلمون والمسيحيون حول المصير لنهاى لمحصورى الكنيسة فقال "المقرى" إن محصورى الكنيسة تحصنوا فيها إلى آخر الحياة فماتوا حرقى ولهذا تمكنت العظمة لها بين قلوب المسيحيين وسموها كنيسة الحرقى . وقال "لين بول" واسكات إنهم استسلموا فمنهم حرروا ومنهم استعبدوا على وفق العهد الذى تم عقده بين الطرفين . وقبلنا قول المؤرخين المسيحيين لأن التقاليد التى وصلت إليهم من مصادرهم وأدرجت فى تاريخهم أخرى أن تكون صحيحة فى هذا الأمر فإن رواية المقرى لو صحت لرواها المؤرخون الغربيون المسيحيون بمزيد من المبالغة. (٥٦)

وينكر المؤلف ثقة المسلمين باليهود واستخدامهم فى حراسة البلدان المفتوحة فيقول وجمع مغيث يهود قرطبة، فعهد إليهم فى حراسة المدينة . استنامة لهم دون النصارى وجعل معهم طائفة من المسلمين ثم سار بجيشه قاصدا طليطلة لينضم إلى طارق بن زياد.

وأما البعث الذى زحف إلى مالطة فقد وفق لافتتاحها، ولجأ أهلها إلى بحبال هنالك

امتنعوا فيها، ثم لحق ذلك الجيش بالجيش المتوجه إلى البيرة فحاصروا غرناطة، وفتحوها عنوة، وضموا يهودها للمحافظة عليها مع جماعة من المسلمين .

وعلى رغم دعامة البستانيين، ومنهم المؤلف، للقومية العربية فقد كتب المؤلف بأسلوب يظهر فيه حميته المسيحية في حكاية فتح العرب للأندلس فقال في موضع مثلاً:

ومعنى الجيش إلى اريولة (orihvela) من أعمال مرسيلة (Murcie) وكان تدمير قد لجأ إليها بعد موت عاهله فنودى به ملكان على القوط، وأقام بمرسية ويسميها العرب تدمير باسمه وكان راهبة شديد البأس فقاتل المسلمين حتى فنى أكثر جيشه ولم يبق إلا أقله فأمر النساء بنشر الشعور، وحمل القصب والظهور على السور في زى القتال وتصدر قد امهن في بقية أصحابه يغالط المسلمين في قوته، فكره المسلمون مراسه لكثرة ما عاينوه على السور، وعرضوا عليه الصلح فرضى، ونكر زية، ونزل إليهم بأمان على أنه رسول، فصالحهم على أهل بلده ثم على نفسه، وتوثق منهم، ثم أظهر لهم نفسه، واعتذر إليهم . وسلمت كورة تدمير من أذية المسلمين بتدبيره.

تحدث المؤلف في الكتاب الثالث عن ميزة العصر الأندلسي فقال يكاد العصر الأندلسي، على اختلاف أحواله ووجوهه، يحتوى ميزة واحدة في السياسة والاجتماع، يتلون بها من أربع نواح متناقضة: الأولى هى التعصب والاستبداد والتساهل والحرية . فقد كان وجود المسلمين فى بقعة تتأخمها البلاد النصرانية ويناصبهم أهلها العداء دافع قوى لإذكاء الشعور الدينى فى نفوسهم، يزيد فى تأريث عصبية حمية الفقهاء، ومالهم من نفاذ وسلطان . فلم يكن لسوى المسلمين أن يتولوا الخطط العالية فى الأندلس، وإلا عرضوا أنفسهم لنقمة الفقهاء والعامه، وأصابهم ما أصاب اليهود فى غرناطة لما استوزر صاحبهم يوسف بن نغزلة.

العصر الأندلسي تختلف أحواله ووجوهه من التعصب والاستبداد والحرية والتسامح وظهر التعصب الدينى بينهم بعداء البلاد النصرانية المجاورة لهم فلم يكن لسوى المسلمين أن

يتولوا الخطط العالية فى الأندلس، وإلا عرضوا أنفسهم لنقمة الفقهاء والعامة، وحرص الفقهاء على سلطانهم الدينى، جعلهم يثيرون العامة، ويستعدون الخلفاء والملوك على ذوى لتفكير إذا تعاطوا الفلسفة. ووثدت البدع فلم يكن لها حظ فى الغرب كما كان لها فى الشرق.

ونظروا فى القرآن، ومحصوا أحكام الدين، وخرجوا به عن الشرع والسنة. فأصبح الشعب بآدى السخط على الفلاسفة يرميهم بالزندقة، ويزور لهم متنكرا، ويتمنى إهلاكهم. وأصبح ولاية الأمر إذا أرادوا التودد إلى الفقهاء والعامة، تقدموا بإحراق الكتب المتهمة، وباضطهاد كل مفكر عمزت عقيدته. فراجت سوق الدسائس والوشايات، وتفاقت السعائيات والمكايد، فساد الاستبداد ولقيت حرية التفكير شرا وعنتا، فنكب من أجلها ابن رشد وأصحابه، وأبعد ابن هانى عن الأندلس، وامتدت أيدى الوشاة إلى رجال الدولة، فنالهم من نقمة الملوك مانال سواهم فنكبت طائفة من الوزراء والقضاة كابن زيدون وابن الخطيب وابن زمرك وسواهم.

على أن المؤلف قد اعترف لوجود حرية الفكر فى بعض الفترات فقال: "إن هذا لا ينفى مرور فترات قصيرة أو طويلة يقوم فيها بالأمر ملوك حزمة عادلون، يؤيدون حرية الفكر دون أن يغضبوا الفقهاء والعامة فتخف الوشايات والدسائس، تنتعش الفلسفة، شأنها فى زمن الموحدين" ويقول المؤلف عن ظاهرة التسامح التى ظهرت فيما بعد أنها كانت أبلغ من ضرر التعصب والاستبداد ونص قوله ما يلى: "وكانت الأندلس دار خصب وغنى، وموطن حضارة ولهو وجمال. فانصرف أهلها إلى متع الحياة يتذوقونها، فاسرفوا فى طلب الملذات، انغمسوا فى حماة الدعارة، وتهتك شاعرهم وكاتبهم، فنطقت شفتاه بافحش الأقوال، وتمادى فى ذكر مجالس اللهو والخمر والتعهر غير متحوب ولا وجل. ولم يجد من الملوك والفقهاء وازعاجه لأنهم لم يروا فى عبث الناس ومجونهم، ما يخشى منه على الدين مادامت له الحرمة فى النفوس، ولهم السلطان العزيز، فارخوا عنان التساهل، وأباحوا حرية القول والعمل، فسدت

الأخلاق، وأبرزت الخلاعة معصمها، (٥٧)

وعصر الانحطاط هو أسوأ العصور على العرب فهذا هو عصر هو لاكو وتيمور لنك فهو عصر تقتيل العلماء، وإتلاف الكتب، وتخريب المدارس . وجاء المماليك فلم يجمعوا في إرهاب العرب إلا ليوطئوا العقاب للعثمانيين أبناء جلدتهم، فيعمد هؤلاء إلى بذر الشقاق في الطوائف خشاة أن يتواطؤوا على شق عصا الطاعة . فافترفت من أجل ذلك المظالم، وارتكبت المحرمات، وأحلّ القتل والترويع، ودبّت عقارب السعايات والدسائس، واستعبدت الأفكار وحطمت الأقاليم، وخنقت حرية الفرد والجماعة. فذل العرب، وتفرقت كلمتهم. (٥٨)

يرى المؤلف أن لوطنه لبنان وإخوانه في الدين وهم نصارى العرب والمستشرقين دور كبير وأثر بليغ في تطوير العلوم والآداب العربية فقال في هذا الصدد، "فلما تأذن الله بعصر الانحطاط وجعل الملك في يد الأتراك وأخرج العرب من الأندلس، لبثت مصر والشام موئل العربية المشتركة حتى دكه العثمانيون فأبيح عرض اللغة فمكثت ردحا لا يعصمها عقل، ولا ينصرها ناصر . ولكن الله تعالى أبى إلا أن يهيئ لها موطناً جديداً تنبعث منه حية فتية فسحر لها لبنان

وأبان المؤلف كيفية تعريب لبنان بداية في عهد معاوية رضي الله عنه وكيف تم لهذا الموطن الجديد أن يحمل عبأ النهضة، ويرفع مشعل الأدب العربي في الخافقين بعد انصافه، وهو بلد سرياني اللغة، ليس له سابق عهد بلسان العرب؟ هذا ما نحاول إيضاحه..... (٥٩)

وكانت السريانية لغة اللبنانيين يستعملونها في طقوسهم ومخاطباتهم، وكتابتهم. ولم يصبر لهم عهد بالعربية إلا يوم اقتحم معاوية لبنان يريد، فلم ينل غير سواحله فأتبعها دمشق، امتنعت عنه الجبال لوعورة مسالكها فارتد عنها، واضطرّ بعده عبد الملك بن مروان إلى أن يصالح المردة أو الجراجمة على ألف دينار يؤديها إليهم في كل جمعة، ليدفع معراتهم عن المسلمين في السواحل. ومما لا شك فيه أن ارتباط الساحل الفينيقي بدمشق الأموية مهد طريق الفتح للغة العربية. ولم يصعب عليها أن تتوغل الجبل لما بينه وبين الساحل من الاتصال، ثم لما

بينها وبين السريانية من التشابه والقربى . ولكنها بثت فيه بطيئة الانتشار، ولا سيما مواطن
الموارنة فقد ظلت بها السيادة للسريانية حتى القرن السادس عشر . ولم ترفع لغة الضاد رأسها
إلا بعد أن تقاطرت الأسر العربية إلى لبنان واستوطنت فيه، وعادت إليها أحكام إقطاعاته،
وأخصها بنومعن وبنوشهاب.....

ولم تكن الأسر العربية كلها مسلمة، وإنما كان منها نصارى لجأوا إلى لبنان فرارا من
الاضطهاد والعسف فاثروا في تعريب مسيحية..... وازدادت العربية قوة ومناعة في ولاية
الشهابيين بعد تنصرهم وتنصر الأمراء اللمعيين معهم . فكان منهم في الموارنة أمر خطيرة
الشأن عربية البخار، لا عهد لها بالسريانية قط . (٦٠)

وقال المؤلف عن لبنان والحركة العلمية قديمة في لبنان، بدأت منذ عهد الصليبيين
بفتح المدارس، كما يحدثنا الدويهي في أخبار سنة ١١١٢م (٥٠٦هـ) وفي تواريخ الصليبيين
ذكر لمدارس منظمة بنوها في ممالكهم، وجعلوا فيها أساتذة وطنيين، فكان بدء اختلاط
اللبنانيين بالفرنجة حافزا لهم على طلب العلم . ولكن أثر هذا الاختلاط كان أوضح وأبين، بعد
أن حملت فرنسة نفسها على حماية نصارى الشرق، ولا سيما الموارنة في لبنان . فإن لويس
الرابع عشر جعلهم في عهده، وشملهم برعايته.

وكان من مساعي سفراء فرنسة في الأستانة أن عقدت معاهدات تجارية بين ملوك
الفرنسيين وسلطين بنى عثمان . وأجيز للرهبان الغربيين أن يسكنوا لبنان والولايات . ثم
عقدت معاهدات بين الدولة العثمانية ودول غربية أخرى، فراج التبادل التجارى، واشتد
اختلاط الشرقيين بالغربيين، ووفدت البعثات الدينية من الغرب تبني أديارها ومدارسها في
الشرق وكان حظ لبنان منها الأطيب.

وعنى البابا عريغوريوس الثالث عشر بكهنة الموارنة عناية تذكر، فإنه أنشأ لهم
المدرسة المارونية برومة في أواخر القرن السادس عشر . فأخرجت طائفة مختارة من العلماء

كالبطريك الدويهي، السماعنة، والحصروني، والحقلائي وسواهم . وانتشر جماعة من تلاميذها في قواعد أوربة يعلمون، ويصنفون وينقلون علوم المشاركة إلى الغربيين، فحببوا إلى الأوروبيين دراسة آداب الشرق وعلومه . وحمل جماعة منهم إلى مسيحي الشرق ولاسيما أبناء ملتهم بلبنان، علوم الغربيين وآدابهم، وأنشأوا لهم المدارس، فأيقظوا فيهم حياة فكرية جديدة كان لها أثر محمود فيما بعد .

وفي القرن الثامن عشر نظمت الرهبانيات المارونية، فكان لها يد في النهضة لأنها جعلت تعليم الأحداث وتهذيبهم في قوانينها، ونشطت إلى فتح المدارس مجّانا وإنشاء المطابع وتسهيل أسباب العلم .

على أن النهضة الحقيقية لم تلمس إلا بعد منتصف القرن التاسع عشر حين ظهرت المدارس الراقية، وانتشرت الطباعة والصحافة. (٦١)

ذكر المؤلف أطوار الاستشراق من العهد القديم إلى العهد الحديث فقد عني الغربيون بدراسة العربية منذ القرن العاشر للمسيح يوم كانوا في أشد الفقر إلى العلم والأدب، ويوم كنت بلاد العرب تشعّ بأنوار العلوم والآداب، وقواعد الأندلس مناور الغرب بمدارسها وجامعاتها . فكان الفرنجة يقدمون إليها من جهات مختلفة يدرسون العربية وعلومها، فنشأ الطور الأول من الاستشراق وهو طور استفادة الأوروبيين من العرب . وأشهرهم في هذا العهد البابا سلفستروس الثاني .

وازدادت مهاجرة الأوروبيين إلى الأندلس في القرن الثاني عشر، وتضاعف إقبالهم على دراسة العربية، والنقل منها إلى لغاتهم، واشتهر فيهم يومئذ جيرار الكريموني فإنه نقل إلى اللاتينية نحو ستين كتابا لجليلا للفارابي والرازي وابن سينا وغيرهم .

واصطبغ الاستشراق بعد الحروب الصليبية صبغة دينية ظاهرة، لاهتمام رومة بإخراج الدعاة إلى الشرق . فكان الأخبار الأعظمون يحضون الكليات والمدارس على دراسة العربية وفي النصف الثاني من القرن السادس عشر أجاز الحبر الأعظم للرهبانية اليسوعية إنشاء مدرسة

ومطبعة فى رومة للعربية والعبرانية . ثم أنشئت المدرسة المارونية فأغنى تلاميذها السماعنه مكتبة الفاتيكان بالمصنفات العربية .

وترسم ملوك فرنسا أخبار رومة فى العناية بتدريس العربية، فإن فرنسيس الأول استقدم اغوسطينوس -جوستينيانى أسقف نابو من أعمال كورسكة، وعهد إليه فى تعليم العربية والعبرانية . فى رمس سنة ١٥١٩ وأحدث فيها المطابع العربية . ثم عم الاستشراق سائر أوربة، وأكب الغربيون على العربية يحنون من ثمارها الياعة، فكان لهم منها نعم الزاد فى إبان نهضتهم.

وما اكتمل القرن السابع عشر حتى خرج الاستشراق من طور الاستفادة إلى طور العلم بالشئ، ولكنه لم يخلص من العاطفة الدينية وأضاف إليها المآرب السياسية . وأقدم مستشرقى هذا العهد: دورد بوكوك (Pocock) الانكليزى، ثم دربلو (D, Herbelot) الفرنسى، ثم جان جاك ريسكى (Reiske) الألمانى .

ونهض الاستشراق فى القرن التاسع عشر نهضة عظيمة، وتكاثر المستشرقون، وانشئت فى قواعد أوربة المدارس، والجمعيات، والمجلات الآسية تعنى جميعها بعلوم الشرق، وتدعم سياسة الاستعمار والتوسع التجارى .

ومن محامدهم عقد المؤتمرات الشرقية فى مدائن أوربة، يأتون إليها على شحط الديار، واختلاف الأمصار، وربما دعوا إليها علماء العرب . وأقدم هذه المؤتمرات عقد فى باريس سنة ١٨٧٢م (١٢٨٩هـ) ثم تعاقبت المؤتمرات بعده فى مختلف الحواضر والعواصم .

ويقول المؤلف عن قيمة عمل المستشرقين فى نهضة الآداب العربية . "لم يقتصر عمل الغربيين فى النهضة على نقل حضارتهم وعلومهم إلى بلاد العرب، بل كانت لهم أيد مشكورة أسداها المستشرقون منهم إلى العربية وآدابها

"وللمستشرقين أبحاث أدبية فى الشعر والشعراء والكتابة والكتاب، ولكنها غير دقيقة فى الجملة، لعجمتهم، وضعف الروح العربى فيهم، وقلة خبرتهم بمذاهب الكلام عند العرب .

وليس لهم براعة فى الإنشاء ولا انتقاد لهم سحر البيان فيكون لما كتبوه فى العربية منزلة أدبية مذكورة. غير أنهم اعتمدوا فى الأغلب على لغاتهم، فافادوا من حيث تأت لهم الإفادة“ - (٦٢)

وتحدث المؤلف عن ميزة عصر الانبعاث فقال ومن آثار النهضة فى الأمم العربية نزوعهم القوى إلى الاستقلال، وطلب المجد المفقود، ونقمتهم على الظلم والاستعباد. فكانت لهم من أجل ذلك ثورات بالسيوف دامية، وثورات بالقدم حامية. فلقوا من الضغط والتنكيل شيئاً كثيراً، فنفروا ينشدون الحرية فى أوربة وأميركة. ونشروا صحفهم للدفاع عن حقوقهم، ودفع الظلم والظالمين، فألفوا باغتراب انطلاقاً من القيود الثقيلة التى كبلت بها حرية التفكير وكانت مصر بعد الاحتلال الإنكليزى أرحب سماءاً للانعقاد الفكرى، فقصد إليها جماعات الكتاب والأدباء من لبنانيين وسوريين وعراقيين، فوجدوا فيها مجالاً واسعاً لآرائهم وانتقاداتهم. فحملوا على أسوء الحكم الحميدى ونادوا بإصلاحه وشدوا باسم الدستور، حتى أعطوه سنة ١٩٠٨ م (١٣٢٦ هـ) فنعشت حرية القول والعمل مدة، ثم خاصمها الاتحاديون، وأجهز عليها جمال السفاح فى الحرب العامة، فلم ينبض لها عرق إلا بعد أن تقلص ظل الترك عن البلاد العربية.

وفى عهد المتصرفين خفت به القلاقل، وسادت الطمأنينة لبنان إذ تكافدت على حمايته وتعهد طوائفه دول سبع. ولكن ضيق العيش فى بقعته الجلمودية حمل أبناءه على الارتحال عنه، فانهدر منهم فريق إلى بيروت، وهاجر فريق إلى مصر، وآخر إلى أوربة. ثم ولت جماعتهم وجهها أميركة، فأحدثوا فى كل بلد حلوه حركة علمية أدبية، بدت آثارها فى صحفهم ومدارسهم وجمعياتهم ومصنفاتهم.

ثم كان الانتداب الفرنسى، وأصبحت بيروت عاصمة لبنان، فهبطها اللبنانيون فضهم وقضيضهم، واستأثرت على الأخص بجماعة المثقفين منهم فجعلوها عكاظ القرن العشرين، ولم يخل لبنان فى عهد الانتداب من فتن وقلاقل، وضيق اقتصادى.

وكان مسيحيو لبنان وسورية، ولاسيما المواردنة، أسبق الناس إلى إضاءة مشعل النهضة، لرقى مدارسهم وتقدم عهدهما، ثم لسهولة امتزاجهم بالغربيين . فساروا بهاشوطا بعيدا منفردين حتى تنبه المسلمون في أواخر القرن التاسع عشر. وكان المصريون أسرعهم إلى إطراح الغفلة لفترة دواعى النهضة عندهم، وخصوصا فى زمن اسماعيل . ونشط بعدهم مسلموا بيروت ودمشق وحلب فأنشأوا المدارس وأقبلوا بأولادهم إلى معاهد النصارى، واثقفونهم ثقافة حديثة راقية وصدفوا عن المدارس الأميرية وقدرأوا أنها لاتنشئ إلا رجالا مشتركين فى بيانهم، رجال سيف وإدارة، لارجال علم وثقافة. (٦٣)

(٥) تاريخ فرنسا الحديث:

هذا كتاب ضخيم يشتمل على ١٠٤٠ صفحة ألفه سليم البستاني ونسخة بالية لهذا الكتاب محفوظة فى مكتبة متحف سالارجنك (حيدرآباد) وصورنا منها بعض الصفحات لهذه الدراسة ويتضمن تاريخ الإمبراطور نابوليون الأول وهو نابليون بونابرت وينتهى بوفاته وفى أوله نحو مائة صفحة جمعها جناب الشيخ خطار الدحداح وهذبها المؤلف وبيضا ونقحها لضمها إلى الكتاب . وظل هذا الكتاب ٢٥ سنة بعد تأليفه بلا تبييض من تراكم الأشغال لدى المؤلف . وطبع فى بيروت فى مطبعة المعارف سنة ١٨٨٤ م، وهذه هى سنة وفاة المؤلف أيضاً.

إن تاريخ العالم العام قد قسمه المؤرخون إلى أربعة أقسام بحسب السنين التى كانت تأتى بحوادث خطيرة مؤثرة بغير هيئة الجنس البشرى السياسية وغيرها وناتية بعادات وأخلاق واصطلاحات جديدة.

القسم الأول: ابتداءه من الخليفة وانهائه سنة ٤٧٦ للميلاد وهذه السنة هى التى سقطت فيها الدولة الرومانية الغربية بزحفات البرابرة الذين كانوا قاطنين فى شمال أوروبا .
والثانى : تاريخ الأزمنة المتوسطة ابتداءه من السنة التى ينتهى بها التاريخ القديم وهى سنة

٤٧٦ وانتهأؤه سنة ١٤٥٣ م . وقالوا إن هذه السنة هى نهاية الأزمنة المتوسطة لأن السطان محمدا العثمانى الفاتح فتح فيها مدينة القسطنطينية فسقطت الدولة الرومانية الشرقية .

وقال المؤرخون إن سنة ١٤٥٣ م للميلاد هى بداية تاريخ الأزمنة المتأخرة التى ينتهى بها تاريخ الأزمنة المتوسطة . وينتهى سنة ١٧٨٩ للميلاد وهذه السنة هى بداية التاريخ العصرى أو الحديث لأن الثورة الفرنسية العظمى حدثت فيها وهذه الفتنة هى ابتداء التاريخ الذى هو موضوع المؤلف فى هذا الكتاب ويقول المؤلف عن هذه الثورة: "إن تلك الثورة لم تؤثر تأثيرات سياسية وأدبية ومادية وغيرها فى فرنسا فقط بل أتت سائر العالم بعصر جديد يفتخر به أهله سيأتى بيان ذلك بالتفصيل" . (٦٤)

ويقول أيضا: "إن هذا التاريخ يعد من أجل التواريخ المتأخرة لما به من الفائدة العمومية عقليا وحسباً أدبيا وماديا علميا وصناعة ولاسيما من جهة السياسة الدولية لأنه تضمن على الخصوص سيرة رجل من أكابر رجال الدنيا المشهورين بالدراية والتدبير والسياسة والذوق وهو نابوليون بونايرت" . (٦٥)

ويتكلم المؤلف عن سبب اختياره تاريخ فرنسا الحديث موضوعا لتأليفه هذا فيقول: "لما كانت فرنسا أقرب الممالك إلينا للعلاقات التجارية واللغوية الجارية بينها وبين الشرق قد اخترنا هذا الموضوع للتقرير ونشرناه تعميما للفائدة التى يأتى بها فن التاريخ الجميل الذى هو من أجل الفنون الأساسية التى تبنى عليها الإدارة السياسية والأعمال والمشروعات العامة" . (٦٦)

وفى الكتاب تمهيد فى تاريخ فرنسا منذ الأزمنة القديمة إلى ابتداء الأزمنة الحديثة ويخبرنا المؤلف أن فرنسا كانت تسمى فى الأزمنة القديمة غلية (Gaule) ويقول: "إن أمة الغلية أى الفرنسويون الاقدمون كانوا على جانب عظيم من الشجاعة والبسالة ومحبة الحرية فإنهم لم يكونوا يطبقون الذل والعبودية حتى أن الدولة الرومانية التى وطدت أركان

سطوتها فى العالم الذى كان معروفافى عصرها لم تتمكن من قهر أمة الغلية التى كثيرا ما كادت تهدم أركان المملكة الرومانية الا بعد أن صرفت سنين كثيرة فى إجراء استعدادات عظمية ولم تتمكن من التغلب عليها إلا سنة ٥٨ قبل الميلاد. (٦٧)

ويقول المؤلف: "إن الشرقيين يسمون كل الأوربيين إفرنكا أى إفرنجا مع أن هذا الاسم هو اسم قبيلة واحدة". (٦٨) وهذه القبيلة شرقية أصلا كما يخبرنا المؤلف وقد هاجرت إلى الغلية أى فرنسا القديم من آسيا ودخلت قبيلة إفرنك أوربا من الجهة المجاورة لالمانيا سنة ٤٤٨. وطردت الحكام الرومانيين. وعندما تغلبت قبيلة الإفرنك على بلاد الغلية وتنصر الملك كلوقيس سنة ٤٩٦ تغلب اسم الإفرنك على أمة الغلية كلها ودعيت بلادهم فرنكا. وبعد ذلك ببعض سنوات بدلوا الكاف لمخفة فى لغتهم فصار اسمها فرنسا واسم أهلها فرنسى. (٦٩)

وتنصر الملك كلوفيس هو وعائلته وجنوده وأكابر دولته. وكان هو الملك المسيحى الوحيد فى ذلك الزمان لأن غيره من الملوك كانوا قد تبعوا بدعة آريوس فعرفوا بالاريوسيين فحاز ملوك فرنسا التقدم الدينى على غيرهم من الملوك الكاثوليكين. (٧٠) ولعل المؤلف يريد ببذعة آريوس ديانة مستقلة خارج المسيحية. وإن لم يحدد المكان، فانه قد أراد بالملك المسيحى الوحيد فى أوربا فى ذلك الزمان.

ويتحدث المؤلف عن إمبراطورية فرنسا خارج حدودها الطبيعية التى تصلح أن تكون حدودا لها فيقول: "وقد ملكت فرنسا بعض البلاد فى غير قارة أوربا منها فى قارة آسيا فرضة بونديشرى وكاريكال وماهى وياناون وشندر نغرفى الهند وجنوبى كوشين صين وقصبتها سايكون. وفى إفريقية بلاد الجزائر فى الجهة الشمالية وولاية سنغال وملحقاتها فى الجهة الغربية وجزائر ريونيون أى الاجتماع وسنت مارى ومايوط وخلافها فى الجهة الجنوبية الغربية من إفريقية. وفى أمركا جزائر كثيرة من جزائر انتيلة أشهرها جزيرة

غواد لوب ومرتينيك وقسم من ولاية غويانة فى الجهة الشمالية الشرفية من أمريكا الجنوبية
وجزائر سان بيروميكلون وفى الأوقيانوس جزيرة كاليدونيا الجديدة وجزائر مركزيز ولها
حماية جزائر مارتين وبعض ارجييلات مجاورة لها . (٧١)

هذا، ولعل المؤلف يتكلم هنا عن تاريخ فرنسا الحديث ولكنه لم يشر إلى الزمان
الذى ملكت فرنسا فيه هذه البلاد ولا نعرف منه هل هى حكاية ملكها من قديم إلى حديث .
ويتحدث المؤلف عن مناقب الشعب الفرنسى إلى عصرنا الحديث فيقول: ”(إن
الثورة الفرنسية) هى بداية تاريخ فرنسا الحديث الذى اخترناه موضوعا للكلام وسنذكر
أسباب هذه الثورة وعواقبها فى فرنسا والدنيا قاطبة من جهة التمدن والمعارف وغيرها وقد
اجمع المؤرخون على أن الأمة الفرنسية تفوق غيرها بالحماسة والحدة وشدة التصور
والشجاعة والمبادرة إلى القيام بالأمور الخطيرة واللفظ وهى من سلامة النية والصدق وقوة
العقل والكرم والسخاء على جانب عظيم . وربما قال المؤرخون أنها مفطورة على الخفة
والتقلب لأنها لا تتردد عن رفض ما لا يقع منها موقعا حسنا بل ربما أهملت ما بشرته من
الأعمال العظيمة وشرعت فى غيره“ . (٧٢)

وهكذا يتحدث المؤلف المسيحى عن مناقب الأمة الفرنسية . ولاندرى هل يتفق
معه المسلمون — فى الجزائر، وتونس على سبيل المثال — الذين قاسوا مرارة الاستعمار من
قبل الفرنسيين .

ويبدو من خلال هذا الكتاب أن المؤلف مولع أشد الولع بنابوليون بوناپرت وتاريخه
ويقول: ”إن تاريخ أكثر الرجال ينتهى بالموت . على أن تاريخ نابوليون الأول لا ينتهى كذلك
اخباره الغريبة العجيبة لم يبلغ نهايتها بموته ولا بدفنه . فإنه بعد وفاته بتسع سنوات اهتم العالم
الاهتمام بالمضايقات المعيبة التى وقعت على الإمبراطور بأمر الحكومة الإنكليزية“ . (٧٣)

ويقول المؤلف فى آخر كتابه: ”هذه هى الاحتفالات والتكريمات التى ارجعت بها

فرنسا إمبراطورها الذى أبعد عنها باتحاد الظلمة فبالموت فاز على جميع أعدائه . والأُن كل قلب كريم يعظم صفاته . وقد تمت متمنياته الأخيرة . فأصبح مدفونا فى وسط الأمة الفرنسوية المحبوبة عنده جدّا وفى وسط مشروعاته العظيمة التى لا تفنى . وقد أنشأت فرنسا له مكان مجد وله فى قلب أهلها عرش لم يفز ملك بمثله وفى كل الأجيال القادمة كما فى الماضى لا ينقطع المسافرون عن التفرج على قبره . وصيته الحسن يزيد انتشاره كل يوم واصوات المنددين أخذت تضعف ولا تلبث ان تنقطع إلى الأبد“ . (٧٤)

وللمؤلف تاليف آخر حول نابليون وهو ”تاريخ نابليون بونابرت فى مصر وسوريا“ ولكنه غير متوفر لدينا .

(٦) زحف العروبة:

ألف أميل البستانى هذا الكتاب باللغة الإنكليزية وعربه عبد اللطيف شراره، واسم الكتاب باللغة الإنكليزية MARCH ARABESQUE وظهرت طبعته الأولى من دارالكتاب اللبنانى فى سنة ١٩٦١م وصفحاته ٣٠٣، وللكتاب ثلاثة أقسام: القسم الأول يحوى لمحات من تاريخ العرب من ظهور الإسلام إلى قيام الدويلات على أساس الوطنية الحديثة فى القرن العشرين وعنوانه ”العرب بالأمس“ والقسم الثانى عنوانه ”العرب اليوم“ والثالث ”العرب غدا“ ويضم الكتاب فهرس الرسوم والخرائط أيضا، وفى الكتاب ثلاث عشرة خريطة ، وسنقدم دراسة للقسمين الثانى والثالث فى فصل خاص بالسياسة .

إن عددا كبيرا من أبناء العالم الغربى ينسون أو يتناسون مجد العرب فى العصور الماضية . وثمة نفر من الإفرنج، وخاصة البريطانيين والأمريكيين، نظرا إلى سوء حال العرب اليوم . ولا يزالون يعتبرونهم سلالة منحطة لاتنفك عن المنازعات وسط القفار والبوادي مع جيرانها، ولا تصلح لشيء سوى تموين الغرب بالزيت . (٧٥)

فأراد المؤلف أن يعرض فى هذا الكتاب عرضا مقتضبا لتأثير العرب عبر التاريخ

ويحقق أن لهؤلاء "المنحطين" تاريخا حافلا بالكفاح والمناقب يتضاءل أمامه تاريخ معظم الشعوب الأخرى القائمة اليوم في عالم الوجود، وتكسف بكل تأكيد، مناقب سلافهم الفينيقيين، فقد فتح العرب إمبراطورية تمتد من أسبانيا إلى الصين وعمروها طويلاً، وكانت ضعف الإمبراطورية الرومانية في أوج عظمتها وأسسوا الجامعات الكبيرة، ونشأ من بينهم كبار الباحثين والعلماء والرياضيين ممن لا يزال أثرهم في الثقافة العالمية واضحا إلى اليوم، وأخذوا الورق عن الصين ونشروا استعماله في مناطق الحضارة عامة، وبه خلدت حكاياتها وأغانيها، وظهر فيهم المهندسون الذين جددوا الطراز القوطي في البناء واسرخوا به لب أوروبا من بعد، وكان لديهم فيزيائيون كبار، وفلكيون عظام. وانبعثت من بقاعهم أيضا الديانات التوحيدية الكبرى الثلاث: الإسلام والنصرانية واليهودية. (٧٦)

وقام البستاني بتأليف هذا الكتاب من وجهة نظر مسيحية فالعرب اليوم أجدادهم عنده عرب اليهود والتوراتية الأولون من البدو الرحل الذين كانوا يسكنون ضمن شبه الجزيرة العربية الذي يتألف اليوم من العربية السعودية واليمن ومحمية عدن وأمارات الخليج العربي ودول المحميات. وكانوا يحوبون الصحراء على ظهور الجمال ويسكنون الخيام المصنوعة من وبرها، وتقوم بين قبائلهم الحروب والغزوات. بيد أنهم كانوا يحافظون دوماً على من يدخل في حماهم من الأغيار. ولا يزال إلى اليوم بعض هؤلاء البدو من العرب في السعودية وسوريا والأردن والعراق وشمال إفريقيا يعيشون الطراز نفسه من الحياة التي كان يحياها أجدادهم الأقدمون، ويطلق عليهم عادة كلمة "الأعراب" أو العربان في مدن الشرق الأوسط. (٧٧)

والعالم العربي اليوم يشمل البلاد المعربة كما يراه المؤلف فقد عرب العرب القسم الأكبر من الشرق الأوسط، وشمال إفريقيا برمته. ويقول المؤلف في هذا الصدد: "والعربي يمكن أن يكون مصرياً في الأصل أو مواطناً أردنياً، ولكنه قومي عربي أولاً وقبل كل شيء. وقد يكون وطنه صغيراً من الناحية الجغرافية، بيد أن عالمه يمتد من المحيط الأطلسي في

الغرب إلى الخليج العربى فى الشرق، ومن سوريا فى الشمال إلى السودان فى الجنوب .
فهو يشغل مراكش، والجزائر، وتونس، وليبيا، ومصر، وسوريا، (الجمهورية العربية
المتحدة) ولبنان، وفلسطين العربية، والأردن، والعراق، والعربية السعودية، والسودان ،
واليمن، ومحمية عدن، وحضر موت، وظفار، ومسقط، وعمان، وقطر، ولكويت،
والبحرين، والسحليات وزنجبار، ويحوى تسعين مليوناً من الناس، وتتسع مساحته إلى أكثر
من ثلاثة ملايين وخمسة مائة ألف ميل مربع“ (٧٨)

ووجهة نظر المؤلف فى تأليف هذا الكتاب وجهة وطنية لبنانية كما هى مسيحية
ويعتبر المؤلف نصارى لبنان رادة وطليلة فى تركيز القومية العربية ويقول فى هذا الصدد:
”إن نصارى لبنان لم يكن لهم أثر بالغ فى الثقافة العربية وحسب، نظراً لكونهم
أعلق العرب سبباً وأطولهم باعاً فى الحقول الأدبية والصحفية، وإنما كانوا أيضاً رادة
وطليعة فى تركيز مبادئ القومية العربية، والتبشير بها واعتناقها“.(٧٩)

ويقول فى موضع آخر ”ومما يجدر الإشارة إليه أن العرب الوحيدين الذين قاوموا
الحكم التركى طيلة أربعة قرون، إنما كانوا نصارى العرب فى سوريا (وهى التى كانت
تشمّل على لبنان آنذاك. فقد حفظ هؤلاء، على يد مناوئتهم الدائبة المستمرة للنير العثمانى،
روح العروبة حية، وعبدوا الطريق أمام القومية العربية وانبثاقها قوة نهائية“.(٨٠)

وإن العرب قد سادوا العصور الوسطى، على نحو ما ساد الإغريق والرومان العالم
القديم، وكما ساد الأوروبيون والأمريكان العالم اليوم، فقد عربّوا القسم الأكبر من لشرق
الأوسط، وشمال أفريقيا برمته، ونشروا الدين الإسلامى فى آقاصى الملايو وجزر الهند
الجنوبية . وكانت إمبراطوريتهم تمتد فى فترة من الزمن، كما قيل، من أسبانيا إلى أبواب
الصين . وفى نظر المؤلف انحطاط العرب أسرع من صعودهم مراقى العظمة . (٨١)

والإمبراطوريات من شأنها أن تمنى بالوهن والانحلال عبر القرون، وما كانت

الإمبراطورية العربية لتشد عن هذه القاعدة النافذة. وكان احتلال العثمانيين القاهرة عام ١٥١٧م أسوء من سقوط قرطبة وغرناطة عام ١٤٩٢م في رأى المؤلف فيقول: "استرد نصارى أوروبا قرطبة المركز الرئيسى للحضارة العربية فى أسبانيا، عام ١٢٣٦، وغرناطة ١٤٩٢م، وتقهقر العرب إلى شمال إفريقيا، وخسروا أسبانيا كلية بعد ان كانوا فيها منذ عام ٩٧٠م "وكان الأسوأ من ذلك فى انتظارهم، إذ احتل السلطان سليم الأول العثماني القاهرة عام ١٥١٧ وأصبح العالم العربى جزءا من الإمبراطورية العثمانية، باستثناء مراکش التى ظلت سلطنة منفصلة، ونجد فى شبه الجزيرة التى حافظت بعناد وصلابة على استقلالها فى ظل أمرائها، وأصبحت القسطنطينية مركز السلطة، وعزل الحكام العرب فى كل مكان عن مناصبهم، أو حولوا إلى اتباع للسلطة العثمانية، ودخل العرب عهدا من العبودية دامت أربعة قرون". (٨٢)

ويتحدث المؤلف عن زحف العروبة فيقول: "إن العالم كان على أهبة لقبول فتوحات العرب فكان أن فتحوه. (٨٣)

ويقول: "استهلوا غزواتهم الجريئة بمهاجمة الإمبراطوريتين: الفارسية والبيزنطية، واحتلوا، خلال السنوات العشر من خلافة عمر رضي الله عنه الذى تلا أبا بكر رضي الله عنه وعاش عامين بعد وفاة النبي صلی الله عليه وآله، عام ٦٣٤م — بلاد فارس، وتابعتها ولاية العراق، وقاموا بغارات هائلة داخل المملكة البيزنطية الواسعة، وتحولت كل من سوريا ومصر تدريجيا على النحو نفسه، إلى ولايتين عربيتين، وبقيتا كذلك". (٨٤)

وكان لفتوحات العرب سبب وهو معرفتهم الغريزية التقليدية بالصحراء كما يرى المؤلف فيقول: "وقد أفاد العرب كثيرا من معرفتهم الغريزية التقليدية بالصحراء وجعلوها تقنية كانت تفلح أغلب الأحيان فى تضليل أعدائهم وإلقاء البلبلة والذعر فى صفوفهم، فكانوا ينهدون من قفار الرماد وجرود الصخور خلسة وسراعا، ثم ينسحبون إليها، ويتوارون

عن الأنظار كما تطرف العين وكأنهم سحرة لا يبصر احد ما يفعلون. (٨٥)

وقد أحسن المؤلف رأيه فى خدمات العرب الحضارية فيقول فى هذا الصدد: "تقد خدم العرب قبل كل شئ، كحلقات اتصال، فى السلسلة الثقافية للحضارة، إذا متصوا فلسفة الإغريق القدامى وعلمهم، وأحاطوا بمعارف الفرس والهنود، وحسنوا المعرفة التى جعلوا من أنفسهم أوصياء عليها، وقدموها بدورهم للأجيال من بعدهم منقحة مفيدة، فعن طريقهم ذاعت الأرقام التى نشأت فى الهند، وانتشر استعمالها فى أوروبا وأطلق عليها اسم "الأرقام العربية" من بعد، كما استعملت عن طريقهم أيضا الكسور العشرية لأول مرة، وتمكن علماء الرياضيات الأوروبيون إذ ذاك من القيام بالحسابات التى تتدرج فيها، والتى لم يكن فى مستطاع الإغريق على ما كانوا عليه من قوى ذهنية هائلة، أن ينافسوها، طالما أن جهازهم العددي لم يكن يشتمل على رمز للرقم صفر (٠)" (٨٦)

ويذكر المؤلف جهود العرب وابتكاراتهم فى العلوم فيقول: "العرب هم الذين ركنوا أيضا تعاليم أفلاطون وأرسطو لمن تلاهم من أجيال، فقد ترجموها وصانوها وعلقوا عليها بشكل انارها وجعلها تألق. وكان ابن رشد "افرومس" أكبر المعلقين، وإلى استنتاجاته استندتوما الاكوينى، وبها تأثر فى جهوده الموسعة المفلحة التى بذلها للتوفيق بين الإيمان الدينى والعقل البشرى.....

وينبغى ألا نحسب أن الباحثين العرب فى القرون الوسطى فصرنا جهودهم على ترجمة وحفظ ما ألفه أسلافهم المثقفون من مختلف الأجناس، فالعكس هو الصحيح إذ أنهم ابتكروا فى حقول الكيمياء والفيزياء والرياضيات ابتكارات جد قيمة. والحقيقة هى أنهم ركزوا علم الجبر والهندسة وعلم المثلثات، فى مختصرات "يقتضيها" العلم البشرى..... أما فى الفلك فقد ترك العرب أثرهم فى السماوات على نحو علمى، غاية فى عمليته، إذا اكتشفوا كثيرا من الكواكب الثابتة وأطلقوا عليها أسماء عربية: بيت الجوز، رجل،

القائد، الطائر، وغيرها من النجوم التي لا يزال يشار إليها اليوم في الأوساط العلمية العالمية بأسمائها العربية.“ (٨٧)

وذكر المؤلف في هذا القسم من الكتاب تقدم العرب وفضلهم في الفنون الأخرى كالشعر والموسيقى والعمارة وخاصة الفنون الحربية. فيقول فيها: ”وكان العرب دوماً مبدعين في الفنون الحربية، وعرف عنهم أنهم أدخلوا على الهندسة العسكرية عدداً من التحسينات لم تكن معروفة من قبل، من بينها حائط مبتكر يبنى في ظهور القلاع وفيه أبواب هي افخاخ تنطلق منها السهام ضد العدو ويصب منها الزيت المغلى . وهذا الابتكار لقي إقبالا كبيرا في إنكلترا حيث نجد له نماذج لا تزال مشهورة إلى اليوم في ونشتر ونرويتش“ (٨٨)

وهكذا نرى المؤلف يعدد اسهامات المسلمين من غير العرب في التقدمات العربية ويقول في ابن سينا أنه مفكر عربى كما يقول في عمر الخيام أنه عالم وشاعر عربى فارسى والدليل على كونه عربيا عند المؤلف هو أنه يحمل اسماء عربيا فالجزء الأول منه ”عمر“ عربى كما هو الجزء الآخر.

وإن من الأسباب الرئيسية لرقى للعرب هي الإسلام بلامراء ولكن مما يبعث على الدهشة أن القارى قلما يجد في الكتاب ذكرا لهذا العامل القوى فيستنتج من ذلك بأن هذا الكتاب ألف لأجل تهيج مشاعر القومية العربية في نفوس أبنا الوطن العربى ويهدف إلى إثارة غيرة العرب ضد الحكم التركى أكثر من تأليفه لأى غرض آخر.

والجدير بالذكر هنا أن عصبية المؤلف المسيحية تظهر في زى القومية يسمى العهد التركى العثمانى بعهد عبودية العرب المسلمين للأتراك العثمانيين. كما هو يقول: ”احتل السلطان سليم الأول العثمانى القاهرة عام ١٥١٧م وأصبح العالم العربى جزءا من الإمبراطورية العثمانية، باستثناء مراکش التى ظلت سلطنة منفصلة، ونجد فى شبه الجزيرة التى حافظت بعناد وصلابة على استقلالها فى ظل أمرائها، وأصبحت القسطنطينية مركز

السلطة، وعزل الحكام العرب فى كل مكان عن مناصبهم، أو حولوا إلى اتباع للسلطة العثمانية، ودخل العرب عهداً من العبودية دامت أربعة قرون“. (٨٩)

ويتحدث المؤلف فى القسم الثانى 'العرب اليوم' والقسم الثانى العرب غدا عن سياسة العرب فى العصر الحديث. وسنقدم دراسة للقسمين فى باب السياسة ويضم الكتاب عدة رسوم وخرائط منها الحجر الأسود فى الكعبة الشريفة، وجامع قرطبة، والجامع الأموى وغير ذلك .

(مصادر ومراجع)

- (١) النساء العربيات لكرم البستاني، المطبعة مكتبة صادر بيروت، ص: ٦
- (٢) نفس المصدر، ص: ٨٠٧، ١٠٠، ١٣، ١٤
- (٣) نفس المصدر، ص: ٢٠، ٢٨، ٣٠
- (٤) نفس المصدر، ص: ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٥٣، ٥٤، ٦٠
- (٥) نفس المصدر، ص: ٧٧، ٧٨، ٨١، ٨٣
- (٦) نفس المصدر، ص: ٩٠، ٩٣، ١٠٠، ١٠٩، ١١٠، ١١٢، ١١٥
- (٧) نفس المصدر، ص: ١١٩، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٥، ١٢٦
- (٨) أميرات لبنان لكرم البستاني المطبعة مكتبة صادر بيروت، والمناهل سنة ١٩٥٠، ٥٢ م ص: ٥
- (٩) نفس المصدر، ص: ٦٠، ٧٠، ٨٠، ٩٠
- (١٠) نفس المصدر، ص: ١٧، ٢٢، ٢٦
- (١١) نفس المصدر، ص: ٢٩، ٣٠، ٣٧، ٤١، ٤٢
- (١٢) نفس المصدر، ص: ٤٣، ٥٢
- (١٣) نفس المصدر، ص: ٥٣، ٥٤، ٥٦، ٦٠
- (١٤) نفس المصدر، ص: ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٨

- (١٥) نفس المصدر، ص: ٧٤، ٧٥، ٧٦
- (١٦) نفس المصدر، ص: ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٦، ٩٠
- (١٧) نفس المصدر، ص: ٩٣، ١٠٢، ١٠٤
- (١٨) نفس المصدر، ص: ١٠٦، ١٠٧
- (١٩) نفس المصدر، ص: ١٠٨
- (٢٠) نفس المصدر، ص: ١١٢
- (٢١) نفس المصدر، ص: ١١٠
- (٢٢) نفس المصدر، ص: ١١٥
- (٢٣) نفس المصدر، ص: ١١٦
- (٢٤) نفس المصدر، ص: ١٠٨، ١١٧
- (٢٥) نفس المصدر، ص: ١١٨، ١٢١
- (٢٦) نفس المصدر، ص: ١٣١، ١٣٢
- (٢٧) نفس المصدر، ص: ١٣٥، ١٣٦
- (٢٨) نفس المصدر، ص: ١٤٨
- (٢٩) نفس المصدر، ص: ١٥١
- (٣٠) نفس المصدر، ص: ١٥٧، ١٦٦
- (٣١) معارك العرب في الشرق والغرب، تأليف بطرس بن سليمان البستاني، المطبعة، منشورات دارالمكشوف، الطبعة الأولى سنة ١٩٤٤، ص: ٨، ٩، ١٠
- (٣٢) نفس المصدر، ص: ٨
- (٣٣) معارك العرب في الأندلس، تأليف بطرس بن سليمان البستاني، المطبعة، منشورات دارالمكشوف، الطبعة الأولى سنة ١٩٥٠، ص: ٥

- (٣٤) معارك العرب فى الشرف والغرب، المصدر المذكور، ص: ١٣
- (٣٥) حياة الصحابة، تأليف العلامة الشيخ محمد يوسف الكاندهلوى، المطبعة دار القلم دمشق، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م، ج: ١، ص: ٢٢٠
- (٣٦) أدباء العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام، بطرس بن سليمان البستاني، المطبعة دار المكشوف ودار الثقافة الطبعة السادسة فى بيروت لبنان، سنة ١٩٦٨، ج: ١، ص: ٦
- (٣٧) نفس المصدر، ج: ١، ص: ٦
- (٣٨) نفس المصدر، ج: ١، ص: ١٩
- (٣٩) نفس المصدر، ج: ١، ص: ٢٧
- (٤٠) نفس المصدر، ج: ١، ص: ٢٩
- (٤١) أدباء العرب، ج: ٢، ص: ١٧
- (٤٢) نفس المصدر، ج: ٢، ص: ١٨
- (٤٣) نفس المصدر، ج: ٢، ص: ٢١٠
- (٤٤) نفس المصدر، ج: ٢، ص: ٢٩٩، ٣٠٠
- (٤٥) نفس المصدر، ج: ٢، ص: ٤٢٢
- (٤٦) نفس المصدر، ج: ١، ص: ٣١، ٣٢
- (٤٧) نفس المصدر، ج: ١، ص: ٣٣، ٣٤
- (٤٨) نفس المصدر، ج: ٣، ص: ٦
- (٤٩) نفس المصدر، ج: ٣، ص: ١٠، ١١
- (٥٠) نفس المصدر، ج: ٣، ص: ١٣
- (٥١) تاريخ اندلس، مولانا السيد رياعت على الندوى مطبعة معارف، اعظم كره، ج: ١، ص: ١١٠، ١١١

- (٥٢) أدباء العرب، المصدر المذكور، ج: ٣، ص: ١١
- (٥٣) دائرة المعارف الإسلامية (اردو)، مطبعة دانش گاه پنجاب، لاهور، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٧م - ١٤٠٧هـ، ج: ٢١، ص: ٨٠٥، ٨٠٦
- (٥٤) أدباء العرب، المصدر المذكور، ج: ٣، ص: ١٣
- (٥٥) نفس المصدر، ص: ج: ٣، ص: ١١
- (٥٦) تاريخ الأندلس في اللغة الاردية، مولانا السيد رياست علي الندوي، المطبعة معارف اعظم كره، سنة ١٩٥٠ - ١٣٦٩هـ، ص: ٩١
- (٥٧) أدباء العرب المصدر المذكور، ج: ٣، ص: ٣٤، ٣٥، ٣٦
- (٥٨) نفس المصدر، ج: ٣، ص: ٢١٢
- (٥٩) نفس المصدر، ج: ٣، ص: ٢٢٤، ٢٢٥
- (٦٠) نفس المصدر، ج: ٣، ص: ٢٢٩، ٢٣٠
- (٦١) نفس المصدر، ج: ٣، ص: ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣
- (٦٢) نفس المصدر، ج: ٣، ص: ٢٤٠ — ٢٤٣
- (٦٣) نفس المصدر، ج: ٣، ص: ٢٤٤، ٢٥٤، ٢٤٨، ٢٤٩
- (٦٤) تاريخ فرنسا الحديث، تاليف سليم البستاني، المطبعة المعارف، بيروت، سنة ١٨٨٤م، ص: ٣
- (٦٥) نفس المصدر، ص: ٢
- (٦٦) نفس المصدر، ص: ٣
- (٦٧) نفس المصدر، ص: ٥
- (٦٨) نفس المصدر، ص: ٥
- (٦٩) نفس المصدر، ص: ٥

- (٧٠) نفس المصدر، ص: ٦٠٥
- (٧١) نفس المصدر، ص: ٥٠٤
- (٧٢) نفس المصدر، ص: ٧
- (٧٣) نفس المصدر، ص: ١٠٢٩
- (٧٤) نفس المصدر، ص: ١٠٤٠، ١٠٣٩
- (٧٥) زحف العروبة، لأميل البستاني، مطبعة منشورات دار الكتاب اللبناني الطبعة الأولى سنة ١٩٦١م، ص: ٥
- (٧٦) نفس المصدر، ص: ٦
- (٧٧) نفس المصدر، ص: ٦
- (٧٨) نفس المصدر، ص: ٧، ٦
- (٧٩) نفس المصدر، ص: ٧
- (٨٠) نفس المصدر، ص: ١٩
- (٨١) نفس المصدر، ص: ٢٤
- (٨٢) نفس المصدر، ص: ٢٣، ٢٢
- (٨٣) نفس المصدر، ص: ١٥
- (٨٤) نفس المصدر، ص: ١٠
- (٨٥) نفس المصدر، ص: ١٠
- (٨٦) نفس المصدر، ص: ٢٥
- (٨٧) نفس المصدر، ص: ٢٦
- (٨٨) نفس المصدر، ص: ٣١
- (٨٩) نفس المصدر، ص: ٢٣

الفصل الرابع:

مساهمة البستانيون فى التاريخ الادبى

لقد خدم البستانيون فى مجال تدوين التاريخ الأدبى خدمة موفورة من ضمن إسهاماتهم البارزة فى الفنون الأخرى.

(١) سلسلة الروائع لفواؤ أفرام البستانى:

فإن فواد أفرام البستانى قد ألف فى هذا الميدان ستين كتابا بإسم الروائع تؤرخ شخصيات وأعلاماً من العرب .

فمن هذه الروائع على بن أبى طالب و نهج البلاغة ، وإمرؤ القيس ومنتخبات شعرية، وحسان بن ثابت ومنتخبات شعرا . والفرزدق ومدائح منتخبة . وأبو العتاهية ومنتخبات شعر . وابن عبد ربه والعقد الفريد . وإبراهيم اليازجى فصول علمية . فقد انتخب المؤلف من هذه الروائع الكتاب والشعراء من العصر الجاهلى إلى العصر الجديد . فإنه قد انتقى الشعراء وأشعارهم من العصر الجاهلى كالمهلهل ومنتخبات شعرية . وإمرؤ القيس ومنتخبات شعرية وطرفة ولبيد والمعلقتان . وعمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة والمعلقتان، وعنترة بن شداد ومنتخبات شعرية، والخنساء ومنتخبات شعرية، والحطيئة ومنتخبات شعرية، والنابغة الذبياني ومنتخبات شعرية.

وتكلم فى روائعه - التى ألفها لطلبة المدارس - عن الكتاب والشعراء وكتبهم وأشعارهم من العصر الإسلامى مثل على بن أبى طالب عليه السلام ونهج البلاغة . وكعب بن زهير وقصيصة بانت سعاد، وحسان بن ثابت عليه السلام ومنتخبات شعرية . ومن العصر الأموى مثل الأخطل ومدائح منتخبة، وهاجى منتخبة . وخمريات وأوصاف شتى، والفرزدق ومدائح

منتخبة، وجرير ومدح وغزل ورثاء، وأهاجى ومفاخر ومختارات شتى.

واختار فى روائعه من العصر العباسى الشعراء والكتاب وأشعارهم وكتبهم كأبى العتاهية ومنتخبات شعرية، وأبى العلاء المعرى ورسالة الغفران، والجاحظ وكتاب الحيوان والمقدمة، والحيات، وابن زيدون ومنتخبات شعرية، والرسالتان ومقطعات شتى، وابن حزم والأخلاق والسير، وابن خفاجة ومنتخبات شعرية، وابن شهيد ورسالة التوابع والزوابع، وابن عبد ربه والعقد الفريد. وأبى الطيب المتنبى والمدائح والأهاجى، والمرائى والمفاخر والحكم وأبى فراس الحمدانى ومنتخبات شعرية، وابن خلدون، والعمران البشرى على الجملة، والعمران البدوى من مقدمته، وابن بطوطة وتحفة الأنظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار.

وإنتخب المؤلف فى روائعه من العصر الجديد الكتاب والشعراء وكتبهم وأشعارهم مثلاً الشيخ إبراهيم اليازجى واللغة والأدب، والتاريخ والإجتماع، وفصول علمية، وسليمان البستانى ومقدمة الإلياذة، والياذة هو ميروس. وأحمد شوقى وإجتماعية منتخبة، ومشاهدة تمثيلية، وولى الدين يكن وفصول منتخبة.

وإن هذه الروائع هى سلسلة أبحاث فى الأدب ومنتخبات عن أشهر أعلامه فيقول المؤلف تعريفاً بغاية هذا الكتاب وأهميته: "ما من أحد ينكر أن ناشئتنا تجهل الآداب العربية جهلاً تلام عليه. على أن هذا الجهل ناتج عن خلو لغتنا من المعدادات المتوفرة فى الآداب الغربية، ولا يخفى أن من أعم هذه المعدادات فائدة، واخصبها نتائج، كثرة الطباعات المدرسية السهلة لآثار الأدبية، ورخص ثمنها، مما يرغب المتأدب فى الحصول عليها، وقراءتها، فالاستفادة منها فإذا ماتوفر فى لغتنا هذان الشرطان: طباعات مدرسية سهلة، ورخص ثمن، خطت آدابنا إلى الامام خطوات.

ولما كانت هذه الآداب عزيزة علينا، وخدمتها واجبة، راينا أن نحقق هذا الأمل،

فعزمننا على طبع مختارات من روائع آدابنا، طبعة مدرسية فى أجزاء متتابعة فنخص كل مؤلف أو كل تأليف بمجلد صغير، متوسط القطع، جميل الغلاف، متين الورق، واضح الحرف، نقدم عليه بحثا انتقاديا فى حياة المؤلف، وآثاره، وشخصيته الأدبية، مع تحليل للكتاب المطبوع، وتعليق على النص عند اللزوم. (١) ونكتفى بهذا القدر من ذكر الروائع وسنقدم إن شاء الله تعالى دراسة تحليلية نقدية لخمس منها منتخبة من العصور المختلفة فى فصل عنوانه مساهتهم فى النقد.

(٢) أدباء العرب :

إن هذا الكتاب من سلسلة أبحاث فى الأدب والشعر والأدباء والشعراء من العرب وتواريخهم صاغه يراع الأديب الكبير بطرس بن سليمان البستاني . ويشتمل على ثلاثة أجزاء فالجزء الأول يسمى باسم أدباء العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام وهذا الكتاب يحوى ٤٤٧ صفحة وطبع بدار مارون عبود سنة ١٩٧٩م وقد إستعرض المؤلف فيه عن تعيين حدود ميعاد العصر الجاهلى وصدر الإسلام فيقول: "يبتدئ العصر الجاهلى بنهضة الشعر وتنوع أبرابه وبحوره، وينتهى بظهور الإسلام وهجرة رسوله صلى الله عليه وسلم (من سنة ٥٠٠ ق م إلى سنة ٦٢٢م) ويبتدئ العصر الإسلامى بالهجرة النبوية وينتهى بسقوط الدولة الأموية وقيام العباسيين. (٢)

وقد جمع فيه حياة الأدباء والشعراء ونقد آثارهم، وتاريخ هذه العصور وأدبها وشعرها كإمرؤ القيس، وزهير، ولييد، والشنفرى، والمهلhel، وطرفة بن العبد، وعمرو بن كلثوم، وعنترة، والحارث بن حلزة والنابغة الذبياني، والأعشى الأكبر، والخنساء، والحطيئة، وغير ذلك من الشعراء والأدباء من الجاهلية . وكعب بن زهير، وحسان بن ثابت الأنصارى، وجميل بن معمر، وعمر بن أبى ربيعة، والأخطل، والفرزدق، وجريز وغير ذلك من الشعراء والأدباء من العهد الإسلامى. (٣)

أما الكتاب الثانى فيشتمل على خصائص آداب العباسيين وعلومهم وميزات شعرائهم وكتابهم مع استفاضة فى النقد والتحليل لأن هذا العصر عصر حضارة العرب لما يُتاح له بعد بحث شامل يجلو حقائقه، يكشف عن كنوزه وطبع بدار مارون عبود فى بيروت لبنان سنة ١٩٦٨م وصحفته ٤٦٢. (٤)

وقسم المؤلف هذا الكتاب على أربعة عصور من الأعصر العباسية فيبتدئ العصر العباسى الأول بقيام الدولة العباسية وينتهى بخلافة المتوكل على الله (من سنة ٧٥٠م ١٣٢هـ إلى سنة ٨٤٦م ٢٣٢هـ) فمن شعراء هذا العصر وكتابهم مثلاً

كبشار بن برد، أبو نواس، وأبو تمام، وأبن المقفع، وأبو عبيدة الأصمعى، ومحمد بن سلام، وأبو زيد القرشى وغيرهم .

ويبتدئ العصر العباسى الثانى بخلافة المتوكل على الله وينتهى بقيام الدولة البويهية واستقلالها بالسلطان (من سنة ٨٤٦-٢٣٢هـ إلى سنة ٩٤٦م-٣٣٥هـ) وذكر فيه من شعراء هذا العصر وكتابه المشهورين كالبحتري، وابن الرومى، والجاحظ وغيرهم .

ويبتدئ العصر العباسى الثالث بقيام الدولة البويهية وإستقلالها بالسلطان . وينتهى بسقوط بغداد من أيدي السلاجقة (من سنة ٩٤٦م، ٣٣٥هـ إلى سنة ١٠٥٥م-٣٣٧هـ) ويضم الشعراء والكتاب مثل المتنبى وأبى فراس وبديع الزمان، وأبو الفرج الأصفهاني وغيرهم .

ويبتدئ العصر العباسى الرابع بداخول السلاجقة بغداد وينتهى باستيلاء هولاكو عليها، وانتقل الخلافة العباسية إلى مصر (من سنة ١٠٥٥م-٤٤٨هـ إلى سنة ١٢٥٨م-٦٥٦هـ) فمن شعراء هذا العصر الحريرى . ومن أدبائه ابن الأثير .

وضرورة الامعان فى البحث جعل المؤلف يجتزئ بطائفة معدودة من الشعراء والكتاب ، وهم وإن كانوا فحول الشعر والنثر لا يستقرون فى المنزلة العليا وحدهم بل

يشركهم فيها جماعة آخرون ولكن لم يكن بدا من اغفالهم.

ورأى المؤلف أن لا يخلط الأدب الأندلسي بالأدب الشرقي كما فعله المؤرخون من قبله ، لأن العوامل التي أثرت فيه غير العوامل التي أثرت في ذلك . وإن له ميزات خاصة تجعله مستقلا منفصلا عن أدب العباسيين . فآثر أن يرجئه إلى الكتاب الثالث ويخصه ببحث منفرد، ويضم إليه عصر الانبعاث، وكلاهما يفتقر إلى درس صحيح لأنهما لا يزالان في عزلة تامة عن عناية النقاد وأما عصر الإنحطاط فألم به الإمام، وبين ميزته السياسية والأدبية فاطرد للناس الحديث إلى عصر الانبعاث. (٥)

وأما الكتاب الثالث فطبع بدار المكشوف ودار الثقافة و صفحته ٤٦٤ م ويضم بين دفتيه أدب الأندلس، وعصر الانبعاث، مع الإمامة بعصر الإنحطاط صلة لسلسلة المباحث . وقد قصر المؤلف البحث في الأدب الأندلسي على فنون الشعر والنثر فأضاف إليها في هذه الطبعة الجديدة درس آثار ثلاثة الشعراء، وهم ابن هاني وابن زيدون والمعتمد بن عباد. ورأى أن يكتفى بنخبة من أدباء عصر الانبعاث لأن الخطة التي أخذ بها نفسه أن يوسع العصور والأدباء درسا وتحليلا، اضطرته إلى الاكتفاء بقدر محدود من الشعراء والكتاب . ولم يتناول بالدرس والتحليل أدبيا في الأحياء، لأن الحكم على الحي لا يخلو، في ظن المؤلف من تسرع وشطط . غير أنه قد ذكر طائفة منهم في أثناء كلامه على ميزات لشعر والنثر، واستشهد بأقوال بعضهم والمستقبل كليل بذكر من كتب له البقاء، سواء كان من شيوخ الأدب أو من فتيانه. (٦)

والكتاب الثالث هذا آخر الكتب من سلسلة أدباء العرب اختتم به المؤلف تلك السلسلة المتصلة الأسباب من الجاهلية إلى عصر الانبعاث وتبدى دولة العرب في الأندلس بدخول طارق بن زياد وهزيمة لذريق، وتنتهى بسقوط غرناطة وخروج أبى عبدالله منها (من سنة ٧١٠ م ٩٢ هـ إلى سنة ١٤٩١ م - ٨٩٧ هـ) فقد ذكر فيه الشعراء والكتاب الأندلسيين

كإبن هانى ، وإبن زيدون والمتعمد بن عباد وغيرهم.

ويبتدئ عصر الانحطاط باستيلاء هولاء على بغداد وينتهى بدخول نابوليون الأول

مصر من سنة ١٢٥٨م - ٦٥٦هـ إلى سنة ١٧٩٧م ١٢١٣هـ).

ويبتدئ عصر الانبعاث بدخول نابوليون مصر ويزدهر فى أواخر القرن التاسع عشر

والثلث الأول من القرن العشرين ولم يزل مطرد الازدهار وذكر فيه كثيرا من الشعراء

والكتاب من هذا العصر كشوقى، والشيخ إبراهيم اليازجى، والمنفلوطى، وولى الدين يكن،

وسليمان البستاني . (٧)

إن هذا الكتاب جيد ومنفرد من نوعه فقد عنى المؤلف عناية خاصة بتوضيح الألفاظ

المغلقة والمشكلة ولكنه لم يشر إلى المراجع والمصادر إلا فى أقل قليل من المباحث .

ووجدنا جميع أجزاء هذا الكتاب فى مكتبة قسم اللغة العربية وآدابها لجامعة عليكره

الإسلامية.

نكتفى بهذا القدر من ذكر أدباء العرب وسنقدم إن شاء الله تعالى دراسة تحليلية

نقدية فى فصل عنوانه "مساهمتهم فى النقد"

ومن الكتب التى تتعلق بموضوعات تاريخية ولم تكن بمنالنا:

(١) تاريخ حرب البلقان الأولى والحرب البلقانية الثانية:

ليوسف افراهم البستاني

(٢) تاريخ نابليون بونابرت فى مصر وسوريا. لسليم البستاني

(٣) روض الجنان فى تاريخ جبل لبنان : ليوسف توما البستاني

(٤) معانى الايام

(٥) احاديث الشهور

- (٦) كتاب اللطيف على عهد الامير فواد افرام البستاني
 (٧) نبذة العصر في اخبار ملوك بن نصر :
 (٨) رحلة الوزير في افتكاك الأسير لفريد البستاني
 (٩) نوادر الحرب العظمى ليوسف توما البستاني

(المصادر والمراجع)

- (١) فواد أفرام البستاني: على بن أبي طالب في "الروائع" المطبعة الكاثوليكية بيروت، سنة ١٩٢٧، ص: من مقدمة هذا الكتاب
- (٢) أدباء العرب، بطرس بن سليمان البستاني، المطبعة دارالمكشوف ودار الثقافة، الطبعة العاشرة، بيروت لبنان، سنة ١٩٦٨ م، ج: ١، ص: ٥
- (٣) نفس المصدر، ج: ١، ص: ٤٣١
- (٤) بطرس بن سليمان البستاني: أدباء العرب، المطبعة دارالمكشوف ودار الثقافة، الطبعة السادسة، بيروت لبنان، سنة ١٩٦٨ م، ج: ٢، ص: ٣
- (٥) نفس المصدر، ج: ٢، ص: ٤٠٣، ٢٠٤، ٢٩٣، ٤١٩، ٤٥١، ٤٥٢
- (٦) بطرس بن سليمان البستاني: أدباء العرب، المطبعة دارالمكشوف ودار الثقافة، الطبعة السادسة، بيروت لبنان، سنة ١٩٦٨ م، ج: ٣، ص: ٣
- (٧) نفس المصدر، ج: ٣، ص: ٥٠٣، ٢٠٧، ٢٢٣، ٤٦٣، ٤٦٤

الفصل الخامس

أعمال البستانيين القصصية

ونتناول في هذا الباب دورهم في إدخال أصناف جديدة من الأدب القصصى وتعريف القراء العرب على الأقصوصة والرواية وكانت غريبة بالنسبة للأدب العربى . واطلاهم على الآداب الغربية و تأثرهم بهذه الأصناف الأدبية عن طريق احتكاكهم المباشر بالغرب وأهله وأدبه .

ومما لامرأ فيه أن البستانيين اتخذوا أدبهم القصصى منبرا لبت أفكارهم المعينة ومواقفهم الخاصة من التاريخ والسياسة بين أوساط القراء العرب بشكل غير مباشر وتنعكس هذه الأفكار واضحة جلية فى جميع ما ألفوا من أقاصيص وروايات . فيهمهم فى هذه المؤلفات الفكر أكثر من الفن كما ذكر يوسف نجم: "وكان رسالة الصحافة، فى حرصها على الإصلاح الاجتماعى، تملك على الكاتب سليم البستانى قلمه حتى فى هذا الفن القصصى، فنراه يحشوا القصة بالمواعظ والنصائح، كما أنه يسرف فى ايراد التفاصيل التاريخية والجغرافية . يتخذ من القصة منبرا يلقى من فوقه نقده للعادات والأخلاق وللحكام العثمانيين، وهو لا يصرح بذلك ولكنه يعرض بهم تعريضا خفيا . وتكاد براعته فى تشويق القارئ ومما طلته فى اعطاء النتائج، تخفف على القارئ وطأة الاستطراد والمشتت والحشوا الممل". (١)

ونحن نغطى مساعى البستانيين فى هذا الميدان فى الصفحات التالية .

(١) الهيام فى جنان الشام:

لقد أصدر سليم البستانى فى مجلة الجنان من القصص الاجتماعية : الهيام فى جنان

الشام سنة ١٨٧٠م وأسماء سنة ١٨٧٣م وبنت العصر سنة ١٨٧٥م وفاتنة سنة ١٨٧٧م وسلمى سنة ١٨٧٨م-١٨٧٩م وسامية سنة ١٨٨٢م-١٨٨٣-١٨٨٤م وهى التى استوحى سليم البستانى حوادثها وشخصياتها من البيئة اللبنانية التى ولد وعاش فيها ولازمها وتمرس بمشكلاتها طوال حياته .

أما الهيام فى جنان الشام فهى القصة الأولى من قصصه الإجتماعية تدور حول جولة لبطل القصة سليمان الخالد فى سورية . وهو بيروتى الأصل عاش فى بغداد فترة من الزمن ثم عاد إلى وطنه الأول . وهو كان ذا ثروة ومال، كثير الهبات محمود الخصال . وتبدأ القصة بجولة له وتفتيش حبيبته وردة فى جنان الشام وقد رأى فيها فتاة جميلة مهذبة اسمها وردة تلهو بين صاحباتها ملكة وسعدى وحواء فى إحدى الحداثق العامة.

فحكاية القصة تعتمد على الحوادث الضخمة والمخاطرات العجيبة، وتقوم على عاملين أساسيين هما الصدفة والمبالغة، فالصدفة التى تجعل حوادثها تتقلب وتتغير دون تمهيد منطقى معقول، يقتضيه التطورا الطبيعى لها . والمبالغة هى التى تحيل سليمان الخالد، وهو الإنسان العادى، بطلا مغامرا يتعرض لهذه الأخطار ويتقلب بين اليابسة والماء وبين الشرق والغرب مفتشا عن حبيبته.

وتنتهى هذه القصة بزواج سليمان بوردة. ولا مانع من الإستغناء عن بعض الشخصيات الثانوية والتخفف منها، أثناء السرد، كما حدث حين قتل بعض الأوباش فى كريت.

أما أسلوب الكاتب، وهو طريقته فى سرد الحوادث ورسم الشخصيات فهو فاتر حتى فى أشد المواقف حرارة. والأسلوب يقرره عادة، منهج المؤلف فى التفكير والعمل، وهو مفتاح شخصيته . وشخصية سليم البستانى هى شخصية المعلم الصحافى المصلح، الذى يعنى فى المقام الأول بإصلاح العادات وتهذيب الأخلاق وتقريب مظاهر

الحضارة الحديثة إلى أذهان العامة . فهو ينظر إلى العواطف والإنفعالات بمنظار المصلح الاجتماعي الذي يعنيه منها نتيجهتها التهذيبية أكثر مما تعنيه حرارتها وصدقها . وقل أن يلجأ إلى الحوار، رغم أنه من أهم الوسائل التي يعتمد عليها الكاتب القصصى فى بث الحياة والصدق فى شخصياته . أضف على ذلك انه يضيف على المواقف التي يدخلها أهمية وتركيزاً، ويقطع السياق الممل، ويزيد إحساس القارئ بواقعية القصة .

ولايالى سليم البستاني أن يضحى بالفن فى سبيل إرضاء قارئه، ويقول فى ذلك: "و كنت قد كتبت كل أخبار صديقى ومحبوبته ولكننى لما رأيت أننى ربما لا أقف على حقيقة نهاية خبرهما حزنت حزناً لا مزيد عليه لأن حسن الرواية إنما يكون بكيفية نهايتها . وبعد أن افكرت بذلك طويلاً من الزمان عزمت على عدم إنهاء هذه الرواية مالم يمن على الزمان بخبر صحيح عن نهاية أمر الحبيب والمحبوبة . و كنت أخشى ان يبلغنى خبر موتهما أو موت احدهما لأنه معلوم أن خبر عدم توفيقهما هما مما يكدر المطالع ويكدرنى جداً . لأن الطبع البشرى يحملنا على الميل إلى استماع أخبار جيدة عن حبيب ومحبوبته طرحتهما أيدى الزمان فى ساحة الويل والرزايا وقطع الدهر حبال وصلهما . وهذا هو من أنواع الغرض البشرى . لأنه مع أن توفيقهما وعدمه لا يأتينا ننا بنفع أو بضر، لانحب أن نسمع ما يظهر لنا أن الدهر كدر صافى كأس حياتهما".

وقد نقد هذا الكلام له الدكتور يوسف نجم فقال: "إن الكاتب واقع تحت وهم الإفادة والإمتاع، يقيس قيمة القصة بمقدار ماتحملة للقارى منهما . ثم أن فكرته عن الواقعية، فكرة مشوهة تاريخية المنحى والتعليل . فالواقع عنده هو ما حدث بالفعل، لاما يكن أن يحدث بالقوة والإحتمال من خلال مايكمن فى نفس الإنسان من طاقات، وطبيعة الظروف التي تحيط به . وكأنه كان يطمح إلى أن يؤلف قصة تحتوى كل شئ فكان يضع فيها لكل قارئ من قراء مجلته الشئ الذى يروقه، فمن حب إلى قتال إلى مغامرات إلى

دسائس إلى طلاس والغاز". (٢)

(٢) زنوبيا:

سليم البستاني: يعد هذا الكاتب البستاني أول من ألف الروايات الحديثة في اللغة العربية ورائد هذا الفن. وتوجد له روايات عديدة منها اجتماعية ومنها تاريخية.

يعد هذا المؤلف من القصة التاريخية لسليم بن بطرس بن بولس البستاني هو أول من حاول محاولة كبيرة في كتابة هذا النوع كما ذكرنا وكانت قصته زنوبيا أصدرها سنة ١٨٧١م. في مجلة الجنان وبعد ذلك بقرن طبع بدار العلم للملايين بيروت الطبعة الأولى سنة ١٩٧٠م والطبعة الثانية سنة ١٩٧١م والطبعة الثالثة سنة ١٩٧٢م بمائة وأربع وعشرين صفحة ورأينا هذا الكتاب في مكتبة جامعة جواهر لال نهرو بدلهي الجديدة. وصور فيها الكاتب فترة معنية من تاريخ العرب القديم. قد تكلم المؤلف فيه عن زواج زنوبيا مع أذينة، وحول حياة الأميرين. وانتصار أذينة بلاد فارس، ومقتل أذينة، وتدمير مملكة زنوبيا، وفتح مصر، وزنوبيا التاجرة، والحرب على زنوبيا، وهزيمة حمص، وحصار تدمر، واسر زنوبيا ونهاية مملكة تدمر.

هكذا نقد الدكتور يوسف نجم قصة زنوبيا التي ألفها سليم البستاني ولم نثر عليها ولكن عثرنا على نسخة من مطبوعات دار العلم للملايين بيروت باسم "زنوبيا ملكة تدمر" وقد طبعت تحت سلسلة عنوانها "الناجحون" ولا تحمل هذه القصة اسم مؤلفها فلا يمكن لنا معرفته وسنة طبعتها الأولى هي ١٩٧٠م، ونسختها التي بأيدينا هي طبعتها الثالثة لسنة ١٩٧٢م. أما تفاصيل القصة فتوجد بعض الفروق في النسخة التي بين أيدينا وخلاصة نص الرواية التي أوردها يوسف نجم بالإشارة إلى طبعة الجنان إلا أن الحبكة الأساسية فهي هي أما الفروق التي ذكرناها فهي مثلاً أخبار غزام جوليا ابنة زنوبيا بالأمير الروماني بيزو تنتظم السلك من أوله إلى آخره.

وأما القصة التى بأيدينا فلا تذكرهما قطعا، فضلا عن غرامهما وذكر سليم أولادا آخرين لزنبوبيا فليفيا مثلاً هى ابنة أخرى لها، وثيمو لاوس وهرينا نوس إبناتها. وليس كذلك فيما بين أيدينا فتذكر إبنها لها اسمه وهب اللات ولا تذكر أسماء أخرى لأولاد زنبوبيا. وتذكر أذينة زوج زنبوبياو "لولجين" الحكيم اليونانى الذى كانا يشاورانه فى مهمات قضايا الدولة ومعن بن حيران الذى قتل عمه أذينة ولا تذكرهم قصة سليم على ما عرفناه من قصة فى كتاب الدكتور يوسف نجم.

وزنبوبيا هى القصة الثانية من سلسلة قصص "الجنان" وزنبوبيا شخصية تاريخية معروفة لعبت دورا هاما فى تاريخ الشرق القديم فى القرن الثالث للميلاد. وكانت مملكتها تضم سورية وما بين النهرين وغيرهما من بلاد العرب. وفى هذه القصة يعرض علينا الكاتب كيف ضمت زنبوبيا إلى مملكتها أرض مصر، وكيف هاجمها الإمبراطور أورليانوس، الذى تبوأ عرش الرومان سنة ٢٧٠م فأخضعها واحتل مملكتها وأسرها وإبنتها جوليا وأخذهما إلى رومة. وتكاد القصة تنقسم إلى ثلاثة أقسام بارزة الخطوط والملامح برغم اندماجها فى السرد القصصى وهى: فتح مصر، وغرام جوليا ابنة زنبوبيا بالأمير الرومانى بيزو، وحرب زنبوبيا مع الرومان، فى الجولة الأخيرة التى قضت عليها وأطاحت بمملكتها. وتكاد أخبار جوليا وبيزو تنتظم السلك من أوله إلى آخره فتتدأ أصابعها فى حرب مصر، وفى فترة الاستقرار التى عقيبتها، وفى الحرب الأخيرة وما بعدها.

وهذه القصة عبارة عن مزيج من المخاطرات والمغامرات والوصف الواقعى وغير واقعى للأخلاق والعادات والمواقف الرومنطيقية فى إطار تاريخى وهى تصور لنا مجتمعا عربيا خاصا فى فترة تاريخية فيما قبل الإسلام. كما تصور لنا أشخاصا لهم وجودهم الحقيقى فى ذلك المجتمع، وأشخاصا آخرين من نسج الخيال. ونجد فى هذه القصة خروجنا عن أصول السرد القصصى فى مواضع كثيرة، ونشعر أن الكاتب يهمل إيراد التفاصيل

التاريخية، أكثر مما يهتمه إحكام الخيال في خلق صورة حية صحيحة لذلك المجتمع .
وتكاد القصة تخرج من بين يديه عرضا تاريخيا جافا لا يمت للأدب القصصى بشيء .

وشخصياتها تكاد تكون نماذج في الجمال أو العقل أو الرجولة أو الإخلاص . وهذه
خطة المؤلف في أكثر ما كتب، كما أشار الدكتور يوسف نجم، إلا أنه يفتن في تلوين
شخصية زنوبيا الملكة، والأم، وجوليا ولية العهد العاشقة، وبيزو الوطني المخلص الذي
يعشق إبنة خصمه . وهذه كلها شخصيات قلقة حاول الكاتب محاولة نجحت نجاحا
محدودا على الأقل، في تصويرها وتظليلها ورسم عواطفها المتباينة وأهوائها المتضاربة .
وهذه الشخصيات لم تتطور عنده، بل ظلت طوال القصة كما عرفناها في أولها، غير أن
الحوادث كانت تتعاقب عليها بحيث تلقى أضواء على جوانبها . المختلفة ووجوهها
الكثيرة . (٣)

وتدل النسختان لرواية زنوبيا على ما يوجد بينهما من اختلافات في التفاصيل القصة
على حرص الكاتب على إحياء الأمجاد العربية مما قبل مجئ الإسلام فيقول مثلاً: (إن)
أذينة العربي (زوج زنوبيا) الذي تولى إمارة تدمر بعد وفاة والده كان يجسد المجد العربي
قبل الإسلام، ويتمنى أن يقيم وحدة بين قومه العرب، وهو يفضل إخلاصه لروما على
صداقته للفرس الذين لم يكن يأمن شرهم . (٤)

ونعلم من نفس الكتاب أن زنوبيا تحالفت بعد وفاة زوجها مع الفرس ضد الرومان
الذين أسروها وجاءوا بها إلى مدينة روما والقيت في السجن . وعاشت بقية عمرها في قصر
في قرب روما أعطاهها الحاكم الروماني أورليان بعد تزوج إبنتها سرا فطعف على من تبقى
من أسرتها . وقد منح لزنوبيا راتبا تعيش منه كما لو كانت في تدمر . وبذل من أجلها من
استطاع لتنسى مجدها وملكتها . ولكن زنوبيا التي اعتزت بأنها تنتمي إلى قبيلة السמידع
العربية من ناحية أبيها وإلى كليوباترة من ناحية أمها . بقيت تحن إلى مجد تدمر

وعظمتها. (٥)

ويقول المؤلف فيه: "وإذا كانت زنوبيا الملكة العربية قد نجحت في حينها لأن تبذر بذرة اليقظة العربية بين قومها..... ولم تستطع أن تجنى ثمارها كاملة. فقد تخمرت تلك البذرة فيما بعد. وحين جاءت الفتوحات الإسلامية عقب ثلاثة قرون دكت عروش البيزنطيين الروم في الغرب، كما أزال عروش الأكاسرة الفرس في الشرق. وبذلك سيطر قوم زنوبيا على مقدراتهم من جديد. (٦)

هكذا يشير المؤلف إلى عامل غير الإسلام لفتوحات العرب الإسلامية ومنها قوله: "ظهرت (زنوبيا) متسامحة مع الدين المسيحي في عصرها. فكان بعض سكان تدمر من النصارى، أما الأكثرية منهم فقد كانت تدين للآلهة المتعددة". (٧)

وكذلك قوله: "وكانت زنوبيا تعلم أن (وصيفتها) "لميس" مسيحية تعبد إلها واحدا وتتمسك بدينها، ولا تجبرها على عبادة آلهتها المتعددة، وإن كانت تحب أن تستفهم منها عن أسرار العقيدة المسيحية". (٨)

ويبدو للقارى بعد دراسة الرواية أن الكاتب مدفوع ومهتم بإحيا الأمجاد العربية مما قبل الإسلام ويحاول بكل ما في وسعه إبراز "العروبة" العريقة في هذه الرواية فنمر من خلال صفحاتها بتعبيرات ذات دلالة واضحة ولا يخفى على متبصران هذه المحاولة رغم مالها من جمال أدبي وسحر فني. لتتعبروقودا لنيران فكرة القومية العربية التي بدأت تسود الساحة السياسية في الوطن العربي في تلك الأيام.

(٣) بدور:

وهي قصة تاريخية ثالثة لسليم البستاني أصدرها سنة ١٨٧٢م، وتدور وقائعها في الفترة التي استهل بها الحكم العباسي على إثر سقوط الدولة الأموية. وبدور هي إنة أحد أمراء الأمويين الذين قتلهم السفاح، ومحور القصة هو حبها لابن عمها عبد الرحمن بن

معاوية بن هشام بن عبد الملك الذى لقب فيما بعد بالداخل، وهو الذى أسس الدولة الأموية بالأندلس.

ويسير الكاتب فى هذه القصة، التى هى مزيج من الشخصيات والحوادث، على خطته التى عرفناها فى قصته السابقة . فهو لا يترك فرصة دون أن يستغلها للنقد والوعظ والإصلاح فهو يستطرد مثلاً إلى وجوب تعليم النساء وإلى تربية البنات تربية حسنة وإلى بيان فوائد العلم والتربية كما أنه يعرض بالعثمانيين وحكمهم وحكامهم فى لطف وتقية حتى لا يقوده قلمه إلى جبل المشنقة.

والبستاني بارع كل البراعة فى تشويق القارئ لمتابعة مادته القصصية، وفى مدطلته عن النتائج وفى مفاجأته بما لا ينتظر من وقائع والمخاطرات . فهو يتكلم فى هذه القصة عن حوادث هرب بدور الأول من قصر السفاح وإعادتها إليه ثانية، ومطاردة سفينة القرصان لهم فى البحر، ومطاردة الرئيس لهم بعد هربهم من قصره واختلاطهم بعسكر الأسبان وأعرب واستئجارها مركب القرصان لتذهب إلى الأندلس، ومطاردته لها فى البر والبحر، ودخولها على عبدالرحمن متنكرة، كل ذلك كان له الأثر الكبير فى إلهاب حماسة القارئ، وتأجيج شوقه إلى معرفة النتائج التى تتخلف عن الأحداث.

وفى هذه القصة يكثر الكاتب وصف المعارك كما كثر فى "زنوبيا" وفى "الهيام فى جنان الشام" ولعله يعتمد على الحروب والمعارك لتشويق القارئ المبتدئ وتحبيب القصة إليه . وهو فى نقده هدام وفى وعظه بناء وشخصية بدور أنموذج للمرأة العاقلة الرزينة الثابتة على حبها وشخصية عبدالرحمن أنموذج للشباب العاقل الرزين الوفى لمن أحب، المدافع عن شرفه . وأما أسلوبه فهو الأسلوب الصحفى البسيط، الذى يخلو من الشاعرية ويعوزه عنصر الخيال. (٩)

(٤) أسماء:

هذه قصة اجتماعية ثانية لسليم البستاني قد أصدرها في مجلة الجنان سنة ١٨٧٣م وهي معرض فتيات تسعى كل منهن إلى الزواج من شاب من أبناء البلدة، يضمها إلى كنفه ويخفض عليها جناح حمايته ويحقق أحلامها . وتقع حوادثها في إحدى البلاد الشرقية . ومحورها "أسماء" ابنة التاجر نادر، التي تمتاز عن أترابها بتربيتها الحسنة وإتساع مداركها علاوة على جمالها الساحر الأخاذ . وهي فتاة عاقلة رزينة حازمة، لا تخطو خطوة في حياتها، إلا بعد أن تدرس مقدماتها ونتائجها دراسة وافية وتعرف خيرها من شرها . وقد ثبتها الكاتب على هذه الصورة في القصة من أولها إلى آخرها .

وتبدأ القصة بأحداث الزواج، وأهمها ما يدور حول زواج "أسماء" من "بديع" ابن "صادر" شريك أبيها في تجارته . وحول زواج أخيها "جليل" من "بديعة" أخت بديع . ويعيش على هامش الحياة في هذه القصة فتيات وفتيان آخر، مثلاً فريد، ونبهة، وجميلة، وسعدى و كريم، فشخصيات القصة تكاد تكون متقابلة فيما تمثله من نماذج الأخلاق فأسماء تقابلها بديعة، وسعدى تقابلها نبهة وجميلة، وجليل يقابله فريد، و كريم البغدادي يقابله بديع . والكاتب سلك هذا المسلك، ليستطيع أن يقارن مقارنة دقيقة بين عناصر الخير والشر، وأثر كل منها في حياة المجتمع . وهو يقدمها لناتامة من حيث الصورة والأخلاق ثم يأتى بالحوادث برهانا على ما يقول . ولا يفسح لها مجال التحدث عن نفسها في حوار أو مناجاة، بل يقف لها بالمرصاد ويصفها وصف الصحفي الماهر مهتما بعالمها الخارجى دون أن يأبه للتحليل . ولذا تخرج من تحت قلمه باهتة ليس لها وجود حقيقى فى الحياة، كأنها ممثلو مسرحية تنتهى حياتهم فيها عند نزول الستار، ولا تمتد ذلك الإمتداد الحيوى الخالد إلى الحياة الإنسانية . وهو يختار لبطلاته نموذج "تس" بطلة توماس هاردى كما اشار اليه الدكتور يوسف نجم، إلا أنه يمن عليها أخيراً بالحياة السعيدة، لقاء مانالها منه أثناء

عرض القصة، متأثراً بالمنهج الرومنطيفي الذي رسمه لنفسه في جميع قصصه. (١٠)
 أما أسلوبه في عرض المادة القصصية فلا يختلف عن أسلوبه في القصة الأولى،
 ويكاد يكون واحداً في قصصه جميعاً. ولا ينسى التمثل بالأشعار والإستعانة بها على تصوير
 المواقف والاجواء. (١١)

(٥) الهيام في فتوح الشام:

هذه قصة تاريخية رابعة لسليم البستاني أصدرها في سنة ١٨٧٤م وموضوعها هو
 فتح بلاد الشام في عهد الخليفين أبي بكر رضي الله عنه وعمر رضي الله عنه، في تلك الحملة العظيمة التي ولي
 أمرها أبو عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد. وحوادث الفتوح مستقاة من مصادر التاريخ
 الإسلامي، إلا أن المؤلف عملاً بخطته وهي إرضاء جميع طبقات القراء، أدخل فيها حادثتي
 حب، الأولى في معسكر الرومان، والثانية في معسكر المسلمين. وحكاية كل من الحبين
 تصلح لأن تفصل عن جسم القصة، أقصوصة بل قصة مستقلة.
 وفي هذه القصة وصف للمعارك والبطولات العربية، التي قام بها أفراد من الجنسين،
 كخولة بنت الأزور وأخيها ضرار، وفيها مغامرات ومخاطرات كثيرة، ضمها إطار القصة
 العام وهو الإطار التاريخي الرومنطيفي. وفي هذه القصة أيضاً تنعكس نظرية سليم البستاني
 القصصية، فهو يكتبها للتعليم لا للفن، ويسوقها للوعظ والتسلية.

ويحاول المؤلف في هذه القصة، بطريقة ناعمة غير مباشرة أن يغض من قيمة فتوح
 المسلمين في الشام، وينسب إنتصارهم إلى ضعف الرومان وتفرقهم شيعاً وأحزاباً، لا إلى
 قوة المسلمين التي جاثتهم من حنينهم إلى الشهادة في سبيل الله. كما أنه يصور لنا حب
 سالم، وسلمى، في صورة تجعلنا نرّجح شخصيتي جوليان وأوغسطا عليها، في ميزان
 الصدق والإخلاص والتضحية. ويحقر الكاتب إمارة أبان، ويصفها بأنها كانت تجارب
 للانتقام في قاتل زوجها لا في سبيل الله والذين، كما كانت تفعل أوغسطا.

وشخصياته هي هي ، لم تتغير، شخصيات بسيطة تعدو أن تكون دمي خشبية يحركها على رقعة القصة، كما يحرك اللاعب حجارة الشطرنج على رقعة اللعب كما أشار اليه الدكتور يوسف نجم، فسلمى وأوغطا ليس لهما من دلائل الحياة إلا الاسم، وكذلك نستطيع أن نقول عن جميع شخصياته . وعملية الإحياء القصصى للتاريخ، هي عملية لم يعرفها سليم البستاني، في كل ما ألفه من قصص .

وصفتان تطبعان أسلوب هذا الكاتب في كل ما ألف هما الفتور في أشد المواقف حرارة وعنفا، والتباطؤ في أكثر الأحداث إستدعاء للسرعة، وهويذكر لنا لقاء الحبيبين الذين فرفتهما الأيام ، وظلامتباعدين فترة طويلة من الزمن، كما يذكر لنا أى خبر عادى من أخبار القصة فلانشعر بالصدق والحرارة في هذا الموقف . (١٢)

(٦) بنت العصر :

هذه قصة إجتماعية ثالثة لسليم البستاني قد اصدرها سنة ١٨٧٥م وتكاد لا تختلف في موضوعها وعلاجها عن سابقتها . فهنالك تشابه غريب في الأحداث والشخصيات . فنرى مثلا أن هذه القصة تدور حول تنافس الشبان على زواج "ريمة" وهي فتاة جميلة وأنيقة وقد تشقت على نفسها، واستعانت بالكتب والمدرسين في ذلك، حتى حصلت على قدر من الثقافة عظيم إذا قيس بما كانت عليه بنات عصرها من الجهل . ولذا اتصفت بينهن علاوة على جمالها، بالرزانة والتعقل، شأن بطلاته دائما . ويتنافس على حب ريمة عدد من الشبان، منهم ماجد، وأنيس، ولكنها كانت تؤثر ماجد بحبها وإخلاصها لما، كان يتصف به من الأخلاق الحميدة، ومن الاعتدال في الأقوال والأفعال . وأنيس أراد أن يفتك ماجد فلذا استعان بصديقه صالح . لكن ماجد تخلص منهما بعد إعمال الفكر والحيلة .

وعند ما ينكشف امر أنيس تسعى جميلة أخت ريمة وقد كانت تحبه وتتمنى الاقتران به، إلى تسوية الأمر بينهما، فيعفوا عنه ماجد على أن يتزوج جميلة لقاء ذلك . وتنتهي القصة

بزواج الأحبة وبنفى صالح من المدينة . وهذه القصة، تتناول فترة خاصة من الزمن، هى فترة الانتقال من العادات والأخلاق القديمة إلى العادات والأخلاق العصرية تمشياً مع روح الحضارة الجديدة . ومما يلاحظ فى هذه القصة، أن الكاتب حاول تجنب الاستطراد والحشو والخروج عن السياق، وقد وفق فى محاولته هذه إلى مدى بعيد، كما رآه الدكتور يوسف نجم، وظهرت آثار ذلك فى تماسك القصة وأحكام السرد فيها ، وهو تطور طبيعى فى طريقته بعد تمرسه بالكتابة وتعرضه لنقد النقاد. (١٣)

(٧) فاتنة:

وهذه قصة إجتماعية رابعة قد أصدرها سليم البستاني فى مجلة الجنان سنة ١٨٧٧م وموضوع هذه القصة يشبه موضوع قصة أسماء، وبتت العصر، ويدور حول تنافس شابين أحدهما غنى مغرور بغناه، ذميم الأخلاق قبيح العادات وإسمه "مراد" والثانى فؤاد، وكان أقل منه ثروة ولكنه أحسن تهذيباً وأخلاقاً وثقافة . وموضوع المنافسة كالعادة، هو حب "فاتنة" وهى فتاة جميلة عاقلة رزينة .

وتبدأ القصة بحفلة ميلاد فاتنة، وفى حفلة الميلاد هذه يجتمع أصدقاء فاتنة، وكل منهم يعبر لها عن حبه وإعجابه بجمالها وأخلاقها . إلا أنها تؤثر من بينهم فؤاداً وتفضله عليهم جميعاً .

وتتأجج نار المنافسة، ويستعين مراد بصديقه صابر، الذى يدبر له المؤامرات، لليل من فؤاد والكيد له وللتقريب بين فاتنة ومراد، على عادة "الانزال" فى قصص البستاني . فتنتهى القصة بزواج فاتنة من فؤاد، وكريمة، إحدى صديقات مراد، من صابر .

وبعد إمعان النظر فى هذه القصص الثلاث الأخيرة أسماء، وبتت العصر، وفاتنة، تجد أنه يوجد فيها تشابه عظيم فى الحوادث والشخصيات والأسلوب . من ذلك تكرار الحبكة، فالحبكة فى القصص الثلاث تدور حول تنافس بعض الشبان على حب فتاة .

وتتكرر الحوادث وتشابه الخطط، ففي "أسماء" يحاول بديع أن يلحق الأذى بسمعة كريم الأخلاقية وكذلك يفعل مراد في "فاتنة" وفي "أسماء" يحاول بديع أن يقتل كريما وهذا يحدث في "بنت العصر" إذ يحاول "أنيس" قتل "ماجد" وفي "أسماء" يحاول بديع ورفاقه تشويه إسم كريم التجارى، وكذلك يفعل أنيس بماجد في "بنت العصر" ومراد بفؤاد في "فاتنة". وحوادث الخطف نشاهدها المؤلف في "أسماء" و"فاتنة". والإستعانة بالخدم والعجائز تكاد تكون مشتركة في الجميع.

ويظهر في القصة أيضا تأثر الكاتب بأفكار الثورة الفرنسية كالإخاء والعدالة والمساواة، واضحا جليا. وقد جسمها المؤلف، بعصاة اللصوص التي لا تنهب الناس وتسرق أموالهم، كغيرها من العصابات بل تأخذ من الغنى لتعطي الفقير. وهو كثيرا ما يتحدث عن المساواة بين الكبير والصغير، والغنى والفقير، ووجوب تساويهم أمام القضاء وهكذا. وهو في هذا لا يخرج عن تقاليد كتاب القصة الرومنطيقية إلا أنه لا يسرف إسرافهم. وكذلك يكثر من نقد العادات والأخلاق والبدع الغربية التي بدأت تغزو الشرق، وينعى على أبناء وطنه تكالبهم على القشور دون اللباب. (١٤) ونرى أنه على رغم نقد المؤلف على العادات والأخلاق والبدع الغربية، فإنه قد حاول من خلال قصصه الإجتماعية أن يروج عادات الغرب المفسدة للأخلاق كاختلاط الجنسين (الفتى والفتاة) في البيئات والمجتمعات العربية والإسلامية وذلك باسم التمشي مع روح الحضارة الجديدة. والأمر المهم هنا أنه قد اختار شخصيات مسلمة لتناول الانتقال من التقاليد الإسلامية إلى ما يقول عنه إنه الأخلاق العصرية.

(٨) سلمى:

هذه قصة إجتماعية خامسة قد أصدرها سليم البستاني في مجلة الجذع سنة ١٨٧٨م وتدون هذه القصة حول هذه الفتاة "سلمى" وما فعله محبوبها في سبيل

الحصول عليها. أحد هولاء المحبين، مأمور عثمانى، والثانى اسمه صلاح، وأما الثالث فهو حبيبها الصادق المخلص الذى كانت تبادل له الحب وإسمه راغب. وقد كانت تقاوم رغبات المأمور، وصلاح، لأنها تؤثر راغبا بحبها، وتفضله عليهما. وتنتهى القصة بوفاة راغب فى السجن بتدبير من المأمور، وبموت سلمى حزنا عليه، وبموتهما يموت الحب والوفاء. وهذه هى أول نهاية حزينة فى قصصه الإجتماعية.

وإن الكاتب خرج قليلا عن المجال الضيق الذى حصر نفسه فيه فى قصصه السابقة، ودخل إلى عالم القرى والفلاحين، والمأمورين العثمانيين وتجبرهم وطغيانهم، وما كانوا يسيمون الرعية من ألوان الخسف والهوان. وفيها قصة حوادث ومغامرات مسرحها الغابات والبرارى، بين الوحوش والحيوانات، وفى قرى اللصوص. وللصدفة اليد الأولى فى تسلسل الحوادث، كما أن المبالغات الكثيرة والمخاطرات العجيبة وحوادث الغشيان والموت والتحيل، تبعد القصة عن الواقعية، وتدخل إليها عنصر الخرافة. وعنصر التشويق متوفر فى القصة، فلا يشعر القارى العادى بملل أثناء قراءتها. ويأتى المؤلف ببعض الحوادث والإستطرادات التى تقطع السياق وتعيق نموه الطبيعى. ويكرر الكاتب منظر اجاء به فى قصة "فاتنة" وهو قرية اللصوص، التى صورها هنا وهناك، وكأنها المدينة الفاضلة التى تتحقق فيها المبادئ، الإنسانية السامية من حرية وإخاء ومساواة وعدل، وكأنه تأثر فى مثاليته هذه بمبادئ الثورة الفرنسية، التى نشرت على قلمه وأقلام كتاب مصر ولبنان فى القرن الماضى، وبخاصة بعد نشاط الحركة الصحفية فى لبنان.

وأما أسلوبه هنا، فهو كما فى قصصه الأخرى وهو لا ينسى الشعر كوسيلة من

إحدى وسائله إلى تقوية الصور والحوادث أو التعبير عنها. (١٥)

(٩) سامية:

هذه القصة الإجتماعية الأخيرة أصدرها سليم البستانى فى مجلة الجنان سنة

١٨٨٢-١٨٨٣م وتدور أيضا حول اجتماع بعض الشبان على حب هذه الفتاة الجميلة المهذبة العاقلة "سامية". فكان واصف يتقرب إليها بما له، وليس عنده مما يؤهله لزواجها سوى المال. وكان فائز هو المحب الثاني، وهو ذكي بارع في نصب الاحابيل، اشتراكى في أفكاره. أما السحب الصادق المخلص الذى كانت تبادله الحب فهو فؤاد. كان يحبها حبا صادقا عميقا، وكانت هى تحبه لصفاته مع أنه أقل من واصف مالا وجاها. وتنتهى هذه القصة بقتل فؤاد فى إحدى المعارك. وبموت سامية ولما توفيت سامية أوصت بأن تدفن إلى جانب فؤاد ليجمعهما اللحد، بعد أن ضنت عليهما الحياة بالإجتماع، كدأب العشاق فى القصص الرومنطيقى.

يكاد موضوع هذه القصة يشابه موضوعات بعض قصصه السابقة كأسماء، وبنت العصر وفاتنة. وحوادثها، كحوادث سابقتها، تدور حول محاولة الخصم إيقاع البطل فى شركه، ونجاته منها فى النهاية. ومحاولة صرف البطلة عن حبيبها ووضع العراقيل فى طريقهما، بطرق تكاد تكون متشابهة فى معظم هذه القصص. وتكاد تحيل القصة إلى ضرب من الأساطير والخرافات، لما فيها من مبالغات وصدف وأجواء غريبة. وقال الدكتور يوسف نجم فى قصص سليم البستاني الاجتماعية: "(إنها) أول نتاج ضخيم فى أدبنا، وعلى الرغم من الإطار الرومنطيقى الصريح الذى يلفها وما يفرضه من المبالغات والصدف والبعد عن الواقع، وفطور الشخصيات، وبعدها عن الطبيعة والإنسانية وجفاف العرض وضعف الأسلوب، لا نستطيع إلا أن نسجل لصاحبها فضل السبق فى هذا الفن، وتنبيه أذهان الكتاب إليه، ولفت نظر عامة القراء إلى ما يحويه من لذة وفائدة. وعيب البستاني الأول أنه كتب ليعظ ويصلح ليلحق مثلا فنية، نصبها أمام عينيه. وهذا العيب تخففه فى نظرنا معرفتنا لروح الأدب فى هذه الفترة، فقد كان الأدباء كما ذكرنا سابقا ينتجون الأدب على إختلاف ألوانه، لتحقيق غاية إجتماعية هى الإصلاح والتهذيب.

وعليه الثانى، ولعل مرده روح العصر أيضا وطبيعة الأدب الذى كان شائعا فى أوروبا والشرق آنذاك، هو خضوعه التام للقيم الرومنطيقية الفنية التى طبعت الأدب بهذه المبالغات التى لم نعد نقرأها اليوم، بعد أن نماذوقنا الأدبى وتهذب بفعل التطور الزمنى وإختلاف التقاليد والقيم الأدبية . إلا أن تلك القيم كان من الممكن ان تنتج أدبا رائعا كما حدث فى أوروبة عندما تناولها أدباء عظام مثل هيجو وسكوت . (١٦)

(١٠) قصص قصيرة:

وقد نشر سليم البستانى فى مجلة الجنان إلى جانب قصصه الكثيره المنوعه، بعض الأقاصيص التى رمى بها إلى الوعظ والإرشاد متابعاً رسالته الإصلاحية التى برزت واضحة جلية على صفحات "الجنان" منها ما هو مترجم وما هو موضوع والمترجم منها: الغرام والإختراع، والصواعق، الحب الدائم، ماذا رأيت مس دارنكتون، السعد فى النحس، وجرجينه . هذه الأقاصيص قد ترجمها سليم البستانى ونشرها فى الجنان سنة ١٨٧٥ م . وحلم المصور، سم الأفاعى، سرالجب، حيلة غرامية، حكاية الغرام، وزوجة جون كارفار وهذه أيضا ترجمها سليم البستانى وأصدرها فى الجنان سنة ١٨٧٦ م . وخاتون المود، لاتنسنى، قصة غريبة، وقمرية، وأصدرها فى سنة ١٨٧٧ م بعد الترجمة . وفى السنة ١٨٧٨ م نشر قصة غريبة بعد الترجمة أيضا . ونشر فى سنة ١٨٧٠ م "أدوار وسيلفا" مترجمة عن الإيطالية بقلم سعد الله بستانى وقصة "يوسف وزوجته مريم" ملخصة عن الفرنسية بقلم قسطنطين قطة . وقصة "الأمير الفارس وإمراته إيزابلا مترجمة عن الفرنسية بقلم نعمة الله خورى . ونشر فى سنة ١٨٧١ م قصة "رجل ذى إمرأتين" مستخرجة عن الفرنسية بقلم جبرائيل بليط الجلبى ونشر فى مجلة الجنان سنة ١٨٧٤ قصة "ويل ثلاثة أيام" وقصة "الجميل بالجميل" و"الجن وأرواح الموتى" و"رواية الجار" كلها مترجمة عن الفرنسية . ومن الأقاصيص الموضوعية قصة "زمية من غير رام" وهى مكتوبة بأسلوب تقريرى

سهل بسيط، وخالية من المحسنات الأسلوبية وبعيدة عن شروط هذا الفن . ويشفع للكاتب فى ذلك أنه حاول فى الأدب لونا طريفاً، وشق طريقاً عسراً شائكاً . ومما يذكر للكاتب فى هذه الأقصوصة أنه حاول ان يصف العواطف والانفعالات، وحركات النفس وما يراها فقها من تغير قسمات الوجه بدقة، إلا أن الأقصوصة عموماً إذاقناها بمقياس الفن لا بمقياس التاريخ، ليست إلا محاولة هزيلة . كما أشار إليه الدكتور يوسف نجم . (١٧)

وأقصوصة ”حاذر وليلى“ نشرها سليم البستاني فى مجلة الجنان وموضوعها مأخوذ من تاريخ حرب البسوس بين بكر وتغلب . وتدور حول حادثة حب وقعت أثناء هذه الحرب بين حاذر التغلبى وليلى ابنة رامح البكرى، وكانت جميلة الخلق والخلق .

وقد حاول الكاتب جهده ليخرجها الإخراج اللائق بموضوعها الإنسانى، إلا أن أسلوبه الضعيف وخياله العاجز حالاً بينه وبين هذه الأمانة . فظهرت شخصيات أقصوصته، على مايفرض فيها من الحيوية والحرارة، باهتة ضعيفة، وكذلك كانت مواقفه القصصية، إلا أنه وفرلها من الوصف الخارجى، ما يرفع منزلتها الفنية على سابقتها .

ومن أقاصيصه فى الجنان ”نجيب ولطيفة“ ويعرض سليم البستاني فيها قضية التفاوت بين الزوجين، نجيب ولطيفة ووجوب تعارفهما واتصالهما قبل أن يتم الزواج، لتتاح الفرصة لكل منهما لكى يدرس صاحبه دراسة عميقة دقيقة .

وأسلوبه فى هذه الأقصوصة كأسلوب الأقاصيص السابقة إلا أنها تفوقها بكثرة المواعظ والخطب التى تقطع السياق وتطفئ حرارة المواقف القصصية وتسد الطريق أمام الشخصيات فلا تستطيع أن تعبر عن نفسها تعبيراً صادقاً أميناً . (١٨)

وقصة ”زفاف فريد“ القصيرة تدور حول زواج التاجر فريد من فتاة تدعى جميلة وذلك الزواج الذى صرف فيه فريد جزءاً كبيراً من ثروته، نتيجة اندفاعه فى حبه، و تغير اصهاره به . فهذه الأقصوصة هى إجتماعية يطرحها المؤلف ويعرضها ثم يقضى فيها . وهذا

هو أسلوبه فى أقاصيصه . فقد كان يقدم الوعظ فى المقام الأول ولا يهمه بعد ذلك شئ من أصول الفن . فالأقصوصة عنده حوادث تخترع وشخصيات هزيلة تتحرك كأنها أشباح ، وكل ما يرجوه منها هو أن تبرز المواعظ واضحة جلية . (١٩)

و"غانم وأمينه" أيضاً قصة قصيرة اجتماعية أخرى خلاصتها أن غانما خطب أمانة ، وهى ابنة احدا لأغنياء ، طمعا فى مال أبيها الذى وعد بأن يمنحه هبة كبيرة من المال بعد أن يتم هذا الزواج . ولقد تحمل غانم فى سبيل ذلك ألوانا من العذاب والاحتقار ، وصبر على سحق أمانة وتصرفاتها العجيبة . ولما تم الزواج تأخرت الهبة عنه فأخذ يلح فى طلبها وما يئس من الحصول عليها هرب من البلاد . ومات عمه وإبنه الوحيد ، ولم تسطع أمانة أن تتصل بزواجها لأنها كانت تجهل مكان إقامته إلا أنها تمكنت من ذلك قبل وفاتها بيوم واحد ، وكان المؤلف جمعهما ليتيح لها أن تنطق بهذه العظة !

هذه قبة جهل الوالدين وارتقاء الانسان درجة لا يقدر ان يثبت فيها .

وهذه الأقصوصة تحوى عناصر أقاصيصه السابقة ، من مواعظ كثيرة واستطرادات تقطع السياق ، وتشخيص ضعيف وحادثة بسيطة تافهة ، تساق للعظة والاصلاح لا أكثر . و يقول الدكتور يوسف نجم : فى مشاركة سليم البستانى فى الأقصوصة : " اذا قسناها بمقياس الفن نجدها ضعيفة تافهة إلا أن المقياس التاريخى يفرض علينا أن نضعه فى منزلة عالية بين الذين شاركوا فى حركة التجديد فى هذه النهضة " . (٢٠)

ويقول الدكتور سهيل إدريس : " وجميع إنتاج سليم البستانى ضعيف من الوجهة الفنية بما فى ذلك أقاصيصه المنشورة فى "الجنان" فالوحدة فيه معدومة ، والسياق مقطوع بالمواعظ والعبر التى تفسد الجمالية وتلقى بالآراء فى غير فن ، وتكشف عن شخص المؤلف الذى يتدخل عند كل مناسبة ، وهذه الروايات تبدو مقاطع متفرقة سيئة الربط ، و أبطالها صنعوا صنعا ناجزا يبعدهم عن صفة التذبذب البشرى . على أن النزعة الاجتماعية فى

هذه الروايات قد جعلها وثيقة عن أخلاق المجتمع في تلك الفترة، وهو مجتمع بدأ يتأثر بالتقاليد الأوربية الحديثة، فتكون له إزاءها ردود فعل مختلفة، إذ يقبل الناس على أسباب تلك الحضارة لا يميزون غالباً بين محاسنها ومساوئها. وليس سليم البستاني إلا واحداً. لعله الأول، من هؤلاء الكتاب الذين يهتمون بتحذير الناس، يحشون آثارهم بالوعظ والانتقاد والإصلاح الاجتماعي. (٢١)

(١١) حكايات لبنانية - كرم البستاني:

تعلم كرم البستاني في مدرسة للآباء اليسوعيين وعلم في عدة مدارس وكتب في بعض الجرائد، ووضع كتباً مدرسية وكتباً عامة ووقف على طبع عدة دواوين قديمة حلاها بشرح غريبها وترجم عن الفرنسية "مشاهدات في لبنان" وشرح ورتب "العقد الفريد" وقطوف الأغاني" وهو أخو "بطرس البستاني" كرم بن سليمان بن حسن البستاني كان أستاذ البيان في معهد الفرير طبع بمطبعة دار صادر ودار بيروت في بيروت، لبنان سنة ١٩٦١م في أربع وثلاث مائة صفحة ورأيناه في مكتبة قسم اللغة العربية وآدابها لجامعة عليكره الإسلامية. ويضم ستاً وعشرين حكاية بعضها كما يلي: لمس أميرة بيروت، الليمونات الثلاث، شامان وجوهرة، الست ورد، الأمير الخطاب، الست ورد وفلفل حار، ثرياً بنت الغول والكلبة السوداء، الست بدور، يا عبديا بربري، الملك يوسف وإبنته غالية، فارس الضعيف العقل، الشاطر حسن، الفقير الغني، غنية شريرة وفقيرة فاضلة، البليد المحظوظ، كيد النساء غلب كيد الرجال، فرفحت الليمونة، الأنخوات الثلاث، عقاب الظلم وثواب الفضيلة، المربية الصالحة، الأمير بشير والمملوك الهارب، قداس الخوري يوسف، لافرار من المقدرو، الله يعطي، ما قدر يكون، البسيط القلب.

والحكايات اللبنانية هذه في أصلها أساطير متداولة في أنحاء لبنان، أطلق عليها إسم حكايات لأن صغار اللبنانيين حينما يطلبون من جداتهم، أو من أمهاتهم، أو من كبيرات

أخواتهم أن تقص عليهم أسطورة يقولون للواحدة منهن: "أحكى لنا حكاية" وكذلك إذا شاءت إحدى اللاتي أن تسلي الصغار أو تحولهم عن اللعب وإثارة الضجة في البيت تقول لهم: "أقعدوا لأحكى لكم حكاية". وأكثر ما تحكى هذه الحكايات في ليالي الشتاء الباردة، حينما تكسوا الثلوج القرى اللبنانية الجاثمة في المناطق المرتفعة وتكره السكان على الاكتنان في بيوتهم والقفود إلى المواقد المشعلة بالحطب يستدفئون بحرارتها ويتسامرون حولها إلى أن يحين وقت الرقاد. وإلى تلك المواقد تجلس الجدات أو الأمهات أو كبريات الأخوات. ويتحلق حولهن الصبيان والصبيات، فيحكين لهم، بأسلوب جميل جذاب، تلك الحكايات. فتوقع الدهشة في عقولهم بما فيها من غرائب أو عجائب، وتسليهم في وقت معا.

وهذه الحكايات التي وضعها المؤلف في هذا الكتاب هي قسم مما أخذه من أفواه كرائم السيدات اللبنانيات، وأفواه بعض رجال لبنان، ويقول: "إنه لاشأن له في إختراع شئ منها، ولا في ابتكاره، وإنما عمله فيها أنه سردها في قالب عربي فصيح، وتصرف في مقدمات بعضها وتحديد بعض أمكنتها الخيالية، وتسمية بعض أشخاصها بأسماء لم تكن في الأصل لها، ذلك بأن مساق الحكاية اقتضى هذا التصرف، وربما ترك في بعضها ماورد فيه من الفاظ وتعابير عامية لأن الحكاية تركز على هذه الألفاظ والتعابير، التي يعود بعضها إلى الفاظ عربية فصيحة حرفها، أو شوهها استعمال العامة لها. (٢٢)

وكانت هذه الحكايات منتشرة في الأنحاء اللبنانية ومنها ما هو معروف في كل مكان بتنقله مع المتنقلين. فأراد المؤلف أن يجمعها في تأليفه هذا وقد يكون لبعضها أشباه في غير بلاد عربية كانت أم غير عربية، لأن الأساطير قد تشابه، وإنما تختلف في بعض تفاصيلها باختلاف البيئة وتأثرها بالتقاليد المحلية وبطريقة السرد واللغة التي تسردها.

ويوجد في هذه الحكايات ما هو ذو علاقة بتاريخ لبنان، ولكن الإختراع والإسترسال

مع الخيال فيه نبواه عن الحقائق التاريخية، ولكن المقصود منه الموضوع المتخيل لا التاريخ. وفيها ماله علاقات بالعقائد ولكن المخيلات تلاعبت به، فجعلته في شكل خوارق، وليس من المستغرب أن تقوم الحكايات على الخوارق وغرائب الحوادث، وإنما هي أساطير، وجمال الأسطورة يرتكز على أن يروى فيها من مستحيلات يطير معها خيال سامعها أو قارئها إلى أجواء مملوئة بالأحلام والرؤى العذبة كما يقول المؤلف: "وتنتهي كلها بثواب الفاضل وعقاب الشرير عقابا شديدا، فكان المراد من وضعها تهذيب النفوس ودعوتها إلى الخير والصلاح، وردع الأشرار عن اقتراف الشر بما تصور لهم من سوء العقبي.

(١٢) ذات الخدر :

مؤلف هذه القصة هو سعيد بن راشد حنا البستاني الذي درس في الجامعة الأميركية. ثم ذهب إلى مصر سنة ١٨٧٣م، ووظف في نظارة الخارجية، وكان يكتب في بعض الصحف والمجلات ويقال أنه كتب هذه الرواية (ذات الخدر) بتوجيه من الشيخ محمد عبده، الذي كان يعنى بالقصة ويعدّها وسيلة صالحة من وسائل الإصلاح والاجتماعي ويقول الدكتور يوسف نجم: "إن هذه القصة نشرت في جريدة الأهرام في أواخر سنة ١٨٨٤م. ويروى طرازي في تاريخ الصحافة العربية (ج: ٢، ص: ٢٥٣) إنها نشرت فصولا في "جريدة الشهرة" سنة ١٨٨٨م. وكان يصدرها المسيو بوردين صاحب مطبعة اللغات الشرقية بمدينة أنجه Angers في فرنسا ويتولى تحريرها منصور الجمامتي". تدور القصة حول أسباب خراب قصر كبير في الإسكندرية، رواها للمؤلف صديقه الذي رافقه في جولة في هذا القصر. وكان هذا القصر لبهرام العجوز الذي تزوج بفتاة تصغر سنا اسمها "نازك" فلم تصن شرفه وحاولت تدنيسه. وتنتهي هذه القصة بزواج نازك، من وكيل زوجها "أمين" ثم يظهر لها أنه شقيقها فتتحرر ثم ينتحر هو. ويظهر من القصة أن القصر خرب ودمر لزواج بهرام من نازك، مع وجود الفارق الكبير بين عمريهما ثم زواج

نازك من اخيها أمين ثم أعمال عزيز الفاسدة .

و كأن هذه القصة، أفاصيص متداخلة بعضها فى البعض ، وحكايات تافهة ساذجة متكلفة بعيدة عن الواقع . وهو يعتمد على الصدف والمبالغات والحوادث التى تهز العواطف هزا عنيفا كمحاولة قتل عزيز أول الأمر، ومحاولة قتل صديقة جارية نازك وقتل عزيز وانتحار أمين . والقصة ملأى بالحوادث المصطنعة والعواطف الفجة . والحوادث مكدسة تكديسا عفويا دون ما تنظيم أو توازن وهى لا ترتبط بروابط السببية.

أسلوبه بارد غث، برغم حرارة الموضوع وكثرة حوادث القتل والانتحار . وقد انعدم فيها التشويق أو كاد، لأنه كان يتولى كشف الأسرار بنفسه ولا يترك للقارئ فرصة للتفكير والاستنتاج . وهو يستعمل الشعر، للدلالة على بعض المواقف، على عادة الكتاب فى عصره . والقصة بوجه عام عمل متهافت هزيل، كما قال يوسف نجم: "ولولا حرصنا على الشمول والإحاطة لاسقطناها من بحثنا". (٢٣)

(١٣) سمير الأمير :

وفى سنة ١٨٩٢م أصدر سعيد بن راشد حنا البستاني هذه القصة الإجتماعية "سمير الأمير فى لمياء وثاقب" واختار لها لبنان بيئة ومسرحا . وهو يتناول فيها حياة أسرة لبنانية من طبقة الأمراء، تنعكس من خلالها مشكلة الطبقات والنزعات الاستعلائية عند بعضها ومؤامراتها فى إدارة دفة الحكم.

بطل القصة هو ثاقب ابن الأمير على . وحول أخلاقه ووجهه للفتاة لمياء ابنة احد اعمامة، يدور القسم الأول من القصة . ويظهر من خلال ذلك تحكم الأبوين ووقوفهما فى سبيل هذا الحب حتى لا يأخذ طريقه الطبيعى إلى الزواج خشية أن يتدنس دم العائلة وتنحط قيمتها ويتلوث شرفها . وتأخذ الأحداث مجراها، بين جزرو مد ومؤامرات وخطط، وصرع بين عناصر الشر وعناصر الخير، إلى أن ينتصر الأمير ثاقب على خصومه ومناوئيه ويقترن بحبيبته

بعد أن قهر عناصر الشر واجتاز جميع العقبات ببطولته وشهامته واخلاقه الكريمة.

وأسلوب الكاتب هنا هو أسلوبه في قصته السابقة، قوامه التكلف في اختيار الألفاظ، وفي صوغ الجمل، ولذا فإن الأحداث تفقد دلالاتها، والشخصيات تتغير في الثياب الفضفاضة التي لا توائمها. ولا ينسى الكاتب أن يفتح بعض فصوله بالقصائد، لتصوير الجو العام للفصل. ومما يذكر له هنا أنه اعتمد على الحوار — على تكلفه وبطئه — في تلخيص الأحداث والكشف عن دوافع الشخصيات وانفعالاتها، كما اعتمد على الرسائل لتلخيص الأحداث السابقة تجنباً للتكرار. (٢٤)

(١٤) صائبة:

هذه القصة من تأليف السيدة اليس إبنة المعلم بطرس البستاني سنة ١٨٩١م، وتناولت فيها حياة أسرة في الآستانة تنبع مشكلاتها من قضية الزواج، شغل الكتاب الشاغل في القرن الماضي. فصائبة تتزوج من ضابط اسمه لطفي بك، بعد أن رفضت الزواج من ابن عمها فريد بك لأنه شاب سيئ الأخلاق يقامر ويغامر ويبدد أمواله في الملذات والملاهي. وكان فريد متعلقاً بها، ولذا أخذ يكيد بها ولزوجها، ليهدم عش سعادتهما الزوجية. واستعان بالخدمة مرجانة، وسيط الشر في أكثر القصص، وبصديقه اليوناني بولس الذي كان يتقرب إليه لابتزاز أمواله بالمقامرة. وبعد محاولات عدة كادت تفرق بين الزوجين ينكشف الأمر للزوج ويعود لزوجته أكثر ما يكون حبا وإخلاصا. ولم تشأ المؤلفة أن تختم القصة بهذه النهاية السعيدة، بل ضحت بصائبة التي قضت بين ذراعي زوجها إثر طلبة صوبها إليها فريد، وهي تناجي زوجها تحت شجرة في الحديقة. وأعقبت ذلك بوصف حالة لطفي بعد مقتل زوجته.

تنهج اليس نهج أخيها سليم البستاني في إدارة الحوادث وتلتزم الخط الذي سار فيه، إذ كانت القضية الأولى في قصصه في قضية الزواج، واصطراع عناصر الخير والشر

بسببه . على أن القصة بعد هذا كله تعتبر ناجحة، إذا قيست بسائر النتاج القصصى فى هذه الفترة . فقد عالجت المؤلفة قضية نسائية قريبة من نفسها، وهى بحكم جنسها أقدر على فهم مشكلات المرأة واستعانت بالوصف الذى جاء متغلغلا فى صلب الأحداث فى كثير من الأحيان ، وقد ساعدها على ذلك كله قلم رشيق وأسلوب محكم ولغة نقية صافية . وهكذا تختتم اليس بنت المعلم بطرس البستانى جهود البستانيين القصصية فى هذه الفترة بعمل متقن إلى حد ما . (٢٥)

لم تصل إلينا هذه القصص إلا حكايات لبنانية، وزنوبيا، ولكن قد عثرنا على تأليف الدكتور يوسف نجم ومنه استقينا معظم ما ذكرنا من معلومات فى هذا الفصل . ومن الكتب التى غير متوفرة عندنا فنذكرها فيما يلى :

- (١) الإسكندر : سليم بن بطرس بن بولس البستانى
- (٢) قيس وليلى : سليم بن بطرس بن بولس البستانى
- (٣) القناة الافرنسية (مسرحية) : لبطرس بن يوسف البستانى
- (٤) روايات تمثيلية : لرشيد بن ظاهر البستانى
- (٥) رواية داؤد النبى شعرا : لسعيد بن جرجس البستانى
- (٦) حكايات لافونتين : للشيخ عبدالله البستانى (٢٦)

(المصادر والمراجع)

- (١) القصة في الأدب العربي الحديث، تأليف الدكتور محمد يوسف نجم، مطبعة دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٦٦م، ص: ١٦٥ ومنها استقيننا معظم ما ذكرنا من معلومات في هذا الفصل
- (٢) نفس المصدر، ص: ٤٣، ٤٤، ٥١
- (٣) نفس المصدر، ص: ١٥٩-١٦٥
- (٤) زنوبيا، ملكة تدمر، دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٢م، ص: ١٨
- (٥) نفس المصدر، ص: ١١٣-١١٩
- (٦) نفس المصدر، ص: ١٢١-١٢٢
- (٧) نفس المصدر، ص: ٧٧
- (٨) نفس المصدر، ٢٠
- (٩) القصة في الأدب العربي الحديث، تأليف الدكتور محمد يوسف نجم، الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٦م دار الثقافة بيروت، ص: ١٦٥، ١٦٦، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١
- (١٠) نفس المصدر، ص: ٥٤-٥٩
- (١١) نفس المصدر، ص: ٥٤-٥٩
- (١٢) نفس المصدر، ص: ١٧١-١٧٥
- (١٣) نفس المصدر، ص: ٦٠-٦٢
- (١٤) نفس المصدر، ص: ٦٣، ٦٥، ٦٧
- (١٥) نفس المصدر، ص: ٦٨-٧٢
- (١٦) نفس المصدر، ص: ٧٢-٧٧
- (١٧) نفس المصدر، ص: ٢٥٧-٢٥٨
- (١٨) نفس المصدر، ص: ٢٦٠-٢٦٢

- (١٩) نفس المصدر، ص: ٢٦٢، ٢٦٣
- (٢٠) نفس المصدر، ص: ٢٦٤، ٢٦٥
- (٢١) محاضرات عن القصة في لبنان، للدكتور سهيل إدريس، سنة الطبعة ١٩٥٧ م، ص: ٦، ٧
- (٢٢) حكايات لبنانية، تأليف كرم البستاني، دار صادر ودار بيروت لطباعة والنشر، سنة ١٩٦١ م، ص: ٥-١١
- (٢٣) القصة في الأدب العربي الحديث، تأليف الدكتور محمد يوسف نجم، الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٦ م دار الثقافة بيروت، ص: ٧٩-٨١
- (٢٤) نفس المصدر، ص: ٨١-٨٣
- (٢٥) نفس المصدر، ص: ٦٤-٨٦
- (٢٦) [١] خير الدين الزركلي: الأعلام، مطبعة دار العلم للملايين، ج: ٤، ص: ١٤١، ج: ٣، ص: ١١٦
- [٢] عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى سنة ١٤١٤ هـ
- ١٩٩٣ م، ج: ١، ص: ٧٧٧، ٧٦٢، ٧١٦، ٤٣١



الفصل السادس

مساهمة البستانيّين في الصحافة

إن البستانيّين من أسبق الشعوب العربية إلى إدخال نشر الصحف في بلاد العرب وأدت الأسرة البستانيّة اللبنانيّة دوراً هاماً في هذا المجال الصحفي منذ بدءه في لبنان . ولا يخفى أن للصحافة أثراً بليغاً في نهضة الشعوب وتقدمها واتحادها ووثامها كما كان لها يد بيضاء على البلاد العربيّة إبان يقظتها . نظراً إلى تلك المقاصد الرفيعة أن عديداً من البستانيّين أسهموا في الصحافة ودعوا بها أبناء البلاد إلى الاتحاد والوثام وبعثوا روح الوطنيّة في صدورهم وقاوموا بها الاستبداد وكان مقصدهم الأعلى في إنشاء الصحف واشتغالهم بالصحافة أن يروجوا هذا الفن الوافد إلى أبناء العرب العزيز ليستفيدوا منها سياسيّة وتجاريّة وأدبيّة وفكريّة.

ونتناول فيما يلي عدة أشخاص من الأسرة البستانيّة الذين أسهموا أي إسهام في مجال الصحافة العربيّة أو في سبيلها .

وكان بطرس بن بولس البستاني من أقدم الصحفيين اللبنانيين ورائدهم في حقول الصحافة العربيّة . وقد أنجب فئة قادرة من صحفيي لبنان، وفي مقدمتهم بعض أفراد أسرته الذين برزوا في هذا المضمار وكتبوا صحيفة ناصعة البياض في أدق المهن وارفعتها . (١)

وكان هو مؤسس أربع صحف أولها ”نفير سوريا“ وهي جريدة صغيرة ذات صفحتين نشرها سنة ١٨٦٠م بعد مذبحة بين المسلمين والمسيحيين جاعلاً إياها على شكل رسائل وطنية دعا بها العرب إلى الاتحاد والوثام، حتى إذا استقر الأمن بينهم أوقف نشرها وقد بلغت أعدادها الثلاثة عشر كان يسميها ”بالنفير الاول“ و ”النفير الثاني“ بدلاً من ”العدد الاول“ وكانت تدل على رغبة شديدة في بث روح الاتفاق بين العرب مع طول بع في

الإنشاء وأساليب الكلام . (٢)

وثانيها الجنان: وهى مجلة سياسية علمية أدبية تاريخية نصف شهرية فى اثنتين وثلاثين (٣٢) صفحة كبيرة على عمودين أصدرها فى أول كانون الثانى (يناير) سنة ١٨٧٠م وهى أول صحيفة عربية حملت شعارا خاصا، وهو "حب الوطن من الإيمان" وما عتمت أن انتشرت انتشارا واسعا. وكان ابنه سليم يكتب أكثر مقالاتها ولاسيما السياسية والأدبية مها وينشر فى آخر كل عدد منها قسما من رواية وطنية متسلسلة ولم تكن تجلو من الفكاهات والملح والنوادر، مع تلك المقالات الرزينة. (٣) وهى أول مجلة عربية اهتمت بالقصص اهتماما واضحا وأفردت له بابا خاصا به. وقد حملت إلى العالم العربى رسالة التنقيف والإصلاح، وكانت ميدانا تتبارى فيه أقلام كبار الكتاب منهم الشيخ إبراهيم اليازجى، وسليمان البستاني، وكرنيليوس فاندليك، واسكندر أبكارىوس، وموسى فريج، والشيخ خطار الدحداح، وسليم دياب، ونوفل، وأديب اسحق، وإبراهيم سر كيس، وإبراهيم الحورانى، وشاكر شقير، وجميل مدور وأسعد طراد، وجرجى بنى وسواهم. وقد نشرت عدداً من الكتب منها "تاريخ حرب فرنسا والمانيا" (٤) و"تاريخ عام قديم" و"تاريخ فرنسا الحديث" وسواهما وهذه الصحيفة كانت على ود متصل بصحيفة "التنكىت والتبكىت" للصحفى عبدالله نديم وايد الصفيان هذا الود فى تبادل المقالات بين الصحيفتين. (٥)

وبعد وفاة صاحبها المعلم البستاني سنة ١٨٨٣م تولى تحريرها ابنه سليم، وبعد وفاته

تولاها أخوه نجيب. (٦)

وثالثها الدجنة: وهى صحيفة سياسية تجارية أدبية أنشأها بمعاونة ابنه سليم فى إحدى عشرة حزيران (١١) سنة ١٨٧٠م مرة فى الأسبوع ثم مرتين. (٧) وهى متعذلة المزاج ولا تتسم بالعنف بل جارت التيارات السياسية المعاصرة وأيدت بقوة اتجاه السلطان، وكانت تعمل لمصر كصحيفة مصرية ونالت من بر الخديو إسماعيل الكثير من المال، وكان الخديو

إسماعيل مشتركاً في خمس مائة نسخة منها وقد أشار إلى ذلك بعض الوثائق التي اكتشفت أخيراً بمحفوظات سراى عابدين التاريخية. (٨)

وعند وفاة المعلم بطرس البستاني تولى تحريرها ولده سليم وبعد وفاة سليم تولاها أخوه نجيب فأصدرها سنتين، ثم اشتد الضغط على المطبوعات فأجبر على أن يحجبها. (٩) ورابعها الجنية: ولم يقف النشاط الصحفي لأسرة البستاني عند هذا الحد، بل كان سليم ابن بطرس البستاني يفكر دائماً بإصدار جريدة يومية، وما زال يلح على أبيه في ذلك حتى أصدر جريدة الجنية عام ١٨٧١م كمجلة سياسية تجارية فكانت تصدر أربع مرات في الأسبوع وكانت الجنية تصدر مرتين فتولفان مجموعتين جريدة يومية. (١٠) واشترك في تحرير هذه الجريدة أديب من أسرته هو سليمان البستاني الذي كان ابن عم المعلم بطرس البستاني. (١١)

فتولى تحرير الجنية الثلاثة الأساطين في اسرة البستاني، بطرس، وسليم وسليمان، وكانت الجنية أول محاولة صحفية لنشر صحيفة عربية يومية في الشام، وهي صحيفة تعنى بالبرقيات السياسية، فكانت تنشرها في الصفحة الأولى، ولم يعتد الشرق العربي حتى صدور الجنية أى عناية بالأخبار البرقية كما فتحت صدرها لمراسلات الأقاليم وأخبار البلاد العربية، فكانت عناية جديدة في صحافة الشام بهذه الناحية من التحرير. والجنية أول صحيفة في الشرق الأدنى تبنى بشئون التجارة وبقيت وحدها في هذا الشرق تبدى هذا العلم بشئون المال حتى نشر أديب إسحق صحيفته "التجارة" في القاهرة سنة ١٨٧٩م، وكان القسم التجارى في الجنية مطولاً ومتقناً ويشمل أسعارا التجارة وأخبار القراطيس وبعض التعليقات التي لا تخلو من العلم والمعرفة بهذه النواحي من حياة الأمم والشعوب. (١٢) ولكن الجنية لم تعيش إلا أربع سنوات فاحتجبت سنة ١٨٧٥م. (١٣)

وكان الصحفي خليل سر كس قد ألف شركة لإصدار الصحف مع الصحفيين

العظيمين فضم المعلم بطرس البستاني، وإبنة سليم البستاني فضم سر كيس صحيفتيهما الجنان والحنة إلى صحيفته "لسان الحال" ومضى يطبعها جميعا فى مطبعته المسماة المطبعة الأدبية. (١٤)

وأنشأ بطرس بن سليمان البستاني صاحب أدباء العرب جريدة "البيان" سنة ألف وتسع مائة وثلاث وعشرين (١٩٢٣م) وكانت أسبوعية بثمانى صفحات ثم بإثنى عشرة صفحة، ثم بعشرين. وهى من الجرائد المصورة التى انتشرت بعد الحرب العامة. وكانت مباحثها تشتمل على سياسة وأدب ونقد وقصص، وحجبها صاحبها سنة ألف وتسع مائة وثلاثين (١٩٣٠م). (١٥)

وفى سبيل الصحافة قام الدكتور عبدالله إسماعيل البستاني ببحث عن "حرية الصحافة" وقدم هذا البحث إلى كلية الحقوق بجامعة فؤاد الأول بالقاهرة فنال شهادة الدكتوراة منها بهذه الرسالة وقد عرض فيها لحرية الصحافة وهى أس الحريات العامة فى هذا الزمان. وضمنها دراسة مقارنة لتلك الحرية فى فرنسا وإنجلترا والعراق. والعراق وطن المؤلف، وفرنسا وإنجلترا من أعرق أوطان الصحافة وأحرص الجماعات على إطلاقها من كل قيد.

وقد بدأت الرسالة بتعريف حرية الصحافة وإبراز أهميتها بالنسبة للنظام الديمقراطى والمنحجال الدولى، فكتب الدكتور عبدالله إسماعيل البستاني أن حرية الصحافة من المواضيع الهامة التى شغلت الرأى العام والحكومات منذ اختراع الطباعة، الاختراع الذى غبوجه العالم. ولقد مكن هذا الاختراع الصحافة من جعل المعارف الانسانية فى متناول أكبر عدد من الأفراد بعد أن كانت وقفا على فئة محدودة من الخاصة من النبلاء ورجال الدين. ويرجع سبب تعاظم حرية الصحافة فى العصر الحديث. إلى إنتشار النظام الديمقراطى فى العالم، بالإضافة إلى التقدم الفنى للطباعة. والنظام الديمقراطى يقوم بطبيعته على مبدأ حكم الشعب بواسطة الشعب، وهذا النظام يفترض بداهة حرية الانتخابات، وحرية الإنتخابات وهذه

تفترض حتما حرية الشعب في التعبير عن آرائه وأفكاره، ولما كانت الصحافة من أهم الوسائل الحديثة في الإفصاح عن الرأي، فاصبحت مباشرة هذه الحرية بواسطة الشعب من أهم مظاهر النظام الديمقراطي. (١٦)

وقسم المؤلف رسالته على ثلاثة ابواب فتناول في بابها الأول عن تاريخ تلك الحرية في فرنسا ثم تاريخها في إنجلترا منذ اختراع الطباعة إلى الوقت الحاضر فتاريخها في العراق في ظل القوانين العثمانية القديمة وفي ظل القوانين العراقية الحديثة، وخصص الباب الثاني لدراسة المبادئ العامة لحرية الصحافة مع تطبيقاتها في الدول الثلاث آنفة الذكر. وختمت الرسالة بحوثها في بابها الثالث بالعرض لمنشآت الصحافة ومايكتنفها من أوضاع قانونية واتجاهات اصلاحية. (١٧)

فقد تدرج المؤلف من العموم إلى الخصوص وتنقل من التعريف والتأريخ إلى التنظيم والإصلاح، فاتبع في ذلك كل طرائق البحث العلمي وكان طبيعيا أن يعتبر الثورة الفرنسية نقطة ارتكازة التاريخي، فعن هذه الثورة البكرى صدر تصريح حقوق الإنسان، وفي المادة الحادية عشرة من مواد هذا التصريح قرر مبدأ حرية الصحافة إذ نصت على "أن التداول الحر للأفكار والآراء هو أحد حقوق الإنسان المهمة، فيجوز لكل مواطن أن يتكلم ويكتب ويطبع، بصورة حرة، مع مسؤوليته عن سوء استعمال هذه الحرية في الحالات التي يحددها القانون" وكان طبيعيا كذلك أن يذهب في سبيل استقصائه إلى حد الحديث الراهن من وسائل أخذ تلك الحرية بالتقدير والحرص على امتداد ظلها، فعرض للتشريعات الجديدة التي سنتها فرنسا في سنة ١٩٤٤ قصد القضاء على مساوئ خضوع الصحافة الفرنسية "لأصحاب المال — منفردين أو مركزين — وللدول الأجنبية" ففرضت فيما فرضته على الصحف والمنشآت الصحفية "نشر أسماء مديريها، وحسابات استغلالها، وميزانياتها، ومنبع المساعدات والإعانات المنح المالية التي تقدم إليها.

ثم ذكر المؤلف الإجراءات التي اتخذها البرلمان البريطاني في سبيل تأليف لجنة ملكية لدرس أحوال الصحافة من ناحية مثل تلك الوجوه ووضع تقرير بتوصياتها في هذا الصدد جميعاً. وكذلك أشار المؤلف إلى ما تحبوه "الأمم المتحدة" حرية الصحافة من رعاية، إذ عمدت منذ الشهور الأولى لقيامها إلى تأليف لجنة متفرعة عن "لجنة حقوق الإنسان" التابعة للمجلس الاقتصادي والاجتماعي خصتها بدراسة "حرية الإعلام والصحافة" وتقديم توصياتها في سبيل القضاء على ما يقوم في وجه هذه الحرية من عقبات وقصد الوصول إلى عقد اتفاقية دولية ترتبط بها الدول جميعاً لأجل تدعيم ذلك الحق الأول من حقوق الإنسان.

وعرض المؤلف لذلك كله وقدمه بطريقة وأسلوب لاحت فيهما جميعاً ملكة "التحقيق" العلمي، واستبان روح الإصلاح الحر، فجاء هذا السفر — وهو الأول من نوعه باللغة العربية — معمر الركن المكتبة العربية الخاص بالصحافة وتأريخها وحريتها بالإضافة إلى ذلك كله فقد ضم المؤلف في قائمة المراجع بعض المؤلفات التي اختصت بدراسة جوانب أخرى غير جوانب درسه. (١٨)

ولاشك أن هذا عمل بارع وفريد من نوعه في سبيل الصحافة.

المصادر والمراجع

- (١) بطرس بن سليمان البستاني: أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث المطبعة دارالمكتشف ودار الثقافة، الطبعة السادسة سنة ١٩٦٨، ج: ٣، ص: ١، ٤٠٩، ٤٠٩
- (٢) فؤاد أفرام البستاني: المعلم بطرس البستاني، في "الروائع" الجزء (٢٢) المطبعة الكاثوليكية، بيروت، سنة ١٩٥٠، ص: ٧٧
- (٣) فؤاد أفرام البستاني: المعلم بطرس البستاني، في "الروائع" المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، سنة ١٩٥٠، ص: ٧٧

- (٤) الدكتور محمد يوسف نجم: القصة في الأدب العربي الحديث، المطبعة دار الثقافة
الطبعة الثالثة، سنة ١٩٦٦، ص: ٤٢، ٤٣
- (٥) الدكتور إبراهيم عبده: أعلام الصحافة، المطبعة النموذجية، ٦ سكة الشايوى بالحلمية
الجديدة، ص: ١٢٦
- (٦) فؤاد أفرام البستاني:، ص: ٧٧
- (٧) نفس المصدر، ص: ٧٧
- (٨) الدكتور إبراهيم عبده: أعلام الصحافة، المطبعة النموذجية ٦ سكة الشايورى،
بالحلمية الجديدة، ص: ٤٦، ٤٧
- (٩) فؤاد أفرام البستاني: المعلم بطرس البستاني: فى "الروائع" الجزء (٢٢) المطبعة
الكاثوليكية، بيروت لبنان، سنة ١٩٥٠، ص: ٧٧
- (١٠) نفس المصدر، ص: ٧٨
- (١١) نفس المصدر، ص: ٤٧
- (١٢) نفس المصدر، ص: ٤٧
- (١٣) فؤاد أفرام البستاني:، ص: ٧٨
- (١٤) الدكتور إبراهيم عبده:، ص: ٨١، ٨٢
- (١٥) بطرس بن سليمان البستاني: أدباء العرب فى الأندلس، وعصر الانبعاث، المطبعة
دار المكشوف ودار اليثافة، الطبعة السادسة، بيروت لبنان، ١٩٦٨، ص: ٤٠٥
- (١٦) الدكتور عبد الله إسماعيل البستاني: حرية الصحافة، المطبعة القاهرة، سنة ١٩٥٠، ص: ١
- (١٧) نفس المصدر، ص: الف
- (١٨) نفس المصدر، ص: ب، ج

الفصل السابع:

انتاجات البستانيين في الشعر العربي

إن البستانيين كانوا من رواد الشعر العربي الحديث فقد قرؤوا الشعر في الموضوعات الجديدة بالأسلوب الحديث ولهم فضل سبق في ميدان تعريب الروائع من الشعر العالمي . فقد عرب سليمان البستاني إلياذه هو ميروس وعرب وديع البستاني رباعيات عمر الخيام باسم السباعيات ، كما عرب الشاكتلا لكاليداس من ترجمته الإنكليزية وشعر طاغور ترجمها عن الإنكليزية وله ديوان شعر دعاه الفلستينيات .

وللأستاذ عبدالله البستاني أيضا من الشعر ما يرى بطرس بن سليمان البستاني صالحا لتربية الجيل الناشئ وضمه في جواهر الأدب . ويشمل هذا الكتاب شعر سليمان البستاني صاحب تعريب إلياذه هو ميروس والخوري بطرس البستاني والأستاذ عبدالله البستاني والبعض الآخر من نصارى العرب كالأب لويس شيخو وخليل مطران، ووديع عقل، وإيليا أبو ماضي وغيرهم .

ويقول مؤلف جواهر الأدب عن انتقاء كلامهم لهذا الكتاب المدرسي أن الغرض منه أن يعرف الطلاب كيف تفرغ المعاني الشعرية في قولها الصحيحة .

ويقول: "ومن هنا يعرفون مبلغ ما قاسيناه من العناء في اختيار المواد التي يفتقرون إليها بعد صرفهم أعواما في مضمار الارتياض إذ قضت علينا الحال أن نتصفح أشهر الدواوين الشعرية والتصانيف الأدبية من العصر الجاهلي إلى هذا العصر رجاء أن ننتخب لهم منها ما يبقى بالأرب وتقف عنده مطايا الطلب . ويدهي أن هذا الكتاب هو أضيّق من أن يستوعب جميع العقود التي نظمها أقلام مشاهير الشعراء والكتاب في قرون متوالية ولذلك

رأينا من الحكمة أن نلتقط منها أنفس الفوائد.

وربما اخترنا من القصيدة الضافية الاهداب بضعة أبيات حتى لا يذخر الطالب في ذهنه إلا اللآلى اليتيمة ولا يألّف يراعه سوى التراكيب البليغة والألفاظ الرقيقة والمعانى السامية بحيث إذا أراد أن يكتب أو ينظم فى موضوع أملى عليه ذهنه مما يكون قد التقطه من تلك القلائد المنثورة فيفرغه فى قوالب البلاغة ويضوغه أبدع صياغة“ (١).

وقد درج المؤلف فى هذا الكتاب القسم الأكبر من قصائدهم الطويلة وذلك على رغم قوله عن نمط اختياره: إنما تحررنا هذا النمط فى الاختيار لئلا يعلق فى حافظة الطلاب شئ من الشوائب التى تكاد لا تخلو قصيدة عنها . فلأن يحفظوا عشرة أبيات من قصيدة طويلة الأذنان خير من أن يستظهروها برمتها فيسرى إلى ذوقهم الفساد مما يتسرب فى ذاكرتهم من الألفاظ الوحشية والتعابير السقيمة والمعانى المبتذلة.

ولقد ضمنا فى هذا الفصل بعض الأشعار التى عثرنا عليها فى المؤلفات الأخرى مثل تاريخ الآداب العربية للرشيد عطاء الله ، ونبذة تاريخية عن نجد للأمير ضارى من فهيد الرشيد . مقدمة فواد أفرام البستانى مہرآة لوديع البستانى ومنها قول وديع البستانى :

نحن النصارى الأقربون مودة

لكم، وقد صدق النبى محمدؐ

وقد يستحسن قوله هذا ونعرف منه أنه برئ من الطائفية، ولكن لا بدّ هنا أن يقال أن الآية ”ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى“ من كلام الله سبحانه، لا من كلام النبى صلى الله عليه وسلم .

وقد أنشد سليمان البستانى الأبيات التى نظمها فى إحدى مستشفيات

سويسرا فى ١٧ تموز سنة ١٩١٨م بعد انتياب الحمى له واشتداد آلامها عليه.

توسد من لظى الآلام جمرًا

ألم تسأم وعيشك بات مرًا

لجنب موقداً بطناً وظهرها	تقلّب في فراش السقم جنباً
وان هجعت عيول الناس طراً	وجفّنك لا يذوق الغمض سهداً
وإن هجم الدجى راقبت فجراً	إذا انقشع الظلام رصدت ليلاً
ووجه الأفق يبدوا مكفهراً	تلوح لك الوجوه البيض سوداً
على هذا العذاب تطيق صبراً	يقول لك الإسى صبراً وأنّى
وإن داويت رأساً هضت صدرها	إذا عالجت عضواً هجت عضواً
تسكن علة فتثور أخرى	كأن بكل عرق منك داءً
ومن نخس يؤز اللحم عصراً	فمن وخز يحز العظم هصراً
صلاًء من حميم مستمراً	ومن عصب تقطع خلت فيه
على كبد من النيران حرى	وأحشاء تقول بها كلوم
وابصار تكاد تزيغ حسرى	وأعضاء ترجرجت ارتجافاً
أحمله لدفع الضر ضراً	وقالوا صف علاجك قلت ضيم
رقاداً وهو منى قد تبرأ	فحين أهب مما قد دعوه
مجاريتها تساق إلى جراً	لكهف الكهرباء أقاد حتى
فتسمعنى أنين الحزن جهراً	كأن لها شعوراً بالتياغى
صفائح ترمض الأعضاء حراً	فمن ظهر إلى بطن وفخذ
ذرت كلفاً به سوداً وحمراً	إذا علت الأديم وأهبتّه
زماناً خلت منه الجزء دهرأ	فألقي بعد ذلك في فراشى
غلى حتى كوى كيّاً أشراً	وقد غمست رفادات بماء
إلى أن يقرع الناقوس ظهرها	فأسلنقى فتأتينى تباعاً

زهد يورث الزهاد كفرا	فيؤتى لى بزاد من إدام
سواء ما نشا برا وبحرا	على فكل ذى روح جرام
إن احلولى سواء أو أمر	كذا الثمر الشهى وكل بقل
أيسا كن أم قدم من خضر	وكل توابل الزاد المزجى
نطول بناره شفعا ووترا	فإن رمقى سددت به أعيد ال
به حتى يحين الوقت عصرا	أظل بصبر أيوب أكوى
أقيم دقائقا خمسا وعشرا	فأدخل مسيح الكبريت فيه
وهذا منتهى النيران تترى	فمن نار إلى نار فنار
ولاماصب فى العينين قطرا	ولست بواصف جرعات ماء
لظى سقرو قرا مزمهر	ولاماء المضخة حيث تلقى
مخدر أزمة لزباء تطرا	ولا الأبر النواخس نافثات
ولامأ أمره قد كان يسرا	ولا ماجاء غبا بعد غب
أحدث للملا عبرا وذكرى	ولكن عن مرارة كل يوم
أتى المساد مهرأعا مكر	وإن أزف المساء وخرت عزما
كميت يصعد الأنفاس زفرا	فيدلك بالمراهم جسم حى
فأقبله بكره النفس جبرا	وأعطى القوت ما أعطيت قبلا
فيلفينى ضئلا مقشعرا	ويرجع بعد ذا المساد ليلا
وكدت أرى حياة المرء نكرا	وكادت تبلغ الروح التراقى
ولست بعالم أيا أمرا	فذا دائى علاج دائى
لذاك العطف ما بالغت شكرا	تحف بك الأساة ولست تقضى

ومن حولك ثم ممرضات
 وما يجدى العلاج وجهد آس
 وبرح فى خلايا الجسم حتى
 فتلك العلة الكبرى لديها
 وحيد فى بلاد لست منها
 بعيد عن حمى أهل ورهط
 رياض زاهرات بتن بورا
 وأعمال وآمال تلاشت
 بناء شاسخ قد دك دكا
 حنين الأمهات تخذن نذر
 بداء أثقل الجثمان وقرا
 تجاوزها وفى النفس استقرا
 حسبت مضاضة الادواء نذرا
 وإن طابت وكان الأنس وفرا
 به نثرتهم الاقدار نثرا
 ودور عامرات بتن قفرا
 برصف بنائها أفنيت عمرا
 وطود راسخ الأركان خرا

أشاتك ذا وبعد تروم عيشا
 أجل إن الرغائب خادعات
 ولكنى وحققك ليس حرصا
 خبرت هناتها الجلى وإنى
 فليس برائعى عنها ارتحال
 كفتنى قسمتى منها وليس الأولى
 على أنى رأيت الياس عجزا
 يؤلمنى انتشار نتاج جهدى
 ولى وطن تثقل كاهلاه
 لهم وله على ديون حر
 وبعد قضاء ذلك لأبالي
 وتعقد نية وتقول شعرا
 يقدن النفس حيث عمدن قسرا
 على الدنيا استطببت بها المقرا
 بلوت مذاقها حلوا ومرا
 وليس برائقى أن أستمرا
 قد جاوزوا الستين كُثرا
 يثبط همة ويزيد قهرا
 وقد سدل الزمان عليه سترا
 وأهلوه يعانون الأمرا
 أروم وفاءها فأموت حرا
 أطال العمر أم ألحدت قبرا

وإن تغل المنية قبل هذا فإن بنية الأخلاص عُذرا (٢)
من جواهر الأدب

ومن غرر أقوال سليمان البستاني :

شئون ذوى الشأن مرعية	ولواعلت الأرض أنذالها
ولا يعرف الفضل إلا ذووه	فلا تبخس الناس أعمالها
وفى الصدر فاحفظ وعودك دهرًا	أو اقطع لسانك إن قالها
كفاك عفاف على عزة	تؤيد بالفضل إجلالها
ولا تحن رأسًا ولا تدن نفسًا	تقطع بالذل أوصالها
وخل الحسود على كيده	فإن من النار أكالها
إذا العرض زين بطيب الفعال	وسوء المطالب ما طالها
فلسنت أبالى بقليل وقال	ولو سنت اللسن أنبالها
ومن نظم سليمان البستاني	
ولا يقوم بناء لا تحيط به	عين العناية إلا شابه الخلل (٣)

وقد انشد الخورى بطرس البستاني القصيدة التى تسمى الهزار الصداح او

الطفل البكر.

مرحبا بالهزار بشدو طروبا	فوق غصن الدلال يسبى القلوبا
نغمات تجلو الهموم عن الصد	روتنفى عن الفواد الكُروبا
ما غناء الهزار إلا مدام	يتمشى بين العروق ديبيا
إنما الطفل بلبل يتغنى	فى حماه فيخرس العندليا

إنما الطفل زهرة تملأ العيد	ن جمالا وتفعم النفس طيبا
إنما الطفل كوكب يلبس الرب	ع راءد من البهاء قشيبا
حبذا الطفل يوم يمرح ريما	بين سرب الظبا ويعدو وثوبا
حبذا الطفل يوم يغدو طلبوبا	للمعالى وللعلوم كسوبا
حبذا الطفل يوم يضحى فتيا	وليه عزيمة تذل الصعوبا
حبذا الطفل وهو كهل رصين	وليه الرؤى كالشهاب ثقبوبا
حبذا الطفل وهو شيخ وقور	وليه فكرة تريه الغيوببا
إيه يا بلبل الرياض ترنم	إن من حولك السميع المجيبا
ولك الصدر حين تصدح غصن	فتنقل على الصدور حبيببا
وتفكه بحب ام روؤم	ترتجى ان تراك نجلا نجيبا
وارشف اللطف من أيبك زلالا	وارع منه مرعى الحنان خصيبا
وتدلل ماشئت فالقلب يسبى	بدلال يكون سحرا مذيبا
أنت أنس لوالديك وسلوى	حبذا الأنس بالبنين نصيبا
فخريف الحيلة يغدو ريبعا	حين تغدو لدن القوام رطيبا
ملك أنت فى السرير وديع	فى هواك الغريب يحكى النسيبا
فإذا ما سكت تسبى نهانا	وإذا ما نطقت تعبى الخطيبا
رب ثغر رصعنه بابتسام	كان مجرى للكهرباء عجيبا
رب دمع نشرته كاللآلى	كان كالنار فى الصدور شوببا
ومناغاتك اللطيفة تشفى	من سقام يعبى الطبيب الاريبا

أنت لاتدرى ما الحياة وماأسـ	ـرارها حينما تغنى طروبا
كم رأيـناك فى الحمى تتغنى	وسمعنا بعد الغناء نحيا
هل تراءت لمقلتيك الأمانى	زاخرات فحضتهن لعوبا
أم تعاميت عن صروف الليالى	فتوهمتها سرايا كذوبا
أم رأيت الخطوب وهى جبال	فوق هام الورى فخفت الخطوبا
أم رأيت الحياة كالشمس تبدو	وتدانى عند المساء الغروبا
ام عرفت الدنيا بدار اغتراب	فكرهت المقام فيها غريبا
أم رأيت الدماء تجرى بحارا	مذ غدا المرء فى الملاحم ذيبا
فحذرت الحياة بين الضواري	مع طغاة يابون إلا الحروبا
كلهم يدعى التمدن صرفا	وهو للحرب لايزال ركوبا
اي حرب كهذه الحرب شوما	لم نر المرد قبلها قط شيئا
لاتخف أيها الصغير الرزايا	إن تحاميت فى الحياة العيوبـا
ماشقاء الحياة إلا من المر	ء إذا عاش فى الانام معيبـا
كل من يألف المخابث يمسى	فى سباق العلى جزوعا هيوبا
والذى يحدث المجازر يلقى	أبدا ربه عليه غضوبا
سالم الناس واعتزل كل شر	ييق غيث الهنا عليك سكوبا
واصنع الخير ماحييت وجانب	كل أمر يلقى عليك الذنوبا
فالذى يزرع البلاء يقوم	آمن السرب يحصد التأديبا
يحسب الناس أنه فى نعيم	وهو يصلى طى الضلوع للهبـا

كل من يصرف الزمان شريفاً	فهو في الناس كوكب لن يغيبا
وهو حي بالذكر والذكر يبقى	في فؤاد التاريخ مسكاً وطيباً
هاأبوك المفضل يحيا جليلاً	محرزاً في الوري المقام المهيأ
أنزلته القلوب فيها اميراً	مذ دعاه الندى فلبى محجياً
فتشبه بفضله تحي رغداً	وتر السعد في يدك ريباً
وتمتع بعطف أمك وانعم	بحنو ينسبك حتى الحليباً
أيها الطفل كن فتى عبقرياً	واحى في قطرك العزيز حسيباً
واملأن التاريخ مجداً وفخراً	وانشرن الآثار فيه طيوباً
مثلك النابغون في الأرض كانوا	فعسى أن تكون اسمي نصيباً
جئت بكرا لوالديك فذاقاً	من ملذات ذى الحياة ضروباً
وغذا تصبح الأديب المرجى	بين قوم يؤلهون الأديباً
	من جواهر الأدب

وقال الخورى بطرس البستاني قصيدة اخرى وهى "من المهد إلى اللحد"

وحصلناها من جواهر الأدب ايضاً

على صفحات العمر خطت يد الدهر	عظمت لذى الذكرى تسطر بالتبر
عرفت بها سر الحياة وكنهها	وماتحتوى الدنيا من الحلو والمر
فما العمر إلا مرحلات نجوزها	على الشوك احياناً وحيناً على الزهر
تشيد لنا الاحلام برج سعادة	فتنسفه الأيام بالنوب الحمر

"الطفل" (للخورى بطرس البستاني)

ومهد به نام الصغير مقمطاً	كأنى به العصفور برقد فى الوكر
---------------------------	-------------------------------

يريد حراكا والقمطاط يصده	قيلبت مغلول اليدين على قسر
وليس له شكوى سوى عبراته	فتنثرها عيناه درا على النحر
إذا هز صوت الطفل مهجة أمه	فبرق الهوى ما بين قلبيهما يجرى
تناغيه نشوى من ملامح وجهه	فيصغى إلى أنغامها باسم النغر
وتنشده شعر الهوى فيعيده	بلهجتة العجماء شعرا من السحر
بمرآه يغدو السهد أشهى من الكرى	إليها وجنح الليل أزهى من الفجر
تراه بمرآة الغرام كأنه	أخو البدر أو أبهى ضياء من البدر
وطورا تحال الدهر ينضو حسامه	على غصنه المياس فى زهرة العمر (٤)
	من جواهر الأدب

وقال الخورى بطرس البستاني فى حفلة يوبيلالاب لويس شيخو اليسوعى:

كل اليراع وما كللت فقف به	وأنظر إلى الذكر الذى أحرزته
ذكر يخلده الذى صنفته	وجمعته وضبطته وشرحته
أفما لعضبك فى حياتك راحة	يوما فينسى كل ما حملته
أو ما لروحك من فراغ ساعة	من بعد ما جاهدت ما جاهدته
حتى ترى أن البلاد مقرة	أبدا بفضل طالما عمته
أى امرى فى قطرنا لم يلتقط	مما نثرت من اليراع وصغته
لغة حملت لواءها منذ الصبا	ونشرته فى الخافقين وصنته
ترنو إليك وأنت تنظم عقدها	فتقر مقلتها بما نظمته
كم زاد رونقها بما نسقته	وزها محياها بما نقحته
ولكم علا بين اللغات مقامها	لما تحلت بالذى رصعته

ما "المشرق" الوهاج إلا كوكب
 ما "المشرق" الصдах إلا بلبل
 تصبو إليه نفوسنا كلفا بما
 أنشأت للأعراب أنفس متحف
 لولاك ظلت تحت أطباق الثرى
 لك فى الصدور مهابة قامت على
 فالتف تحت لواءك أشرف موكب
 وعزيمة ذاب الحديد ولم تذب
 أرهفتها فى كل خطب معضل
 إن الحمية فى فؤادك شيدت
 وحميته من كل طارئة ولم
 خمسين عاما قد طويت محلقا
 وشعارك الحق المبين يصونه
 قلم نبت كل الصوارم دونه
 وشحذت بالحجج القواطع غربه
 لأتغمد السيف الذى ثلم الطبي
 لو كان يلقي ذو النبوغ جزاءه
 لأعيد للشرقى غابر عزه
 أو كان ينصب فى الحياة لمحسن
 نصبوا لك التمثال فوق منارة
 ملأ البلاد هدى بما أودعته
 سكرت به الأذان مذ أنطقته
 حبرته فيه وما أبدعته
 مما اكتشفت لهم وما استنبطته
 آثارهم فاهنا بما استخرجته
 عرش بجيش المكرمات خفرته
 ومشى وراءك فيلق دربته
 وبدا لها الصعب الجموع فرضته
 فنضا عليك حسامه فشطرتته
 منذ الفتوة معقلا عززته
 تدع الغواة تدك ما حصنه
 كالنسر تهزأ بالذى عار كنه
 قلم على الحق المبين وقفنه
 لم ينسلم حداه مد جردته
 فانسل جيش البطل حين شحذته
 ورفعنا فوق الربى رفعتته
 وينال فى دنياه ما قد ننته
 وأراك من آياته ما شئتته
 أثر على ما شاد ما شئتته
 شماء من مجموع ما أنشأتته
 من جواهر الأدب

وقال الشاعر نفسه 'مهنتنا أحد تلامذته القدماء بلسان صديق له :

يوم تم العقد بين المهجتين	عقد الإلفان عقد الفرقدين
بعد أن حلا سماء المقلتين	وحرى بهما برج العلى
من براها آية للأديين	غادة هيفاء قد أبدعها
وكمال الحسن جمع الحليتين	جمعت خلقا وخلقا سلسا
وابوها قد سقاها الحكمتين	اشربتها امها حب العلى
مثلها تسعدها فى العالمين	حكمة التقوى وهل من حكمة
بين ارباب النهى فى الخافقين	حكمة العلم الذى يرفعها
حزته من شيم لامن لجين	يا ابن بيت الفضل طب نفسا بما
والعلى استصفيتها من معدنين	قد رشفت الجود من منبعه
وإباء النفس عن مأسدتين	وورثت العز عن خير أب
حسب قد ناله بالأصغرين	ليس يعلى المرء فى الدنيا سوى
أس فضل كان واهى الجانين	كل محد لم يقم يوما على
كان ينسينى حنان الأبوين	كان لى والدك البرأبا
وكفانا أننا كالأخوين	ولأنت اليوم لى أوفى أخ
أبدا مع 'املى' كالزهريتين	فأحى يا "ميشال" فى روض الهنا
مثلما ترهو السما بالنيرين	إنما لبنان يزهو بكما
ورأى فى نحره لولؤتين	قد رأى فى صدره زنبقتين
بكما ما بين أهل المشرقين	إن تباهى أوتهادى طربا
وحلاه صاغ من جوهرتين	فالمعالى أرختها يده

وقال الشاعر نفسه من قصيدة يهنئ بها أحد أصدقائه بوسام المعارف:

صدرك الرحب والمناقب فيه	زاهيات مثل النجوم المضيّة
قد أرائنا من البيان شعاعا	ومن الفضل حلة سندسيه
وسقانا من نثره سلسيلا	ومن النظم خمرة بابليه
إن صدراً رصعته بالمعالي	لجدير بالشارة الذهبية
وفؤادا أرويته في صباه	من زلال المعارف العصريه
لحرى بأن يكون منارا	وحقيق بالتهنئات السنيه
عرفتك البلاد من ربع قرن	بلبلا في ربوعها الادبيه
مطربا مسمع العلى بقواف	غردت فوق غصنها الشاعريه
حولك النشء يشربون نميرا	من مجارى آدابك الكوثرية
حملوا راية الجهاد ونالوا	قصب السبق في مجال الحميه
إن تكن واحدا فحولك جيش	دربته أقوالك الحكيمه
لغة العرب قد حميت حماها	بيراع أمضى من المشرفيه
أيما كنت ينشق الناس عرفا	من أزهير أصغريك الذكيه
وإذا كانت النفوس سكارى	بالتهانى تهدى إليك نقيـه
فالوسام الخطير يهتز فخرا	فوق صدر تزيينه الاريحيه
فهنيئلك الوسام وأولى	بالتهانى آثارك الوطنيـه
كل من يزرع الجميل كبيرا	يحصد الشكر من قلوب وفيه
يافرنسا وأنت في كل عصر	آية الله في سما العبقريه
علمينا كيف النبوغ يجازى	لنراه في الامه العربيه (٥)
	من جواهر الأدب

وقال الشيخ عبد الله البستاني من مراثاة يرثي بها المرحوم الشيخ ابراهيم وكان صديقا حميما له .

هل غادر الموت ريب الدهر ظمآنا	حتى أسال من الأجفان غدراننا
أو ساء ه أن ترى عيني أخا أدب	حيننا فأدبها بالدمع أحيانا
أنزلت إنسانها فيها فأغرقه	في لجة العبرات البين غضباننا
أيحسبن فؤادى الموت نار قرى	يدعو إليها من الأشجان ضيفانا
قضى خليلي إبراهيم ينزل ما	بين الحنايا من الأحزان خلانا
لا بدع إن كنت مجراعا أميد جوى	فخاطرى صار للبلبال ميدانا
أعزز على بأن أرعى النجوم ولا	أبيت بالدمع طول الليل غصانا
أعزز على بأن ألقى الصباح ولا	يزال أبلج بالأنوار مزدانا
قد كان يفتر عن حب الغمام إذا	وطئت رحبته بالبشر ملانا
مابان من طلعتى أنى حليف أسى	إلا اثنى قلقا أسوان ولهانا
كم كحلت بسواد الليل أعيننا	معا وعين الثريا فيه ترعانا
وكم رشفت سلافا من طلاقته	به ترنحت لا بالخمير نشوانا
فكان ينشر من ألفاظه دررا	ودت عيوني بها لو كن أذانا
نادمته ردحا والنجم يحسدنا	لأن ذا العرش لم يخلقه إنسانا
كأنما فرقدا العلياء قد رغبا	بأن يكونا على الغبراء إيانا
فنازعتنى النوى إياه يتبعه	شوقى إلى مصرفوق النيل حرانا
فصار كل أخ يشكو صبا بة	إلى أخيه لهيف الصدر ولهانا
يامصر حللك بدر العلم ليس يرى	فى نوره من له عينان نقصانا
قد بان عن برجه ينحوك منتشرا	منه ضياء بهى للورى باننا

ما اختار من سائر الأمصار غيرك إذ	رآك مصرا بدا للنور ميزانا
وحل منتجعا فيك الرياض فإن	يمت فنجعته تحييه أزمان
فهل رفعت له شأننا كما رفعت	روائع اللغة الفصحى له شانا
وهل رعيت له حق الجوار ولم	يخفر ذمام الألى يرعون جيرانا
وهل تعهدته لماتعهده	سقم احل له فى الرسم جسمانا
قد كان فينا صليب العود ليس يهى	من الرياح وإن أوهين عيدانا
عهدت فيك نسيما مفعما أرجا	يزيل حسرة من قد كان حسانا
كم من فتى ذاق مر الداء لذله	حلو الشفاء بريح فوق حلوانا
قد كنت أحسب إبراهيم يرمقنى	فلم يدع خطبه فى القلب حسبانا
مضى وفى المصدر لم ينفك مسكنه	فأعجب لربع تداعى ضم سكانا
سأستدر عليه ما فكرت به	حوالب العين لا أحمى لها شانا
أقول والعبرات الحمر ذارفة	لا زال يا صدر من يثويك ريانا
وحبذا كل عين يستحيل على	تمثاله دمعها السفاح مرجانا
نم يا حميمى قرير المقلتين ودع	طرفى فى حفظى الميثاق يقظانا
إن يغتنم لك من يطوى القلى وسنا	فلن أكون عن العياب وسنانا
أودب عقرب مغتاك إليك يرى	من اليراعة فوق الطرس ثعبانا (٦)

ونظم وديع البستاني فى بعض حفلات المولد النبوى، يقول فى احداها:

لئن عدد الأديان ناس وفرّقوا

فما كنت فى الأوطان إلا موحدًا

ويقول وديع البستاني في أخرى:

نحن النصارى الأقربون مؤدّة

لكم، وقد صدق النبى محمد

ويقول وديع البستاني ايضاً:

أيها الناطقون بالضاد صَحّوا أيكم نائم وغير مفاق

صيحة الحق قد علت فاسمعوها وصادها يرن فى الأبواق

لأنصارى، ولادروز، ولكن أرض سورية وأرض العراق

كلنا (مسلمون) فى مذهب الغر ب، عداة منقوضة اليثاق (٧)

وفى قصة المعرب للمهراتة ذكر فؤاد أفرام البستاني قصيدة لوديع البستاني

وهى التى يخاطب بها "الياسمينه" التى كانت ابنته "ليلى" قد رزعتها أمام الدار.

وكانت نكبة فلسطين — وبانت ليلى — وبقيت الياسمينه تورق وتزهر، يراها الشاعر

الحزين، فيقول فى أبسط الاوزان والعبادات أبلغ المعانى وأصدقها:

يا ياسمينه ليلى ياسلوتى فى نواها

نورت لى بسلمات صحاكة فى لماها

ملأت بيتى أريجاً عطريه من شذاها

بوركت يا غرس بنتى نورا يحاكى سناها

زيدى نضارة غصن أحذوثة عن صباها

زيدى جمالا وحسنا حتى كأنى أراها

بالرفق أجنيه زهرا ولا حرمت جناها

كانه تغر ليلي	الـ لو ينور فاهـا
يا ياسمينه ليلي	كل الليالي فداها
من قبل شوقي قيس	ما قال إلا عنهاها
وطاب شعري نسيها	هل هلتـه في هواها
وهي هوى أم ليلي	وما عشقت سواها
يا ياسمينه ، إنـي	سبحت فيك الإلاهـا
وكان قلبي عنه	ضل السبيل وتاهـا
هذا زمان أضاعت	فيه الرجـان حجاها
فتلك أمة ليلي	خطب الخطوب دهاها
فسل الشعوب تنزى	مستعليـا وعلاها
يا ياسمينه ليلي	خلى السما ونداها
فأرض أمة ليلي	أنـا أروى ثراهـا
هذى دموى اشريها	ولو شواك لظاها
ويوم تسأل ليلي	قولي: أبوك بكاهـا
ولا تلم فيك ليلي	إلا الحزين أباهـا

هذى جناية حر لم يدر كيف جناها
غنى العروبة عمرا وعاش حتى رثاها
ولوديع البستاني أيضاً:

جبل الشيخ بعينى ناهض وأنا الشيخ على الشاطىء ور كودى
أرسل الطرف إلى ذروته ولذى البحر قيامى وقعودى
صحب النسكين شعري والهوى عربيا بين آلاف اليهود
شت أولادى، ديوان المنى وبهم ألحقت ديوان الهنود
كل ماعز وما أحببته كل ذخري من طريف وتليد
كل ما صرت وما أملتته فى يد المجهول من خلف الحدود
وبأولادى يومى وغدى وبحي الشعر بعثى وخلودى
لم يدع لى الدهر شيئا فى يدي غير قلب الصّب يهفو من بعيد (٨)
حبه للشرق:

أثرت إقامة ودبع البستاني فى الهند تأثيرا عميقاً فى نفسه، فأحب الشرق وفضله
على الغرب من وجوه عديدة. ومن قوله فى قصيدة نظمها عام ١٩٣١:

وكم عالج الغربى بالعلم عقدة وغادر أمراً للحياة معقدا
وقد يرجع الشرقى للغرب رشده فإنى أرى الشرقى أهدى وأرشدا

سقوط حيفا:

ولما سقطت حيفا فى أيدي القوات الإسرائيلية فى نيسان سنة ١٩٤٨، واضطرب
حبل الأمن اضطرابا شديدا ودفع السكان إلى النزوح عن حيفا، قرر وديع البستاني وزوجته
ان يبقيا فى الدار، ومازالا فيها بعيدين عن أولادهما الأربعة، وفى ذلك قوله:

من دون أربعى ما الدار بالدار تبا لربع من الأحباب مقفار

قد كنت بيتي والأولاد فيك وقد
أمسيت صنعة بناء ونجار
بالأمس فرد وسنا الأرضى عن ثقة
واليوم لا كنت إلا طعمة النار
يادار، أين غدت ليلي وإخوتها
أغدو، وأنت على سكانك انهارى

الاعتقال:

لم تقف محنة وديع البستاني عند هذا الحد، فما غابت شمس ٢٣ نيسان سنة ١٩٤٨ حتى أطبق على داره ثلاثون هاغانيا Hagana، فاحتلوا خمسا من عرفها احتلالا تمادى شهرا كاملا، وما خرجوا منها إلا فى ٢٢ أيار، لبيت المعرب معتقلا فى "البرج" فأضرب عن الأكل وعن التشرب وعن النوم. وفى ذلك قوله:

جبستم -حرا لا تلين قناته
عروية ان راح يعجم عودها
أبى زادكم والماء والنوم، إنما
حياة هوان عندكم، لا يريدوا
كفتنى ستونى عزيزا بأمتى
وعيشة مثلى فضلها، لا مديدها
تمادت بى الأيام، حتى رأيتمكم
حكمتم فيوما واحداً لا أزيدها (٩)

ومن مؤلفاتهم فى الشعر التى غير متوفرة عندنا فنذكر فيما يلى

- ١- الفلسطينيين (ديوان الشعر) لوديع البستاني
- ٢- مجاني الشعر لوديع البستاني
- ٣- ديوان شعراء العرب الحاليين لسليمان البستاني
- ٤- الذنب والغفران لسليمان البستاني
- ٥- الداء والشفاء لسليمان البستاني
- ٦- الجنية والرجاء لسليمان البستاني
- ٧- الترك والعرب لسليمان البستاني

- ٨- الشعراء الفرسان لبطرس بن سليمان البستاني
- ٩- وقائع الأيام في ثلاثين ألف بيت لمحمد البستاني
- ١٠- روايات تمثيلية لراشد البستاني
- قصص شعرية منها:
- ١١- امرأ القيس للشيخ عبدالله البستاني
- ١٢- كليب للشيخ عبدالله البستاني
- ١٣- وفاء السمول للشيخ عبدالله البستاني
- ١٤- خمس روايات شعرية للشيخ عبدالله البستاني (١٠)

مصادر ومراجع

- (١) جواهر الأدب، جمعه بطرس بن سليمان البستاني، المطبعة مكتبة صادر بيروت، لبنان، سنة ١٩٢٦م، ج: ٥ مقدمة
- (٢) نفس المصدر، ج: ٥، ص: ١٦٦-١٧٠
- (٣) تاريخ الآداب العربية: تأليف الرشيد عطاء الله المطبعة المؤسسة عز الدين الطبعة الاولى ١٩٨٥م- ١٤٠٥هـ
- (٤) جواهر الأدب، جمعه بطرس بن سليمان البستاني، المطبعة مكتبة صادر بيروت، لبنان، سنة ١٩٢٦م، ج: ٥ مقدمة ص: ١٨٥-١٨٩
- (٥) نفس المصدر، ص: ٢٤٨-٢٥٢
- (٦) نفس المصدر، ص: ٢٦٢-٢٦٤
- (٧) الأمير ضاري بن فهد الرشيد: نبة تاريخية عن نجد، المطبعة منشورات دار الإمامة للبحث والترجمة والنشر- الرياض، المملكة العربية السعودية، ص: ٢٣

(٨) المهراتة، ترجمها رومش دط، عربها وديع البستاني، نشرها جمعية متخرجي

الجامعة الأميركية في بيروت من قصة المعرب، ص: ١٠، ١٣، ١٤، ١٥

(٩) نفس المصدر، ص: ٣، ٥، ٨، ١٠ من قصة المعرب

(١٠) [١] خير الدين الزركلي: الأعلام، المطبعة دارالعلم للملأين، ج: ٢، ص: ٥٩،

ج: ٤، ص: ١٤١، ج: ٨، ص: ١١٣

[٢] عمر رضا كحاله: معجم المؤلفين، مطبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى سنة

١٤١٤ هـ ١٩٩٣ م، ج: ٣، ص: ٥٤٩، ج: ١، ص: ٤٣٠، ٧١٦، ج: ٢، ص: ٢٩٦، ج: ٤، ص: ٧٢

[٣] حنا الفاخوري: تأليف الأدب العربي، المطبعة البولية لبنان، ص: ١٠٨٨، ١٠٨٩

[٤] المهراتة، المصدر المذكور، ص: ٧



الفصل الثامن:

مؤلفات البستاني حول السياسة

إن البستانيين كانوا أهل رسوخ فى سياسة العرب والعثمانيين وقد احتل بعضهم منصب الوزارة فى حكم العثمانيين كسليمان البستاني فقد كان وزيرا للزراعة والصناعة والمعادن وعثرنا على بعض مؤلفاتهم فى السياسة التى تفيدنا بوجهات نظر البستانيين على اختلافها فى هذا الميدان الجليل ولعل الأستاذ سليمان البستاني كان أكبر أعلام البستانيين فى هذا الميدان . وكان يجمع بين دعوة الإصلاح وحماية العثمانية .

وأميل البستاني نجاهه أكبر داع إلى القومية العربية وأخطر منازع للحكم العثماني فى البلاد العربية . ويرفض الصهيونية والشيوعية ويرى أن العرب والنصارى ولاسيما أهل لبنان منهم من أوفى وأرسخ المؤيدين للجامعة العربية .

ويمثل وديع البستاني أيضا وجهة نصارى العرب القومية فى قضية الإنتداب الفلسطينى الهادف إلى قيام إسرائيل فيقرر أن الإنتداب باطل ومحال وأن سياسة الوطن القومى اليهودى خطرة . ويرى الأستاذ سيف الدين البستاني بطلان ائتلاف ايهود مع العرب فى الرابطة القومية العربية فهى عنده مؤتلفة خالصة من المسيحيين والمسلمين العرب لأن اليهود — كما يقول — وثيق الولاء مع الماسونية واليهودية العالمية ويحتلون فلسطين قلب العالم العربى، ومركز الأماكن المقدسة والنقطة التى تقع على أخطر طريق يربط بين الشرق والغرب . ويخامره شعور بوجود يدصهيونية وراء كل حادث عالمى ذات خطر وبغض النظر عن هذا الهاجس الماسونى فإننا نرى الأستاذ سيف الدين البستاني أقرب البستانيين إلى الوعى الإسلامى وحساسية المسلمين فلا يكتب شيئا يخالفهما بخلاف

غيره من البساتنة فى النشاط السياسى . ونعرض فيما يلى لمؤلفاتهم السياسية بتفصيل .

(١) عبرة وذكرى او الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده:

هذا الكتاب لسليمان بن خطار البستانى فى السياسة وطبع بمطبعة الأخيـار سنة

١٩٠٨م فى شهر أكتوبر وصفحته ٢٠٤

وقد اضطربت أحوال الدولة العثمانية بعد وفاة السلطان سليمان الثانى القانونى سنة

١٥٦٦م وتألّبت عليها القوى الخارجية وتناوبت فيها الفتن الداخلية فتوى السلطان سليم

الثالث سنة ١٧٨٩م فإنه قد كثف الجهود للإصلاح وترتيب الجند على النمط الحديث

ولكن الناس بطشوا به فمات والإصلاح فى مهده .(١)

وهكذا قد عمد كثير من السلاطين العثمانيين للإصلاح وسد الاضطربات والفتن

الداخلية والخارجية ولكنهم لم يفوزوا . فأسس جودت باشا وبعض أعضاء ديوان الأحكام

العدلية وأعضاء شورى الدولة والأوقاف وغيرهم من رهط العلماء لجنة لتنظيم لقوانين

الخاصة فنشر قانون الأراضى، والطابو، والجزاء، والتجارة، فإنهم ينقلون هذه القوانين عن

القوانين الأوربية والفرنسوية ناظرين إلى عدم مخالفه النصوص الشرعية . ونظر العثمانيون

إلى القوانين التى جرت على دول أوروبا وسائر ما يقتضيه سير الحضارة والثقافة فوضعوا

قانون التابعة العثمانية . وكثيرا من المنظمات فمنها قانون ترتيب المحاكم الشرعية

والمحاكم النظامية والتجارية ومنظمات الإدارة الملكية ونظام إدارة الولايات ونظام شورى

الدولة .

وكذلك وضع العثمانيون نظاما للمعارف والمطبوعات ومنظمات أخرى للمطابع

والطبع وحقوق التأليف والترجمة . ونظاما للرسومات، والمعادن، وللطرق والمعابر،

فالحاصل أنهم لم يكادوا يغادروا شيئا من لوازم إدارة الملك حتى دونوا له قانونا . فجميع

هذه القوانين والمنظمات التى كانت معروفة فى بلاد الدولة العثمانية باسم الدستور

Code.(٢)

وكان الدستور العثماني الجديد نفس الدستور القديم وهو عبارة عن مجموع القوانين والأحكام التي تعاقب على وضعها رجال الدولة حتى استجمعت الكلى والجزئى من حقوق الحاكم والمحكوم ورتبت أصول المحاكمات وفصلت قواعد القضاء وعينت جميع ما يضمن إجراء العدل وحفظ الأمن وبسط الحرية واستخراج موارد الثروة ثم كان من جملة أجزائه القانون الأساسى الذى ظل دعاة الإصلاح يطالبون بإنفاذه ثلاثين عاما وتزيد. حتى أن قال سليمان البستاني فى سنة ١٩٠٨م إن "العثمانيين الذين يجتهدون للحرية وجودون بالمال والارواح حتى أربعين سنة.

ومازالوا يناضلون ويكافحون ويتدبرون الأمور بالعنف واللين فلم يبق فى البلاد العثمانية رجل واحد من أرباب العقول لا يرى وجوب تبدل الحال . ولكن أكثر الناس لا يعلمون". (٣)

وكان مدحت باشا، وكمال بك، ومصطفى فاضل، وأنور باشا، ونيازى من أبطال الحرية الذين سعوا فى سبيل تحقيق الدستور يقول البستاني عنهم "حيا الله نيازى وحيا الله أنور وحيا الله الجيش العثماني وأنصاره وحيا جمعية الاتحاد والترقى وحيا الله كل ذى سلطة أو نفوذ جرد نفسه منهما و أو لا هما امته

ولسوف يضم التاريخ إليهم عشرات بل مئات وألوف من ضحايا الحرية ومنكوبيها وسواء فى ذلك من مات شهيدا طريدا كسعاوى قتيل الأستانة وسليمان سجين بغداد، وغانم منفى باريس والكواكبى شريد مصر . ومن لا يزال فيه رمق حياة يرجو العثمانيون أن يفسح الله فى أجله ويعليه منارا كفؤاد الشامى، وسعيد اليماني — نسبة إلى منفاهما ورضا وصباح الدين الباريسيين نسبة إلى دار اغترابهما". (٤)

وتقديرًا وإكبارًا للمثل هذه التضحيات التى قدمها الأحرار العثمانيون فى سبيل

الدستور يقول البستاني: "لقد فازت أمم من قبلنا بدستور كدستورنا ولكنه ليس فى تاريخ واحدة منهم بلوغ هذه الأمانة فى منتهى أدوارها بمثل هذه السرعة ومثل هذه الحكمة وهذا التدبير بدون إراقة دم من الدماء الطاهرة والذنسة".

ولم يعترض أى أحد على هذا القول بما كان من أمر الدستور اليابانى فالجواب هكذا فإن اليابانيين كانوا أرقى علما وعقلا وأدبا من محكوميههم فجردوا أنفسهم بلا منازع من سلطتهم المطلقة وجادوا بها على أمتهم المتحدة العنصر فالحوا . وكان سليمان البستاني من رجال دعاة الإصلاح فيقف موقف ناقد من السلطان عبدالحميد ، ويقول: "إنه بادر إلى التصديق على الدستور العثمانى الجديد واستبشر الناس بالإصلاح والفلاح ولكن قبل ان ينتظم مجلس المبعوثان (يعنى Parliament)، وينظر فى شئون الدولة فصدرت منه الارادة السنية بفضه فتقوضت كل اركان ذلك البناء ابتليت الأمة بطور استبداد جديد لم تعهد نظيره حتى فى عصور الظلمات". (٥)

وأيد سليمان البستاني هذا الدستور لأنه كان فيه ما يضمن للحريات المدنية مثلا الحرية الشخصية ، وحرية الصحافة وحرية التعليم، وحرية التأليف والقراءة، وحرية المكاتبه او البوستة والتلغراف وحرية الجمعيات.

ويقول البستاني عن جمود الأمراء العثمانيين الفكرى والعملى: "لوتجلى للناس نبى من الأنبياء لأيام خلت وقال للعثمانيين بشراكم فلا يهل الهلال حتى تسطع فى أفق جوكم المدلهم أهلة الحرية والإخاء وتتفلك قيود الاستبداد فتسحق وتذرى هباء منشورا . وتبتدد غياهب الأحقاد والضغائن من بينكم حتى إذا بتم ليلتكم على غلة التباغض والتنابد نهضتم وما شعرتم الا وقد انتزعها الله من أفئدتكم المضطربة فهاجت صدوركم عواطف التضامن والحنان . وتنهزم من وجهكم جيوش الجواسيس الحرارة فتنتفتح لكم أبواب بلادكم الفسيحة فتلجوا أى باب شئتم منها آمنين مطمئنين . وأنتم حيث كنتم فى مأمن من واش

مكار وأمر غدار ثم قال لهم وتستمرون الأرض فينموزركم ويسرح ضرعكم . وترقى
صناعتكم وتروج تجارتكم . تعلّمون وتتعلمون وتكتبون وتتغنّون بالشعر على أى وتر شتّم .
وتمحى آثار الذلة والمسكنة فير مقكم الأجنى بعين الأعظام بعد أن كان يخالكم طعمة
سهلة المساغ . إى نعم لوجاء العثمانيين نبى بمثل هذا النبأ العظيم لهزأوا به وقالوا أنا ولئن
كنت صادقاً فلسنا لك بمؤمنين . لقد أكثرت علينا من نعم الله فهات بعض ماتمينه وعهد
الله إننا به راضون“ . (٦)

وقد ألحق سليمان البستاني عنوان ”السياح والمستوطنون“ بأبواب موارد الثروة
وان لم يكن هذا من مصادر الثروة الطبيعية بسبب أن للعثمانيين كثيراً من مواقع لتاريخية
القديمة والحديثة . وإن فى الحكومة العثمانية مواطن الأنبياء ومهابط الوحي فهى بهذا
الاعتبار محجة المسلمين والمسيحيين وبنى إسرائيل من كل أقطار الأرض المعالم الدينية
مثلاً: سيدة لورد فى فرنسا . ومواطن البابليين، والأشوريين، والحثيين، والسلوقيين، ودول
المصريين والإسرائيليين والعرب والأرمن ودول اليونان الفريجية والليقية والليدية والطورادية
والبمفيلية والقبازوكية وغيرهن . وفيها كثير من آثار الدول التى احتلت بعض أجزائها
كالفرس والرومان . ومنها أخذت نفائس الآثار التى تزدان بها متاحف باريس ولندن برلين
وبطر سبرج . فتجذب إليها السياح من كل فج سحيق . وإن لم تكن فى الخلافة المحكومة
العثمانية الآن مواضع للنزهة الخالصة كباريس تلك الجنة الجامعة للهو والزهو واللفظ
والظرف والعلم والمال فإنها لم تبلغ ذلك المبلغ إلا بقرون مضافة إلى كياسة السكان
وجهادهم .

وليس هذا فى أمر باريس فقط بل فى أوربا كلها وإذا نظرنا إلى المعالم الدينية فيها
علمنا أن زوار واحدة منها السيدة لورد فى فرنسا يربو على عدد جميع الزوار الذين ينتابون
بيت المقدس من أبناء جمع الأديان .

ويقول الأستاذ البستاني: "لو أعددنا هنا من أسباب الراحة في الحل الترحال ماأعدوا هنالك لكان للبلاد من وراء ذلك مورد ثروة جديد....."

ويقول البستاني تحت هذه العنوان أيضا: ويبقى على أولى الأمر وأبناء البلاد ابتداء كثير من الإصلاح اللازم لمعدات الراحة في الإقامة والانتقال داخل فلسطين وماجاورها مما لا بد منه من أسباب التأمين والتشويق على ما اعتاده زوار المسيحيين والإسرائيليين في أوروبا.....(٧)

"فلو مهدت لهم السبل كما يرجى ان تمهد الآن وضرب على أيدي العتاة من أمر ومأمور فالإقبال حينئذ عظيم والقائدة مضمونة للفريقين.(٨)

"وإذا مهدت لهم الطرق و اقيمت لهم الفنادق واعدت لهم أسباب الأمن والراحة فما عسى أن يكون من إقبالهم وإنتفاع البلاد بعلمهم ومالهم.....(٩)

"وإننا غير مغترين بوفرة هذه المصادر الطبيعية للثروة ولسنا بطامعين ان تفيض ميازيها نضارا في سنة أو سنوات قلائل ولكنه لا بد من تنبه إخواننا العثمانيين في كل قطر من أقطار إلى ثروة يمكن الشروع مذ الآن في استدرارها شيئا فشيئا.....(١٠)

وإن مجال المهاجرة إلى البلاد العثمانية متسع جدا وتناول أطراف البحث فيها مما يضيق عنه نطاف سفرنا هذا الصغير وإنما هي نفثات عثمانى محب لوطنه باح بشئ منها وادخر مابقى منها لفرصة أخرى".(١١)

ويقول سليمان البستاني في الدستور والحريه: "إن كثيرا من السلاطين العثمانية كانوا ذوى برّ برعايتهم . وهذا السلطان محمد الفاتح مع ما يعزى إليه من القسوة قد خول رعاياه المسيحيين والإسرائيليين من حرية الدين والتصرف بالأحوال الشخصية ما يسجل له فخارا مؤبدا وإن عده كثيرون خرقا في السياسة بالنظر إلى أحوال ذلك الزمان

أنظر الآن إلى ماشئت من أسباب الشكوى وارجع معى إلى ما قبل أربعين أو ثلاثين

بل خمسة وعشرين او عشرين عاما وقابل زمنا بزمن ترأنا جرينا القهقرى جريا حثيثا وخالفنا بالقسر عنا كل أمم الأرض“ (١٢)

ويقول البستاني فى حرية الصحافة: ”لوحرمت علينا الكتابة فى جرائدنا وأبيحث لنا قراءة الصحف المنتشر فى سائر الأقطار لقلنا شرأهون من شرين ولكن هيهات . حظرت المراقبة قراءة كثير من الجرائد المنتشرة فى كل بلاد الله ولا سيما ما صدر فى مصر أصدق البلاد ولاء للخلافة الاسلامية والأمة العثمانية . كأن معظم البلاء وقع على رؤوس الأصدقاء.

أفلا ترون بدليل ماتقدم أن الأمة لا تطالب بنعمة تسبغونها عليها من فضلكم وإنما هو حق سلبتموه بعد أن كانت متمتعة به بفضل أسلافكم أولاترون أيضا أن بقاء صحافتنا حية مع شدة هذا الضغط يبشرها بعمر جديد وشأن فى المستقبل مجيد . (١٣)

(٢) الإنتداب الفلسطينى باطل ومحال:

هذا الكتاب لوديع البستاني فى السياسة طبع فى سنة ١٩٣٦م وصفحته ٢٠٧ . وطبع بمطبعة الأميركانية بيروت . وذلك قبل قيام الكيان الصهيونى ”إسرائيل“ فى فلسطين فى سنة ١٩٤٨م . وضمن المؤلف هذا الكتاب الحقائق والحجج والوثائق كلها التى تتعلق بالقضية الفلسطينية متوصلا فى النهاية إلى أن الإنتداب الفلسطينى الهادف إلى قيام إسرائيل كان باطل ومحال .

والغرض الأساسى من مباحث هذا الكتاب أن يظهر للجميع من يهود، وعرب، ومندب، وجامعة الأمم أن مواجهة هذه المعضلة بحل، وهو الضالة المنشودة، لا تكون إلا بالبحث الأساسى فى إحكام هذه الوثيقة الدولية، التى منذ وضعت مشروعا، وحين ثبتت تثبيتا، كانت مخالفة لعهد جامعة الأمم، وما كانت تجربتها، طيلة ما انقضى عليها من أعوام، إلا شاهدا عدلا على محاليتها، فضلا عن بطلانها.

وقد عالج البستاني المحامى هذه المباحث من الوجهات الثلاث: اليهودية،
والعربية، والبريطانية، جميعا . وقد اتيح للمؤلف أن ينشر هذا الكتاب بصيغتيه الإنكليزية
(The palestine Mandate Invalid and Impracticable) والعربية مستيقنا ببطلان
الانتدابات ومحاليتها. وذلك فى سنة ١٩٣٦م وبعد قيام إسرائيل فى سنة ١٩٤٨م لم يبق
محاليتها، ولكن قوله ببطلانها لم يزل سديدا فيما نرى.

ومن محتويات الكتاب كما يلى:

ويحتوى الكتاب على فهرس عديدة منها فهرس الوقائع، وفهرس الوثائق والحجج،
وفهرس المباحث، والملاحق . ففهرس الوقائع يحتوى على العناوين التالية: اليهود والبلاد
المقدسة، التحرر والتجدد، الصهيونية السياسية، النهضة العربية الاستقلالية، أبرم الميثاق
الإنكليزى العربى عرض المشروع الصهيونى، الوعد البلפורى، تنفيذ الوعد: تأكيد الميثاق،
التردد (تجربة سياسية جديدة): إنتدابات، عهد جامعة الأمم يشترع الانتداب انتدابات
الأقطار العربية فى معاهدة حابطة، إنتداب فى معاهدة للعراق ، رسم خطة السياسة البريطانية
فى فلسطين قبل تعيين إحكام الإنتداب، الإعتراف بالوطن القومى اليهودى شرط لمعاهدة
إنكليزية عربية وللحكومة الدستورية فى فلسطين، الانتداب الفلسطينى تعقيد وتناقض
مصالح، الوطن القومى اليهودى حكومة يهودية، انفجار، الانتداب الفلسطينى لا يقبل
التطبيق، العبودية!! الخروج!!!، غضب العرب.

ودرج المؤلف تحت الحجج و الوثائق العناوين التالية . الوجهة اليهودية، الوجهة
العربية، الوجهة البريطانية، الحالة القانونية .

وأخذ فى بيانها من المراجع والمصادر فى هذا البحث منها كتاب فلسطين اليهود،
كتاب نظام الانتدابات، كتاب خدعة فلسطين "عهد جامعة الأمم، النظام الانتدابى":
(كتيب أخرجه سكرتارية جامعة الأمم)، معاهدة سبفر: (آب - ١٩٢٠)، معاهدة لوزان:

(تموز ١٩٢٣)، الانتداب العراقي: (صيغته النهائية التي قدمت للبرلمان في آب ١٩٢١)،
الانتداب الفلسطيني: صيغته النهائية التي قدمت للبرلمان في آب ١٩٢١)، الانتداب
الفلسطيني الأردني: (كما أجازته مجلس جامعة الأمم في تموز ١٩٢٢)، الانتداب السوري
البناني: (كما أجازته مجلس جامعة الأمم في تموز ١٩٢٢)، نظام الانتدابات (١):
للمسترنورمان بنتويش (١٩٣٠)، فلسطين اليهود (٢): ماضيها وحاضرها ومستقبلها—
للمسترنورمان بنتويش (١٩١٩)، خدعة فلسطين (٣): تحقيق جريدة الديلى فى القضية
الفلسطينية — بقلم المسترج-م-ن جفريس (١٩٢٣)، تقرير اللجنة البرلمانية (٤):
(اضطرابات آب ١٩٢٩): قدم للبرلمان فى آذار ١٩٣٠، تقرير السيرجون هوب
سمبون (٥): المهاجرة واستعمار الأراضي وإحيائها: قدم للبرلمان فى تشرين الأول
١٩٣٠، الكتاب الأبيض لسنة ١٩٢٢: مخابرات الحكومة البريطانية مع الرد العربى
الفلسطينى الثانى والجمعية الصهيونية، جريدة حكومة فلسطين الرسمية، بلاغات حكومة
فلسطين الرسمية، وبيان السياسة البريطانية فى فلسطين، بيان السياسة البريطانية (تشرين
الأول ١٩٣٠)

ويضمن هذا الكتاب المباحث العشرة منها ما يلى: الانتداب الفلسطينى الحالى
باطل يصح إلغاؤه أو العدل عنه أو تعديله تعديلا أساسيا . الانتداب الفلسطينى هجين غير
متلائم مع الفقرة المخصصة من عهد جامعة الأمم . وتقرير لجنة التحقيق البرلمانية (لجنة
شو) يظهر التناقض فى التزامات الانتداب الفلسطينى ومصاعب القيام بها . ولجنة
الانتدابات الدائمة نفسها ترى الانتداب الفلسطينى انتدابا منطويا على تعقيد وتناقض فى
المصالح والحقوق . تقرير الخبير السيرجون سمبسون يؤيد تقرير اللجنة البرلمانية ويظهر
محالية الانتداب الفلسطينى المنبى على التعقيد والتناقض . علة الانتداب الفلسطينى
والسياسة البريطانية فى فلسطين سياسة الوطن القومى اليهودى الخطرة . وضم المؤلف فى

آخر الكتاب ثمانية ملاحق وخارطة سوريا . وفى الملاحق ذكر نص العهود والبيانات السياسية والدولية فيما يتعلق بالانتداب الفلسطينى .

وللانتداب الفلسطينى تاريخ تبدأ من سنة ١٩١٦ فى سنة ١٩١٦ حصلت المفاوضات بين السير "سيكس" بالنيابة عن بريطانيا العظمى، والموسيو "بيكو" بالنيابة عن فرنسا، على اتفاق اقتسمت فيه مناطق النفوذ البريطانى والأفرنسى فى الشرق الأدنى والأوسط اقتساما تجزأت به سوريا إلى مناطق ثلاث: منطقة بريطانية، وأخرى أفرنسية، وثالثة وطنية، مع الاحتفاظ باسم "سوريا" اسما للمنطقة الشمالية العليا الأفرنسية . وعرف خط الحد الفاصل بين هذه المناطق بخط سيكس — بيكو . وكان المزعوم من وراء هذا الاقتسام أن تصبح الأقسام الجنوبية من سوريا "دولية" . واقترحت معاهدة سيكس — بيكو جعل هذه الأقسام الجنوبية دولية . لأنها كانت أماكن النصرانية المقدسة . وإن هذه الأقسام الجنوبية من سوريا فى فلسطين باسمها الخاص . (١٤)

ولوعده بلفور لقيام الوطن القومى اليهودى فى فلسطين تاريخ أيضا يرجع إلى الثورة الفرنسية والاتفاق الأفرنسى اليهودى فى سنة ١٧٩٦ . وكانت الثورة الفرنسية التى فتحت للبشرية عهدا جديدا فاتحة عهد جديد لليهود أيضا .

وبينا شعوب "الأمم" يعلنون الحرية والمساواة والإخاء، علت صيحة من بين اليهود

تقول: "من القبيلية إلى الإنسانية"

تلك كانت الفكرة التى انطوى عليها "التنوير" المندلسونيانى وبها ائتم سنهدين

باريس الذى وقع فى سنة ١٧٩٦ عهد الوئام بين يهود فرنسا والجمهورية الأفرنسية . (١٥)

وجدير بالذكر أن نابليون (وهو من الحّ، يوم كان القنصل الأول فى إبرام عهد

الوئام بين اليهود والحكومة الأفرنسية)، عند ما غزا مصر وسوريا فى سنة ١٧٩٩، تحقق

تماثل فلسطين الحىّ للنفوس، وأصدر دعوته إلى يهود آسيا وإفريقية أن يعودوا ويستقروا

فى القدس من جديد فى ظله و حماه . فىانه نشر بيانا سياسيا رمى به إلى هذه الغاية فى العدد ٢٤٣ من نشرة "المونيتور أو نيفرسل" (الرقيب العام) ولكن محاولته هذه أن يكون "قورش" العهد الجديد، لم يكن حظها من النجاح أكثر من حظ محاولة "جوليان" التى كانت قد تقدمتها بنحو ١٥٠٠ عام . فإن حملته حبطت تحت أسوار عكا، وبقيت فلسطين تحت سوء حكومة الأتراك. (١٦)

و كانت اقتراحات متجددة لحكومة يهودية فى فلسطين تحت الحماية البريطانية لصيانة طريقها إلى الهند . وقامت فى نفوس اليهود الإنكليز، وكذلك النصارى الإنكليز، فكرة الإستقرار اليهودى الجديد فى البلاد المقدسة بمثابة مرحلة إلى الأمام فى سبيل تحقيق الخرافة اليهودية ورفع الكولونيل "جورج غولو" إلى الملكة وإلى زعماء البلاد مؤلفا وضعه وجعل عنوانه "تهدئة الحال فى سوريا والشرق بإنشاء مستعمرات يهودية فى فلسطين"، وكان ذلك فى سنة ١٨٤٦ .

ونحا هذا النحو أيضا الكاتب الإنكليزى الآخر "هو لنزورث" فى كتابه "اليهود فى فلسطين" فحبذ إعادة إقامة حكومة يهودية تحت الحماية البريطانية واسطة لغاية تأمين طريق الهند البرية . وكان ذلك فى سنة ١٨٥٢ . (١٧)

وقدمت فكرة إنشاء وطن يهودى فى خارج فلسطين فقالوا عن بلاد "مابين النهرين" هى "أرض الميعاد" وكان فى التقرير عن هذه البلاد واحتمالاتها شئ من ضياء الأمل لما اتصل بها من الذكريات اليهودية، ولكن هذا المشروع أيضا لم يكن منه إلا ما كان من خطب برّاقة لمّا عا قام يلقيها زعيم هذه الجمعية الطوّافة .

وتبع تلك التجشّات تجشّات أخرى لم تكن إلا أقلّ منها حظّا وتوفيقا . وعثا ماشخصوا بأبصارهم إلى "انجولا" و "نيكاراجوى" و "أستراليا" وانتهى الأمر بمشروع الأرض اليهودية المستقلة استقلالا ذاتيا إلى حركة أريد بها نشر الهجرة اليهودية نشرا

بتوجيهها صوب الولايات المتحدة . ولكن البقية الباقية من حملة هذه الفكرة قدمالوا فيما بعد إلى فكرة الصهيونيين في اختيار فلسطين وطنا يكون "الوطن اليهودي". (١٨) وكان لبعض زعماء المسلمين دور مهم في تمهيد سبيل الحكومة اليهودية في فلسطين.

والجدير بالذكر هنا في هذا السياق استنادهم إلى المؤامرة الانتدابية فاعتقدوا أن فلسطين لم تخرج عن عهود الانتداب وكانوا يشعرون أن "عهد الاستقلال" الذي صدر عن السير هنري مكماهون شمل فلسطين، ومايحتمل أن تززع الحجج اعتقادهم أن التفسير الصحيح لتلك المخابرات هو أن فلسطين من المنطقة التي شملها التعهد الصادر من حكومة صاحب الجلالة .

وقالوا في سياق التدليل إن ذلك كان هو المقصود والمراد بتلك النشرات التي كانت تنشرها الطائرات البريطانية في أوائل سنة ١٩١٧ ومآلها "أن أهربوا وهلموا إلينا" وكانت نشرات موجهة: "إلى الضباط والجنود العرب في الجيش التركي في فلسطين" وكان في طيها بيان موقع من الملك حسين هذا نصه:

إلى جميع العرب وسائر الضباط والجنود في الجيش العثماني: يؤسفنا جدا أنكم تحاربون ضدنا نحن العاملين في سبيل الديار عن حياض الدين الإسلامي الحنيف وفي سبيل تحرير العرب من الحكم التركي .

ونعتقد أن الحقيقة لم تصلكم . ولذلك فقد بعثنا إليكم بهذا البيان مختوما بختمنا، لتأكدوا أننا أنما نحارب في سبيل غايتين شريفتين، صيانة الدين وحرية العرب بصورة عامة .

وقد أرسلنا إلى الرؤساء ورجال العشائر نأمرهم أمرا مشددا أنه حين يتفق لجيشنا أسرا واحد منكم يلزمهم أن يحسنوا معاملته ويرسلوه إلى أولادى الذين يرحبون بكم .

وقد طال الأمد على بقاء المملكة العربية في عبودية الأتراك الذين قتلوا إخوانكم،

وشنقوا رجالكم، وشرّدوا نساءكم وعيالكم، واعملوا فى دينكم تبديلاً . فكيف تطيقون على هذا صبراً، وكيف تحتملون مرارة البقاء عندهم وتقبلون أن تكونوا لهم عوناً . فهل هموا التحقوا بنا . انضموا إلينا نحن العاملين فى سبيل الدين وحرية العرب، حتى يتاح للمملكة العربية أن تعود سيرتها الأولى فى عهد الآباء والأجداد، إن شاء الله سبحانه وتعالى وهو الهادى إلى سواء السبيل . (١٩)

ويظهر من عبارات المؤلف فى بعض المواد أنه على رغم قوله إن الانتداب الفلسطينى باطل فيستعمل كلمة النبوءة لخرافة يهودية أن أورشليم الجديدة مدينة سماوية وأرض كنعان لم تزل أرض المعياذ لليهود، فيقول: وللعبرانيين المنتزعين من القبائل العربية والخالصين من عبودية مصر كانت "كنعان" أرض المعياذ التى تفيض لبناً وعسلاً والمكان المختار للشعب المختار..... وكاليهود الإنكليز، كذلك النصارى الإنكليز . قامت فى نفوسهم فكرة الاستقرار اليهودى الجديد فى البلاد المقدسة بمثابة مرحلة إلى الأمام فى سبيل تحقيق النبوءة" (٢٠)

ويظهر تعصب المؤلف المسيحى ضد الخلافة العثمانية فى مثل قوله : "لم يكن حظها من النجاح أكثر خط محاولة "جوليان" التى كانت قد تقدمتها بنحو ١٥٠٠ عام فإن حملته حبطت تحت أسوار عكا وبقيت فلسطين تحت سوء حكومة الأتراك . (٢١)

وقد حاول المؤلف أن يكتسب عصبية دينية هذه وراء حمية القومية العربية . وكذلك يظهر تعصبه المسيحى فى مثل قوله: وقبل ذلك بخمسة أعوام (فى سنة ٦٢٢) كان محمد قد فرّ من مكة إلى المدينة وفى أوائل سنّى تبشيره كان محمد ينظر إلى مدينة القدس ويرأها المركز المختار لكل دين صحيح، وعلم أتباعه أن يتوجهوا فى صلاتهم إلى جبل موريا المقدس . ولكنه لما أراد فيما بعد أن يحجب أتباعه عن الطقوس اليهودية خطره وجوب تغيير المركز الدينى فحوّل "القبلة" من "القدس" إلى "مكة" . وكانت القدس

غرضاً من أغراض الجيوش المحمدية الأولى . والنبيّ نفسه مات وهو على الطريق قصداً إلى الاستيلاء عليها، وفي سنة ٦٣٨ وقعت معركة اليرموك وهى إحدى معارك التاريخ العالمى، وغادرت القدس تحت رحمة الخليفة . وضمن الفاتح حرية العبادة الدينية لجميع الأديان ولكنه أقام معبداً جديداً للعقيدة الجديدة على موقع الهيكل المقدس . (٢٢)

(٣) زحف العرب:

وذكرنا بعض الفصول من القسم الأول لهذا الكاتب لصاحبه أميل البستاني والتي تتعلق بتاريخ العرب وبقيت الفصول التي تتعلق بسياسة العرب فى العصر الحديث . ويتحدث المؤلف فى هذه الفصول عن القومية العربية ومصر بين الحربين العالميتين، ومشكلة فلسطين، وولادة الدولتين المملكة العربية السعودية وشرق الأردن (المملكة الهاشمية الأردنية فيما بعد) وثورة فى العراق، والجامعة العربية وما إلى ذلك. ونود أن نعرض هنا لهذه الفصول والفصول الأخرى فى القسمين الثانى (العرب اليوم) والثالث (العرب غدا) فى قضية فلسطين يؤكد المؤلف أن فلسطين قد قسمت وحتى القدس بقوة السلاح، لاعتن طريق أى نوع من أنواع الاتفاق بين الطرفين المتنازعين . وجرى التوقيع على اتفاقات هدنة بين إسرائيل ومصر من جهة ، ثم بين الأردن ، وسوريا، ولبنان، وإسرائيل من جهة ثانية، أثناء الأشهر السبعة الأولى من عام ١٩٤٩ . ولكن لم تعقد أية معاهدة للصالح بين العرب . (٢٣)

وهذا هو السبب عند المؤلف أننا لانجد فى رأى العام العربى اعترافاً بوجود إسرائيل حتى فى أيامنا هذه نجد فى الصحف العربية أنها تذكر إسرائيل بكلمة الكيان الصهيونى ولانقول دولة إسرائيل وفى الأيام التى ألف فيها هذا الكتاب كان بعض الصحف العربية تشير إلى "إسرائيل" بين علامتى استشهاد أو نقل ويقول المؤلف فيه "قد يكون إسرائيل أمراً واقعاً، ولكنها تظل، فى نظر العرب، شبح خيال ملفق، كالح، أو هى كابوس

حلم مزعج لا بد أن يفيقوا منه في يوم أو آخر..... وكل زعيم عربى يجرؤ على الاعتراف بإسرائيل أو يوحى بالتخلص من ذيول المعركة معها، على أن تستقر حيث هى، يفقد بكل تأكيد مركزه، إن لم يفقد حياته بين عشية وضحاها“. (٢٤)

وهذا يذكرنا اغتيال أنور السادات عقب معاهدة كامف ديفيد بين مصر وإسرائيل سنة ١٩٨٠م وفى هذا الصدد يقول المؤلف فى القسم الثانى تحت عنوان ”الأسطورة والرجل“: ”إن العرب يعجبون به (الرئيس جمال عبدالناصر) ولا يملقونه، وقد يهتفون له ويشيدون باسمه إشادة محمومة، ولكن الرسالة هى التى يمجدون لا الرجل، فإذا خطر له (لا سمح الله) أن يخون الحركة العربية القومية، كان يحاول الصلح مع إسرائيل مثلاً، عندئذ يصبح سقوطه أمراً محتوماً فوراً شديد الوطأة. فإن الرئيس ناصر كغيره من زعماء العرب القوميين إنما يحتفظ بسلطانه وفق ما يريد العرب لا ما يريده هو. (٢٥)

إن تقسيم فلسطين لقيام إسرائيل فى نظر المؤلف نقمة مستمرة لعرب فيقول: ”إن خسران فلسطين كان صفة مدمرة للكرامة العربية، ولم يكن من شأن التدابير الثأرية الضئيلة نسيباً التى اتخذها العرب ضد اليهود (مقاطعة الذين يتعاملون معهم تجارياً، وإلغاء تصدير النفط إلى مصفاة حيفا، واقفال قناة السويس فى وجه السفن الإسرائيلية) أن تحسّن الموقف أو تخفف من نقمة العرب“. (٢٦)

ويخبرنا المؤلف بسبب انتشار الشيوعية فى فلسطينيين فى الخمسينات فيقول: ”إن مخيمات اللاجئين تمد الشيوعية بمرتع خصب تنمو فيه وتربو، وهى العقيدة السياسية التى تتغذى على البؤس البشرى كما تتغذى ”الصقور“ على جثث الموتى. واللاجئون يشعرون فى مخيماتهم أن العالم برمته يقف ضدهم، مما يرددهم بالتالى إلى الوقوف ضد العالم برمته. وما من أناس يستهويهم دعاة الشيوعية ويجتذبونهم ببسرو سهولة، مثلما يستهون الفقراء والجائعين الذين أطبقت عليهم الأحقاد وملأت أقطار وجودهم“. (٢٧)

ولنكبة فلسطين وهزيمة الدول العربية على يد الإسرائيليين تأثير نفسى عميق فى بث القومية العربية وانطلاق قوتها إذ بدأ العرب يفقدون على إثرها ثقتهم بزعمائهم — كما يخبرنا المؤلف — وأكثرهم كانوا — ولا يزالون فى الواقع ذوى فعالية ضئيلة ومطامعة خسيصة. (٢٨)

أما اليوم فالوضع على حالة قد أخفقت نار القومية العربية على مرور أيام. وأما "القرار الذى أصدرته الجمعية العامة للأمم المتحدة خلال كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤٨م، بشأن اللاجئين الذين يرغبون فى العودة إلى ديارهم فى إسرائيل لم ينفذ قط، نظراً لاعتراض إسرائيل. على أن مثل هذه العودة لا يمكن أن تتحقق الا ضمن تسوية عامة. وهكذا يستمر وجود اللاجئين. ولا يمكن القول أنهم "يحيون" بأى معنى من معانى الحياة المقبولة — فى منفى هو الضنك والبؤس". (٢٩)

هكذا قال المؤلف فى سنة ١٩٦١م أما اليوم فقد قامت السلطة الفلسطينية تحت رئاسة ياسر عرفات فى قطاع غزة والضفة الغربية ومشكلة اللاجئين مستمرة.

إن بريطانيا وفرنسا اقتسمتا الأراضى العربية الواقعة شمال شبه الجزيرة بينهما حسب اتفاق "سايكس - بيكو" عام ١٩١٦م.

فلبنان وسوريا من نصيب فرنسا وكذلك منطقة الموصل من العراق، وما يؤلف اليوم مملكة الأردن من نصيب بريطانيا، وبعض المناطق. تخضع لحكم استعماري مباشر من قبل الدولتين الغربيتين، وبعضها الآخر يوضع تحت حمايتهما. وأما فلسطين فكانت لها أن تصبح منطقة دولية. (٣٠)

وفى ٢ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩١٧م أصدرت الحكومة البريطانية وعد بلفور بتأسيس وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين. (٣١)

وفى عام ١٩٣٩م أصدرت بريطانيا الكتاب الأبيض وبه أعلنت أنها ستنشئ خلال

عشر سنوات دولة مستقلة فى فلسطين تتألف حكومتها من العرب واليهود، على نحو يكفل للطائفتين معاً مصالحهما وحقوقهما، وإن الهجرة اليهودية ستتحصر خلال السنوات العشر المشار إليها بـ ١٥٠,٠٠٠، ولا تتخطى هذا الرقم بمجموعها، مما يعنى بالتالى أنه عندما يتم الاستقلال سيكون ثمة يهودى واحد مقابل ثلاثة من العرب وإنه سيتمنع على اليهود شراء الأرض فى أجزاء معينة من البلاد. (٣٢)

والعرب رفضوه كما رفضه اليهود ويقول المؤلف فيه: "إن العرب أخطأوا خطأ جسيماً فى نبذ الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩م..... فإنهم لم يكونوا مستائين لما ورد فيه. صحيح أنه لم يمنع الهجرة ولكنه صرف النظر عن التقسيم كحل للعقدة وتخلّى عن كل نية فى إقامة دولة يهودية فى فلسطين..... ولكنهم كانوا فى ذلك الزمن أبعد ما يكونون عن استقطاب أى اهتمام سياسى، من أى شكل، وبذلك عجزوا عن إدراك هذا المعنى وهو أن نصف رغيف أفضل من لاشئ". (٣٣)

هذا— وكان خوف العرب الوحيد فى رفض الكتاب الأبيض أن يتمكن الضغط الصهيونى من حمل بريطانيا على تغيير السياسة التى أعلنتها، وجاءت الحوادث من بعد تثبت أنه كان محله. ويؤكد المؤلف أن ليس فى التاريخ كله ما يشبه إنشاء دولة إسرائيل ويتساءل:

"كيف يكون شعور البريطانيين لو أن هجرة "من بورتوريكو" غير محدودة تدفقت على اسكتلندا نتيجة "تصريح كيندى" مثلاً بإباحة مثل تلك الهجرة، وقامت فى نهاية المطاف هناك دولة "بورتوريكية" اتخذت من ادنبرغ عاصمة لها". (٣٤)

ويقول: ومن الصعب على غير العربى أن يفهم عظم الصدمة التى أحدثتها كارثة فلسطين فى العالم العربى. (٣٥)

ويؤكد المؤلف أيضاً أن العرب ليسوا أعداء السامية. وإن كانوا يعادون الصهيونية

وإسرائيل، إنما يمقتون العرب اليهود سياسياً فقط، ولا يكرهونهم شخصياً، هذا قول المؤلف ويمكن أن نقول: ولا يكرهونهم دينياً. (٣٦)

ويذكرنا المؤلف أن العرب لم يكونوا قط في تاريخهم أعداء لليهود، فقد عاش هؤلاء على أراضيهم كعناصر أقلية طيلة قرون عديدة (ولايزالون)، ولم يعاملوا قط بسوء، وكانوا دوماً يقابلون بالتسامح. وكانت نسبة عددهم إلى سكان فلسطين قد بلغت قرابة العشرة بالمئة، يوم أصعق بلفور الشعوب العربية بتصريحه، إذ لم يكن للعرب شئ ضدهم، والناس يمكن أن يكونوا أعداء الصهيونية، دون أن يعادوا السامية. (٣٧)

ويظهر في خلال الفصول من الكتاب أن المؤلف لا ينظر إلى الشيوعية بتلطف ولكنه متفاؤل أن مناوئة العرب لإسرائيل ليست مما يستخف به. ولن يشفى غلهم منها حتى الارتقاء في أحضان العقيدة الشيوعية لا تعرف الله. (٣٨)

وهو يلاحظ بالتفاؤل أن قضية فلسطين أصبحت مشكلة دولية. (٣٩) ويرجوا أن تحاول بريطانيا والولايات المتحدة حلها وذلك لأن قيام إسرائيل سيثبت أنه كان شؤماً على العلاقات بين الدول العربية والغرب. (٤٠)

ويرفض المؤلف قول كينلنغ Kinpling الذي كتب: "أن الشرق والغرب غرب ولن يلتقى التوأمان" أبداً ويقول المؤلف في هذا الصدد: "إنه لقريب ذلك اليوم الذي يكمل فيه التعاون العربى — الغربى ويثمر، وسيأتى يوم يلتقى فيه الطرفان، وأرجو أن أراه لأهتف له". (٤١)

أما كيف يتحقق هذا الأمل؟ فيقول المؤلف: "هناك بوادر تدل على أن البيت الأبيض "أمريكا" شرع في اعتبار النفط العربى سلعة أكثر أهمية من الدعاية الصهيونية". (٤٢) ويحذر المؤلف من يحاولون من تحسين العلاقات مع الغرب من أنهم سيتهمون أنهم عملاء الغرب. وذلك لوجهين: الأول: لأن العربى فخور بكبرياء قومه وهو الذى يجعل

الحياة عسيرة للعرب الذين يجدّون مثلى فى سبيل إيجاد تفاهم أكبر بين العالم والغرب،
والثانى : ترفع الأمم الغربية على العربى من الناحية السياسية فلايسهل التفاهم العربى —
الغربى مادامت الأمم الغربية تترفع فى سلوكها السياسى مع العرب ويقول المؤلف: ”وإنى
لأقول ذلك عن تجربة عانيت بها بوصفى قوميا عربيا متحمسا، إذا تهمت مرارا و تكرارا أثناء
المناقشات أنى من اتباع الاستعمار وأداة فى يد الغرب، وماذلك إلا لأنى كنت أنشد على
الدوام التقريب بين العالمين: العربى والغربى وجعلهما صديقين. (٤٣)

وهناك حل للقضية الفلسطينية التى يعتبرها المؤلف قضية الجامعة العربية وهو فى
رؤية المؤلف أن تلغى إسرائيل عن نفسها صفة الدولة ترضى أن تجعل من نفسها مقرأً و حيا
لليهودية العالمية — بمثابة فاتيكال للعالم اليهودى — وأن يعترف اليهود بأن العرب هم أهل
الفلسطين الحقيقيين وفيما يلى نص قول المؤلف : ”قد يقوم على مر الزمن وضع يكون
العرب فيه من القوة والثقة بالنفس بحيث يتسنى لهم التغاضى عن أولئك الذين يهددون الآن
امنهم . وتلتمس فيه ”إسرائيل“ من العرب البقاء وسط الوطن العربى بشروط يفرضها العرب
أنفسهم، ولا تجدهم معها غير منصفين، فإذا توقفت عن استخدام الهجرة اليهودية كوسيلة
لدعم قوتها و كنّت عن السعى وراء التوسع، وقبلت أن تلغى عن نفسها صفة الدولة ورضيت
ان تجعل من نفسها مقرأ روحيا لليهودية العالمية — بمثابة فاتيكال للعالم اليهودى — فليس
من المستبعد والحالة هذه أن يسمح العرب لليهود بنوع من الحكم الذاتى تصان فيه
حقوقهم الدينية والاجتماعية والثقافية . وحرى باليهود أن يكونوا على شئ من الوداعة
والاعتدال فيعترفوا بأن العرب هم أصحاب فلسطين الحقيقيين . إذا وقع تحول كهذا،
فسيجد اليهود أن ماعرف عن العرب من كرم ليس مبالغا فيه . العرب أهل مرؤة
وإنسانية“! (٤٤)

وهناك مشروع آخر يقدمه المؤلف للجامعة العربية أن تشجعه، وللدول الكبرى

الغربية أن تسانده وهو أن العرب يمكن أن يثبتوا وجودهم فى إفريقيا، بالوقوف ضد الجهود الإسرائيلية للحصول على موطن قدم اقتصادى وسياسى هناك . (٤٥)

هكذا قال المؤلف فى سنة ١٩٦١م، ونرى بعض الدول العربية اليوم ترحب إسرائيل إلى أرضها باسم التعاون المنطقى الاقتصادى والدول الكبرى الغربية تساندها فى هذا المشروع . (٤٦)

غير أننا متفائلون فنقول كما قال المؤلف: إنى متفائل — شخصيا — من هذه الناحية . واعتقد أن العرب سيشرعون خلال عام أو عامين فى سياسة توحيد رزينة لمجرد أنهم يريدون الوحدة من أعماق قلوبهم . (٤٧)

فهم يعلمون علم اليقين أن فى اتحادهم قوة وفى تفرقتهم ضعفا وانهاراً . (٤٨)

أما مقاومة إسرائيل بإعداد القوة حسب قول الله عز وجل وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة..... الآية: فيقول المؤلف عنها: ”لن يسعى العرب أبدا وراء الأسلحة النووية، اللهم إلا إذا تحققت الشائعات السارية التى تروى أن إسرائيل ماضية فى خططها الرامية إلى إنتاج قنبلة ذرية. إنهم عند ذاك يتنادون ويجمعون على وجوب التسلح الذرى . فإذا استثنينا هذه الحالة الطارئة، المنذرة بأوخم الشرور، نجدهم يقتصرون على طلب الأسلحة ”المتعارف عليها“ ليتمكنوا من دفع العدوان ”المتعارف“ هنالك مثل عربى يقول ”أعط أراذل الناس أسلحة النار فلن يكون خطرهما إلا عليهم“: والعرب يخشون أن يكونوا قد صنفوا من قبل الغرب فى عداد ”الأراذل“ الذين يؤذون أنفسهم، إذا هم أعطوا وسائل حمايتها . إنهم يودون أن يشعروا أنهم محل ثقة لحمل السلاح، وموضع أمان للاضطلاع بالقوة . (٤٩)

ويظهر فى خلال الفصول أيضا أن العرب وضعوا آمالاً ومنتظية فى الجامعة العربية على طراز الجامعة الأوروبية (European Union) وجاءت المقترحات الرامية إلى إنشاء دولة واحدة للعرب، متكونا من سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن مع الاشتراط أن

يمنح نصارى لبنان ويهود فلسطين قدرا كبيرا. (٥٠)

ولعلها هي الأراضي العربية التي أعلن حسين ، شريف مكة، نفسه ملكا عليها بعد "الثورة العربية" التي لعب فيها "لورانس الجزيرة العربية" دورا بارزا ضد الأتراك (العثمانيين) فى شهر جزيران (يونيو) ١٩١٦ م . وحسين كان على صلة ببريطانيا وثار ضد العثمانيين بتأييدها، ولم تعترف به بريطانيا وفرنسا إلا ملكا على الحجاز فقط. (٥١)

وكان من المقترح أيضا أن يكون لهذه الجامعة مجلس مسئول عن العلاقات الخارجية والدفاع والجمارك والنقد المتداول والمواصلات وحماية الأقليات . (٥٢)

وأساس الجامعة العربية كان قائما على فكرة الوحدة القومية يقول المؤلف فيه :

"يمكن ان يكون العربى سوريا أو عراقيا أو كويتيا فى جنسيته ، ولكنه حتما عربى قومى

العرب رغم انشقاقاتهم العلنية وخصوماتهم المدوية يظلون كما هم فى الأساس، وحدة قائمة بذاتها". (٥٣)

ويقول أيضا: "كانت فكرة الوحدة العربية النهائية كامنة دوما ضمن اليقظة العربية وما نشأ عنها من وعى سياسى، وكان الزعماء البعيد والنظر يعملون فى اتجاه مختلف أشكال الاتحاد، قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها، على السواء . وقد عرض فيصل الأول ملك العراق ونورى السعيد معاهدة خطط لتنسيق العمل والتعاون بين الدول العربية . وكان للملك عبدالله، شقيق فيصل الأول، تصميمه الخاص لإنشاء سوريا كبرى، مؤلفة من سوريا ولبنان وشرق الاردن، وجزء من فلسطين، تحت سيطرته . (يمكن القول أن الفكرة الأخيرة لم تكن تحظى بعطف ابن سعود، الذى كان ينظر بريبة وغيره إلى "التوسع الهاشمى" .

وكان ثمة شعور عام ينتظم العالم العربى من أقصاه إلى أقصاه، إن القوة تكمن فى شكل أو آخر من أشكال الوحدة، وأصبح شعار الشعوب العربية فيما بينها الشائع لدى الجميع "الاتحاد قوة". (٥٤)

وروح القومية هذه تتسع وراء العقيدة الإسلامية كما يقول المؤلف: "وثمة عاملان يشتركان في تغلب الروح القومية على أقطار العرب، هما اللغة العربية وعقيدة الإسلام..... ومع هذا فليست القومية العربية نتاج الحركة الإسلامية. فالعرب النصارى كما أوضحت فى فصل سابق من هذا الكتاب - ولا سيما أهل لبنان منهم - من أوفى وأرسخ المؤمنين والمؤيدين للقضية القومية، وقد صانوها حية فى أزمان العبودية والسيطرة الأجنبية ولولا جهودهم لقضى عليها وهلكت". (٥٥)

وكما رأينا المؤلف أنه من لبنان فيعتز بذكر بلاده ويعتبر أهل لبنان وخاصة النصارى منهم رادة وطلبة فى تركيز مبادئ القومية العربية والتبشير بها. (٥٦)

وإنهم - أى نصارى لبنان وسوريا - العرب الوحيدين الذين قاوموا الحكم التركى طيلة أربعة قرون وحفظوا على يد مناوأتهم الدائبة المستمرة للنير العثمانى، روح العروبة حية وعبدوا الطريق أمام القومية العربية وانبثاقها قوة نهائية. (٥٧)

وليس هذا فحسب فإن المؤلف يشير إلى قيادة لبنان الثقافية بين الشعوب لإفريقية العربية فيقول: "وتجدر الإشارة هنا إلى أن فى استطاعة العرب أن يلعبو دورا لا يستهان به فى نمو الدول المتحررة حديثا فى القارة الإفريقية حيث يقع جزء كبير من عالمهم..... والذى اعتقد هو أن بلدى لبنان فى استطاعته عمل الشئ الكثير لتوسيع مدى الثقافة بين الشعوب الإفريقية الناهضة. إذ يعتبر اللبنانيون إجمالا أكثر الشعوب العربية ثقافة فى العالم العربى وما أكثر الذين ينطقون لغات عدة بينهم. فلغتهم الأم هى العربية التى أنزل بها القرآن، غير أن الإنكليزية والفرنسية شائعتان أيضا بينهم. وهذا مايؤهلهم للشرح والتعليم والتنظيم والإدارة فى كثير من الدول الإفريقية حيث يقتصر الاستعمال على إحدى اللغتين الفرنسية والإنكليزية.

"يضاف إلى ذلك أن هنالك عدة آلاف من المواطنين اللبنانيين الذين برزوا تجارا وأرباب عمل فى الأقطار الإفريقية. لقد أصبحوا محبوبين وبذلوا الكثير لمساعدة الأبناء

المحلى، وبذا أثبتوا أن العرب موضع ترحيب الإفريقيين، وتآج معهم، ولا يمكن أن ينظروا إليهم نظرتهم إلى مستعمرين .

”لاشئى يحول دون تشكيل فريق من الخبراء اللبنانيين للمساعدة فى الأنماء الإفريقى بل ثمة من الأسباب ما يحمل على الافتراض أن فى إمكانهم أداء أعمال قيمة . وهذا مشروع للجامعة العربية أن تشجعه، وللدول الكبرى ان تسانده لما فيه من فائدة عامة. (٥٨)

وفعلا فقد تقدمت الحكومة اللبنانية من مؤتمر البترول العربى الأول الذى عقد فى القاهرة بين ١٥ و ٢٣ نيسان من العام ١٩٥٩م باقتراح يرمى إلى تأسيس مصرف إنماء عربى لتمويل المشاريع العمرانية، على أن يتشكل رأسمال هذا المصرف من سلفة سنوية تقدمها بلدان النفط وشركاته للمصرف بشكل قرض تتقاضى عنه فائدة ٢ ١/٢ بالمائة. (٥٩)

وكان من المقترح أن الحكومت اللبنانية تعدل مشروعها السابق بحيث يتلاءم مع وجود ”المؤسسة المالية العربية“ وهى تقترح أن يفتح حساب خاص فى هذه المؤسسة يسمى حساب ”إيرادات النفط“ تودع فيه المبالغ المتجمعة سنويا من حاصل الخمسة بالمائة من إرباح النفط قبل توزيع العوائد والضرائب والإرباح للدول المنتجة وللشركات، ويستعمل هذا الحساب لتمويل مشاريع الأنماء فى الأقطار المختلفة. (٦٠)

وفى آخر الكتاب يلخصه المؤلف بعنوان ”مختصر مفيد“ قائلا: ”يمكن تلخيص هذا الكتاب بفقرة واحدة . أن العرب شعب أبى، دانت له الدنيا فى عصر فتوحاته . حتى إذ تعرض لألوان من الضغط الخارجى توالى على مرالقرون . تضائل شأنه وكثرت فى جو ذلك التضائل أخطأؤه . والعرب على أنهم يشكلون عدة دول منفصلة، فإنهم ينتمون إلى عرق واحد، الأمر الذى سيؤدى إلى قيام أمة واحدة منهم . أنهم يأبون وصاية الغرب عليهم وقد ذاقوا منها الكثير طوال السنين . وهم ينشدون مصادقة الغرب صداقة تقوم على الاحترام المتبادل بين أنداد ولم

يختبروا هذه الصداقة بعد . أن لهم عالمهم الجديد الذى يريدون بناء ه لأنفسهم . ولن يطول بهم المدى ، بإذن الله وتعاطف عباده معهم ، حتى يعيدوا البلاد العرب مكانتها اللائقة تحت الشمس . وسيكون مستقبلهم أن شاء الله ، كما ضيهم ، حافلا بجلال الأعمال . (٦١)

(٤) أوقفوا هذا السرطان - حقيقة الماسونية واهدافها:

هذا الكتاب للدكتور سيف الدين البستاني فى السياسة ومطبعتة وسنة طبعه غير مذكورة وصفحته مائة وأربع وثمانون (١٨٤) وصورنا لهذه الدراسة من نسخة فى مكتبة شبلى النعمانى العامة لدارالعلوم ندوة العلماء بلكهنو .

إن المؤلف قد يخامره شعور بوجود يد صهيونية وراء كل حادث عالمى ذات خطر فذكر ان نابليون قد اشار إليه بقوله فى سنة ١٨٠٩ : إن الدنيا تساس من قبل جمعيات خفية ، فلا يجوز أن نكتم هذه الحقيقة ونغش أنفسنا .

وأكد الجنرال الألمانى (لودندورف) ذلك بقوله : ”إن الماسونية هى التى قضت على نابليون“ .

ويبدو أن الأستاذ سيف الدين البستاني لا يؤيد أئتلاف اليهود مع العرب فى الرابطة القومية العربية ويراهم مؤتلفة خالصة من المسيحيين والمسلمين العرب فيقول:

”لقد اتضح أن الماسونية يهودية استعمارية ، كما اتضح أن اليهودية العالمية والاستعمار يتعاونان معا للوصول إلى أغراض مشتركة .

فهل يمكن للعرب أو لغيرهم من أمم الأرض أن يأتلفوا مع تلك الروح العدوانية التى يقودها تلامذة التلمود من الماسون وأسياد الماسون وأحبار اليهود؟“

ويقول أيضاً: ”أبداً ، لا يمكن للعرب أو لغيرهم أن يأتلفوا مع الروح اليهودية حتى ولو توطن اليهود فى أقاصى الأرض ، فكيف وهم يحتلون فلسطين قلب العالم العربى ، ومركز الأماكن المقدسة والنقطة التى تقع على أخطر طريق يربط بين الشرق والغرب .

هذا ما يجب أن يعرفه كل عربى ومسلم عن الماسونية، وعن جذورها وأغراضها الخفية، وشرورها وآثامها، وأخطارها الجسيمة، وعن أسياى الماسونية الحقيقيين . فيساهم فى فضحها ومكافحتها، وتحميد شرورها، ثم استئصال جذورها من الأرض العربية ومن كل أرض على وجه البسيطة. (٦٢)

وفى كثير من الأحيان يستخدم المؤلف كلمة اليهودية بمعنى الصهيونية ومنه قوله: "إن الماسون المحليين ينكرون علاقاتهم بالصهيونية، أو خدماتهم لليهودية العالمية، أو اتصالهم باليهود أصلاً . . مع أنهم لا يعملون شيئاً إلا بتوجيهات الماسونية العالمية الخاضعة بدورها للصهيونية.

بل أنهم لا يتورعون عن التظاهر العلنى بتقديس واحترام كل ما يتعلق بالتاريخ اليهودى (الصهيونى) تحت ستار الماسونية وشعاراتها. (٦٣)

تحدث المؤلف عن اليهودية العالمية وقال: "منذ أن ظهر الإسلام فى جزيرة العرب كرس اليهود أنفسهم لإثارة الفتن وسعوا بكل ما لديهم من قوة ومال وخداع، لتفريق المسلمين إلى شيع وأحزاب، وكانت التعاليم المحرفة التى يبيثها أحبار اليهود توظف فى الناس الغرائز الحيوانية لتعود بهم إلى حياة بدائية، بعيدة عن التعاليم الدينية، وقد أخرجهم الرسول (صلى الله عليه وسلم) من المدينة بعد الفتن التى قاموا بها . ولكنهم أخذوا منذ ذلك الحين يحلمون بالعودة إليها واعتنق بعضهم دين الإسلام ليتمكنوا من التدخل فى شؤون المسلمين، وكان أشد هؤلاء المنافقين عبد الله بن سبأ، الذى أظهر الإسلام فى أيام الخليفة عثمان رضي الله عنه، فابتدع فكرة رجوع الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الحياة، وفكرة أن لكل نبى وصى، وبذلك ألقى بين المسلمين نار الفتنة ببدعة هذه، مستغلا الاختلافات فى الاجتهاد مفتريا على الإسلام بأشنع الصور . وهكذا وجه اليهود إلى جسم الإسلام والمسلمين طعنات نجلاء، فى مختلف الأدوار الإسلامية، فسمموا كبار الخلفاء وقتلوا بعضهم الآخر". (٦٤)

إلا أن اليهودية كانت تختلف في مكافحتها للأديان بطرقها القديمة أو الجديدة، وذلك لأنها لم تكن مجرد دين بل كانت خطة سياسية، تحمل طابعاً روحياً وزمناً في آن واحد، ولأنها لم تنشأ دفعة واحدة وإنما أضيف إليها، مع الزمن كثير من تجارب اليهود اليومية وأساليبهم السياسية والأخلاقية وخاصة ما اكتسبوه في أيام أسرهم وذلتهم من أخلاق العبيد والمستضعفين الأذكياء، فاستبدلوا بالقوة، الختل والخديعة فكانت ديانتهم ممثلاً لهذه الحياة غير الطبيعية، ومعبراً عنها في شكلها الروحي والديني، فكان اليهود في أسرهم يحلمون بالعودة إلى فلسطين لينشئوا ملكاً، وكانت أحلام هذا الملك وما يتبعه من سيطرة وعنف تملأ نفوسهم وتسكرها، فكانت التعاليم الدينية التي ابتدعوها في هذه الغزوات تحمل هذا الطابع الغريب الذي لم تحمله بقية الأديان، وكان اليهود في حروبهم ومقاومتهم يلجأون إلى الأساليب التي يلجأ إليها الذليل عادة فيستعمل خداعه بدلاً من سلاحه، وهكذا دغت المقاومة العلنية والسرية لديهم، تحمل طابع السرية، والتآمر، وقد بدأ هذا النوع من المقاومة قبل المسيحية وبعدها. إذ رافق عصرها الأول خارج فلسطين وفي فلسطين ذاتها ثم انتقل إلى كل مكان، وقد ظهرت نفس الطريقة في جزيرة العرب. إذ قاوم اليهود ظهور الإسلام وانتشاره بأسلوب التستر والتآمر وإثارة الفتن. ولم يختلف هذا إلا تجاه في أي طور من أطوار تاريخ اليهودية، بل لازمه حتى يومنا هذا. وما أساليبهم الخسيسة في فلسطين المحتلة إلا نوعاً من هذه السياسة التي أشرحها المؤلف في هذا الكتاب. (٦٥)

وتحدث المؤلف كذلك عن موقف الماسونية من المجتمع والدولة وموقفها من الأسرة ومن التعليم والفضيلة وألف الدكتور سيف الدين البستاني هذا الكتاب مستفيداً من مصادر عديدة.

ويذكر المؤلف مراحل هذه الحركة العالمية فيقول: "أما التطور الجديد الذي فتح

الطريق لظهور الماسونية النظرية فقد تم فى أحد المراكز المستقلة . وكان فى لندن سنة ١٦٨٦ء أخوية قديمة، بجانب جمعية البنائين المحترفين كانت باقية على علاقاتها الوثيقة بالنقابة، مع احتفاظها، بشخصيتها، وكان الكثيرون من أعضاء تلك الجمعية أعضاء فى الأخوية أيضا، مع أنها كانت تقف موقفا انغزاليا . والأخوية من ناحيتها كانت تستقبل أناسا ليس لهم من عمل فى النقابة". (٦٦)

ثم تحدث المؤلف حديثا مطينا فى تاريخ منشاء الماسونية وأصولها يمتد على عدة صفحات من الكتاب.

(المصادر والمراجع)

(١) عبره وذكرى أو الدولة العثمانية قبل الدستور أو بعده، تاليف سليمان البستاني،

مطبعة الأخبار سنة ١٩٠٨م، ص: ١١

(٢) نفس المصدر، ص: ١١، ١٣

(٣) نفس المصدر، ص: ٦، ١٥

(٤) نفس المصدر، ص: ٨، ٩

(٥) نفس المصدر، ص: ٧، ١٤

(٦) نفس المصدر، ص: ٥، ٦

(٧) نفس المصدر، ص: ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥،

(٨) نفس المصدر، ص: ١٨٤

(٩) نفس المصدر، ص: ١٨٥

(١٠) نفس المصدر، ص: ١٨٨

(١١) نفس المصدر، ص: ١٩٠

(١٢) نفس المصدر، ص: ٢٠، ٢٢

(١٣) نفس المصدر، ص:

(١٤) الانتداب الفلسطيني باطل ومحال: لوديع البستاني، المطبعة الاميركانية،

بيروت، سنة ١٩٣٦م، ص: ٦٢

(١٥) نفس المصدر، ص: ٧٢

(١٦) نفس المصدر، ص: ٧٢

(١٧) نفس المصدر، ص: ٧٣

(١٨) نفس المصدر، ص: ٧٧-٧٨

(١٩) نفس المصدر، ص: ٩٤-٩٥

(٢٠) نفس المصدر، ص: ٧٠، ٧٣

(٢١) نفس المصدر، ص: ٧٢

(٢٢) نفس المصدر، ص: ٧١

(٢٣) أميل البستاني: زحف العروبة، مطبعة منشورات دارالكتاب اللبناني، الطبعة الأولى،

سنة ١٩٦١ ص، ١٠٩

(٢٤) نفس المصدر، ص، ١٠٩

(٢٥) نفس المصدر، ص: ٢٣١

(٢٦) نفس المصدر، ص: ١٠٩

(٢٧) نفس المصدر، ص: ١١١

(٢٨) نفس المصدر، ص: ١١٢

(٢٩) نفس المصدر، ص: ١١١

(٣٠) نفس المصدر، ص: ٤٣

(٣١) نفس المصدر، ص: ٤٥

(٣٢) نفس المصدر، ص: ٦٣

(٣٣) نفس المصدر، ص: ٦٣

- (٣٤) نفس المصدر، ص: ١١٠
- (٣٥) نفس المصدر، ص: ٢٧٩
- (٣٦) نفس المصدر، ص: ١١٠
- (٣٧) نفس المصدر، ص: ٦٠
- (٣٨) نفس المصدر، ص: ٢١١
- (٣٩) نفس المصدر، ص: ٢١١
- (٤٠) نفس المصدر، ص: ٢١١
- (٤١) نفس المصدر، ص: ٢٨٣
- (٤٢) نفس المصدر، ص: ٢٨٣
- (٤٣) نفس المصدر، ص: ١٩٦
- (٤٤) نفس المصدر، ص: ٢٨٣-٢٨٤
- (٤٥) نفس المصدر، ص: ٢٨٢
- (٤٦) نفس المصدر، ص: ٢٨٢
- (٤٧) نفس المصدر، ص: ٢٨٠
- (٤٨) نفس المصدر، ص: ٢٧٨
- (٤٩) نفس المصدر، ص: ٢٢٧
- (٥٠) نفس المصدر، ص: ٩٤
- (٥١) نفس المصدر، ص: ٤٢
- (٥٢) نفس المصدر، ص: ٩٤
- (٥٣) نفس المصدر، ص: ١٩٠
- (٥٤) نفس المصدر، ص: ٩٢-٩٣
- (٥٥) نفس المصدر، ص: ١٩١
- (٥٦) نفس المصدر، ص: ١٩

- (٥٧) نفس المصدر، ص: ١٩
- (٥٨) نفس المصدر، ص: ٢٨١-٢٨٢
- (٥٩) نفس المصدر، ص: ٢٨٩
- (٦٠) نفس المصدر، ص: ٢٩٢
- (٦١) نفس المصدر، ص: ٢٨٥
- (٦٢) الدكتور سيف الدين البستاني: أوقفوا هذا السرطان، حقيقة الماسونية وأهدافها، مطبعته وسنة طبعه غير مذكورة، ص: ١٧٦
- (٦٣) نفس المصدر، ص: ١٧٧
- (٦٤) نفس المصدر، ص: ١٠٤
- (٦٥) نفس المصدر، ص: ١٠٣، ١٠٤
- (٦٦) نفس المصدر، ص: ٣٢، ٣٣، ٣٤



الفصل التاسع

مساهمة البستانيّين فى النقد

نعرض فى هذا الفصل لبعض الآثار النقدية للبستانيّين لنرى مدى حظهم من هذا النشاط الأدبى ونشير أولا إلى أنّ مقدمة الإلياذة أثارت روحا نقدية، وطريقة فى البحث الأدبى كانت جديدة فى أوائل هذا القرن. ولا يخفى أن الإلياذة كانت أول أثر فى القرن العشرين جمع بين البحث الأدبى ومقارنة الآداب. وقد سار فيه صاحبه على أسلوب علمى خالص يستند إلى ذكر المصادر، ونقد الروايات والترجيح بينها، فلا يحكم إلا بعد تحفظ، ولا يقر أمرا إلا على أثر مناقشة واحتياط، حتى غدا أفضل ما يقلده الباحثون فى الأدب العصرى نقدا ودراسة وقد فعلوا. فلا عجب أن يقول الدكتور يعقوب صروف، وقد أحاط بجميع هذه الصفات الأدبية فى الكتاب المذكور: إن مقدمة الألياذة تنزل من الأبحاث الأدبية منزلة مقدمة ابن خلدون من الأبحاث التاريخية.

ونعرض خلال هذا الفصل لمجموعة مقالات للأساتذة اللغويين مثل عبد القادر المغربى والأستاذ انستاس الكرملى ناظرهما الأستاذ عبدالله البستانيّ فى قضايا لغوية وهؤلاء الأساتذة لكل منهم رائه فيها مستقلة ولكن نرى الأستاذ المغربى يعترف بفضل الأستاذ عبدالله البستانيّ يقول: "أيها الأستاذ المحترم: إنك بحمد الله أشهر من نار على علم. وإن أعضاء المجمع العلمى العربى أول من يعترف لك بالفضل والكفاية".

كما نعرض فيه لمقدمة الأستاذ كرم البستانيّ لحكايات لبنانية ونرى مدى خبرته فى مجال دراسة الحكايات عندما يتحدث عن تشابه الأساطير مع اختلافها فى البيئات والبلاد. ونعرض من ضمنه كذلك لسلسلة مدرسية ذهبية باسم الروائع للأستاذ فؤاد أفرام

البستاني وتعرف على مدى خبرته في مجال إعداد المواد الدراسية مع نقد التراث وانتقائه للجيل الناشئ.

ونعرض أيضاً لمؤلفات الأستاذ بطرس بن سليمان البستاني في سلسلة أدباء العرب وهو أول كتاب، من نوعه أسهب في نقد آثار الأدباء في تحليل ميزات العصور الأدبية والتاريخية وأول كتاب جعل الغزل من مواد التدريس، وتبسط في شرحه وتفصيله، فلم يسلم في بدء الأمر من عنت المتمزتين، ثم أصبح الغزل شيئاً مألوفاً في المدارس كغيره من أنواع الشعر. ولمعرب المهراتة الأستاذ وديع البستاني مقدمة بعنوان "دياجة المعرب" وفيها ملاحظات نقدية قيمة نفيسة وقد عرضناها في دراسة نقدية لها في : مساهمتهم في الترجمة والتعريب.

(١) أدباء العرب:

الكتاب أدباء العرب للأستاذ بطرس بن سليمان البستاني هو أول كتاب، من نوعه أسهب في نقد آثار الأدباء وفي تحليل ميزات العصور الأدبية والتاريخية وأول كتاب جعل الغزل من مواد التدريس، وتبسط في شرحه وتفصيله، فلم يسلم في بدء الأمر من عنت المتمزتين، ثم أصبح الغزل شيئاً مألوفاً في المدارس كغيره من أنواع الشعر.

وتحدث المؤلف في هذا الكتاب عن ميزة الشعر الجاهلي فقال : إن الأبواب الرئيسة المستقلة له الفخر، والحماسة، والمدح، والهجاء، والثناء وله أغراض إضافية ثانوية وغير مستقلة كالغزل والطبيعة والخمریات والحكم والمواعظ . (١) وتحدث عن معاني الشعر الجاهلي فقال: ومعاني الشعر الجاهلي لا تخلو من الغموض، ويعود ذلك على غرابة الألفاظ وما فيها من إيجاز وحذف أو على ما تتضمنه من تلميحات إلى حوادث تاريخية، أو إلى عقائدهم وعاداتهم مما لا تدرك مقاصده إلا بمعرفة حياتهم وأخبارهم . وأما الغموض الفني فقليل عندهم لمادية ألفاظهم، وبعدها من الرمز والتصوف، ثم لضعف روحانيتهم وضيق

خيالهم ودنو تصورهم وعنايتهم بسرد الاخبار وإظهار الحقائق المحسوسة، واعتمادهم على الأساليب الخطائية الواضحة والحكم والأمثال البديهية. (٢)

وتحدث عن ميزة النثر الجاهلى فقال إنه لا تعطينا صورة تامة عن النثر قبل الاسلام وأن خطب النبى ﷺ والخلفاء الراشدين وغيرهم من الصحابة ﷺ مثالا صادقا لنثر العربى الجاهلى ونص قوله فيما يلى:

”النثر فى الجاهلية موسيقى كالشعر، تتخلله أحيانا جمل موزونة مسجعة يأتى بها البدوى دون تكلف وأكثر الجمل قصيرة موجزة، فيها قوة وبلاغة تعبير. ويمكننا أن نجد أمثلة للنثر الجاهلى فى بعض ما وصل إلينا من الخطب والأمثال، ولكن هذه الأمثلة، على قلتها، لا تكفى وحدها لابتداء رأى صحيح فى هذا الفن الأدبى.....

وقد يكون الشاعر خطيبا، والخطيب شاعرا ولكن تغلب عليه إحدى الصفتين فيسمى بها. وغالبا يكون خطيب القبيلة شيخها أو أميرها، وقد يكون قاضيها وقائدها معا..... وكانت موضوعات الخطب محصورة فى أغراض محدودة:

- ١- المواعظ الدينية
- ٢- المفاخرة والمنافرة
- ٣- التحريض على الأخذ بالثأر
- ٤- الحض على الصلح بعد الحرب
- ٥- الوصايا والنصائح

وجميع هذه الموضوعات تناسب الحياة البدوية، وما فى القبائل من اختلاف وانفصال واستقلال.....”على أنه لو أتيت لنا معرفة الأمثال جاهليها وإسلاميها، لما أعطتنا صورة تامة عن النثر قبل الإسلام، لأنها جمل مقتضبة لا تنشئ فى ذاتها أدبا صحيحا نستطيع التعويل عليه. وإذا كان لا بد لنا من درس النثر الجاهلى على حقيقته فلا ينبغي أن نلتزمه فى

الجاهلية استنادا إلى خطبهم وأمثالهم، بل في صدر الإسلام استنادا إلى خطب النبي والخلفاء الراشدين والأمراء وغيرهم من الصحابة، فإن فيها مثالا صادقا للنثر العربي في جاهلية أصحابه". (٣)

إن المؤلف لا يرى فرقا بين الشعر الجاهلي والشعر المخضرم . فالشعر المخضرم جاهلي في أصله كما يراه وخاصة في خصائص الإيجاز وقوة التعبير وطريقة النظم، وتعدد الموضوعات، وبراعة الوصف إلى غير ذلك ولكن فيه خصائص جديدة فقد تطورت لغة الشعراء في الإسلام وبدت رقة في ألفاظهم ووضوح في معانيهم .

ويمتاز الشعر المخضرم بتلك النفحة الدينية التي نفحه بها الإسلام بعد ظهوره، فلا ترى فيه يأسا من الحياة وتبرما بمصيرها شأن الشعر الجاهلي، بل تلمس به ارتياحا شديدا إلى نعيم الآخرة، إلى الجنة التي وعد بها القرآن للمتقين . واكتسب الشعر المخضرم خصوصاً، واللغة عموماً، تعابير جديدة من القرآن، وألفاظاً لم تكن مألوفاً من قبل كالجنة والنار، والكفر والإيمان، والصلاة والزكاة، والركوع والوضوء الخ..... وهذه الألفاظ كانت معروفة في الجاهلية ولكنها، في أكثرها، لم تكن تدل على معانيها المستحدثة في الإسلام واكتسب الشعر أيضاً نوعاً جديداً وهو الهجاء السياسي، هجاء مرمقذع أليم، كان بين شعراء النبي ﷺ وشعراء قريش والأحزاب. (٤)

وخلاصة القول أن العشراء الإسلاميين قد ورثوا من شعراء الجاهلية الإيجاز، وقوة التعبير، وبداهة الفكر، ومتانة السبك، ثم تثقفوا بالقرآن فظهرت آثاره في تعابيرهم وأفكارهم . وإن الغزل من الفنون التي كانت ضعيفة في الجاهلية فتقويت في الإسلام، ذلك بأن الشاعر الجاهلي قلما قصر كلمته على فن واحد فهو في شعره كثير التنقل، متعدد الأغراض وكان له من الغزوات والمفاخرات ما يمنعه من الانصراف إلى التشبيب بالنساء .

أما في الإسلام فتطورت الحياة بتأثير القرآن، واختلاط العرب بالشعوب الأعجمية من

روم وفرس، فرقت الأمزجة والأذواق، قوى الإحساس فى النفوس .

فلم يبق الغزل غرضاً تابعاً لغيره من الأغراض الشعرية، أو واسطة يستهل بها الشاعر قصيدته للوصول إلى غايته، بل صار فناً مستقلاً بنفسه، له اتباع تحضصوا به ووقفوا عليه شعرهم. (٥)

ينقسم الغزل فى جزيرة العرب إلى نوعين بدوى و حضرى، ولكن هؤلاء المتيمنين ليس لهم خصائص متميزة فى أشعارهم، فقد تغزلوا كلهم بأسلوب واحد، وتواطأوا على المعانى والألفاظ فى بث لواعجهم ووصف خليلاتهم، واختلطت أقوالهم بعضها ببعض، فأصبح يضاف إلى جميل ما يضاف إلى قيس بن ذريح، ويضاف إلى المجنون ما يضاف إليهما . وأما الغزل الحضرى فقد غلب عليه الرخاء والترف، والعبث والتهتك . فصور شعراءه حياتهم الناعمة أدق تصوير وتفننوا فى أساليبهم فأبدعوا، ولا سيما أسلوب الغزل القصصى . وكانت مواطنهم مكة والمدينة . وفيهما القرشيون والأنصار. (٦)

وتحدث المؤلف عن النثر فى الإسلام فاعترف بفضل القرآن على لغة العربية وقال "للقرآن فضل عظيم على اللغة العربية، فهو الذى هذب عبارتها، ووحّد لهجاتها ونشرها شرقاً وغرباً بانتشار الدين الإسلامى . وسحر الناس ببيانه فحفظوه . وأثر فيهم أسلوبه، فرقت ألفاظهم، ولطفت معانيهم وظهر هذا التأثير فى الشعر والنثر معا ولا سيما الانشاء الخطابى . ومن فضله على اللغة أن علم النحو وضع خدمة له وإشفاقاً من اللحن فى قراءته، وأن علم المعانى وضع توصلاً لمعرفة أسرارها، وأن أشعار العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام جمعت ليستعان بها على تفسير آياته .

ولولا القرآن لتلاشت العربية بغارات التتر والأتراك، بعد ما أديل من سلطان بنى العباس . ولكنه وقف فى وجه الفاتحين والمكتسحين، يدافع عن لغته الفصحى، فلم يجرؤوا أن يتعرضوا لها بسوء بعد أن أسلموا فظلت لغة الدين والدواوين والمراسلات . ولم يؤثر فيها

انتشار اللهجات العامية، وطمطممانية الأعاجم . فاللغة، كما ترى، مدينة بآدابها وحياتها للقرآن“. (٧)

وتحدث عن تطور الخطابة والكتابة فى العهد الإسلامى فقال إن رسائل عبد الحميد الكاتب تصطبغ بصبغة دينية ظاهرة لِمالقرآن من تأثير فى نفوس المسلمين، وقال ان صديقه ابن مقفع لم يحسن إسلامه وان الإسلام أبلغ أثرا فى رسائل عبد الحميد الكاتب من كتابات ابن المقفع بعد إسلامه. نص قوله فيما يلى :

”إنما نعلم ان عبد الحميد الكاتب صديق حميم لابن المقفع، ولم يكن هذا الفارسى على شئ من الإسلام، بل كان مجوسيا على دين آبائه وأجداده، وأسلم فى بنى العباس إرضاء للأمرء الذين حظى عندهم، وظل مع ذلك، متهما بعقيدته . فهل جمعت الصداقة بين المؤمن والكافرون أن تتفاعل العاطفة الدينية فى قلبيهما معا، فيجتمع على كفر أو على إيمان، كما اجتمع على المودة والوفاء؟ أو لم يكن يجرى بينهما ما يجرى عادة بين صديقين مثقفين، يميلان إلى الحياة العقلية، من مجادلات فلسفية تقودهما إلى البحث فى العقائد والأديان وكلاهما مرتاض بالآداب الفارسية والحكمة اليونانية، فيحاول أن يؤثر فى صاحبه ويقنعه ويجتذبه إلى رأيه ومذهبه ؟

لا نستطيع أن نقطع فى الجواب عن هذين السؤالين، وإن كنا نعلم أن ابن المقفع لم يجحد مجوسيته فى بنى أمية، وأن عبد الحميد لم يغمز فى عقيدته الإسلامية، مع تأثير الفكر الأعجمى فيه، حتى أنه ما كان يستشهد بشعر ولا مثل عربى، شأنه، فى ذلك، شأن ابن المقفع، وإنما يؤثر مثله الأمثال التى تذكرنا بالحكمة الفارسية الهندية، مثل قوله فى رسالة الكتاب: ”وقد علمتهم أن سائس البهيمة، إذا كان بصيرا بسياستها، التمس معرفة أخلاقها . فإن كانت جموحا لم يهجمها إذا ركبها . وإن كانت شبوبا اتقاها من قبل يديها . وإن خاف منها شرودا توقاها من ناحية رأسها . وإن كانت حرونا قمع برفق هواها فى طرقها . فإن استمرت عطفها

يسيرا فيسلس له قيادها . وفى هذا الوصف من السياسة دليل لمن ساس الناس وعاملهم
وخدمهم وداخلهم .“ (٨)

فكل مانستطيع أن نقوله هو أن الإسلام أبلغ أثرا فى كتاباته منه فى كتابات ابن المقفع
بعد إسلامه، فإن صح فيه أن الإنشاء صورة لصاحبه فخلق به أن يكون مسلما راسخ الإيمان .
وتكلم المؤلف عن ميزة الشعر العباسى الأول فقال: إن فى العصر العباسى بنيت بغداد
وجعلت عاصمة الخلافة، وامتألت خزائن الدولة بما أفاء الله على المسلمين من أموال الفرس
والروم، فانهل من فيضها على الناس، فوفرت لهم أسباب الرزق، فانبسطت حياتهم فأنفروا
وأمعنوا فى الترف . والشعر مرآة النفس، فإذا كانت النفس قاسية خشنة خرجت الألفاظ
وحشية صلبة . وإذا كانت لطيفة ناعمة خرجت الألفاظ سهلة لينة . (٩)

وبسبب اختلاط العرب بالأعاجم وسيادة النفوذ الفارسى تولدت طبقة الشعراء
الموالى وكانوا يكرهون العرب، فأنفوا أن يتشبهوا بهم، ويقلدوهم أساليبهم، وكان لهم من
حضارتهم ومن عنصرهم العجمى ما يعدهم من وحشى اللفظ وبدوى المعنى . فكان لهم
الفضل فى تجدد الألفاظ، وفى تجدد المعانى .

فأما التجدد اللفظى فلم يقتصر على تسهيل الألفاظ وتليينها، بل تعداهما إلى تزيينها
وتنميقها . ودخل على لغة الشعر ألفاظ غريبة دعت إليها الحاجة، كالألفاظ العلمية والفلسفية
وغيرها مما يدل على أشياء حديثة العهد عند العرب . ودخل عليها أيضا ألفاظ استعيرت من
صلب اللغة لمعان مستحدثة خلقتها الحضارة الجديدة وأما أوزان الشعر وقوافيه فلم تجدد
تجدا يذكر . ولكن الشعراء أخذوا يعنون بالنظم على الأوزان الرشيقة التى تصلح للغناء .
وأكثر ما كانوا يصطنعونها فى الغزل والمجون والخمريات . (١٠)

وأما التجدد المعنوى فأخذ الشعراء يتعدون عن المواضيع الجاهلية إلى معانٍ طريفة
يستمدونها من روح العصر ومشاهد البيئة . وقد تصرفوا فى هذه المعانى تصرفا لم يبلغه

المتقدمون وأبدعوا في التوليد والاختراع . واتسع عليهم باب الخيال لاتساع سبل اللّهُو،
ووسائل العمران . فمن قصور شواهق، وحدائق نواضر، إلى نهور دوافق، وسفائن مواخر
فأصبحوا إذا عمدوا إلى التشبيه استمدوا أكثره من البساتين والحلى والرياش والطيوب . فذاع
عندهم تشبيه الخد بالتفاح والورد والياسمين - والبنان بالعناب . والعيون بالنرجس . والخمر
بالياقوت والذهب . والكأس باللؤلؤ . وقوس السحاب بأذيال مصبغة . والهلال بين الغيوم
بزورق من فضة عليه حمولة من عنبر . وغير ذلك من ألوان الحضارة الجديدة .

ولاريب في أن نقل الفلسفة والمنطق كان أثره بليغا في تثقيف أفكار الشعراء وتنسيق

خيالاتهم . (١١)

وتحدث المؤلف عن ميزة نشر العباسي الأول فقال: "لم يكن أثر امتزاج العرب
بالأعاجم مقصورا على لغة الشعر وحدها، بل تعداها إلى لغة النثر، فجدد في ألفاظها ومعانيها،
ونوع في فنونها وأغراضها، وذلّل أوضاعها لمباحث ليس لها عهد بها . فبلغ الإنشاء العربي
أرقى درجات الفن والبلاغة، وامتاز في سهولة العبارة ووضوح المعنى، وحسن تخير الألفاظ
وتزيينها . وذاع التسجيع القصير الفقرات، فتكلفه المترسلون تكلفا، وقصدوا إليه قصدا،
ولكنهم لم يلتزموه التزاما، ولا أنزلوه منزل السخف والاسفاف.....

ولما قامت الدولة العباسية، وقامت معها الحضارة الجديدة، وانتشرت الكتابة والقرأة،
وارتقى المستوى العقلي في المسلمين، تنوعت أساليب الإنشاء بتنوع العلوم والفنون .
فتعددت اغراض الرسائل وطرائقها، وظهرت الكتب المصنفة على مباحث شتى من علم
وأدب . ولكن الخطابة استولى عليها الضعف شيئا فشيئا، وما زالت تتضاءل حتى تلاشت في
أواسط العصر الثاني . (١٢)

وكان عبد الحميد بن يحيى أول من وضع للرسائل أصولها، وميز فصولها، وأطنب في
بعض شؤونها وأسهب، وأجمل في بعضها الآخر وأوجز . وأطال التحميدات في صدور

وجعل لها استهلالات يفتتحها بها، وذيلولا يختتمها بها. فترسم الكتاب خطاه، اقتفروا معالمه. حتى إذا اطمأن الملك في بني العباس، وأنشئت له الدواوين ووضعت له الأنظمة، تعددت أغراض الرسائل بتعدد الأعمال. وقامت معها الإخوانيات على أنواع مختلفة، فمن عتاب وشكوى، إلى تهنئة وشكر، إلى تعزية ورتاء، إلى استغاثة واستعطاف، إلى ذم ووعيد. فافتن المترسلون فيها وأبدعوا. والمترسلون كثير عددهم، منهم الملوك والأمراء والوزراء والمتصلون بهم. فمن الملوك المنصور والمأمون وإبراهيم بن المهدي. ومن الأمراء طاهر بن الحسين وأبودلف. ومن الوزراء يحيى البرمكي وإبنة جعفر، وذو الرئاستين الفضل بن سهل، وأحمد بن يوسف وعمر بن مسعدة وابن الزيات. ومن المتصلين بالأمراء عبدالله بن المقفع. إن هذا العصر، لاجرم يعتبر مثلاً للنشاط الفكري، فقد عم فيه التدوين والتأليف والجمع والنقل، فتكاثر الكتب المصنفة، واختلفت أساليبها باختلاف موضوعاتها. وكان إنشاء الكتب الأدبية على الإجمال بليغافنيا، واضحا طليا. وكان إنشاء الكتب العلمية والفلسفية معقدا لا يخلو من ضعف، جافا لا يخلو من غموض. والمصنفون كثير عددهم في هذا العصر منهم ابن المقفع وسهل بن هرون والجاحظ“ (١٣)

تحدث المؤلف عن ميزة الشعر والنثر في العصر العباسي الثاني فقال: ”إن الذين وضعوا نظام البكالوريا اللبنانية حاولوا أن يجدوا فرقا بين العصر العباسي الأول والثاني فاختلفت عليهم الأمر، فتكلفوا للعصر الثاني خصائص تكاد لا تختلف عن خصائص العصر الأول فجعلوا ميزة الشعر: ”المدح والهجاء والوصف.“ فيقول المؤلف ان هذه الأنواع قد اشترك فيها العصران فلم يختلف فيها أحدهما عن الآخر. وليس في زعمهم أن في العصر الأول شعر القصور أو الشعر المترف، ما يدعو إلى تمييز العصر الفارسي من العصر التركي. ففى شعر ابن المعتز والبحترى وابن الرومي من الترف ومدح أصحاب القصور مافى شعر بشار وأبي نواس وأبي تمام. ولكن عند المؤلف ليس فرقا بين هذين العصرين في الشعر والنثر فيقول: ”فالعصران عصر

واحد فى الأدب شعره ونثره وان فصلتهما السياسة

”لذلك بقيت ميزة الشعر على حالها ولم يتغير شئ من تلك الحضارة الجديدة التى زفها الفرس والروم إلى العرب

وليس فى ميزة النثر ما يدعو إلى فصل هذا العصر عن الأول فأسلوب الرسائل بقى على حاله لم يتبدل فيه شئ إلا ما كان من ازدياد التزيين والسجع“ . (١٤)

تحدث المؤلف عن ميزة الشعر فى العصر العباسى الثالث فقال: ”إن الشعر قد اصطبغ بألوان جديدة مازته بخصائصها وانبعث فيه فنون كادت تضمحل وتنسى، واستقلت أبواب كانت تابعة لغيرها . فأما ما استجد به فالشعر الفلسفى والصوفى وأما ما انبعث حيا فالفخر والحماسة . وأما ما استقل فالدهريات والزهريات والإخوانيات والهزليات .

وكان من تعدد حواضر الشعر أن ظهر شعراء فى الأمصار العجمية حيث الرطانة غالبية، والبلاغة مهزومة، فجاء شعرهم ضعيف البيان منحدرًا إلى الركافة، وسرى هذا الداء إلى العراق لغلبة العناصر الفارسية والتركية على أهله إلا بغداد قرارة العلم، وكعبة رجاله، ومحط رحال الأعراب، فإن شعراءها احتفظوا ببلاغتهم، وحسن بيانهم، فنبغ فيهم أمثال الشريف الرضى، ومهيار الديلمى، وابن نباتة السعدى والسلامى وغيرهم.

وأما الشام فإن شعراءها بقيت لهم ملكة البلاغة، فضربوا بسهم وافر منها . ويرجع ذلك إلى إعراقهم فى العروبة، وقربهم من البادية، وقلة اختلاطهم بالأعاجم، فامتاز شعرهم فى الجزالة والرصانة ولم يخلص من الغريب، كما فى شعر المتنبى والنامى وأبى فراس وأبى العلاء.

وأما مصر فلم تكن قدما موطنًا للشعر، ولا مزارًا لأهل البادية، فما نبغ فيها شاعر يذكر ولا رنت فى أرجائها قافية شروء إلا لشاعر غريب يقصدها كما قصد إليها أبونواس والمتنبى . فلما قامت الدولة الفاطمية، وتعهدت الشعر برعايتها، أقبل الشعراء على مصر . والشعر المصرى يميل إلى الصنعة اللفظية، لين التركيب لم يدعم بلغة متينة خالصة العروبة كلغة أهل

الشام، فانحدر أحيانا بأصحابه إلى الضعف. وإذا تمادى اللين لا يسلم من الاسفاف". (١٥)

وتكلم المؤلف عن ميزة النثر في العصر العباسي الثالث فقال: وإن تبدل النثر ميزة جديدة ظهرت في إنشاء المترسلين ووضعت لها القواعد والأصول، وأقيمت لأهداف والحدود، فكان منها أسلوب واضح المعالم، يعتمد على الصناعة والتنميق والترسل منذ نشوئه قائم على الصنعة والتزيين لأنه وليد المواطن الارستوقراطية المترفة. فقد كان أصحابه الأوائل، إما وزراء وأمراء، وإما متقربين إلى الوزراء والأمراء، ومعظمهم من الموالى المستبحرين في الحضارة.

وفي رأى المؤلف أن الأحوال السياسية والاجتماعية في هذا العصر جعلت الترسل في أيدى الأعاجم يتعهدونه بأذواقهم حتى يبلغوا به أقصى حدود الفن والصناعة. وأتاحت له كاتبين بارعين هما ابن العميد وزير ركن الدولة، والصاحب بن عباد وزير مؤيد الدولة ففخر الدولة عبدا طريق الترسل بما لهما من واسع السلطان، وبراعة الإنشاء، فارتفع شأن الترسل بهما، وتعشقه الكتاب، وجلهم عجم متقربون إلى الحضرة، فاحتذوا مثالهما، وساروا بالأسلوب الجديد إلى أعلى درجاته ونبع فيهم أمثال أبى بكر الخوارزمي وأبى اسحق الصابى، وبديع الزمان الهمداني، وأبى منصور الثعالبي وسواهم. (١٦)

وتحدث المؤلف عن الأسباب التي جعلت اللغة الشعرية في العصر العباسي الرابع تميل إلى اللين فقال: إن لغة الشعر مالت إلى اللين لأسباب: منها أن امتداد سلطان انفاطمين إلى سورية جعل شعراء الشام يتأثرون بلغة المصريين، ويحتذون أسلوب شعرائهم. ومنها أن تسلط الأمم الأعجمية على الأمة العربية وذوبانها فيهم على اختلاف أجناسهم وألوانهم، أثر في اللغة الفصحى أسوأ الأثر، فغلبت اللهجات العامية، والألفاظ الدخيلة المسترذلة، وفشا الفساد في لغة البادية، وعم اللحن.

قد اشتهر من الشعراء في العصر العباسي الرابع عدد غير قليل فمنهم في مصر ابن سناء

الملك، وابن النبيه، وعمر بن الفارض، وابن مطروح، وبهاء الدين زهير . ومنهم فى الشام ابن الخياط الدمشقى، وابن منبىر الطرابلسى وابن حيوس . ومنهم فى العراق الطغرائى والحاجرى . ومنهم فى فارس صردر، والارجانى، وابن الهبارية، والابوردى . وفى هذا العصر دخلت الموشحات الأندلسية إلى الشرق واحتذاها شعراؤه . (١٧)

تحدث المؤلف عن ميزة النثر فى العصر العباسى الرابع فقال: "ان كتاب هذا العصر أسرفوا فى تنميق العبارة، وطلب المحسنات البديعية، والتزام السجع، وعلى الأخص بعد ظهور الطريقة الفاضلية فى مصر، فإن صاحبها القاضى الفاضل عنى بأنواع البديع عناية عظيمة، وألح على التورية والجناس، فأطال جملة وباعد بين فواصلها المسجعة، حتى تتم له القرائن والمرشحات لبيان التورية والجناس، فوقع فى الغموض، وتعقد إنشاءه، وقل مأؤه، وكثر غثاؤه . ووافق ظهور طريقته جمودا فى الأفكار، وعجزا عن الاستنباط لتوالى الحروب والمصائب، فأقبل الكتاب يضربون على غرارها يلوكون بعضهم أقوال بعض . فأصبح الإنشاء ولاسيما آخر العصر، عبارات مرصوفة، ومرادفات مصفوفة، وضعفت لغته، وانبث فيه الكلمات العامية، فتلقفه زمن الانحطاط بهشاشة وارتياح . وظهر الحريرى فى أوائل العصر، فتحدى بديع الزمان فى مقاماته، فوسع نطاق هذا الفن وأتم صناعته اللفظية .

وعند المؤلف لم تتغير ميزة الشعر والنثر فى هذا العصر فيقول عن الشعر: "لم تبدل أغراض الشعر وفنونه فتجعل له ميزة جديدة..... ويقول عن ميزة النثر "بقيت ميزة النثر على حالها . لم يتغير فيها شئ فيجعل لها صبغة خاصة تفردها". (١٨)

تحدث المؤلف عن ميزة الشعر الأندلسى فقال: "تغيرت أحوال شعراء الأندلسيين فكرة وحضارة بعد سراية حب الجديد فى نفوسهم مثل أهل الشرق لأن الجيل الذى نشأ فى أوربة لم يكن عربيا خالصا فيستمسك بالقديم استمسك العرب الصرحاء الذين اقتحموا الجزيرة فى عهد الفتح، وإنما كان مزيجا من عناصر مختلفة اختلطت بالتزواج والسكنى،

فيها العربي والبربري، وفيها القوطي والرومي، وفيها اليهودي واللاتيني . فكان له عقلية غير عقلية الجيل البدوي وتفكير غير تفكيره، وحضارة غير حضارته، فسلك شعراء الأندلس مسلك شعراء بنى العباس لتشابه الحياة بالترف والنعمة، ولتشابه البلاد بالخصب وال عمران . فوصفوا بيئتهم وأحوالهم، وتهتكوا وبالغوا في التهتك ، وأباحوا لأنفسهم من المحرمات ما أباح شعراء الشرق ورغبوا مثلهم في الأغراض الجديدة، والمعاني الحضرية عن الأغراض والمعاني القديمة، وأبدلوا من الأسلوب البدوي أسلوبا حضريا صرفا . ونفروا من الألفاظ الغريبة الوحشية إلى الألفاظ المانوسة الرقيقة ، ولولا الدين واللغة وبقية من دم العرب في عروقهم، لأنكروا قديمهم أيما إنكار“.

وعند المؤلف في الشعر الأندلسي المعاني الدقيقة ومحكمة البناء مثل لم تكن الشعر العباسي فيقول: ”والشعر الأندلسي فيه رقة وجمال، وفيه خيال لطيف وصور براق ملونة، ولكن ليس فيه من المعاني الدقيقة ما في الشعر العباسي، لأن أصحابه عنوا بتزيين ألفاظه، وتوشية أوصافه، والتنوق في قوالبه، أكثر من عنايتهم بتصيد معانيه، والغوص عليها في قراراتها البعيدة، فكأنهم أرادوا أن يتغنوا، فنظموه صالحا للغناء . وشئ آخر جعل الشعر الأندلسي دون الشعر العباسي في دقة المعنى وهو ان الأندلسيين لم تتسع صدورهم لاقتبال الفلسفة والمنطق كما اتسعت صدور المشارقة، فلم يتثقف بهما شعراؤهم تثقف شعراء بنى العباس . وغير خفي ما للفلسفة والمنطق من أثر في توليد المعاني، وتوسيع الخيال، وحسن توجيهه وترتيبه. وليست لغة الأندلسيين محكمة البناء كلغة المشارقة، وذلك لبعد صقعهم عن البادية، ووجودهم في بيئة خالصة العجمة من الشمال إلى الجنوب . ثم إن الجيل الذي نشأ هناك لم يكن عربيا صافيا وقد كان فيه جماعة استعربوا ونظموا الشعر وهم فرنجة خلص“ . (١٩)

وإن العرب استنبطوا الموشحات من أجل الغناء، هو أنهم كانوا يراعون فيها التلحين مطلقا وإن أفضى إلى إفساد التعبير، قال ابن سناء الملك: ”والموشحات تنقسم من جهة أخرى

إلى قسمين: قسم مستقل التلحين به ولا يفتقر إلى ما يعينه عليه، وهذا أكثرها. وقسم لا يحتمل التلحين، لا يمشى إلا بأن يتوكأ على لفظة لا معنى لها تكون دعامة للتلحين وعكازا للمعنى كقول ابن بقي.

من طالب ثأر قتلى . ظبيات الخدوج . فنانات الحجيح فان التلحين لا يستقيم إلا بأن يقول : لا لابن الجيمين من هذا القفل“.

أما أغاني الجنكلز فليس بين أيدينا شئ منها فنقابله بالموشحات . وإنما نعتمد على أناشيد التروبا دور التي ظهرت بجنوب فرنسة فى القرن العاشر . وكان أصحابها يقصدون القصور، ودور الملوك ومواسم الأعياد يتغنون بها، أو يغنى لهم فيها جماعة الجنكلز وهى تناول أغراضا شتى كالغزل ووصف الطبيعة، والمدح والهجاء والقصص . وأغراض الموشحات يقوم معظمها على الغزل والطبيعة والمدح . وأناشيد التروبادور عنائية منسجمة الألفاظ، حسنة التوقيع، غير أنها ضعيفة الميزة الأدبية فى معانيها الهزيلة، وأغراضها المكرورة. ولها أسماط وأجزاء لا تتوافق أوزانها أحيانا، ولا تلتزم فيها القافية كما تلتزم فى الشعر، وإنما تلتزم فى كل ثلاثة أجزاء أو سنة، وفى نهاية كل سمط، ويراعى فى التزامها الوزن الذى وردت فيه أولا. فهى من هذا القبيل أشبه شئ بالموشحات .

ونهضت أناشيد التروبادور فى القرن الحادى عشر وهو الزمن الذى نهضت فيه الموشحات، ولكن لم يصل إلينا منها إلا منذ منتصف القرن الثانى عشر، فى حين أنه وصلت إلينا موشحات منذ القرن الحادى عشر . فاتفاق منظومات التروبادور والموشحات فى أكثر النواحي يحملنا على الاعتقاد أن العرب تأثروا بالأدب الأسباني الفرنسى، كما تأثر الأسبانيون والفرنسيون بالأدب العربى . فأخذ العرب فكرة التحرر من نظام الأوزان فى أغانيهم، وأخذ أولئك القافية والصور الخيالية الجميلة .

فالموشحات إذا ليست بعربية بحتة، إنما هى مستعربة (Mozarabes) كأهل

الأندلس، وما فى الأندلس من فنون وعادات وأزياء . وكانوا فى بدء نشأتها يحلون بها بالألفاظ الأعجمية كما ذكر ابن بسام فى الذخيرة. (٢٠)

كان لظهور الموشحات أثر بليغ فى الشعر والشعراء، لأن اعتمادها على الغناء جعلها تطير على أفواه المغنين، ويتلقفها الناس من كل صوب، ويحفظونها ويتناقلونها، حتى غلبت على الشعر واحتلت مكانه، وأصبح الملوك يأنسون بها فى مدائحهم، ويطربون إلى سماعها، ويجيزون عليها كما يجيزون على القصائد.

على أن هذا الفن، مع جماله ورشاقته، كان له أثر سيئ فى الأدب، إذ قاده إلى الانحطاط، قال ابن خلدون: "ولما شاع فن التوشيح فى أهل الأندلس، وأخذ به الجمهور لسلاسته وتنميق كلامه، وترصيع أجزائه، نسجت العامة من أهل الأمصار على منواله، ونظموا فى طريقته بلغتهم الحضرية من غير أن يلتزموا فيه إعراباً، واستحدثوه فنا سموه بالزجل، والتزموا النظم فيه على مناحيهم إلى هذا العهد".

فإقبال العامة على هذا الفن لسهولة وحسن مواتاته، انحدر بالشعر إلى العامة، فصار إلى ساقط القول . فرجعت الموشحات إلى أصلها، غير أن الشعراء المحدثين من أهل زماننا، عادوا بها إلى الفصحى، ورفعوا منزلتها، واعتمدوا عليها فى منظوماتهم الطويلة . كما فعل سليمان البستاني فى إلياذة هو ميروس، وأحمد شوفى فى قصصه التمثيلية.

والموشح إذا روعيت فيه الفصاحة والأوزان الشعرية شائق فنان للطفه وحسن مساعه، فهو شعر الحب والطبيعة والجمال والفن، أو شعر القصائد الطويلة التى لا يضيق عليها الخناق وزن واحد وقافية واحدة . وهو فتح مبين فى الأدب العربى، يعود الفضل فيه إلى الأندلس وأهل الأندلس. (٢١)

وتكلم المؤلف عن ميزة النثر الأندلسى فقال: "تأثر أهل الأندلس المشرقين فى النثر، كما تأثروهم فى الشعر، فترسموا خططهم فى أساليب الإنشاء، وألوان التعبير، وجاروهم فى

نظام الدواوين، واستيزار الكتاب والشعراء، وتعددت أغراضهم وفنونهم، تعددها عند أولئك .
فمنها الترسل على ضروبه . ومنها إنشاء الكتب المصنفة في العلم والأدب . ومنها الإنشاء
الخطابي، وهو أضعف الفنون لضعف الفصاحة الفطرية عندهم .

وارتفع شأن الترسل في الأندلس، كما ارتفع في الشرق، لأن الذين تعهدوه كانوا
إما وزراء، وإما مقربين إلى ولاية الأمور . فعززوا هذا الفن، ونشروا الواءه . ثم صار الترسل إلى
تكلف السجع والتزيين، وتقليب الجمل على المعنى الواحد، والإكثار من الأدعية والأمثال،
والشواهد الشعرية، كما في رسائل ابن برد الأصغر، وابن عبدون، وابن خفاجة، وابن الحداد
وهو أشبه بترسل العباسيين في العصر الثالث والرابع“ . (٢٢)

وقام التصنيف إلى جانب الترسل، فلم يترك الأندلسيون علما أو فنا ظهر في الشرق إلا
وقد بحثوا فيه، ونالوا قسطا منه، قل أو أكثر، وكان لرحلاتهم إلى الشرق ورحلات المشرقيين
إليهم، وتنافس ملوكهم في تعزيز العلوم، واستقدام العلماء واستنساخ الكتب، وإنشاء المدارس
والمكاتب، أثر كبير في بث النهضة العلمية بصقع الأندلس .

وتباينت درجات انشائهم بتباين أغراض مصنفاتهم، وكانت الأدبية أرقاها لغة،
وأصفاها فنا . ولم يسلم بعضها من صناعة التزيين والتزام السجع كالذخيرة لابن بسام، قلائد
العقيان للفتح بن خاقان .

وكثر المشتغلون باللغة من الأندلسيين والمشرقيين الذين هاجروا إلى الأندلس، فتركوا
طائفة نفيسة من المعاجم والشروح اللغوية، واشتهر منهم أبو علي القالي، وأبوبكر الزبيدي،
والأعلم الشنتمري، وابن خروف . (٢٣)

ورحلت العلوم الدخيلة من الشرق إلى الغرب، فتلقاها الأندلسيون إما من علماء المشاركة
وإما من كتبهم، فكانت لهم ثم للأوربيين من بعدهم نورا وهدى . فلما تنقفوا بها، واختمرت في
صدرهم، وامتزجت بأفكارهم، تصدروا للتصنيف فيها، حتى فاقوا المشرقيين في بعضها .

فمنها العلوم الطبيعية كالطب والصيدلة، فقد اشتهر فيهما طائفة جليلة كأبي القاسم الزهراوى، وأبى مروان عبدالملك بن محمد بن زهر الأيادى، وأبى العلاء زهر بن عبدالملك، وأبى مروان عبدالملك بن زهر، وأبى بكر محمد بن عبدالملك، أبى محمد عبدالله، وإبن باجه، وإبن طفيل، وإبن رشد وإبن البيطار.

ومنها العلوم الرياضية، فقد نبغ طائفة كبيرة فى علم الحساب والهندسة والنجوم والموسيقى . فمنهم أبو عبيدة مسلم بن أحمد، وأبو القاسم أصبغ بن السمع، وأبو القاسم بن الصفار، وأبو الحكم عمر الكرماني، الفيلسوف إبن رشد وعبيد الله وعبدالرحمن وقاسم، وحمدونة . ومنها الفلسفة والمنطق . فقد تلقاهما الأندلسيون من كتب المشرقيين المنقولة والمصنفة، فانصرف إلى دراستهما جماعة من المفكرين مستهدفين لنقمة الفقهاء والعامّة . فمنهم المستنصر بالله الحكم بن عبدالرحمن، ومحمد بن أبى عامر الحاجب المنصور، وإبن باجه، وإبن طفيل، وإبن يقظان، وإبن رشد، وإبن حزم . ومنها السياسة والاجتماع، وأشهر من صنف فيهما إبن حزم، وإبن أبى رندقة الطرطوشى .

ومنها التاريخ والجغرافية، فقد كان لهما حظ وافى فى الأندلس، وأشهر المورخين إبن القوطية، وإبن الفرضى، المظفر بن الأفتس، وأبو القاسم صاعد، وإبن حبان والفتح بن خاقان، وإبن بسام، وإبن بشكوال، وإبن الأبار القضاعى، ولسان الدين بن الخطيب . وأشهر الجغرافيين أبو عبيد البكرى، وإبن جبير .

وكان للأندلسيين قسط وافى فى الأدب، نال منه خاصتهم وعامتهم، نساؤهم وصبيانهم . واستهواهم الشعر الجاهلى، فحفظوه ورووه، واستفادوا من بلاغته . وانصرف منهم طائفة إلى تصنيف المجاميع الأدبية، كابن عبدربه صاحب العقد، ومنهم من جمع آداب أهل الأندلس دون سواهم كابن بسام والفتح بن خاقان، وإبن بشكوال .

ورأى المؤلف أن النقد فى الأندلس لم يرتفع له شأن الا عند أبى عامر بن شهيد، حتى أنه فاق نقد المشرقيين فى بعض نواحيه . لأن أبا عامر سلك طريقا فى كتابه التوابع والزوابع لم يسلكه واحد منهم، فكان ينظر فى نقده إلى نفس الأديب، وأعضاء جسده .

وقد استحسن المؤلف التوابع والزوابع إلى حد كبير وقال إن الأحكام النقدية التى أصدر ابن شهيد فى هذا الكتاب خطوات مباركة دون شك خطاها فى مهيع النقد الحديث . وقال عن هذا الكتاب: والتوابع والزوابع تحفة من تحف الأدب، (التوابع الجن الذين يتبعون الإنس، واحدها تابع وتابعة، الزوابع: جمع زوبعة وهى اسم لشيطان، أو رئيس الجن) لم يبق منه إلا فصول أوردها ابن بسام فى الذخيرة، وهو قصص أدبية خيالية يجتمع فيها ابن شهيد بالأدباء، وينتقدهم ويعارضهم فى منظومهم ومنثورهم . ويكون ذلك بأن يطير إلى أرض التوابع والزوابع مع جنى يقال له زهير ابن نمير، يركبه على أدهمه، ويزيره شياطين الشعراء والكتاب، فتجرى بينه وبينهم مساجلات ومناظرات، فمنهم من يحلهم ويعترف بفضلهم شأنه مع عيينة بن نوفل صاحب إمري القيس، فانه تهيب الإنشاد فى حضرته، وهم بالحیصة . وشأنه مع حسن الدنان شيطان أبى نواس، فقد أدركته منه الهيبة، وأخذ فى إجلاله لمكانه من العلم والشعر . ومنهم من يخزيهم ويخذلهم كما جرى له مع أبى الطبع طوق ابن مالك تابع البحتري، فإنه باراه فى الإنشاد، فاسود وجه أبى الطبع، وكر راجعا ولم يسلم . وكما جرى له مع زبدة الحقب جنى بديع الزمان، فإنه عارضه فى وصف الماء، فلما سمع زبدة وصفه، غار فى الأرض وهو مبهور خجل . ومهما يكن فى هذه الأحكام من غموض ومجازفة يحولان دون اتخاذها عواعد مطردة، فإنها دون شك خطوات مباركة خطاها ابن شهيد فى مهيع النقد الحديث .

ويتخلل تلك الأقاصيص آراء فى النقد متعددة، فمنها كلامه على تأثير النفس فى الإنشاء وهذا لم يسبق إليه فيما نعهد . قال: "مقدار طبع الإنسان إنما يكون على مقدار تركيب نفسه مع جسمه . فمن كانت نفسه مستولية على جسمه من أصل تركيبه، كان مطبوعا

روحانيا، يطلع صور الكلام والمعاني فى أجمل هياتها، واروق لباساتها. ومن كان جسمه مستوليا على نفسه من أصل تركيبه، كان ما يطلع من الصور ناقصا عن الدرجة الأولى فى التمام والكمال“. ومنها قوله فى تأثير تركيب الأعضاء: ”إنهم يدركون بالطبيعة ويقصرون بالآلة. وتقصيرهم بالآلة هو من طريق العلل الداخلة من فساد الآلة القابلة الروحانية، والخدمة لآلات الفهم، والباعثة لرقيق الدم فى الشريان إلى القلب وزيادة غلظ أعصاب الدماغ، ونقصانها عن المقدار الطبيعى، وما يعين على ذلك بالحس وطريق الفراسة، من فساد الآلات الظاهرة كفردحة الرأس وتسفيطه وتواء القمحدوة، والتواء الشدق، وخزر العين، وغلظ الأنف، وانزواء الأرنبة. (٢٤)

تحدث المؤلف عن ميزة الشعر فى عصر الانحطاط فقال: ”وقع الضعف على الشعر فى العصر العباسى الرابع، وتلقاه عصر الانحطاط بكوارثه ومجازره، وبوابل منهمر من العناصر الأعجمية لا تأتلى فى إفساد اللغة، وتشويه فصاحتها. فانحدر الشعر إلى أدنى الدرجات، وكان له بعض الرونق فى أوائل العصر، فجف ماؤه وخبث طعمه فى أواخره.

وكان المماليك أرحب صدرا من العثمانيين لاستقبال الشعراء. ذلك بأن مملكتهم عربية الموطن، فقربوهم إليهم، ولكنهم صرفوهم إلى التأليف فى الآداب والعلوم، وآثروا على شعرهم أناشيد الرجالين، لأن عجزهم عن فهم العربية الصفحى حبب إليهم الزجل. فآثابوا أصحابه، فكثرت القول فيه“. وفى هذا العصر ذهب أرباب الشعر واجترأ على نظمه ناس لم يوتوا مواهبه ومنهم الفقهاء والكتاب وأهل الحرف وسواهم. وكان التكلف والتقليد أظهر خصائص هذا الشعر لأن الحمود الذى استولى على القرائح قطع ما بينها وبين الابتكار، ووقف بالشعراء عند أساليب المتقدمين ومعانيهم، يطبعون على غرارها، ويغرفون من بحارها. فقلما وقعت على معنى شريف أو صورة خلابة إلا وجدت له أصلا فى شعر السالفين. فكانوا كالحيوان الطفيل يعيشون على جسم غيرهم. وترك لهم الأدباء العباسيون ارثا عظيما من

المحسنات المعنوية واللفظية .

وشعراء الانحطاط ألحوا فى طلبها حتى أسرفوا، وجعلوا المعانى خادمة للألفاظ، فصغر أمرها وقبح منظرها، وغث مخبرها . ولم يكن لهم ما كان لأسلافهم من البلاغة وحسن البيان، فاضطربت عباراتهم، وتراخى رشاؤها، وجف ماؤها، وتناقل أدائها . وازدادت لغتهم ضعفا وركاكة بازديار انحطاطهم، حتى صار الشعر فى غاية الإسفاف، وبات الشعراء يتلمسون المحسنات البديعية ليستتروا بها، فتتنشز عنهم، وماتوا تيهم إلا بعد لآى، ولاهم يبلغونها إلا بشق النفس، فإذا هى بين أيديهم غثة باردة، كلها معازلة وحشو وتطويل- وإذا الشعر جثة ميت لا حياة فيه .

وأكثروا من التحميس والتشطير والتضمين والاقتباس، لما فيه من معان مستفادة يتوسع فيها ناظمها، ويغذى بها بنات أفكاره الجائعة . ثم جاء هم التاريخ الشعرى مع العثمانيين فى القرن العاشر للهجرة، فكان لهم من أرقامه رياضة لأذهانهم الكلييلة، فتهافتوا عليه تهافت العطاش على الماء وراحوا يتنافسون فى استعماله كلما سخت لهم تهنة أو تعزية، فزيدت صناعة الشعر برودة وثقلا، وأصبحت بغیضة لانطاق بعد أن افرطوا فيه حتى جعلوا القصيدة جدولا حسابيا، فى كل مصراع تاريخ أو أكثر ياقبح الله الشعر إذا خالطه الحساب! وأما أغراض الشعر فلم تخرج فى جملتها عن أغراض المولدين، إلا أن هناك نوعين متناقضين تضاعف إقبال الشعراء عليهما، وهما التصوف والمجون . ومن غريب ظواهر الاجتماع أن يكثر التعبد والفحش عند اشتداد الحروب والمحن . (٢٥)

وقد كان عصر الانحطاط متتابع الولايات والحروب، ففرع الناس إلى ربهم يعتصمون بحبله، ففرع إليه الشعراء يمدحونه، ويستشفعون رسوله - فنظم البوصيرى بردته الشهيرة، وترسمه الحلى فى بديعته، جاريا على بحره وقافيته، ففتح طريقا جديدا لمن جاء بعده من الشعراء. فاحتذوا مثاله، والتزموا أنواع البديع فى مدائح محمد وآله وصحبه . وتشبه بهم أدباء

النصارى ونظموا القصائد والبديعيات فى مدح المسيح ورسله، أشهرهم المطران جرمانوس فرحات، والخورى نيقولاوس الصائغ صاحب أول بديعية نصرانية .

وكان عصر الانحطاط عصر يأس وضيق، وسببى وإغراء، فأوغل الناس فى ارتكاب الفحشاء، ومزقوا عن جسامهم غلاثل العفاف، فأوغل الشعراء فى الخلاعة والمجون، وأسرفوا فى سرد الأخبار الفاحشة، واستعمال الألفاظ الصريحة فى البذاءة . وراج عندهم غزل المذكر، ولم يتحوب منه العلماء والمتصوفون . وكان مجنونهم فى معظمه سمجا غليظا لكراهيته ونبوه عن الطبع، وخلوه من الظرافة التى اتسم بها شعر النواسى وأضرابه من مجان العصر العباسى الأول . وربما تكلفوا نظمه لئلا ينقصهم فن من فنون القريض، وسموا هذا الضرب من الشعر إحماضا . وكان صفى الدين فى مقدمة من تكلف نظمه وتدوينه . ومع كثرة شعراء الانحطاط لتطفل الناطمين، فإنه لا يستحق الذكر إلا أقلهم . وأبرعهم من جاء فى صدر العصر كالبوصيرى، وابن نباته، وصفى الدين الحلى، والتلعفرى، والشاب الظريف. (٢٦)

ويرى المؤلف أن حظ النشر فى عصر الانحطاط كان أضعف من الشعر وعدد المتطفلين عليه أكثر من عدد المتطفلين على الشعر . وكانت النكبة فى إنشاء المترسلين أشد منها فى إنشاء المصنفين .

وأشهر مترسلى هذا العصر من عاشوا فى دولة المماليك، وكتبوا السلاطينها، كالقاضى محبى الدين بن عبد الظاهر، وشهاب الدين محمود الحلبى، وشهاب الدين بن فضل الله العمرى. (٢٧)

وحاول كتابه أن يجاروا من تقدمهم فى الصناعة، واحتذوا طريقة القاضى الفاضل من التزام التورية والسجع والجناس، لأن فى صناعة الألفاظ ستر لعجزهم عن توليد المعانى واختراعها، فلم يستقم لهم الأمر، وجاءت عباراتهم تتمطى متناقلة وتشاءب، وما انقضى صدر الدولة العثمانية، وسادت التركية فى الدواوين، وطغت العامية على الفصحى، حتى لفظت

البلاغة نفسها. وصارا الكتاب لا يطبقون الافصاح عما فى ضمائرهم، واعتاصت عليهم الصناعة، وفسدت اللغة فى عباراتهم، وأكثروا من الحشو والكلام الفارغ.

وأما إنشاء المصنفين فلم تعمه الصناعة اللفظية كما عمت فن الترسل، فقد لبث طائفة منهم يقصدون إلى الأسلوب المرسل فأحسنوا فى ذلك. ولكن لم تنفّر لهم بلاغة أسلافهم، فجاء إنشاءهم فى الجملة على شئ من اللين، ولم يخلص من التعقيد والتطويل. ثم دب الفساد فى لغتهم كما دب فى لغة المترسلين فكاد يكون النثر عاميا، كما يبدو فى قصص بنى هلال، وتاريخ ابن إياس وما شل ذلك. وكانت الحركة العلمية فى دولة المماليك محموددة لكثرة المدارس عندهم، وإقبال العلماء على مصر والشام وانصرافهم إلى التأليف بأكناف السلاطين. ولكن مصنفاتهم قل فيها الاستنباط لتصلب الأذهان، فجاءت فى معظمها جمعا وتحشية وشرحا. فمن الذين اشتغلوا بالنحو كابن مالك الطائى وابن هشام وابن آجروم.

ومن الذين اشتغلوا بتصنيف المعاجم اللغوية كابن منظور، وابن سيده، وابن دريد، وابن الأثير، والفيروز آبادى.

وكان السيوطى فيه حظ التاريخ حسنا، والنشاط له عظيما، فظهرت كتب جليلة فيه يصح الركون إليها، فمن الذين اشتهروا فى مصنفاتهم التاريخية كابن خلكان، صلاح الدين الصفدى، أبو الفداء شمس الدين الذهبى، وابن خلدون.

ومن الذين اشتهروا فى الجغرافية كالقزوينى، وابن بطوطة، والمقريزى. واشتغل جماعة من العلماء بوضع الكتب الجامعة لشتى العلوم والآداب، كالنويرى، وشهاب الدين بن فضل الله العمرى، والقلقشندى، والابشهى.

ولما أдал الله العثمانيين، واصبحت مصر والشام فى حكمهم، ضعفت فيهما الحركة العلمية. وأقفل معظم المدارس، وانتهدت أوقافها ثم أخذت التركية تغزو العربية وترجمها فى عقر دارها. فغلبت طمطممانية الأعجام على المصرين، وقل المشتعلون بالعلم لقلّة أنصاره

وانقطاع وسائله . ولم يكن للتصنيف والمصنفين شأن يذكر لولا تلك الشهب التي كانت تلوج الفينة بعد الأخرى، فتنير سواد هذا الليل الدامس ثم يتوارى شعاعها في الحجب الكثيفة فيستبد الظلام . فمن هذه الشهب كعبد القادر البغدادى، والصبان والمطران حرمانوس فرحات، عبد الرحيم بن عبد الرحمن العباسى، وشهاب الدين الخفاجى، والسيد مرتضى الزبيدى ومن المؤرخين كاملحى والمقرى التلمسانى وحاجى خليفة، واشتهر من مؤلفى الكتب الجامعة بهاء الدين العاملى صاحب الكشكول، فيه أدب ورياضيات، وفنسة، وعلوم إسلامية. (٢٨)

وتكلم المؤلف عن ميزة الشعر فى عصر الانبعاث فقال: "بدأ الشعر يتطور بتطور حضارة العصر، ويتقدم بتقدم العلوم والفنون....." وما انتصف القرن الفائت حتى أخذت بروق النهضة تلمع، فارتفعت لغة الشعر، وانجلت ديباجته، واستحكم نظمته، وتوثق بنيانه . إلا أنه لم يكن ذا حظ من الابتكار والتجدد، لأن أصحابه تملذوا للشعراء المتقدمين، وتثقفوا بلغتهم وأساليهم وأغراضهم، فرأوا الخير فى محاكاتهم والتشبه بهم، فاحتذوا مثالهم فى الاستهلال بالغزل ثم التخلص إلى المدح، ووصفوا مثلهم الطلول والإبل، وذكروا أماكن الأعراب فى البادية، وشاركوهم فى استعاراتهم وتشابيههم، وعارضوهم فى منظوماتهم متوكئين على معانيهم وألفاظهم، فجاء شعرهم مصطبغا بالوان العصور الخالية، ليس له من صبغة عصره إلا لون ناصل.....

فشعراء القرن الماضى كانوا على الإجمال محافظين كل الحفاظ على القديم، لا يعنيههم اختراع أو تجديد، وإنما همهم فى تحدى أسلافهم، والاستمداد من آثارهم . إلا الذين عرفوا الثقافة الأجنبية، وتأدبوا بأدب الغرب فقد كان لهم بعض . الحظ من الجديد، وهم قلة لا يكاد يذكر منهم إلا نجيب الحداد . وعلى رغم أن المطران شيخ المجددين فى عصر الانبعاث وأن القديم على ناحية جليلة من شعره . وكذلك أحمد شوقى على سمو قدره فى

دولة الشعر، كان الجديد عنده أقل حظاً من القديم.

وكان الجديد أوضح فى شعر الذين تخضرموا وأدركوا حضارة القرن العشرين،
 واتصلوا بآداب الغربيين، ولا سيما اللبنانيون فإنهم على الغالب أقرب من غيرهم إلى التحديد
 والتغرب. ويتلوهم المصريون، ثم البغداديون فالسوريون، فأهل النجف، وتختلف درجات
 التجديد فى قطر واحد، أو فى قطر وآخر، باختلاف الثقافة والبيئة. فالمجددون من النصارى
 أعرق من المجددين المسلمين، وشعراء العواصم التى تعددت فيها المدارس الأجنبية،
 وشملت الحضارة الغربية، أبعد عن القديم من شعراء المدن المستمسكة بتقاليدها وعلومها
 الماثورة. ومن هنا كان الجديد أوضح فى لبنان ثم فى مصر. غير أنه نشأ فى لبنان بعد
 الحرب الكبرى المتقدمة جيل من الشعراء تتقفوا ثقافة أجنبية صالحة، وتمكنوا من نظم الشعر
 فى العربية، فحاولوا نبذ القديم وإطراحه، وجعل الأدب العربى صورة عن الأدب الغربى فى
 أغراضه وألوانه. فما استاغته جمهرة الناس، وتنكر له المحافظون، فشنعوا عليه وازدروه.
 فقامت المجددة الغالية تطعن فى المحافظين، وتنقص أدبهم، وتسخر من جمودهم
 وتقليدهم. فكانت حرب سجال بين دعاة الحديث وأصحاب القديم، لا يزال حرها يصل إلى
 اليوم. وكلا الخصمين محق فى بعض ما يدعيه، جائر فى بعضه الآخر. فالمحافظون لم يظلموا
 هؤلاء المجددين لمارموهم بضعف الصياغة، والسعى فى طلب الألفاظ، وغموض المعنى،
 وتحدى الشعراء الغربيين. فصياغة الجيل الذين نشأوا بعد الحرب العالمية الأولى أضعف على
 الإجمال من صياغة المخضرمين. وفيهم ولع جنونى بتصيد الألفاظ الموسيقية البراقة ليلونو
 بها صورهم الغربية، لا يستثنون من ذلك عنوان القصيدة. وغموض المعنى فى شعرهم ناتج
 عن إغرابهم فى اختيار الألفاظ، وإفراطهم فى الاعتماد على صور من التشابيه والاستعارات
 الشاذة، يزجيها خيال طليق جامح لا يقترن بالذهن، وأساليبهم الشعرية، وصورهم الخيالية،
 وأغراضهم ومعانيهم، مصطبغة بألوان الأدب الفرنجى كل الاصطباغ. وربما غزوا التوارى،

تشبها بشعراء الفرنجة، واغتنموا منها مادة لمنظومهم، أو أغاروا على الخرافات اليونانية، وتوقلوا الألب والبرناس واستنزلوا الآلهة والربات . وبلغ من افتتانهم بالغريبيين، واعتلاقهم إياهم، أن ترسموهم فى مذاهب الشعر عندهم، فاتبعوا الفئة المتحررة (Les Romantiques)، والفئة الواقعية (Les Realistes)، والفئة الرمزية (Les Symbolistes).

وفى رأى المؤلف أن العرب قد تأثروا بالغرب إلى الغاية حتى أنهم إذا تحدثوا عن أديب إفرنجى أقاضوا بوصفه وتحليل أدبه ولكنهم إذا تحدثوا عن أديب عربى اضطربوا فى معرفته وتبيان عصره، وبدأ عليهم العجز والتقصير وأيضاً لم ينصف أصحاب الحديث فى نكران محاسن المتقدمين فهو يقول: "لا ينبغى لهم إنكار قديمهم، فليس من أدب طريف تحت الشمس إلا وله صلة بالتلبد". (٢٩)

ويمتاز النثر الحديث بوضوحه، وسلاسة قياده لاقتبال المباحث المختلفة، مهما كانت عميقة متشعبة الأغراض . ولم يتفق للغة مثل هذا الوضوح ولا تلك المرونة فى عصر من العصور . على أن لغة النثر فى صدر الانبعاث كانت كلغة الشعر، ضعيفة التركيب، متثاقلة الأداء، مصروفة إلى الصناعة اللفظية . وكان الغموض يرافقها على الغالب، ولا سيما فى الترجمات، لا ستمسأكهم بالألفاظ، دون المعانى ثم بدأت ترتفع وتنجلي ديباجتها بعد منتصف القرن الماضى، وظهرت نهضتها فى مقامات الشيخ ناصيف إليازجى، ثم فى ترسل أديب اسحق.

وتحدث المؤلف عن عدة اسباب الفضل فى تقدم النثر وتحرره فقال: "منها انتشار الثقافة الغربية، وظهور النقد الأدبى الحديث . ومنها مزاولة الصحافة والترجمة، وإطلاع الكتاب على صحف الأعاجم، ومصنفاتهم، وأساليهم . ومنها نشر المخطوطات العربية القديمة لبلغاء الكتاب المطبوعين كإبن المقفع، وإبن خلدون والإمام على، وإبن عبدربه،

وأبى الفرج الأصفهاني، والجاحظ، فقد أقبل عليها الأدباء وتدارسوها، فراقبتهم أساليبها . ورأوا فيها ما يسد بلغتهم، ويعينهم على أداء أفكارهم، في مختلف الأبحاث . قتلّمذوا لها، وجفوا الطرق المتكلفة التي يضيع العمر في تنميق ألفاظها وتزيينها . وليس بوسعها أن تقضى حاجة العصر بما فيه من آداب وعلوم وفنون .“

واتسعت أغراض النشر إلى أنواع العلوم والفنون على اختلافها، فشملت الترسل والخطابة، والصحافة والقصص والتمثيل، والمباحث العلمية والاجتماعية والأدبية بما فيها من نقد وتحليل . فبلغ بها النشر غاية بعيدة، وسد ثلثة كبيرة في الأدب العربي القديم . (٣٠)

(٢) إلياذة هو ميروس:

إن إلياذة هو ميروس في تعريبها ونظمها وشرحه من أهم آثار سليمان البستاني شعرا ونثرا أما الشرح فيضم دراسات وملاحظات نقدية دقيقة فقد كلف المعرب جهدا بالغا ومطالعات جمة في كتب الأدب والتاريخ والإجتماع، على مختلف لغاتها، مفيدا من كل ما علقه سابقوه على إلياذة مضييفا ما رأى ذكره موافقا عن مؤسسات العرب خاصة والشرقيين عامة بالنسبة إلى مؤسسات اليونان وتقاليدهم . ومن هنا ندرك الأثر البالغ الذي أحدثه سليمان البستاني في الأدب العصري .

وتحدث المؤلف عن إغفال العرب نقل الإلياذة إلى العربية فقال: ”كان العرب من أحرص الملل على علوم الأدب وأحفظهم للشعر، وأشغفهم بالنظم . ومع هذا فلقد يأخذنا العجب لبقاء الإلياذة محجوبة عنهم، وهي منتشرة هذا الانتشار بين قبائل الأرض، ومنظومة بلغة سامية كلغتهم، يتناشدها الأدباء المقيمون بين ظهرانيهم في مقر الخلافة العباسية .

وإن لذلك أسبابا إذا تبيناها زال العجب لإغفالها في ماسلف، مع وضوح الحاجة الماسة إلى تعريبها في هذا العصر . وإن مرجع تلك الأسباب إلى ثلاثة: الدين، وإغلاق فهم اليونانية على العرب، وعجز النقلة عن نظم الشعر العربي (٣١)

وعدد المؤلف هذه الأسباب فقال: وزد على ذلك أن العرب لم يكادوا يخرجون من مهامة البداوة حتى ملكوا الأمصار، وانتشروا في سائر الأقطار، وأسسوا الممالك الكبار. وما استقر الملك للأمويين في الشام، حتى بدت لهم الحاجة إلى استخراج كتب العلم. وماتوطدت دعائم الدولة العباسية في العراق، حتى نظّم الخلفاء مجالس النقلة لتعريب علوم المتقدمين من الفرس، والهنود اليونان. فلاح لهم أنهم أحوج إلى العلوم منها إلى الشعر والأدب.....

ثم أنه ليس في لغات الأرض لغة يربو شعرها على الشعر العربي، ويزيد شعراؤها عددا على شعراء العرب، وهم جميعا مخلصوا الاعتقاد في شعرهم، ورعين في تعبه، فلا يخالون في الامكان وجود شعر أعجمي يجارى قصائدهم بلاغة وانسجاما ودقة وإحكاما. (٣٢)

وذكر المؤلف في مقدمة الإلياذة حاجزين طبيعيين وقفا عقبة صماء في وجه تعريب الإلياذة شعرا، في القرون الأولى، وقال: إنهما لا يقلان شأنا عن حواجز الدين بل يزيدان، وهما: أولا أن معرّبي الخلفاء كابن النخعي، وابن حنين، وآل بختيشوع، لم يكونوا عربا، وإن تفقهو بالعربية على اساتذتها، فلم يكن يسهل عليهم نظم الشعر العربي وإن كانوا أقدموا على ترجمة الإلياذة شعرا سريانيا يترنمون به في مجالسهم.....

وثانيا أن شعراء العرب انفسهم لم يكونوا يحسنون فهم اليونانية، فلم يكن فيهم من يصلح لتلك المهمة“. (٣٣)

ولو كان فيهم من يفهم اليونانية ما أحجم عن نقل هذه الروائع. ولكن الاعتراض على إحجام العرب عن الترجمة الإلياذة نثرا — بدلا من الشعر — لا يزال قائما، فقد كان في استطاعة النقلة والمترجمين — وهم من غير العرب — أن ينقلوها نثرا. ولعل الذي صرفهم عن ذلك أن الشعر إذا ترجم نثرا ذهب بهاءه، وضاع رواؤه، وبهت رونقه..... حتى ولو كان شعرا منشورا. (٣٤)

وتحدث المؤلف عن تلقى المسيحيين المعاصرين والمواطنين لهوميروس فقال: "كان هوميروس فى ذروة مجده فى الممالك الرومانية، عند انتشار الدين المسيحى، فكان لابد من تقويض أركان الوثنية، وهى ممثلة أصدق تمثيل فى الشعر الهوميرى، فبات إغفال ذلك الشعر ضربة لازب، لحداثه عهد المسيحيين بدينهم، ولزوم أخذهم به موردا صافيا لاتشوبه أساطير السلف من عبدة الأوثان . ولكن بعض الدعاة غالوا فى اتخاذ الطرق المؤدية إلى تلك الغاية، فاتهموا هوميروس باتبداع البدع، وتحريف آى التوراة ليصوغ منها ما وافق مذاهب قومه من القصص المستنبطة منها كعصيان الطيطان وطردهم من الجنة، وتلبس فرسيس بصورة موسى فى أول أمره، ومماثلة بليروفون ليوסף الصديق، وأمثال ذلك مما أشرنا إليه فى الشرح . ولهذا كانوا ينادون بتحريمها خشية من أن تفسد عقيدة الناشئة المتنصرة . وكان من لوازم قولهم أن هوميروس لم يكن الناقل لخرافات الأولين، بل الواضح لها المنادى بها..... وقال إن المسلمين أغفلوا الإلياذة لنفس الأسباب التى كانت وراء إغفالها من قبل النصارى قبلهم:

وإن ما قيل عن النصرانية فى نشوءها يصدق على الإسلام فى قرونه الأولى، إذ لا ريب أن أئمة الأمة، لو فرضنا وقوفهم ذلك الحين على محتويات الإلياذة لما ارتاحوا إلى بثها بين العامة لئلا تكون من مفسدات الإيمان . (٣٥)

وفى الحقيقة كانت ترجمة هذه الأسطورة الإغريقية نقطة انطلاق لحركة قوية لنقل الآداب اليونانية وتعريف القراء العرب بهذه الأساطير التى تنافى فى شئ غير قليل مع روح العقائد الإسلامية . فظاهر أن هذا الولع باليونان وآدابها عند صاحب الإلياذة والكتاب الآخرين فى العصر الحديث سببه ملاءمة الفكر اليونانى بالعقلانية والعلمانية التى كانت كالأساس لفكرة القومية الجديدة.

وتحدث المؤلف عن الملاحم أو منظومات الشعر القصصى فقال: إن الملحمة فى

اللغة وقعة عظمية واستحدث أهل المغرب لفظة الملحمة وسموا بها منظوماتهم القصصية من نظائر الإلياذة . والملاحم عندهم كالملاعب بالشعر العامي ، ماتضمن من المنظوم أحوال أمة أو قوم وفصلت فيه وقائع الحروب والتاريخ . ولعلهم أخذوا ذلك من التحام القتال .

وعرف المؤلف الشعر القصصى والشعر موسيقى قائلًا: إن العرب قسموا الشعر من حيث المعنى إلى أبواب كالغزل، والمدح، والهجاء، والرثاء، إلى آخر ما هنالك من أبواب الشعر . وهو معلوم أن فى شعر جميع الأمم شيئاً من هذه المعانى . ولكن الإفرنج يتهجون فى تقسيم أبواب الشعر نهجاً آخر يجاورون فيه العرب بالبحث فى أكثر هذه الأبواب وغيرها، مما لم يذكره العرب، ويخالفونهم بالرجوع إلى حصرها جميعاً فى بابين: الشعر القصصى وهو الذى عبرنا من منظوماته بالملاحم، والشعر الموسيقى وهو مانعبر عن منظوماته بالقصائد أو الأغانى . ويسمون الأول "إبيك" والثانى "ليريك" وكلا اللفظين يونانى الأصل .

فإذا نظرنا، على هذا القياس، إلى الأصل الشعرى فى بعض أسفار التوراة واتخذناها مثلاً، جاز لنا أن نلحق سفر أيوب بالشعر القصصى ونعتبره ملحمة من صفوة الملاحم، ونلحق الزبور ونشيد الانشاد بالشعر الموسيقى، وهما من أبدع الأغانى والقصائد التى نطق بها البشر . وقال المؤلف إن من الشعراء الإفرنجى ما يتداخل بين القسمين القصصى والموسيقى .

إلا أنه لا يترتب على ماتقدم أن منظومات الشعراء يجب أن ينتمى كل منها إلى قسم من هذه الاقسام ويلصق به غير متجاوز إلى ماسواه . بل قد يكثر التداخل بينها، ولا سيما فى منظوم البلغاء فإلياذة هو مبروس ملحمة من الشعر القصصى، بالنظر إلى ماتضمنه من سرد الوقائع والأخبار، ولكن فيها قطعاً من أبدع ما قيل فى الشعر الموسيقى، وحسبك منها رثاء أخيل لفطر قل وتفجعه عليه فى مواضع مختلفة منها . وإن وداع هكتور لزوجته فى النشيد السادس مازال، على قدمه، المثال الذى ينسج على منواله أرباب الشعر التمثيلى . وليس بين المتقدمين ولا المتأخرين من أدرك شأوه وأجاد إجادته فيه، مع كل ما احسن راسين الفرنسى

فى روايته "اندروماك".

وقارن المؤلف هو ميروس مع نظائره من الشعراء الافرنج فقال: "ويقارب هو ميروس فى الضرب على جميع الأوتار شكسبير الإنكليزى . فالمشهور عنه أنه من أنصار الشعر التمثيلى، ومع هذا فإذا أخذت مثلاً رواية "هملت" رأيت فيها من معانى القصائد والملاحم مايوقفك دهشة وإعجاباً . وقل مثل ذلك فى رواية "السيد" لكرنى الفرنسى، "واندروماك" السالفة الذكر، و"فوست" لغوته الألمانى، واشباه ذلك من منظوم نوابغ الايطاليين وغيرهم".

وأشار المؤلف إلى أن الشائع عن العرب بين الإفرنج أنهم لم يضربوا إلا على وتر الشعرا الموسيقى، ولم يتخطوا فى النظم إلى ماوراء القصائد والأغاني وقال إنه قول مبالغ فيه، بل زعم موهوم فيه. (٣٦)

وأعاد المؤلف النظر فى الشعر القصصى عند الأمم وقال إن الشعراء فى جميع الملل يجاورون المؤرخين فى تسجيل الوقائع. "والشعراء فى جميع الملل يجاورون المؤرخين فى تدوين الوقائع. وهم وإن قصروا عن المؤرخين فى تعيين المواقيت وتفصيل الحوادث، إلا أنهم يسبقونهم فى تعريف الشعائر والأخلاق، ووصف أحوال المجتمع البشرى، وتبيان علاقة الخالق بالمخلوق، ولهذا لم يكن فى الأمم قديمها وحديثها أمة أدركت شأواً مذكوراً فى الحضارة إلا قام نوابغ الشعر القصصى يبسطون أحوالها، ويجيدون الرسم بنافذ الكلام بما يفوق إجادته بقلم الرسام".

وذكر المؤلف مصر والهند والروم والفرس والترك من الأمم التى تفتخر بشعرها الملحمى: ولقدماء المصريين شعر كثير يستدل عليه من عاداتهم، وإن كان الزمان قد أباد ملاحمهم الطويلة، فإن فى ما وجد من القطع المتبثرة بين الآثار ما يدل على أنها كانت ذات شأن خطير، وحسبك منها شعر بنتاهور .

وللعبرانيين ملاحم لا يزال بعضها فى التوراة . وللهنود ملاحم بقى بعضها، ولا تزال

”المهابهارتا“ آية فى بابها وقد ترجمت منها قطع كبيرة إلى لغات الإفرنج . وللعبرانيين ملاحم لايزال بعضها فى التوراة . ولقدمات الجرمانيين والسكندينافيين ملاحم كانوا يحلون لها محلا رفيعا . واليونان كانوا منذ القدم مشغفين بالشعر القصصى ولهم فيه منظومات كثيرة قبل ملحمتى هو ميروس .

والرومان ساروا على أثر اليونان فأبدعوا فى هذا الفن، وقد أشرنا مرارا إلى إنيادة فرجيليوس . وقام الإفرنج على آثار تينك الدولتين وتغنوا قرونا بمنظومات رولان فى فرنسا، وهيلد براند ونيولنغن فى ألمانيا، إلى أن قام نوابغ المتأخرين كدنتى الإيطالى، ملتن الإنكليزى ومن حذا حذوهما .

ثم إذا انتينا إلى ملل الإسلام من غير العرب رأينا أنها ليست بالأقل خطأ من هذا الفن . وهذه شهنامة الفردوسى فى أخبار ملوك العجم مما يعجب به ويحسد عليه، وقد ذكرنا ها فى غير موضع من هذا الكتاب .

وإن للفرس اليد الطولى فى هذا الفن، ولهم فيه، غير ملحمة الفردوسى منظومات كثيرة كشهنامة القاسمى الكونابادى، التى نظم فيها وقائع الشاه اسمعيل واهداها إلى الشاه طهماسب، وجعلها نظيرة لتيمورنامة الهاتفى، ومثلها شاهبة مجدالدين البابرى النسائى فى وقعة الخوارزمى .

ولترك أيضا يد فى الشعر القصصى كمنظومة شهودى فى أربعة آلاف بيت . وإن أغرب ماروى فى هذا الباب ما نقل عن شهنامة الشاعر التركى الملقب بالفردوسى الطويل، قالوا: إنه نظمها فى مليون وستمئة ألف بيت وكتبها فى ثلاثمئة وثلاثين مجلدا . فلما عرضت على السلطان بايزيد العثمانى أمر بانتخاب ثمانين مجلدا واحراق الباقي . فتألم المؤلف وترك بلاد الروم وذهب إلى خراسان فمات فيها كمدا . (٣٧)

ووازن المؤلف بين الشعر الجاهلى وشعر هو ميروس ”الإليادة“ فأشار إلى ما بينهما من

مواقف مماثلة وأحوال وأقوال متشابهة . إن أقدم ما اتصل بنا من الشعر الجاهلي الجلي مقول معظمه فى مثل المواقف التى قال فيها هو مبروس إلباذة . فهناك شياطين وحنياى تلقن الشعراء فصيح الكلام تلقين القيان لهو مبروس . وهناك ملوك كبار على قبائل صغار تتكاتف وتتحالف دفعا لعار، وأخذ الثار . فتثور حرب البسوس بين بكر وتغلب . وتلاحم عبس وفزارة على اثر سباق داحس والغبراء، ويكادون يفتنون بعضهم بعضا، كما كاد يفتنى الطرواد واليونان وحلفاؤهم . وهناك أيام تتضاول وتتجاول فيها قبائل منهم، فيشتهر أمرها ويذيع ذكرها كيوم الكلاب ويوم الجفار، ويوم النصار، ويتغنى الشعراء بحدثها تغنى هو مبروس بيوم القنطرة، ويوم الإيتول، والكوريت، وما أشبه ذلك مما يفوق الحصر .

وإذا نظرت إلى الأشخاص دهشت لما يبدو لك من الشبه فى الأحوال والأقوال . فمن بطل كعنترة ترتجف لصوته القبائل ارتجافها لصوت آخيل، يغاظ مثله فيعتزل القتال، فينكل العدو ويقوم، حتى يهب من غزله، فيفعل فعل آخيل فى عودته . ومن خطيب كنسطور يقف واعظا موقف قس بن ساعدة . فيرشد ويرغب ويرهب . ومن إخوة وأخوات، وأزواج وزوجات، وبنين وبنات، وآباء وأمهات، يقولون ويفعلون فى جاهلية العرب نظير قولهم وفعلهم فى جاهلية اليونان مما ستراه بالمقابلة فى تعاليق الشرح . ولواتسع لنا المقام لما عدنا سبيلا إلى إبراز نظير لكل من رجال الإلباذة ونسائها .

وقابل المؤلف حرب البوس عند العرب مع وقائع الحرب الطروادية فقال: "وليس فى وقائع عرب الجاهلية وأيامهم ما يضاهى خطورة وقائع الحرب الطروادية . ولكن تلك الوقائع لا تخلو بنفسها من شأن نسبى مذكور . فلا بد إذا من اتخاذ احداها مثالا للمقابلة . وإن أول ما يستلفت الأنظار حرب البسوس ."

وذكر المؤلف ميزة العرب ومفخرتهم فى شعرهم القصصى فقال: "تلك حرب تناقل العرب أخبارها وتناشدوا شعرها على ممر القرون حتى أيامنا هذه، وصاغوها بقوالب شتى لا

يصلح قالب منها لصوغ الملاحم التامة كالإلياذة . ومع هذا فإن جميع ما قيل فيها من الكلام المنظوم أقرب نسبة إلى الشعر القصصى منه إلى الموسيقى، فكل قصيدة منها قطعة من ملحمة . ولكن تلك القطع غير ملتئمة لفقدان اللحمة بينها، فهي كالحجارة المنحوتة قد أحكمت صنعتها وبقيت ملقاة في أرضها غير مرصوفة بالبناء ثم إذا نظرت إلى أشهر الرجال والنساء فيها، رأيتهم جميعهم شعراء فكليب يقول الشعر ومثله زوجته جلييلة، وأخوه مهلهل . وكذلك مرة شاعر، وإبنة حساس شاعر، وكل ذى شأن في القصة من غريب وقريب شاعر، كالحارث بن عباد وجحدر بن ضبيعة . فمجموع شعرهم أشبه من هذه الوجه بالشعر التمثيلي، لأن لكل حادثة شاعرا ينطق بها بخلاف نهج شعر الملاحم كالإلياذة إذ ترى هو ميروس فيها ينطق بلسان الجميع .“

وقال المؤلف إن في الأغاني والمفضليات للضبي ملاحم قصيرة مقولة في حوادث مخصوصة: ”فلا سبيل إذا للزعم بوجود ملاحم العرب الجاهلية على نحو ما يراد منها بعرف الإفرنج . ولكن للجاهليين نوعا آخر من الشعر القصصى مما يعز وجوده في سائر اللغات، وذلك في الملاحم القصيرة المقولة في حوادث مخصوصة، فجميع شعراء الجاهلية وبعض المخضرمين قد سلكوا هذا المسلك وأجادوا فيه . ولو تصفحت كتاب ”الأغاني“ ومفضليات الضبي وأمثالهما من كتب الأدب والشعر، لرأيتها ملأى بهذه المنظومات الغراء.....

وأشار المؤلف إلى ما بين جاهلية اليونان وجاهلية العرب من المماثلة فقال: ”وإذا حولت نظرك إلى اللباس والرياش وطرق المعاش، رايت، مع سبق اليونان في حلبة الحضارة، مشاكلة باهرة في حالة المعيشة الفطرية والسذاجة الخلقية والحرية الجاهلية: سراة كأكيسل يتسابقون إلى قرى الأضياف كحاتم الطائي، وبينون بيوتهم على مضرب السبل في قارة الطريق، وأمراء كأخيل وقطر قل يأمرون وينهون، ولديهم الحشم والجواري، مع هذا فهم بيدهم يتولون توزيع الزاد على الأضياف، وينحرون الذبيحة بمداهم على نحو ما نحو الأمير

الكندى ناقته للعذارى، وأبناء ملوك كولد، فريام لاتعييهم مع غناهم رعاية المواشى وتربية الأنعام، وسبايا تشرى وتباع، وأسرى تقتل وتفتدى وتسرح بإحسان، إلى غير ذلك مما لانهاية له، وسترى منه جانباً غير يشير مفصلاً بالمقابلة فى مواضعه“ . (٣٨)

ونبه المؤلف إلى وجود نوع من الملاحم عند المولدين أيضاً ومنها مقامات الهمدانى والحريرى وقال إن رسالة الغفران ملحمة نثرية تكاد تفوق فى بعض تخيلات دنتى الشاعر الايطالى وملتن الانكليزى وقد سبقهما صاحب الرسالة وهو المعرى .

وإن للمولدين نوعاً من الملاحم خاصاً بهم وهو المقامات المسجعة، بما يتخللها من الشعر كمقامات الهمدانى والحريرى ولكن التجرد فيها للإغراب فى اللفظ يحول الفكر فيها عن التصرف بالمعنى . على أن للفظ أحياناً رناناً مطربةً بنفسها . وهذا النوع من الإنشاء من خصائص اللغة العربية لكثرة القوافى فى اللغة .

ويحلق بالمقامات القصص التى يمتزج بها الشعر والنثر كقصة عنتر العبسى، وكثير من القصص التى تتداولها العامة فى جميع البلاد العربية .

وإن من أحسن ملاحم المولدين ملحمة نثرية جمع فيها صاحبها شتيت المعانى وأوغل فى التصور حتى سبق دنتى الشاعر الإيطالى وملتن الإنكليزى إلى بعض تخيلاتهما، إلا وهى ”رسالة الغفران“ لأبى العلاء المعرى . ولكن استغلاق عبارتها، وفقدان الطلاوة الشعرية منها، ينحطان بها عن درجة أمثالها من ملاحم الأعاجم .

وأشار المؤلف إلى أن الأراجيز والموشحات من الشعر التاريخى الذى يقصده تدوين الأخبار وهى كثيرة . وأما المنظومات الأخبارية والأراجيز التاريخية التى يقصد بها تدوين الأخبار فهى كثيرة فى كل عصر من عصور العرب، فى الشعر الفصيح والعامى .

وقد شاعت هذه الطريقة فى بلاد المغرب ونظموا فيها الموشحات المعروفة بالملاعب بالشعر العامى، وأبدعوا فى بعضها إبداعاً يكاد يلصقها بالشعر الفصيح، كملمعة

الكفيف، المكناسى فى السلطان أبى الحسن المرىنى . (٣٩)

وللمؤلف ملاحظات نفيسة فى وصف أشخاص الإنسان بصفات الحيوانات فى جاهلية العرب وقارنه مع الإلياذة فقال: "إن مما بهت له بعض المتأخرين من نقلة الإلياذة وأشكل عليهم فى لغاتهم تشبيه الإنسان، فى بعض أحواله، بأنواع من الحيوان ينظرون إليها بعين المهانة، ويضعها هو ميروس موضع الغرة والكرامة . وهذا ولا ريب من نتائج طول العهد بالحضارة . ولا أعلم أهى حسنة لهذه الحضارة تمدح عليها أم سيئة تؤاخذ عليها . وإنما أعلم أن فى أصناف كثيرة من الحيوان مزايا يعز على الإنسان أن يتصف بأحسن منها .

وأما ما بقى من الحيوانات فقد اقتطع منها هو ميروس صفات حميدة وصف بها كبار قومه وكرامهم، وهو ما أردنا بقولنا إنه أشكل على بعض كتاب الإفرنج وثقل عليهم نقله إلى لغاتهم . فإذا شبه رجلا صبورا بالحمار رأيتهم يتأقلون بنقل الكلمة، بل ربما أكلوا الحمار برمته، كما فعل بوب فى النشيد الحادى عشر، وعذرهم فى ذلك أنه يشوه وجه ترجمتهم . وإذا شبه هو ميروس عظيم القوم بالثور، عظم عليهم الأمر وحسبوها ورطة يجب التملص منها . وربما بدلوا حيوانا بحيوان، فجعلوا الخنازير دبة ، والكلاب ذئابا، وهم يزعمون أنهم لطفوا المعنى، ولا إخالهم فعلوا .

ولست بمنكر أن الانقلاب الذى طرأ على مفاد التعبير عندهم قد أصابنا منه شئ كثير . فليس منامن يستحسن تشبيه كريم قوى الجنان رابط الجأش بالحمار، ولا تشبيه باسل مغوار بالخنزير . على أن اليقين أن أبناء الجاهلية من كل قوم لم يكن هذا شأنهم، أيام كانت الفطرة تأخذ بالظاهر ولا تتكلف التأويل . وتتثبت بالحقيقة مهما ثقلت .

وحسبنا أن ترجع إلى أيام جاهليتنا وما وليها من مقتبل الإسلام، ونتصفح معاجم لغتنا فنرى أن هو ميروس لم يأت شيئا فرىا . قال فى أساس البلاغة، "الثور: الفحل من البقر، والسيد، وبه كنى عمرو بن معدى كرب" ومما يذكر هنا استطرادا أن الثور لا يزال لقباً مكرماً فى

السودان . ويقال مثل ذلك فى الجدع بمصروهى من الجدع . وفى "محيط المحيط"
الجدع: من البهائم قبل الثنى، والشاب الحدث . وفى كتب اللغة: الكش الحمل وسيد القوم،
وقائدهم والمنظور إليه فيهم . والقرم: الفحل، ثم استعمل للسيد العظيم على التشبيه له
بالفحل . والرت: الخنزير الذكر، وأجرى مجازاً على الباسل المقدم فيقال: هو رت من
الرتوت، وهو من رتوت الناس أى من عليتهم وسادتهم (اساس) . والقن: الحمل، والرئيس،
والملك . والفنيق: الفحل المكرم من الإبل لا يوذى ولا يركب، والسيد المسن من المعز
والرئيس، والاصيد: الملك، والبعر الذى فيه داء الصيد، وهلم جرا.

ويقال مثل ذلك فى بعض ما برز من أعضاء الحيوان كالناب، والخرطوم، والأنف،
والقرن، فهى وإن كانت مما قد يستهان به الآن لم يوضع أكثرها فى الكلام عن الناس إلا
للفتحة والسيادة . فإذا راجعت كتب اللغة قرأت: الخراطيم: أسياذ القوم أنياب القوم: ساداتهم.
القرن: السيد تشبيها بقرن الثور لبروزه، أنف القوم: سيدهم .

وذكر المؤلف أن من الشعراء المحدثين والمولدين الذين عبثوا فى شعرهم بهذه
الأوصاف وذكرها المؤرخون المسلمون أيضاً: وليس البعت بهذه الأوصاف مما خص به
بنو الجاهلية بشعرهم، بل اتصل منه شئ بشعراء التابعين والمولدين حتى أنه لا يندر أن نرى شيئاً
من هذه الألفاظ فى كلام المؤرخين، كقول العتبى فى السلطان محمود بن سبكتكين: وأقبل
كالفحل الفنيق ولا تكاد تجد مؤرخاً لا يقول قول ابن خلدون: وكان فحل ذلك الشول،
وكبش تلك الكتائب الخ . وأمثال هذه الألفاظ لا تثقل على مسمع العربى حتى يومنا . بل لا
يزال بعضها مما يحلى به جيد الكلام .

وذكر المؤلف مشكلات التعريب فى هذه الأوصاف فقال: "لما كنت قد آليت على
نفس أن لا أحرف الكلام عن مواضعه، وأن لا أعبت أو تشبيهه، فأميل به عن أصله الوضعى،
تفادياً من ثقل على الآذان، عمدت إلى نهج يفى بالمرامين: استبقاء الأصل على وضعه، ونبذاً

الألفاظ التي باتت بعرف الحضارة من باب الحوشى الساقط فى المدح، فلا يمدح بها كبير ولا صغير. وفى لغتنا، والحمد لله متسع فسيح لمثل هذا المجال، بخلاف لغات الإفرنج التي لامحاذ لكتابها عن استعمال اللفظة بعينها، وإلا اضطروا إلى تبديلها أو إغفالها أصلاً.

فإذا عرض لى مثلاً تشبيه رجل باسل بالخنزير الذكر، يفسح لى باب فى كتب اللغة لانتقاء كلمة أخرى فأقول: "الرت" أو "الخنوص" فلا أغير شيئاً من المعنى، وأكفى مؤرنة أنفة القارئ. وإذا اضطرت إلى استعمال لفظة الحمار بمقام المدح، وهو تشبيه شبه به إياس البطل الباسل، عمدت إلى كلمة أخرى فقلت: "العجأ" وهو الحمار بعينه. وإذا آنست رنة خشنة على الأذن بذكر الكلاب بهذه اللفظ قلت: "النواهس" و"الغصف" و"الضراء" وما أشبهه.

وإذا حشيت هجنة بأن يقال قطيع البقر قلت: "الصوار" وهو هو. ولزيادة الإيضاح أضرب لك مثلاً واحداً مما سترى أشباهه بمطالعة الإلياذة.

أطراً الشاعر بسالة هكطور فى واقعة فشبهه، وهو يتعقب الأعداء بالكلب الذى يتأثر الأسد المذعور أو الخنزير البرى، فقال:

"وهكطور صدر الجيش يجرى، ويلغب

ويكسأ فى الإرذاف من يتعقب،

كاغصف هول قد تأثر ضيغما

تذعر، أو خرنوص بريكبكب.

فأرانى لوقلت: ككلب كبير قد تأثر ضيغما أو خنزير الخ لمازدت على المعنى

ولانقصت ولكن شتان ماوقع هذا التعبير وماذاك على المسامع". (٤٠)

وأشار إلى فضل العربية فقال: "ولقد بدالى. أثناء التعريب، من ثروة العربية فى الألفاظ

الوضعية القديمة ما أغنانى عن الانحراف بالمعنى على نحو ما اضطر إليه بعض نقلة الإفرنج،

على ماتقدم فى الفصل السابق . ورأيت من المماثلة بين اللغتين فى دقة الوضع ما يدهش له الناظم والناشر . وينبئك ذلك أن العرب لم يغفلوا وضع شئ من الألفاظ الدالة على جميع مطالعاتهم ومحسوساتهم، حتى أصبحت مفردات اللغة فى زمنهم رابية على حاجة التعبير، ولا سيما فى الحسيات . وما هذا النقص البادى الآن فى إحكام التعبير، وخصوصا فى المعنويات، إلا نتيجة إهمال الخلف اقتفاء آثار السلف .

واللغة العربية شعرية بطبيعتها لتفرع مفرداتها وتنوع اشتقاقاتها القياسية على أسلوب لا يرى له مثيل فى اللغات الآرية“.

وذكر المؤلف ما يوجد من المشاكلة بين اليونانية والعربية فقال: ”ولا ترجح اليونانية على العربية إلا باتساعها لمشاكلة الألفاظ للمعاني، وتوفر أسباب النحت فيها لصوغ الألفاظ المركبة . وفى ماسوى ذلك لا أحوال لها رجحانا، بل ترجح العربية فى اتساع المفردات، تشعب طرق التركيب، والخروج بقياس الاشتقاقات، إلى مالا نهاية له من المعاني“.

ومن جميل المشاكلة بين اليونانية والعربية فى الأصل والتعريب على نمط واحد جرى بعض الألفاظ مجرى واحداً باللغتين فى الحقيقة والمجاز . فمن ذاك ما تشترك فيه معهما لغات كثيرة، كإطلاق لفظة الشيوخ، بطريق المجاز على الزعماء وكبار القوم، ومنه ما لا يكاد يتعداهما إلى غيرهما كاستعمال لفظة (خيتى) (Xaitn) للشعر وورق الشجر، ويقابلها الفرع بالعربية.

ولكن للعربية مزييتين فى مفرداتها تقصر اليونانية وسائر اللغات عن محاراتها فيهما . وهما كثرة المترادفات فى الألفاظ الدالة على المعنى الواحد، وتعدد المعانى للفظ الواحد .

إن كل تلك المترادفات لم توضع فى اللغة على نية الوضع، بل وقع ذلك اتفاقاً: إما لمنقول عن الأعاجم، وإما لاختلاف المدلولات فى لغات القبائل المتباعدة، وإما للمح صفة مقصودة يتغير بها المعنى تغيراً طفيفاً لا يشعر به لو حدة المسمى . فالخمرة مثلاً إنما سميت

كذلك لاختتمار موادها، فإذا قيل الراح لُمح إلى الروح والارتباح، أو الرقيق نظر إلى صفائها وطيب رائحتها، أو السلسيل قصدت سهولة مساغها، وهلم جرا . ولكن هذه المميزات فقدت في الاستعمال وأصبحت المترادفات متشابهة يقوم كل منها مقام الآخر، مع أنه لا يوجد في الأصل ترادف تام في مفردات اللغة، إلا في ما صدر عن لغتين لقبيلتين مختلفتين كالليث والورد للأسد، أو نقل من لغة الأعاجم إلى العربية مع بقاء اللفظ العربي فيها كالمينامن اليونانية للفرضة البحرية .

وذكر أن هناك فرق كبير بين اليونانية والعربية: ”وبين اليونانية والعربية فرق كبير في نسج العبارات وتركيب الجمل من حيث التقديم والتأخير، وصيغ الاشتقاق والجموع، والحروف، والنحت، وتركيب الجمل من حيث التقديم والتأخير، وصيغ الاشتقاق والجموع، والحروف، والنحت وتركيب الأسماء، ولكن نهج كل لغة حسن في بابه وأسباب الفصاحة متيسرة لأبناء كل لغة إذا أحكموا الرصف على نهجهم“.

وذكر المؤلف ميزات اللغتين اليونانية والعربية وأشار إلى قرابة جاهلية اليونان وجاهلية العرب وهو من أفضل كلامه في هذه المقدمة:

ومعلوم أن الإلياذة نظمت في زمن كانت أحوال المعاش فيه قريبة لأحواله بين قدماء العرب . ولهذا كان على المعرب أن يقابل معانيها بما رادفها من لغة العرب بلا انحراف ولا تأويل، واللغة متسعة لذلك . فإذا وصف الناضم السلاح، وهو سلاح العرب، ففي اللغة لفظة بل ألفاظ للدلالة على كل ما قال من الشكة، أي السلاح الكامل، إلى الحجر . فلا يعدم الناقل وسيلة للتعبير عن كل ما ذكر من السيوف والمدى ومناصلها واعمادها، والرماح والزجاج وكعوبها واستنها وصعادها، والدلاص والأبدان والدروع وحلقها وزردها وفترها، والخوذ والترايك والمغافر وبيضها وقوانسها وعذباتها، والتروس والجواشن وحرايبها وحمائلها وهدابها، والقسي وما لازمها من النبل المقذذ . و السهم المريش والوتر والفوق

والفرض والسرية والنيك، وسائر ما أهمل أو كاد يهمل من معدات الهجوم والدفاع كالفأس والمخدفة والفطيس . وإذا أتى على ذكر الخيل فما من لغة أوسع من العربية بأوصافها وتمثيل عدوها وجريها وتطبيقها وتقريبها وحضرها وارتفاعها . وإذا ذكر الحروب، وعليها مدار الإلياذة، فلم تتفنن أمة فوق العرب بوصف القتال والنزال والمجاول والمصاول والمشق والرشق والحذف والقذف والمماصة والنفخ بالمناسل والضرب بالمغال والوخز بالعوامل . وقس على ذلك جميع ما تناول وصف الأحوال المعاشية، والروابط القومية، والأحكام العرفية، والمناظر الطبيعية من وهاد وهضاب ومطر وسحاب وبحر وبر وزرع وضرع وماء وهواء وأرض وسماء . بل قد تجد خزانة العربية أجمع وثروتها أوسع بما حوت من الألفاظ المفردة التي لا يعبر عنها في لغات الأعاجم إلا بعبارات . وإني مورد لك الآن أمثلة مما عير عنه في اليونانية بكلمتين فأكثر ويتيسر رده في النقل العربي إلى كلمة واحدة في الأفعال والأوصاف والموصوفات . ذلك كالسلب للجواد الطويل . والأجيد للجواد الطويل العنق، والأجرد للفرس القصير الشعير، والقب للخيل الضامرة، والقياديد للخيل الطويلة، والتبيع والتبعية لولد البقرة لحول واحد والحولى لابن سنة من ذوات الحوافر وغيرها، والسديس للذي أتم خمس سنين، والجبهاء للعريضة الجبهة، والأكبس لمن أقبلت جبهته وأدبرت هامته من الناس، والطحور للقوس البعيدة المرمى، والزجاج والمطارد للرماح القصيرة، والثلة لجماعة الغنم والمعز، والرغيل للقطعة من الخيل، والصوار لقطيع البقر، والدسيع لمفرز العنق من الكاهل والوتيرة لما بين المنخرين والبأديل للحم بين الإبط والشدوة أو لحم الثدي، وصرح بمعنى رمى ولم يصب، وأمثال ذلك مما سترى منه في الإلياذة شيئا كثيرا . (٤١)

ولمعرب المهراتة الأستاذ وديع البستاني مقدمة كمقدمة سليمان البستاني للإلياذة نشرها "بعنوان دياجاجة المعرب" وفيها ملاحظات نقدية قيمة نفيسة وقد عرضناها في مساهمتهم في الترجمة والتعريب .

(٣) حكايات لبنانية:

يمكن من خلال قراءة مقدمة هذا الكتاب استشفاف آراء قيمة في النقد فنرى خبرته في مجال دراسة الحكايات جديرة بالملاحظة فيقول إن الأساطير في كل البلاد تتشابه مع اختلافها في بعض التفاصيل :

هذه الحكايات منتشرة في الأنحاء اللبنانية كلها، وليس بميسور لأحد أن يطوف في القرى جميعها ليحصي ما في كل قرية من أساطير، بيد أن منها ما هو معروف في كل مكان بتنقله مع المتنقلين. وقد يكون لبعضها أشباه في غير بلاد عربية كانت أم غير عربية، لأن الأساطير قد تتشابه، وإنما تختلف في بعض تفاصيلها باختلاف البيئة وتأثرها بالتقاليد المحلية وبطريقة السرد واللغة التي تسردها.

ويشير المؤلف الى سبب هذه التشابه بين الأساطير فيقول: "وليس مانراه من تشابه بين أساطيرنا وأساطير غيرنا إلا نتيجة علاقات تاريخية وثقافية، فنرى مثلاً تأثير العرب والفرس والصليبيين وغيرهم في أساطيرنا، وغير أن هذا التأثير لا يحولها عن أن تكون عملاً وطنياً تسوده الروح اللبنانية ويزينه الخيال اللبناني، أن تكون لها خصائص تميزها من قصص مشابهة لها منتشرة في غير بلاد .

ويقول عن بعض الحكايات المعروفة في لبنان: "وبما ظهر تأثير هذه الحكايات بروايات أو قصص معروفة: فحكاية لمس، مثلاً متأثرة بحكاية من حكايات ألف ليلة وليلة عنوانها: "حكاية تدل على فضل الصدقة ونفعها"

وتشبه حكاية لمس أيضاً، في بعض فصولها، رواية جنفياف ده برابان. فكما أن جنفياف أنست بها غزالة كانت تغذيها بلبنها، ألقت لمس غزالة أيضاً كانت ترضعها ثم صارت ترضع ولديها.

وهناك حكايات أخرى تشبه أساطير تتداولها غير بلدان . فحكاية المرأة التي أتيت

بحليب السباع لتشفى من دائها لها شبه في الأدب الشعبى الروسى، وكذلك نجد شبهها فى غير بلاد للحكايات التى يتحول فيها الشخص من هيئة إلى أخرى، أو إلى هيئات متعددة، أو إلى بعض العناصر الطبيعية، كالحكايات التى يخطف فيها الجان الإنسيات، والتى تلبس فيها البنات ثياب الطيور، والتى نجد فيها تأثير أسطورة على الزيق المصرى، وحكاية المغفل التى يرويها كتاب كليله ودمنة وكتاب ألف ليلة وليلة .

وتحدث المؤلف عن مصادر الحكايات اللبنانية فقال: "وليس فى الإمكان أن نبحت عن ينبوع الذى استقيت منه حكاياتنا هذه، فقد يكون منها ما اخترعته مخيلة الشعب اللبنانى، وما هاجر إلى لبنان مع المهاجرين، أو ما حمله إلينا عابروا السبيل فى مرورهم بلبنان، على أنها تدل كلها على إحساس الشعب اللبنانى ومدى خياله وعوامله النفسية، ولا عجب فالأدب الشعبى الشفوى إنما يهتم بالحياة الشعبية، وهذا ما ينفحه بنفحة الأدب الإنسانى . وعبر المؤلف عن رايه فى هذه الحكايات والأساطير فقال انها عالمية وليست ملكا لاحد:

وليست هذه الأساطير أو الحكايات ملكا لأحد وإنما هى تخص الشعوب كلها، ويختص بعضها بالشعب أو المنطقة، التى ترويه . أما اللغة التى يتخاطب بها أبطال الحكايات، على اختلاف بلدانهم وشعوبهم، أنا سى كانوا أم حيوانات، فهى لغة البلاد التى تحكى بها الحكاية.

وتحدث عن غرض هذه الحكايات على اختلاف البيئات والبلاد فقال: "وتختلف مغازى مواضيعها بين ما هو اجتماعى وأخلاقى أو هزلى، وما يشيد بالفضيلة وحسن التربية والأخلاق الحميدة، ويشجب فساد التربية والأخلاق الرديئة، فهى إذا أخلاقية إنسانية تصور شيئا من علاقات بعض البشر ببعض، على أن صفتها العامة هى وقوعها فى أمكنة وأزمنة غير

(٤) الروائع:

إن الأستاذ فواد أفرام البستاني بدأ سلسلة ذهبية باسم الروائع وإنه تناول في هذه السلسلة الشعراء والأدباء بالبحث . وطريقته أنه أولاً يبين شخصية الأديب أو الشاعر وأهميته بالإختصار ثم يعرض حياة الشاعر أو الأديب، ثم يتباحث بعد ذلك عن العناصر الأساسية في كلامه حتى يمكن لقارى عادى أن يعرف من هو الشاعر ويعرف حياته وشخصيته وشعره وفنه بالإيجاز لأن الناقد الأستاذ فواد أفرام يريد أن يحلل كلامه ويعرض شخصيته أمام الناس حيث يريد أن يعرض رسالة الأديب والشاعر أمام الناس هذا هو السبب أنه يريد أن يبحث أولاً عن حياة الفنان ويتعرض لكلامه ورسالته فإن الأستاذ قد نجح في روائعه حيث أنه تكلم أولاً عن الفنان وبحث عن شخصيته ثم عن فنه وشعره وأدبه . فإن الناقد عرف أنه لا يملى له أن يعرض حياة الشعراء والأدباء بالتفاصيل والتحليل فانتخب عناصر من حياتهم وأدبهم . فيتعرض عن مكانة الأدباء ويتناول العوامل الرئيسية التي أثرت في تكوين حياتهم . ثم إنه تناول أدبهم وشعرهم وأنه حلل بعض كلامهم وملحتهم ومطولاتهم . والغاية المنشودة من هذه الروائع هى عرض شخصية أدبية بجميع مناحيها بالإيجاز لأن التفاصيل لا يمكن بيانها لكثير من الأدباء والشعراء . من خلال هذا الاختيار لصاحب الروائع اخذاً وطرداً، يتجلى ذوقه الأدبي المتميز وبالتالي حسه النقدي المرفه .

فإنه ينتخب من كلامهم ودواوينهم كنماذج نتاجاتهم لأن النخبة لها أهمية كبرى . فإنها قطعة من عقل صاحبه، فإن الأستاذ الناقد قد إنتخب كلاماً جزيلاً وشعراً رصيناً من كلام الأدباء ودواوين الشعراء كنماذج لهم ولاشك أنه إنتخب قطعة محكمة مؤثرة من كلام الأدباء والشعراء لأنه صاحب بصر بالأدب والشعر . فنحن نرى ثلاثة عناصره في هذه الروائع أولاً: حياة الشعراء والأدباء . ثانياً: التحليل لكلامهم وأشعارهم . والثالث: الانتخبات من الدواوين والكلام، هذه العناصر الثلاثة التي برزت إلى الامام في هذه الروائع .

فإن الأستاذ فواد أفرام البستاني قد نجح في مرامه حيث أنه عرض أمام الناس رسالة الأديب أو الشاعر لأن الناقد في العصر الحديث رسول من الفنان . فهو يشرح رسالة الفنان للناس لأنه يسهل شعره ويسهل فكرته ويشرح طريقته وينتخب كلامه لأن الغرض من الروائع هو تسهيل الكلام وتسهيل الشعر والقصائد، فإن هذا الناقد أراد أن يشرح رسالة الأدباء والشعراء أمام الناس وقد نجح في ذلك نجاحاً باهراً، ونال القدح المعلى واليد العليا في هذا الصدد حيث أنه عرض أما مناستين فنا في روائعه . وهذا عمل ضخم في الأدب والقصة .

لا يمكن تحليل جميع روائعه في باب واحد فإننا ننتخب خمساً من الروائع للبحث والتحليل في هذا الباب، واحدة، كل من العصر الجاهلي، العصر الإسلامي، العصر الأموي، العصر العباسي، العصر الحديث وهذه الروائع الخمس تمثل العصور الخمسة ونستطيع بذلك تقدير مقام به المؤلف البستاني من عمل أدبي ونقدى قيم جسيم .

إمرؤ القيس:

إن الأستاذ فواد أفرام البستاني أولاً تناول تاريخ قبيلة إمرؤ القيس وذكر ولده حجر وإنه كان ملكاً على بني أسد، أما حياة إمرؤ القيس فكانت حياة رجل ضال لأنه كان يتغزل بالنساء منذ عنفوان شبابه وكانت نساء جواره شكون إلى أبيه إلى غزله بهن فمنعه أبوه من التغزل فطرده أبوه من بيته . فخرج من بيته مع أصدقائه الشبان يتغزلون ويشتادون ويعيشون عند الغدران والرياض وكان ذلك يطوف في البلاد حتى بلغ إلى دمون من أرض شام.

وكان يشرب الخمر ويلعب بالنرد مع نديم له إذ أتاه نعي أبيه وقدين كيفية قتل حجر ابن السكيت فقال لماطعته بعض بني أسد فدعا حجر رجلاً من بني عجل إسمه عامر الأعور وقال له أن يذهب إلى أولاده ويخبره بقتله . فذهب إلى ولد حجر نافع فأخذ تراباً ثم وضعه على رأسه وكلهم فعلوا مثل ذلك: ثم بلغ الرسول إلى إمرؤ القيس وأخبره فلم يلتفت إليه، وتمم اللعب ثم التفت إلى عامر الأعور فأخبره عن قتل أبيه فقال ”ضييعني أبي صغيراً وحملني دمه

كبيراً لاصحو اليوم ولا سكر غدا! اليوم خمر وغدا أمر“ وهذه الجمل أصبحت شهيرة ثم شرب الخمر فلما صحا فأقسم أنه لا يأكل لحماً ولا يشرب خمراً ويدهن بدهن ولا يلهو بلهو ولا يغسل رأسه حتى يدرك ثأر أبيه . فيقتل من بنى أسد مائة ويجز نواصي مائة . ثم استعد لقتال بنى أسد ولما عرف بنو أسد عن هذه الأمر فإرسوا إلى إمر القيس وفداً للصالح فاحتجب عنهم ثلاثاً وقيل لهم هو مشغل ما في خراج خزائن أبيه من سلاح وعدة: ثم خرج إليهم في قباء، وخف، عمامة سوداء، فقالوا لإمر القيس إنتخب أشرف البيوت ونقودهم إليك فاقتله أو خذ فدية . فبكى إمر القيس ثم رفع رأسه فقال :”لقد علمت العرب أن لا كف لحجر في دم وإني لن أعتاض به جملاً أو ناقة فاكسب بذلك سبة الأبد . ولن نرضى إلا بالحرب“ ثم سافر إلى بنى بكر وبني تغلب فانتصرهم وأخذ جنداً وقتل مائتي رجل من بنى أسد فقال أصحاب بكر وتغلب إنك أخذت قصاصاً . أما إمرؤ القيس فكان يريد أن ينال ملك أبيه ولكن تغلب وبكر أبوا وانتشروا . أما إمر القيس فكان يحاول ويستنصر من قبائله . أما الملك منذر فخلفه وجاعل الجيوش لقتله ولكنه نجو لم يزل ينتقل من قبيلة إلى قبيلة إنه زار عمر بن الهند وهاني بن مسعود وأمراء آخرون . وفي هذا السفر إنه تزوج أم جندب، وطلقها فيما بعد وفي هذا السفر إنه سمي بالملك الضليل . وقال له عمرو بن جابر بن مازن أن يسافر إلى السموال من بنى فزارة .

فسئل إمر القيس السموال أن يكتب رسالة إلى الحرث بن أبي شمر الغساني ملك شام وترك إمر القيس دروعه وإبنه عند السموال . وذهب إمر القيس إلى قيصر الروم . أما الحرث بن أبي شمر الغساني فجاء إلى السموال فقال أعطني دروع إمر القيس فأنكر السموال فقال الملك إنني وجدت إبنك إما أن تعطيني دروع إمر القيس وإما أن تقتل إبنك الذي كان خارج الحصن فقال السموال أقتله فإنني لا أعطيك دروع إمر القيس إلا لورثته فقتل الحرث ولد السؤال ولكنه صبر وفاء وعده فضرب المثل وفاء السموال ثم إنه سافر إلى قيصر الروم فأمر قيصر لنجاشي ملك حبشة لمدد إمر القيس ولكنه تأخر فعين قيصر إمر القيس ملكاً على

فلسطين وإنه رجع من قسطنطينية وكان في أنقرة حينما اقتل بالجدرية فمات فذلك سمي بالقروح.

وهناك قصص قصيرة قيل أنه مات بالحلة المسمومة التي أعطاها القيصر، وقيل أنه كان نصرانية أو وثنية أو مزدكية ولكن ليس لنا دلائل لدينه. (٤٣)

أما ديوانه فطبع أولاً في باريس سنة ١٨٣٧م ثم طبع هذا الديوان في مصر ١٨٦٥م. إن الأستاذ فؤاد أفرام البستاني حلل معلقة إمرأ القيس تحليلًا باهرًا وأوضح كيفية هذا الفنان حيث أن الشاعر أنتج وصف الحب ووصف الناقة وبين أحواله المختلفة في هذه المعلقة لأنه أولاً سافر بخيله ثم بين أحوال بيت المحبوبة لأنه تذكر في السفر أنه عاش في هذا البيت مع حبيبته وحاجت قريحته وانتقدت شاعريته فقال:

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدحول فحوملى
قيل أن إمرأ القيس أول من وقف على الأطلال وبكى على الديار وشبه النساء بالمها
الظباء وإنه وصف المطر والفرس والناقة وما إلى ذلك . فإن الناقد قسم نقده على شعره في
ست أبواب نقد على المعلقة أوضحته. (٤٤)

ثم إنه ذكر في الباب الثاني الرثاء والتهديد، وذكر أولاً أسلافه الذين قتلهم تغلب ثم
إنه رثا أباه حجر وقال في ذلك

اتانى حديث فكذبته بأمر تززع منه القل
بنو أسد قتلوا ربهم الاكل شيء، سواه، جلل! (٤٥)

ثم إنه هدد بنى أسد بقصيدة

ثم إن البستاني كتب في الباب الثالث المديح والهجاء وفي هذا الباب إنه نقل قصيدة
في مدح سعد بن ضباب الآيادي ثم مدح المعلى بن يتم بقصيدة ثم مدح بنى ثعل وبعد ذلك
أنه نقل قصيدة في هجاء. (٤٦)

ثم إنه تناول الوصف فى الباب الرابع. أولاً أنه نقل قصيدة إمرأ القيس وقصيدة علقمة الفحل فى وصف الفرس ومن العجب أن البستاني لم يذكر الخصومة بين إمرأ القيس وعلقمة الفحل، والقصة هى أن علقمة إدعى أنه أشعر من إمرأ القيس فقال إمرأ القيس أنا أشعر منك ثم تحاكما إلى أم جندب زوج إمرأ القيس فقالت عليكما أن تصفا الفرس فى الشعر. نظم إمرأ القيس قصيدة فى وصف الفرس وكذلك نظم علقمة قصيدة وصف الفرس وإنهما عرضا قصيدتهما أمام أم جندب فإنها سمعت قصائدهما وقالت علقمة هو أشعر من إمرأ القيس لأنه يقول إن فرسه يجرى كالهواء أما فرس إمرأ القيس فلايمشى إلا بالغرب والصوت فعلقمة أشعر من إمرأ القيس فغضب إمرأ القيس على أم جندب فقال إنك عاشقة علقمة وطلقها فتزوجها علقمة.

هذه القصة هى الأصل فى نظم قصيدة إمرأ القيس وعلقمة فى وصف الفرس مع أن البستاني تناول الوصف بكل شرح وبساط ولكنه لم يذكر هذه القصة هذا هو خطأ منه. ولكنه إستوعب بيان الوصف بكل تفصيل أولاً ذكر وصف الفرس ووصف العدو والصيد ووصف الناقة والصيف والمطرو والحرب والقناعة هذه الأوصاف تعطى صورة متنوعة بتطور الشعر علوفه فى الشعر العربى. ولكن الناقد قد انتخب أبياتا فى الوصف وأوضح الكلمات الصعبة فى الهامش. (٤٧)

أما الباب الخامس فهو من ذكر أسفارة فإن الشاعر يذكر وصف الفراق وتغير الأصحاب ثم يسافر إلى قيصر يستنصر على بنى أسد وفى هذا السفر أنه يتذكر إمرأته هند فيقول:

تذكرت هنداً، وارتابها فأصبحت أزمعت منها صدودا

ونادمت قيصر فى ملك، فاوجهنى، وركبت البريدا

إن هذين الشعرين يشيران إلى أنه لقي قيصر واستبحده. (٤٨)

أما الباب السادس فهو فى آخر شعره وآخر أيامه وكانت الرواة ألحقوا كثيراً من

الأشعار به وانتحلوا كثيرا فى ديوانه ولكن البستاني أخذ أحسن الأشعار وأخذ القصائد التى اتفق عليها الرواة .

وصيرنى القرح، فى جبة، تحال لبيسا، ولم تلبس ،
ترى أثر القرح، فى جلده، كنقش الخواتم فى الجرجس،
وكل مكارم الأخلاق، صارت إليه، همتى وبه اكتسابى
ونفسى، سوف بسلبنى، وجرمى، فيلحقنى وشيكا بالتراب .
وقد طوفت ان الأفاق حتى رضيت، من الغنيمة بالإياب
اجارتنا، انا غريان هاهنا، وكل عريب للغريب نسيب

هذه الأشعار من آخر كلامه وهى تبين مرضه وقربه من موته، وموته فى الغربة وبعض الأشعار منها جميلة جدا حيث يقول:

وقد طوفت فى الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالإياب (٤٩)

ولاشك إنه طاف ولكنه لم يرجع إلى وطنه ومات غريبا فى السفر كما هو ظاهر من أشعاره . لم على كل أن البستاني انتخب طائفة من الأشعار الجميلة لإمرأ القيس ونجد لذة ومتعة فى نقد البستاني . وفى انتخاب أشعاره أنه أطال ذكر أحوال إمرأ القيس ولكنه قصر فى النقد عليه . ثم إنه أطال نخبة أشعاره فملاً كتابه بنخبة أشعاره، ولكنه بوب أشعاره فى ستة أبواب وأظهر قوة نقده وشعوره ونضوجه الفنى فى هذه النخبة الجميلة .

حسان بن ثابت الأنصارى:

إن حسان بن ثابت الأنصارى كان شاعرا فحلا فى العصر الجاهلى . وكان يختلف إلى الغساسنة وقد اكتسب مالا جما من الغساسنة وإنه كان يمدح الملوك خاصة . وإن فواد أفرام البستاني قد بين اتصاله بالملوك الغساسنة خاصة . وإنه قال إن حسان بن ثابت الأنصارى كان يشرب الخمر وإنه مرة شرب الخمر مع الاعشى الأكبر . (٥٠)

وإن البستاني تجاوز الحد حينما قال إنه كان يشرب الخمر بعد الإسلام ولم يتركها هذه كذبة جريمة من قبل البستاني . لم يشرب الخمر حسان بعد حرمة الخمر .

إن حسان بن ثابت الأنصاري عمر طويلا يقال عمر ستون سنة في الجاهلية وستون سنة في الإسلام ولكنه لم يأت دلائل في إثبات ذلك بل شك في ذلك وهو قال إن العرب قالوا لكثير من الشعراء إنهم عاشوا عشرين ومائة سنة هذا البحث خال من الدلائل . (٥١)

ثم إنه ذكر كلام الحسان في الإسلام في هذا البحث . إن البستاني ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بهجاء الكفار وكان ثلاثة من أهل القریش يهجون النبي صلى الله عليه وسلم والاسلام . وهم عبدالله بن الزبير ، وأبوسفيان بن الحراث ، وعمر بن العاص . وقال حسان بن ثابت الأنصاري إنه يدافع عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم كيف يدافعني وأنا من قریش فقال حسان إني أسل لك منهم كما تسل الشعرة من العجين ثم قال له إذهب إلى أبي بكر بن أبي قحافة فإنه علامة والعلامة في العصر الجاهلية هو رجل ماهر في الأنساب وعيوبه فكان حسان يعرف عيوب نسب قریش هذا هو السبب أن هجاء حسان كان أشد وقعا على قریش من السيف لأنه يعرف عيوب أنسابهم وأبو بكر كان يعينه . أما عبدالله بن رواحه فكان يذكر كفره ويعيرهم بالكفر أولا قول حسان ، وقول كعب بن مالك أشد على قریش . أما قول عبدالله بن رواحه كان أخف عليهم ولكن لما أسلم مكة كلهم فكان قول عبدالله بن رواحه أشد عليهم . (٥٢)

يقول البستاني: إنه خدم الإسلام والنبي وإنه كتب مراثيه بعد وفاته ولكن البستاني قد ذكر قصة صفوان بن معطل السلمي بغير فائدة وقال إن صفوان بن معطل السلمي ضربه بالسيف حتى جرحه فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم بيرحاء . (٥٣) ولكن كلما يقرأ هذا البيان يعرف أن البستاني قد ظلم حسان بن ثابت الأنصاري لأنه ذكر جنبه وذكر شعره النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه لم يذكر أن الحسان بن ثابت الأنصاري قد زاد في خدمة الإسلام

وزاد فى خدمة الشعر وكثيرا من الإصلاحات والإصطلاحات فإنه استعمل كثيرا من الإصطلاحات الإسلامية كالصلاة والزكاة والصدقة وما إلى ذلك . فإنه صبغ الشعر صبغة جلييلة بنور الإسلام ولكن البستاني تغافل عن هذه الناحية فى نقده عليه . وإنه كتب التاريخ فى قصائد كلها هذا شئ عجيب، نعرف به تاريخ الوقائع انه سجل جميع الوقائع النبوية كأنه تاريخ وقائع النبوية ولكن الناقد البستاني يظلم الشاعر ولا يذكر خصائصه الأصلية ثم إنه يقول إن شعره فى الجاهلية أفضل من شعره فى الإسلام فإنه ظلم بهذا النقد على الشاعر لأن الشاعر أصبح شاعر النبى صلى الله عليه وسلم وشاعر الإسلام ومثل الوقائع النبوية بكل جدارة وحفاوة ولكن البستاني تغافل عن هذه الناحية. (٥٤)

ثم إنه انتخب الشعر شعر حسان تحت عناوين مختلفة . وهذه النخبة جميلة حيث أن الشاعر ذكر فى الباب الأول المفخر ثم ذكر البستاني هجاء الحسان على قيس بن خطيم ثم ذكر فخره عند نعمان بن مندر .

أما فى الباب الثانى فإنه أخذ إسلامياته ثم ذكر فتح مكة ثم ذكر أحد وبدر . وأما فى الباب الثالث فذكر مدح جبلة بن الأيهم ومدح أولاد جفنة . وأما فى الباب الرابع فذكر هجاء الحارث بن كعب ثم ذكر هجاء صفوان بن المعطل ثم ذكر هجاء بنى سهم بن عمر . ثم ذكر فى الباب الخامس ذكر المراثى أولاً ذكر رثاء عثمان ثم رثاء حمزة . ثم ذكر فى الباب السادس خمرياته .

الفرزدق: ٦٤١ — ٧٣٢م فيما يلى نعرض ملخصا لرائعة البستاني عن الفرزدق:

حياته: إن اسمه كان همّام بن غالب بن صعصعة وكان كنيته أبوفراس من بنى تميم وفرعه منها مجاشع بن دارم وكان أبو الفرزدق من سادات قومه وعرف بالكرم والجود وكان أبوه غالب أعور وقد وفد على النبى صلى الله عليه وسلم وأسلم وإنه عاش طويلا حتى مات فى خلافة معاوية ودفن فى البصرة.

وكان الفرزدق يعظم قبر أبيه ويجير من استجار به قيل أن الفرزدق حدد امرأة بهجائها فلاذت إلى قبر أبيه فاستجارها . قيل أن قومه نزلوا بصرة في أرض العراق وكانوا على بدواتهم . والفرزدق كان وجهه كبيرا وفيه آثار الجدرى فلقبوه بالفرزدق معناه الرغيف الضخم وكان يفتخر على آبائه ونسبه . (٥٥)

أزواجه وأولاده:

كان الفرزدق مطلقا . وكان خبيث النفس فاحشازانيا . إنه ذكر كثيرا من النساء بالعشق بهن حتى وصل عددهن إثنتى عشرة امرأة وفيهن النوار وقصة نوار كبيرة هامة . إنه كان وليا بالنوار فتزوجها بنفسه خلافا لرضاها مكرهة . وكانت هذه المرأة ذات مال وجمال وكانت تطالب الطلاق منه فرضى يوما على أنها تنفق عليه بعد الطلاق كما كانت تنفق قبل الطلاق فطلقها وبعد الطلاق أنه ندم ندامة الكسعى وقال في ذلك .

كنت في الجنة فخرجت منها كآدم حين أخرجه الضرار

وندمت ندامة الكسعى حين أصبحت مطلقة من النوار

قيل أنه رزق من النوار أربعة أولاد زكور سماهم لبطة، وسبطة، وخبطة، وركضة وهؤلاء الأسماء كلها غريبة . وكان له خمس أوست بنات من غير نوار ولم يكن برأبأولاده لأنه كان فاحشا فلم يلتف إليهم . (٥٦)

ومن العجيب إن البستاني لم يذكر القصيدة التي نظمها بعد طلاق النوار لأن هذه القصيدة شهيرة جدا لا بد لكل من يكتب عن الفرزدق أن يذكر تلك القصيدة الجميلة وكان يجب عليه أن يذكر هذه القصيدة بالتفصيل ولكنه ذكر بالإجمال فقط .

إهتمامه بقبيلته :

إن الفرزدق كان يفتخر بأبائه وهو شاعر الفخر لأن جده صعبعة كان يشتري البنات من الذين كانوا يقتلونهم ثم يربهن ويزجهن على نفقته فإنه ربي ثلاثين أو ثلاث مائة بنت قيل

فى بعض الكتب ألف بنت نجاهن من الواد ولكن البستانى لم يذكر هذه القصة إلا بالإجمال .
ولكن الحق أن جده كان شهيراً بالوجود واناذا البنات من الواد فكان الفرزدق يفتخر على
آبائه ولكن البستانى لم يذكر هذه القصة إلا قليلاً لأن الفخر غلب عليه بهذا السبب .

ويذكر البستانى علاقته بخلفاء بنى أمية ويذكر بعض القصص فى ذلك من معاوية إلى
سليمان ولكنه كان يخاف من زياد بن أبيه وحجاج بن يوسف وخالد القسرى وعمر بن
هيرة . إنه ذكر بعض القصص وبعض الأمور فى هذا الصدد لأن المال كان يمكن أن يحصل
من خلفاء الأمويين كما كان يحصل المال بالمدح جرير بن عطية كذلك أنه جعل يمدح
الخلفاء لأمويين مثل جرير وكان الفرزدق علويًا . (٥٧)

الفرزدق والعلويون :

إنه كان يحب أهل البيت ويحب أولاد على . وحارب أحوال فرزدق خلاف على يوم
الجميل فكان يتوصل إلى الأمويين باشتراك أحواله خلاف على ، على كل أنه كان علويًا فى
العقائد وكان أمويًا فى السياسة حيث كان يستجلب المال منهم . ولكن هذه الحقيقة لم
يذكرها البستانى واضحة . بل ذكر أموراً أخرى ولكن الحق أنه كان يتشيع لعللى رضى الله
عنه . ولما زار هشام بن عبد الملك مكة للحج وكان هشام جالساً على كرسى ينتظر لاستلام
الحجر الأسود بسبب ازدهام الناس وفى ذلك الوقت قدم زين العابدين على بن حسين^{رض}
لاستلام فتنحى الناس إجلالاً له حتى بلغ الحجر الأسود واستلم ثم رجع فسئل هشام بن
عبد الملك "من هذا الرجل ؟" فغضب عليه الفرزدق لأن هشام بن عبد الملك كان يعرفه
فتجاهل فغضب عليه الفرزدق ونظم قصيدة جميلة ناصعة بيضاء فى مدح زين العابدين على بن
حسين^{رض} وهى قصيدة لامعة شهيرة فى الأدب العربى فقال فيه هذا الذى تعرف البطحاء وطأته ،
والبيت يعرفه والحل والحرم وهذه القصة شهيرة فى تاريخ الأدب العربى . فحبسه هشام
ومكث فى الحبس ثلاثة أشهر وقد أعطاه زين العابدين بن حسين^{رض} ألف دينار فلم يقبل منه شيئاً

وقال: إنما نظمت هذه القصيدة حبا لأهل البيت وحبا لله تعالى . ولكن من الأسف إن البستاني لم يذكر هذه القصيدة إلا إجمالا ولم يذكر تفاصيلها. (٥٨)

الفرزدق والشعراء:

قيل إنه لما ولد فعرضه أبو غالب على بن أبي طالب رضى الله عنه فقال له على علمه القرآن الكريم فوق هذا القول لنفسه وقيد نفسه فى غرفه لحفظ القرآن وقد تجاوز رُبَعين من عمره . وإن البستاني هو متعصب ومخالف للإسلام حيث يقول : ” وأقام يعالج الآيات القرآنية ليجمعها فى ذاكرة لم تتعود إلا حفظ الشعر المقدع والأخبار الفاحشة . ولكن الرواة قالوا إنه حفظ القرآن وحبس نفسه حتى حفظه . (٥٩)

أما مهاجراته فقد نشأت المهاجاة بين جرير والبعيث المجاشعي وقد هجأ جرير نساء مجاشع فاقبلن الفرزدق وقلن قبح الله قيدك فقد هتك جرير عورات نسائك . وهذا القيد قيد لحفظ القرآن ففرض الفرزدق قيده ونظم قصيدة يائية هدد جريرا وحدث ذلك فى عهد الحارث بن عبد الله وإلى البصرة لإبن زبير . ثم توالى النقائص واحدة من جرير وأخرى من الفرزدق نحو نصف قرن وقد دخل الأخطل فى هذه المهاجاة وهجأ جريرا وقال جرير وجدته وله ناب ولو كان له نابان لأكلنى ولكن البستاني لم ينقل هذا القول وفى هذا الهجاء اشترك شعراء كثيرون وكان فى سوق المربد خيمتان خيمة للفرزدق وخيمة لجرير، وكانت فرقة تؤيد جريرا وفرقة تؤيد الفرزدق وهما الجريريون والفرزدقيون وهما يتخاصمان ويتجادلان . ومن اعجب أن البستاني لم يذكر هاتين الفرقتين ولم يذكر أن حاكم البصرة هدم خيمتهما لسبيل الجدل والنقاش بين الناس ولما مات الفرزدق فقال جرير :

مات الفرزدق بعد ما جدعته ياليت الفرزدق عاش طويلا

فقال الناس له إنك هجوت ابن عمك بعد موته فندم ونظم قصيدة فى مدحه ولكن هذه الأمور لم يذكرها البستاني ومات بمرض ذات الجنب فى البصرة وقبره موجود فى مقابر

بنى تميم بالبصرة . (٦٠)

صفاته وأخلاقه:

وكان الفرزدق اصلعاً وقصيراً القوائم ويخضب لحيته وكان يلبس اللباس الفاخرة من الديباج والخز وكان الفرزدق أمياً مثل شعراء عصره ولكنه كان يعرف أيام العرب وكان يعرف القصص القرآنية .

فسقه وفجوره:

ولم يكن تقياً وغلب عليه الفجور ولكنه قبل موته تاب وإنه هجأ إبليس وقال ابن خلكان : إن الله سيغفر له بسبب قصيدته التي نظمها في مدح علي زين العابدين بن حسين . (٦١)
ثم إن البستاني انتخب أشعاراً جميلة من كلام الفرزدق من مدح لأمويين وولاتهم أولاً انتخب القصائد في مدح عبدالملك بن مروان ثم نقل قصيدة في مدح بشر بن مروان ثم نقل قصيدة في المدح وليد بن عبدالملك ثم انتخب قصيدة في مدح عمر ابن وليد ثم انتخب قصيدة في مدح الحجاج بن يوسف ثم انتخب قصيدة في مدح سليمان بن عبدالملك ثم إن البستاني ذكر قصيدة في مدح آل المهلب وإنه نقل قصيد جميلة في مدح عمر بن عبدالعزيز ثم إن البستاني ذكر مدح هشام بن عبدالملك في ملحوظه ونقل القصيدة الكاملة في مدح زين العابدين ثم انتخب قصيدة في مدح بني شيبان .

وطريقته إنه يكتب أولاً ملحوظة ثم يكتب قصيدة . إن البستاني أطال ذكر الفرزدق ولكنه قصر في النقد عليه حيث أنه لم يذكر تفاصيل المهاجاة بين الفرزدق وجرير في المربد لكنه أشار إليها ثم إنه لم يطل ذكر قصيدة زين العابدين مفصلاً ولم يذكر أن هشام بن عبدالملك حبس الفرزدق سببه هذه القصيدة .

إن البستاني أثبت أن الفرزدق لم يحفظ القرآن الكريم هذا غير صحيح وفي أكبر الظن أنه حفظ القرآن وكيف عرف أنه لم يتم حفظ القرآن الكريم ليس عنده دليل لعدم حفظ القرآن

الكريم لأن قول على رضى الله عنه وقع فى قلبه فلعله حفظ القرآن .

إن البستانى أخطأ حينما لم يذكر قول الأخطل فى فضيلة الفرزدق لأن الأخطل قال:

الفرزدق أفضل من جرير فى الشعر فغضب عليه جرير فقال نحن لانستسلم لحكومة نشوان

لأن الأخطل كان مدمنا للخمر ولكن العجب والأسف أن البستانى لم يذكر هذه الواقعة.

ابو الطيب المتنبى: بالمؤجز التالى للمتنبى، نستطيع تقدير عمل البستانى فى هذا الموضوع:

إن المتنبى قد كان أمير الشعراء فى زمنه ونال شهرة عظيمة فى الشعر العربى وهذا

الشاعر كان طموحا إلى السيادة والبلاية فإنه ولد فى الكوفة وكان اسمه أحمد بن الحسين

وكان كنيته أبا الطيب فكان من قبيلة بنى جعفى من القحطانية . وكان معروفا بالمتنبى كان

أبوه سقاء فى الكوفة استقى على جملة لأهل كندة وهى حى فى كوفة ليست هذه قبيلة . (٦٢)

ولد سنة ٣٠٣ هـ وكان عبقرى ذكيا الفواد قويا الذاكرة حفظ كثيرا من الأشعار

حتى نبغت طبيعته واتقدت قريحته وهنا أخطأ فواد أفرام البستانى حيث جعله حعفيا لأن طه

حسين قال فى الكتاب "مع المتنبى" إن المتنبى كان يخفى نسبه وعرف عرف المتنبى وإن له

جدة فى الكوفة فكتب إليها كتابا فلما بلغت الكتابة إليها فرحت كثيرا حتى ماتت بالفرح .

هذه الأشياء يشوش الشك فى النفس لكن فواد أفرام البستانى لم يذكر هذه المسئلة فى نسبه

لأن المتنبى لم يفتخر على أبائه قط ولم يذكر شيئا عن آبائه .

أمافواد أفرام البستانى فكتب أن آبائه أخذ إلى بادية الشام لكى تعلم اللغة الخالصة

ولكن طه حسين يقول فى كتابه "مع المتنبى": إن آبائه الحسين كان قمرطيا وكان يخاف من

الحكومة وكان يتنقل من مكان إلى مكان خوفا من الحكومة وكتب طه حسين أنه تعلم

مدارس قرامطة، على كل أن سفره فى البوادي كان مفيدا له حيث أصبح قادرا على اللغة . قيل

أن أبا على الفارسى سأل: "لم لنا من الجموع على وزن فعلى ؟ فقال دون تردد "حجلى

وطربى" قال ابو على: "فسهرت تلك الليلة التمس لهما ثالثا فلم أجد . (٦٣)

طموحه إلى السيادة :

إنه كان طموحا إلى السيادة هنا ذكر فواد أفرام البستاني أنه تأثر بالقرامطة حيث هنا ادعى للخلافة فبايع الأيادي بعض الناس فقبض عليه حاكم الكوفة وحدث ذلك في صباه حيث قال:

تعجل فيّ وجوب الحدود وحذى قبيل وجوب السجود

فرق له الوالي وأطلقه . بعد ذلك أنه أعلق نبوته وادعى للنبوّة والوحي فحبس مرة أخرى ثم تاب وأطلق . وبعض الناس يشكون في نبوته لكن لاشك في ذلك وزعم أن القرآن نزل عليه وفي سورة يقول : ”والنجم السيار، والفلك الدوّار، والليل والنهار إن الكافر لفي أخطار! إمض على سننك، واقف اثر من قبلك من المرسلين، فإن الله قامع بك زيغ من ألحد في دينه، وضل عن سبيله .

ويقول فواد أفرام البستاني: ”روى التنوخي عن أبيه إد قال: ”فأما أنا فسألته بالأهواز عن معنى المتنبي لأنني اردت أن اسمع منه هل تنبأ أولا . فجاوبني بجواب مغالطة وقال: إن هذا شئ كان في الحداثة!“ فاستحييت أن استقصي عليه، فامسكت “ (٦٤)

عند سيف الدولة (٩٤٨ — ٩٥٧)

إنه مكث عند سيف الدولة لتسع سنوات ونظم قصائد جميلة في مدحه، وهذه القصائد كانت جميلة متنوعة وأحسن ما قال في حياته هي قصائد التي تسمى السيفيات تجلى فيها فنه وعبقريته فحسد له الحساد فنفر به سيف الدولة نفرة وحدث مرة أن ابن خالويه والمتنبي تخاصما في لفظة فغضب خالويه على المتنبي فوثب ابن خالويه على المتنبي وضربه بالمفتاح فسجه وسال الدم على وجه المتنبي ولكن سكت سيف الدولة في هذا الأمر فعرف المتنبي أن سيف الدولة تغير عليه فنفر في الليل . (٦٥)

عند كافور الأحمدي (٩٥٧ — ٩٦١)

ومكث عند كافور أربع سنوات ووعد كافور له أنه يعطيه له ولاية ولكنه لما عرف شموحه وكبريائه لم يعطيه شيئا فغضب عليه المتنبى وهجأه هجاءا مرًا وهاجر من مصر إلى العراق يوم عيد الاضحى. (٦٦)

فى العراق والفارس:

إنه مكث فى الكوفة ثم ذهب إلى بغداد ولكنه لما كان عند سيف الدولة فانتقد على الخليفة العباسية فلم يلتفت إليه الخليفة ولم يمدح الوزير المهلبى لأنه كان لا يمدح الملوك والوزير ليس بملك فرجع من بغداد وذهب إلى ابن العيمد . (٦٧)

ومدحه بقصائد ثم ذهب إلى عضد الدولة ومكث عنده ثلاثة شهور ومدحه بقصائد. ورجع من عنده حتى قصد بغداد مع ابنه وغلمانه وأمواله فلما بلغ إلى دير العاقول عرض له فاتك بن إبي جهل الأسدى فحاربه حتى قتل متنبى وغلامه محمد سنة ٣٥٤هـ - ٩٦٥م . (٦٨) وسبب فى قتله أن المتنبى لما كان فى الكوفة هجأ ضبة فانتقم عليه وقتله وهى أم ضبة وهى أخته. (٦٩)

ثم ذكر فواد أفرام البستانى أخلاق المتنبى وصفاته وطموحه وكبريائه وكان المتنبى بخيلا جدا ونقلت له قصة وهى أنه رأى بخمسة من البطيخ باكورة فاردت اشترائه وقلت أعطينى بخمسة دراهم فأنكر وجاء عنده رجل غنى وساو فاعطاه بدرهمين فقلت له إنك أنكرتنى هذا البطيخ بخمسة دراهم وأعطيته بدرهمين فقال البائع إن هذا الرجل يملك مائة ألف دينار فأردت أن الناس يعبدون الدنانير . (٧٠)

ثم إنه ذكر ديوانه وشرح ترجماته وذكر طباعة الديوان فى الهند وفى أوروبا ولكنه ذكر شرح جميع الشراح وذكر شرح ابن حبنى، وشرح إبراهيم الافليلى، وشرح التبريزى، وشرح الواحدى، وشرح العكبى وشرح ليوسف البديعى وذكر كثيرا من تفاصيل لأعمال المستشرقين حوله يطول ذكرها. (٧١)

شعره

ثم إنه قال:

وما الدهر إلا من رواة قصائدي إذا قلت شعرا، أصبح الدهر منشدا

ثم ذكر فضيلته في المدح والهجاء وذكر قبوليته في الأوساط الأدبية والعلمية فهو شاعر كبير كما قال العباس محمود العقاد "و كأنما كان شاعرنا كذلك الميزان الكبير الذي يزن بالأطنان، فلا يحسب فيه حساب للدراهم ولا يلتفت إلى ما يسقط من خروقه من هذه الصغائر والهنات!!!". (٧٢)

وحقا يقول فواد أفرام البستاني: "وبالاختصار نرى المتنبي يؤلف نوعا مفردا في الآداب العربية، ويبنى حصنا رفيعا في مجال الشعر العربي، فبينا نشاهد حوله الجماعات من شعراء الغزل اللطيف، والوصف الدقيق، والمجون المستملح نراه هو وحده "شاعر العظمة!". (٧٣) نخبة البستاني:

إنه انتخب قصائد جميلة من شعر المتنبي أولا أنه انتخب من مدح سيف الدولة . وانتخب قصيدتين كاملتين ثم انتخب بعض الأشعار من قصائد أخرى.

مدح كافور

ثم إنه انتخب مدح كافور وأولا أخذ قصيدتين طويلتين ثم انتخب أشعار بعض قصائد ثم إن البستاني انتخب قصيدة في مدح أبي شجاع فاتك ثم أشعارا في مدح أبي العشائر ثم في مدح بدر بن عمار ثم إنه انتخب أشعارا في هجاء كافور وابن كيغلف.

ثم إن الناقد التفت إلى مرة أخرى إلى المتنبي وذكر حياته بالاختصار ثم ذكر مراتبه ومفاخره وحكمه ورثاءه ورثاء أم سيف الدولة ، ورثاء ابن سيف الدولة، ورثاء أخت سيف الدولة، ورثاء أبي شجاع فاتك، ورثاء عمدة عضد الدولة، ثم ذكر المفاخر وفيه مفخرة مدح بها المغيث بن علي، ومحمد بن عبدالله، وعلي بن محمد بن سيار التميمي وأشعارا أخرى

وهذه النخبة جميلة من حيث الألفاظ والمعاني وهي قطعة من عقل الناقد البستاني .

النقد على البستاني

إن الأستاذ فواد أفرام البستاني أهمل ذكر بعض الأمور الهامة في حياة المتنبي وفي استنتاجه من الوقائع .

(١) إنه لم يذكر أن المتنبي وأباه كانا من القرامطة . (٢) وإنه تعلم في المدرسة القرامطية . (٣) وإنه كان يطوف في القرى مع أبيه خوفاً من الحكومة هذا هو السبب لفصاحته لأنه تعلم اللغة من هذه القرى في بوادي الشام . (٤) إنه كان من قبيلة خاملة فلم يفتخر على آبائه وكان يخفي سببه كما ذكر كل ذلك الدكتور طه حسين في كتابه مع المتنبي . (٥) إن البستاني لم يذكر رجوع المتنبي إلى الكوفة قال طه حسين إنه لما رجع إلى الكوفة فحجم عليها القرامطة حتى أعطى الجائزة من قبل الخلافة العباسية لقتاله خلاف القرامطة . (٦) إن البستاني لم يذكر أن المتنبي ترك تشيعه عند سيف الدولة وهو لم يكن غالباً في التشيع بل كان يعتقد في فضيلة علي رضي الله عنه . وكان المتنبي وسيف الدولة يقاتلان خلاف أهل الروم فكان الجهاد خلاف الكفار فأصبح المتنبي مسلماً يعتقد في الإسلام بغير تهذب وتشيع هذا هو السبب أنه هجا خال فاتك الأسد الذي كان زعيماً من زعماء القرامطة . وهذا الهجاء أصبح سبباً لقتله لأن فاتك الأسد انتقم منه لهجاء خاله وكل هذا كتب الدكتور طه حسين في كتابه مع المتنبي ولكن هذه الأمور تركها فواد أفرام البستاني .

أحمد شوقي:

ومن العصر الحديث تناول البستاني أمير الشعراء شوقي فقال: إن أحمد شوقي كان شاعراً فحلاً في العصر الحديث وإنه لقب بأمير الشعراء، وإنه ولد سنة ١٨٦٨م ومات سنة ١٩٣٢م وكانت له سنة قريية وطيدة بالأسرة الملكية . فربى وترعرع بالقصر ثم أرسل إلى باريس وأخذ شهادة الحقوق من باريس وتعلم فرنسية وعرف الأدب الفرنسي وتأثر به وأخذ

منه، ولا شك أن الفرنسية وسعت وفقه وأعطته فرصة لتجدد خياله وتجدد شعره وأدبه، وهذه الأسباب أصبحت وسيلة لكتاب المسرحيات أول مرة في الأدب العربي الحديث .

وإن الشوقي كان موظفاً في قصر الملك لعشرين سنة بعد الرجوع من فرنسا فاته ضيع عمره في مدح الملك ولم تكن له صلة بالحياة العادية بل إنه كان يمدح الملك إذا تزوج ويهنأ الملك إذا ولد به ولد، وهنا الملك إذا شفع من قرضه . وكان يرثى إذا مات أحد في أسرة الملك فكان شعره يدور حول شخصية الملك وكان يعيش عيشة راضية وكانت حياته بدخا وسرورا ولم تكن له صلة بحياة الجماهير المصرية بل منعزلاً في القصر . وكتب الدكتور طه حسين أن الشوقي ضيع عشرين سنة في القصر وتمنى لو لم ينل الوظيفة في القصر لكان خيراً للأمة المصرية .

ثم إن أحمد شوقي نفى إلى أندلس لأن الإنجليز غضبوا على الملك وغضبوا على شاعر الملك أيضاً فنفى الشاعر إلى الأندلس بقي هناك خمس سنوات . ولما رجع من الأندلس إلى مصر فبدأ حياة جيدة مختلفة من الحياة الماضية لأنه كانت له صلة بالجماهير المصرية، وكان يكتب عن الأمور الاجتماعية وبعد الرجوع من أندلس أنه أصبح شاعر الشعب وشاعر المجتمع المصري وأنه كتب عشر مسرحية قبل موته كانت له صلة قريه بالحياة الاجتماعية المصرية .

وأحمد شوقي ترك مؤلفات ثرية وشعرية ولكنه نال شهرة في الشعر العربي الحديث كما نال شهرة في كتابة مسرحيات إن أحمد شوقي ترك عشر مسرحيات وديوان شعر المسمى بالشوقيات في أربعة أجزاء . (٧٤)

أما شعره فهو شاعر آفاقي حقا وأخذ العناصر للتجدد، وإنه حافظ الرواية القديمة في العصر العباسي لكنه أخذ العناصر الحديثة من الشعر الأوربي فجمع بين عهد القديم والحديث فعد من شعراء المحافظين .

وإنه ألف كتابا بالنثر سماه بأسواق الذهب، وكان نثره مقفا ومسجعا. (٧٥) فأولا نريد أن نتناول شعره، إن البستاني أولا انتخب قصائد عن الانقلاب الأسلامي وسقوط السلطان عبدالحميد. (٧٦) وإنه انتخب بعض القصيدة ثم إنه انتخب الأندلس الجديدة. وهذه القصيدة جميلة جدا ثم إنه انتخب خلافة الإسلام وإنه نظم هذه القصيدة عن إلغاء الخلافة على يد مصطفى كامل اتارك ثم إنه انتخب مراث منها رثاء سعد زعلوى ثم رثاء حافظ إبراهيم ثم انتخب قصيدة بين السفور والحجاب. (٧٧)

ثم إنه انتخب أية العصر في سماء مصر ثم انتخب قصيدة اسمها زحلة. (٧٨) هذه القصائد منتخبة عنده ولكن العجب أنه لم ينتخب الهزمة النبوية ونهج البردة، ولم ينتخب دول العرب وعظماء الإسلام هذه القصائد لها قيمة فنية من التركيات التي انتخبها ليست أفضل من همزة النبوية ونهج البردة.

إن البستاني أراد أن يبين أولا حياة الشاعر ثم إنه انتخب شعره ثم إنه كتب انتقادا على مسرحياته. فسلسلة روائعه الثالثة عن أحمد شوقي تتعلق بالمسرحيات وفي هذه المسرحيات إنه انتخب أشعارا من المسرحيات فإنه أولا انتقد على شخصية أحمد شوقي فقال إنه شاعر عصره ومعلم جيله. (٧٩) أولا أنه كتب حياته ثم بحث عن عناصر شخصيته ونسله وجنسه ثم بحث عن فكرته. (٨٠) وبحث عن تعليمه في باريس وعنصر الفرنسية في عقلية. وعاش عشرين سنة في القصر. (ص:د) ثم نفى إلى أندلس.

وإن البستاني استحس شعره في القصائد التي نظمها في مدح أندلس وفي تاريخها. (ص:ر) ثم إنه بحث عن مصرع كليوباترا وإن شوقي كتب ثمانية مسرحيات في الشعر وألف مسرحيتين في النثر.

وإنه انتخب أشعارا التي تتعلق بمناجاة انطونيو ثم بجثمان انطونيو ثم إنه انتخب مجنون وليلي ثم وفاة قيس على قبر ليلي وإنه نقل كثيرا من الأشعار في هذا الصدد. وإنه نقل

محادثة لهما فضلا من الأشعار ثم إنه تعرض لمسرحية مميز ونقل محادثة فى الشعر عن اكتشاف سر الملكة ثم ذكر مقتل العجل ونقل المحادثة فى هذا الصدد ثم إنه تعرض لمسرحية عنترة ونقل محادثة مهر عبله فى الشعر ثم نقل الجوار عن عبله باسم عبله تختار خطيبها. (٨١)

ثم إن البستاني فى الأخير نقل ثمانية قصائد من شوقيات على تلك نخبة كمن روائعه على الشوقى وإنه اختار بعض قصائد جميلة من الشوقيات ليست لها صلة بمسرحيات الأولى: الأسد ووزيره الحمار، والثانية: الحمار والجمل، والثالثة: الكلب والحمامة، والرابعة: سليمان والهدهد، والخامسة: البابل التى رباها اليوم، والسادسة: ولى عهد الأسد وخطبة الحمار، والسابعة: القرد والفيل، والثامنة: الفارة والقط. (٨٢)

فهذه القصائد سماها الأمثال ولها جمالها وبها ئها كذلك تتم البستاني روائعه على أحمد شوقى فى ثلاثة أجزاء فالحق أنه بدأ أولا حياته وشبابه ومنصبه فى القصر وحياته فى المنفى .

ثم عالج نثره وشعره وعالج روائع شعره وذكر دول العرب وعظماء الإسلام وعالج مسرحياته وذكر منها أربع مسرحيات وذكر الهمة التاريخية والفراغة وذكر رمسيس الثانى وذكر ايزس، موسى، وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم، وذكر الفيل وأبا الهول ثم إنه إنتخب نخبة جميلة من قصائده ومسرحياته أمثاله وتمم روائعه بالنقد الوجيز والنخبة الجميلة. (٨٣)

النقد على البستاني:

إن البستاني فى هذه الروائع على الشوقى استوعب جميع خصائص شعره ومسرحياته غير أنه قصر فى نخباته حيث أنه أكثر من تركياته، والتركيات فى الحق لا مكانة لها فى التاريخ لأن التركيات انتهى عصرها. أما الحياة التى قضاها أحمد شوقى فى القصر وهى أيضا لا أهمية

لها ولكن من العجب أنه لم ينتخب من قصائده فى المنفى وقصائده عن مسجد قرطبة وغيرها من المنظومات التى نظمها فى الأندلس .

ثم إنه لم يتعرض بالنزعة الإنسانية الآفاقية فى الشعر الشوقى، والشوقى هو شاعر الآفاق والانفس، ولكنه البستاني تغافل عن هذه الوجهة ثم إنه لم يتعرض لجميع المسرحيات بل عالج خمس مسرحيات فقط ولم يستوعب البحث عن المسرحية وفى الحقيقية أنه انتخب الأمثال والقصائد بغير المناسبة ولا تمهيد ولا نقد . على كل أن البستاني مع هذه العيوب والنقائص عرض أمامنا تصويرا جميلا لشعر الشوقى ومسرحياته .

(٥) مناظره لغوية أدبية:

هذه مجموعة ثمانى مقالات، الأربع منها للأستاذ عبدالله البستاني قد ناظر بها الأستاذ عبدالقادر المغربى والأستاذ انستاس الكرملى فى قضايا لغوية و كان الأستاذ المغربى رئيسا للمجمع العلمى العربى وقتئذ، وعضوا فى مجمع اللغة الملكى، والأستاذ انستاس الكرملى أيضا كان عضوا فى مجمع العلمى العربى، وفى مجمع اللغة الملكى . وكان الأستاذ المغربى ينشر مقالات لغوية فى الصحف المتداولة تحت عنوان "عثرات الأعلام" تنبيهاً للكتاب فى عثرات أعلامهم . وكانت هذه المقالات هى التى حملت الأستاذ البستاني صاحب معجم البستان على فتح باب هذه المناظرة . فأخذ يكتب فى جريدة الوطن مقالات يرد فيها على مانشره الأستاذ المغربى فى "عثرات الأعلام" تحت عنوان "الشيخ عبدالله البستاني والمجمع العلمى" .

واشترك الأستاذ المغربى فى هذه المناظرة ونشر رده على الأستاذ البستاني فى جريدة الوطن نفسها . وعند ما بلغ الأستاذ المغربى أن الأستاذ البستاني نشر رده على ما نشره فى "عثرات الأعلام" قال: "يجب علينا (قلت لهم) أن نشكر له عنايته بتلك المقالات مذكورها وعلق عليها . لكن أعتب عليه — وهو عضو شرف فى مجمعنا — أن يخرج عن

السنن المألوفة في المجامع العلمية فلم يرسل إلينا مقاله فنشره في مجلة المجمع كما فعل أخونا الفاضل العاملي . فقالوا (لى) ولكن الأستاذ البستاني ليس عضواً في مجمعنا . فاطرقت إذ ذاك إطراقة الواجم المتعجب . ثم ذكروا لى أن السبب في عدم انتخابه عضواً هو ما ارتآه بعض الإخوان من أن أشغال الأستاذ وشيخوخته قد تحولان دون إجابة سؤالنا . (٨٤) وفي أول جلسة للمجمع العلمي بعد انتهاء المناظرة التي امتدت أحد عشر شهراً من سنة ١٩٢١م إلى سنة ١٩٢٢م اقترح الأستاذ المغربي انتخاب مناظره الأستاذ البستاني عضواً في المجمع فانتخب بالإجماع . (٨٥)

ومن مواقف البستاني في هذه المناظرة التي نتعرف عليها من مقالته الأولى ، إنكاره لفعل (التحبيذ) الذي اشتقوه من كلمة (حبذا) كما أنكر استعمال (المواطن) بمعنى (الوطني) وقولهم (فلان رجل بكل معنى الكلمة) و (أعمدة الجرائد) و (العدد من أعدادها) و (الموظف والوظيفة) الخ . ونقده للمجمع في قوله (فعل تأكد) فإن فيه إضافة الشيء إلى نفسه و نقده له في متابعة صاحب (أقرب الموارد) مذ اشتق فعل بره من البرهة ، وإنكاره لاستعمال (لاسيما) بدون واو . (٨٦)

وفي آخر هذه المقالة أجمل الشاء على المجمع العلمي الذي كان يرأس الأستاذ المغربي لذوده عن حياض اللغة واهتمامه بإزالة ما يعثرها من الأوصاب ثم قال : ".....فإذا رأى في كلامي مرمى لناظر فإنني لنازل على حكمه إن رد على الحجة وإلا فاستنانه بسنة سيبويه يضمن له السكون إليه والثقة به . (٨٧) فمن المأثور أن سيبويه كان له في المسجد حلقة من أبناء البصرة ينقطعون إليه فيها فيبناهم يتلقنون منه نواذر العرب ودقائق اللغة هبت ريح هوجاء أطارت أوراقهم فقال لأحد أهل الحلقة أخرج فانظر أية ريح هي فخرج فنظر ثم عاد فقال هي ريح ماثبتت على حال فقال سيبويه تقول العرب في مثل هذا تذاء بت الريح أى جاءت من هنا وها هنا كالذب فقال الأخفش نعم وتقول كذلك تذأبت فقال سيبويه لم

يسمع فقال الأخفش بلى سمع فاستاء مجالسو سيبويه من جراءة الأخفش عليه وزووا وجوههم عنه ثم انصرفوا جميعا متواتقين على أن فى تكذيبه لإمامهم سماجة وجلافة ففى اليوم الذى ولى يومهم باكر سيبويه المسجد واستقدم مجالسيه إليه فقد موا وانتظروا حلقة حوله فابتدروهم يقول: "أ تعلمون ما أقدم بى على مباكرة المسجد ثم استدعائكم إليه جميعا قالوا لا قال تحققت أن العرب تقول تذاء بت الريح وتذأبت فقول الأخفش هو الصواب فاحفظوه. فجل فى عيونهم وزادوا استرسالا إليه بالثقة". (٨٨)

هكذا كان رجاء الأستاذ البستاني فى ختام مقالته الأولى باستلانة عريكة الأستاذ المغربى فى قبول النقد لأنه دأب السلف. وبعد عدة مقالات "نشرت له جريدة الوطن" فى نقد المجمع العلمى جاء رد الأستاذ المغربى قال فيه: نشرت (جريدة الوطن) ست مقالات رد بها الأستاذ البستاني بعد سكوتة زمنا وأنه هو قد تعجل انتقاد (عثرات الأقلام) بعد أن اطلع على مقالتين منها. وأنه لو كان اطلع عليها كلها ولا سيما مقدمتها لما كتب فى نقدها ما كتب — أدرك هذا فسكت عن الجواب إذعانا للحق. وعملا بآداب المناظرة حتى قام بعض تلاميذة فاعترفوا بأنهم هم الذين (أكرهوه على إبداء رأيه فى عثرات الأقلام إكراها). (٨٩)

"أما إذا كان لابد من بيان رأينا فى المقالات الست التى كتبها الأستاذ لأن مضامينها ليست موضع نزاع. ومعظم ما فيها قد تعتمد الأستاذ فيه الخروج عن الصدد تعمدًا بحيث لم يعد الموضوع يفيد جمهرة القراء الذين إنما نكتب جميعا فى الموضوعات اللغوية من أجل فائدتهم. ولا سيما أن الأستاذ تكلف كتابة مقالاته تكلفا. وسلك مجاهلها تعسفا، إجابة للاقتراح. وتسكيننا للاحاح، كما أشرنا إليه آنفا". (٩٠)

ومن الأمور التى يعاتب الأستاذ البستاني المجمع العلمى عليها تداوله بين الجانبين، ففى الجانب الأول يقول المجمع العلمى "وسنجهد فى الاقتصار على ما نظنه خطأ فى

القول مما لا يحتاج الأمر فيه إلى الرد والمناقشة“ أما إذا بدا له قول فيه وجهان مختلفان أحدهما راجح والآخر مرجوح فإنه لا يتصدى لنقده ذهاباً إلى أن الأحسن لا ينفي الحسن والأفصح لا ينفي الفصيح. فكانه يقصد أنه لا ينتقد إلا ما يظنه ليس عليه ظل للصحة .

وفى الجانب الآخر يؤخذ المجمع العلمى الكتاب وإن كان عند بعضهم وجه من الصواب ومثاله قول المجمع العلمى (يعنى عبدالقادر المغربى).....إننا انتقدنا حذف ”لا“ من لاسيما وزيادة الواو من ”لابد وأن“ فإذا قال قائل ”إن هناك لغة تجوز ذلك“ نقول له ”وهناك أيضاً لغة تجوز أكلونى البراغيث فهل نستعمل هذه اللغة ونترك الانتقاد على الكتاب الذين يجرون عليها فى كلامهم“ . (٩١)

وفى المقالات التى ردّ بها الأستاذ البستاني ما يؤيد الأستاذ المغربى فى قوله إن مضامينها ليست موضع نزاع . ومعظم ما فيها قد تعتمد الأستاذ فيه الخروج عن الصدد . ومثاله فى هذا المقام قوله الأستاذ البستاني: ”ينكر النحاة على المصنفين حذف ”لا“ من لاسيما إلا الرضى (الشرىف) فإنه قال ”وقد يتصرف فى لاسيما تصرفات كثيرة لكثرة استعمالها كحذف لا وتخفيف الياء مع وجودها“ فقول الرضى لا يقدح فى نقد المجمع العلمى لأن ذلك لم يسمع إلا فى كلام المولدين ومما يجب تنبيه الكتاب عليه أن ”لا“ من لاسيما لابد من اقترانها بالواو فيقال رحل القوم ولاسيما زيد ومن أحكامها أنها لا ترد بعدها الجملة مصحوبة بالعاطف وقول بعضهم ولاسيما والأمر كذا كلام غير عربى . (٩٢)

ولكن فيه ما يعارض لنقد المجمع العلمى مباشرة ومثاله قول الأستاذ البستاني: ”أما قول بعض الكتاب لابد وأن يكون كذا فقد استعمله أقطاب الناقدين وجهابذة أرباب التحصيل كجلال الدين السيوطى والسيد السند وعبد الحكيم السيلكوتى وفخر الدين الرازى وابن أبى الحديد وغيرهم ممن يرجع إليهم فى المشاكل أفليس من الحيف أن ننفذ غبار العذل عن هؤلاء المحققين ونشدد النكير على أدباء يقلدونهم فيما يكتبون قال الفرزدق:

أتضرب أقواماً براءً ظهورهم

وتترك حق الله في ظهر مالك

فلم تتعارض آراء بعض المحققين في صحة استعمال "لابد وأن" ولكنهم اختلفوا على الغرض من الواو قبل أن . قال الغزى تفيد هذه الواو تأكيد لصوق لبالخير وأثبتها الزمخشري ومقلدوه بين الموصوف وصفته الواقعة جملة أما ابن هشام فلم يثبت واوا للصوق ولكنه رجح أنها من الحروف التى دخولها كخروجها فهى عنده كـ "ما" الزائدة بين حرف الجر ومجروره، وقال ابن عابدين "رأيت فى بعض الهوامش أنه روى عن أبى سعيد السيرافى أنه قال تجئ الواو بمعنى من نقلا عن سيبويه فإذا ثبت ذلك كان حمل الواو هنا عليه أولى من دعوى زيادتها اهـ". (٩٣)

ولكن الحق والحق يقال إن الأستاذ البستاني قد تعمد فى رده بياناً بحيث لم يعد الموضوع مفيداً لجمهرة القراء الذين كان يكتب المجمع العلمى لفائدتهم كما عرفنا من قول الأستاذ المغربى وفى هذا البيان ما يدل على ثقافة الأستاذ البستاني الواسعة حتى نراه يستشهد بالعلامة الهندى عبد الحكيم السيالكوتى ويعدده من بين أكتاب الناقدين وجهابذة أرباب التحصيل . وقىما يلى مثال آخر لرد الأستاذ البستاني على المجمع العلمى . قال الكاتب: "أجمعت الصحف على حياد انكلترا وعدم مداخلتها مع اليونان" وقال المجمع العلمى: "إذا لم يكن بد من استعمال فعل المداخلة فالأصح أن يقال وعدم مداخلتها فى أمور اليونان كذا يفهم من صحاح الجوهري".

أقول ليس فى قول الصحاح ما يبرئ المجمع العلمى من السهو وهاك ما قال الجوهري "دخيل الرجل ودخله الذى يداخله فى أموره" فكلام الجوهري فيه إيجاز القصر . وإيضاحه أن كل ما كان مباطناً للرجل كنيته وسريته وصاحب سره وغير ذلك يدعى دخيله ودخله لأنه يداخله فى كل أموره فداخل فعل متعد لا لازم فلا يقال داخلت

إنكلترا فى أمور اليونان بل داخلت اليونان فى أمورهم فمن السداد أن يقول الناقد الصواب
عدم مداخلتها لليونان فى أمورهم أو عدم دخولها أو تدخلها فى أمور اليونان . (٩٤)
وكان جواب الأستاذ المغربى كما يلى:

قلنا نحن أنه لا يجوز أن يقال (مداخلة إنكلترا مع اليونان) وإن الصواب أن يقال
(مداخلة إنكلترا فى أمور اليونان) فلم يخطئنا الأستاذ فى ذلك بل انتقل بنا إلى شئ آخر
وهو أن (المداخلة) فعل متعد لا بدله من مفعول . فكان اللازم أن نقول (مداخلة إنكلترا
لليونان فى أمورها) ولكن ألا يجوز حذف المفعول به اختصاراً أو اقتصاراً ولا سيما إذا كان
سياق الكلام يدل عليه . وهنا كلمة (اليونان) محذوفة دل عليها إعادتها أخيراً بلفظها مكان
الضمير . (٩٥)

وفى الكتاب مزيد مما يدل على توسع مشرب الأستاذ البستانى فيقول مثالا: "وفى
هذا المقام يبيح لى الأستاذ أن أجيب أديبا سألتنى معنى قولى فى مقالتي الأولى "شدة الهمزة
أحدثت قوة فى الفعل كما أن رخاوة النون أحدثت ضعفا فيه" فأقول أيها الأديب . لا يخفى
عليك أن من الحروف العربية ما يسمونه بالشديد وهو ما يمنع الصوت أو النفس من الجرى
فيه إذا لفظته ساكنا وأنت مستعين بحرف قبله . ومنها ما يسمونه بالرخو وهو ما يجرى
النفس فيه إذا لفظته ساكنا مستعينا بحرف قبله فإذا لفظت "أ أ" و "أن" رأيت أن الصوت
ينقطع على الهمزة ولا ينقطع على النون فالأحرف الشديدة هى: الهمزة والقاف والكاف
والطاء والتاء والذال والباء . والحروف الرخوة هى الهاء والحاء والخاء والغين والشين
والصاد والضاد والزاي والسين والظاء والطاء والذال والفاء . فإذا تعاقب فى كلمة حرفان
أحدهما شديد والأخر رخو كان معنى ما فيه الحرف الشديد زائدا على معنى ما فيه الحرف
الرخو أو أشد معنى منه وذلك كقولك واطنته على هذا الأمر وواطأته عليه فتقول واطنته إذا
أضمرت فى نفسك أن تفعله معه وتقول واطأته إذا فعلته موافقا له . ومن ذلك التصفيق

والتصفيح فمعنى كل منهما الضرب بباطن الكف اليمنى على باطن الكف اليسرى وإخراج الصوت من بينهما غير أن صوت التصفيق أقوى من صوت التصفيح لشدة القاف ورخاوة الحاء ولذلك قال بعضهم التصفيق للرجال والتصفيح للنساء.

ومنه الودق والودف فالودق القطر من السحاب والودف القطر من الإناء . ومنه النهود والنهوض فالنهوض قيام عن قعود فقط والنهود قيام على كل حال . ومنه البرى والثرى فالبرى التراب اليابس وغيره، والثرى التراب الندى . ومنه الأش وهو الخبز اليابس، والهش وهو الخبز الرخو . ومنه الكسوف وهو ذهاب نور الشمس وإظلامها، والخسوف وهو ذهاب نور القمر وإظلامه .

ويقال هش وبش فإن كلامهما بمعنى فرح إلا أن الهاش لا يظهر على وجهه أثر يدل على الهشاشة بخلاف الباش فإنه يكون طلق الوجه عند ما يخف للمعروف لأنه من البشيش وهو الوجه .

ومنه كب الإناء وصب الشراب من الإناء فإذا كب الإناء لم يبق فيه من الشراب بقية لأن الكب قلب الإناء على وجهه ومن ذلك يقال كبته لوجهه أى صرعته وإذا صب الشراب من الإناء فقد يبقى فيه منه بقية يقال لها الصبة أو الصبابة فإذا شربها الرجل قال تصاببت الشراب أى شربت صبابته ويقال كفحته وصفحته . قال الأزهرى كفحته بالعصا والسيف إذا ضربته بهما مواجهة . وصفحته إذا ضربته بصفح السيف أى بعرضه . هذا قليل من كثير فكفى بك أيها الأديب أن تقيس على هذه المثل غيرها بعد أن تستبطن الحروف التى ذكرتها لك . ودعنى الآن أنصرف عنك إلى أستاذى اللغوى (يعنى الأستاذ المغربى) فإنه على جبل انتظارى وليس من محمود الأفعال أن اتراخى عن الإياب إليه فإنه وجهة آمالى . (٩٦)

وقال الأستاذ المغربى فيه: "قسما من المقالات الست (يعنى للأستاذ البستاني)

تضمن جوابا مسهبا على سوال وجهه أديب إلى الأستاذ بشأن للفرق بين حروف الهجاء الرخوة والشديدة، وهذا بحث لاناقة لى فيه ولاجمل على أنه مما تتلقنه أطفالنا فى الكتاتيب عندما يراد تعليمهم فن التجويد“. (٩٧)

وهذا، وكأن الأستاذ المغربى يفتخر بحظه من علم حروف الرخوة والشدة لكونه مسلما فرد عليه الأستاذ البستاني بقوله: ”أقول لك تعلم يا شيخ المجودين فلسفة الحروف من مسيحى لم يحد قط آملا أن يكون لى عندك بعد إعادة النظر فى التحبيذ وإضافتك البيانىة مودة غير مدخولة ودوام عهد على طول المودة“ (٩٨)

وكما مر، فإن الأستاذ البستاني قد أنكر فعل التحبيذ الذى اشتقوه من كلمة (حبذا) كما أنكر استعمال (المواطن) بمعنى (الوطنى) وقولهم (فلان رجل بكل معنى الكلمة) ولكنه قد جوز خلاف المجمع العلمى قولهم (تطاحنوا فى الحرب). ويقول الأستاذ المغربى فيه: ”القسم الرابع من المقالات (للأستاذ البستاني) تضمن مناقشتى فى كلمات من اللغة لم تكن قط موضع نزاع بينى وبينه مثل كلمات (التحبيذ) و (المواطن) و ”التطاحن“ فهذه الكلمات الثلاث إن كنت اناردت فيها القول فإنما فعلت ذلك مشايعة للأكثرية من إخوانى أعضاء المجمع الذين يعدونها من ”عثرات الأقلام“ لعدم وجود نص عليها من كتب اللغة. أما أنا — إذا خلّيت ورأى — فأجوزها كما أجوز كل دخيل شاع وألفته الأسماع وخف على الطباع — فإذا أنصفت أيها الأستاذ وجدت نفسك كتبت بضعة أعمدة لاجابة إليها. ولا أصلح أن أكون خصما فيها. (٩٩)

ونذكر هنا رأى الأب انستاس الكرملى عضو المجمع العلمى فى هذا الصدد فيقول: ”وقفت على مادار من البحث اللغوى بين الشيخين: عبد القادر المغربى وعبد الله البستاني وأدرج فى (أعداد الوطن): فأحببت أن أذكر بوجه الاختصار ما يمكن أن يؤول من كلامهما فيؤخذ به، وما لا يمكن أن يخرج أو يوجه فلا يلتفت إليه.

وإنكار الشيخ البستاني لحبذا لكونه مولداً، ولأن المولدين لم ينطقوا به بهذا المعنى الذى اتخذه له بعض كتاب هذا الزمن الأخير، كلام لا يؤخذ به، وإلا لو تأخذ به لطرحننا من العربية جميع مصطلحات العرب العلمية والفنية والصناعية والعمرانية، ولم يبق بيدنا منها إلا الشئ النزر التفه الذى لا ينطبق إلا على الحالة البدوية أو على الحافرة ولم يكن عندنا مانؤدى به عن أحوالنا العصرية فنكون قد رجعنا القهقري إلى العصور الأولى وصرنا فى أخريات الناس، وهذا لا يقبل به عاقل.

وحبذ بمعنى استحسّن ظاهر من نقله لكلام صاحب القاموس إذ قال: لاتحبذنى أى لاتقل لى أنت حبيبى. أفصحل حضرته أنه الرجل لا يقول لصاحبه: أنت حبيبى إلا بعد أن يستحسن مقاله أو خلقه أو خلقه فهذا من باب التلازم. فقول المولدين أو المعاصرين: حبذ بمعنى استحسّن لا غبار عليه. وأما انفراد المجد الفيروز آبادى بهذه الكلمة، فذلك لا يطعن بصحة كلامه، لأن من حفظ حجة على من لم يحفظ، وتقديم (لا) عليها لا يعنى أنها لا ترد إلا مقرونة بها، فذكره (لا) معها هو من باب إيراد قول المتكلم على ما نطق به ولم ينص أحد على أن كلام (لا) و (حبذ) ملازمة لجارتها.

أما (المواطن) وما أحدثه المعاصرون من الألفاظ الجمة فيقال عنها: إن نطق بها العرب سابقاً، جاهليين كانوا أو مولدين، يؤخذ بها والإفلا، وهذا بشرط أن يكون لها مرادف فى كلامهم، وإلا فإن اقتضت الحاجة إلى اتخاذها، فلا يعبأ بورودها أو بعدم ورودها، بل تؤخذ وتسخر لأداء بنات الأفكار، وإلا فمجرد المحافظة على ما نقل إلينا من كلامهم بدون التصرف فيه من زيادة أو نقصان، هو من قبيل الجمود بل الهمود والقضاء علينا وعلى لغتنا، وهذا لا يرضى به لاهو ولا غيره ولو كان متعصباً كل التعصب لحفظ ذخيرة الأقدمين.

ولما كانت كلمة (المواطن) لا تدخل فى هذا الباب، لأنها مشتقة من (واطن)

وواطن لم يرد فى كلام واحد من فصحاءهم من جاهليين ومولدين، وكان لها مرادف عندنا وهو (الوطنى) و (ابن الوطن) وجب أن يضرب بها وبأمثالها عرض الحائط.

بخلاف قولهم: (فلان رجل بكل معنى الكلمة) فليس فى لغتنا كلام يؤدى هذا الفكر. وقول الشيخ البستانى: "فذلك تعبير ليس من العربية بشئ، فالعرب يقولون: فلان رجل أى رجل، وأيما رجل، على معنى كامل فى كل صفات الرجولية. وهو العالم حق العالم، وجد العالم، يريدون البليغ الكامل فى كل الصفات" فهو غير المطلوب من التعبير الأول. وذلك أن التعبير الأول يفيد مفادا آخر، وهو أن للكلمة الواحدة عدة معان من وضعية (أو حقيقية) ومجازية ومطلقة ومقيدة، إلى غيرها. فقول القائل: بكل معنى الكلمة أى بكل معنى من المعانى المذكورة. وهذا لا يرى فى التعبير الذى يذكره العرب. وأما قوله فذلك تعبير ليس من العربية بشئ، فهذا لا ينفى استعماله، لأن العرب لم تنطق بجميع التعابير، وكيف تنطق بها وهى أكثر من أن تحصى، بل لأحد لها. والعرب لم تحظر فى كتبها التعابير على أنواعها، بل ما كان منها مخالفا لتراكيبهم أو مناحيهم، وليس الأمر هنا كذلك. فإن التركيب تركيب عربى ومنحاه منحاهم، وإذا نطق به واحد منهم، فهمه حالا كل ناطق بكلامهم، فلم يبق إلا اتخاذه". (١٠٠)

وعلى أية حال فإن الأستاذ البستانى قد كان له قدر كبير لدى مناظره الأستاذ المغربى فيقول: "أيها الأستاذ المحترم: إنك بحمد الله أشهر من نار على علم. وإن أعضاء المجمع العلمى العربى أول من يعترف لك بالفضل والكفاية. لكنهم لا يرضون أبدا أن تنزل بهم إلى ميدان من المناقشات أعلنوا من أول الأمر أنهم لا يحبون النزول إليه: لا عجزا يعلم الله عن الجرى فيه أشواطا وأشواطا بل لأننا نعلم أن أبناءنا وإخواننا محبى اللغة العربية الحراس على إجادة الكتابة فيها إنما يريدون الفائدة العاجلة. والثمرة الناضجة. وهم من مشاغل دنياهم وتكاليف حياتهم والنظر فى شعب الفنون العصرية الأخرى بحيث

يعجزون عن تقصى مقاله الأخفش وابن جنى ونفطويه.

ولقد سمعت الكثيرين منهم — يشهد الله — يتأفون مما كتبتموه فى مقالكم التى ناقشتمونا فيها مذكروا وأبحاثها لا يفهمها إلا صاحبها وطائفة الإحصائيين فى هذه اللغة. على أن الإحصائيين أنفسهم لا نظنهم فى حاجة إليها. فلم يبق إذن من فائدة لهذه المقالات سوى هتاف تلامذة الأستاذ إن أستاذنا البستاني أستاذ كبير فى اللغة العربية وهذا أمر مسلم لا جدال فيه كما قلنا آنفا. (١٠١)

ولكن الأستاذ البستاني نراه لم يدع فرصة إلا أن انتهزها لنقد المجمع العلمى وقال فى استعمال الأستاذ المغربى لكلمة "إحصائى" بمعنى "متخصص" أى عاقل يقول إن الرجل لا يكون منقطعا إلى ممارسة فن واحد إلا إذا سلت خصيته فى اللعجب العجيب..... وقول المعاجم الثلاثة تعلم علما واحدا خطأ شنيع صوابه معل معل واحد، والمراد بقوله واحداً أى خصاءً لا نظير له يعنى بولغ فى خصائه وكثيرا ما فسر صاحب القاموس الغامض بما هو أغمض منه. افترسل بعد هذا التحقيق إلى وصف الرجل المتخصص لعلم واحد بالإحصائى. (١٠٢)

(المصادر والمراجع)

(١) بطرس بن سليمان البستاني: أدباء العرب، المطبعة دارالمكشوف ودارالثقافة، الطبعة

العاشرة، سنة ١٩٦٨م، بيروت لبنان، ج: ١، ص: ٤١

(٢) نفس المصدر، ج: ١، ص: ٤٤

(٣) نفس المصدر، ج: ١، ص: ٢٥٣-٢٥٦

(٤) نفس المصدر، ج: ١، ص: ٢٦٥

(٥) نفس المصدر، ج: ١، ص: ٢٨٢، ٢٨٣

(٦) نفس المصدر، ج: ١، ص: ٢٨٤، ٢٨٥

- (٧) نفس المصدر، ج: ١، ص: ٢٨٤، ٢٨٥
- (٨) نفس المصدر، ج: ١، ص: ٤٠٤، ٤٠٥
- (٩) نفس المصدر، ج: ٢، ص: ١٩، ٢٠
- (١٠) نفس المصدر، ج: ٢، ص: ٢٠، ٢١
- (١١) نفس المصدر، ج: ٢، ص: ٢٢
- (١٢) نفس المصدر، ج: ٢، ص: ١٢٧، ١٣٠
- (١٣) نفس المصدر، ج: ٢، ص: ١٣١، ١٣٣، ١٣٥
- (١٤) نفس المصدر، ج: ٢، ص: ٢٢١، ٢٥٩
- (١٥) نفس المصدر، ج: ٢، ص: ٣٠١، ٣٠٧، ٣٠٨
- (١٦) نفس المصدر، ج: ٢، ص: ٣٧٧، ٣٧٨
- (١٧) نفس المصدر، ج: ٢، ص: ٤٢٣، ٤٢٤
- (١٨) نفس المصدر، ج: ٢، ص: ٤٢٥ (١٨)
- (١٩) نفس المصدر، ج: ٣، ص: ٣٨، ٣٩، ٤٠
- (٢٠) نفس المصدر، ج: ٣، ص: ١٧٠-١٧٢
- (٢١) نفس المصدر، ص: ١٨٠-١٨٣
- (٢٢) نفس المصدر، ج: ٣، ص: ١٨٥، ١٨٦
- (٢٣) نفس المصدر، ج: ٣، ص: ١٩١-١٩٢
- (٢٤) نفس المصدر، ص: ١٩٣-٢٠١، ٢٠٣-٢٠٦
- (٢٥) نفس المصدر، ص: ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥
- (٢٦) نفس المصدر، ج: ٢، ص: ٢١٦
- (٢٧) نفس المصدر، ص: ٢١٧، ٢١٨

- (٢٨) نفس المصدر، ج:٣، ص:٢١٨-٢٢٢
- (٢٩) نفس المصدر، ج:٣، ص:٢٥٠-٢٥٢، ٢٥٤-٢٥٧
- (٣٠) نفس المصدر، ج:٣، ص:٣٥٧، ٣٥٩، ٣٦٠
- (٣١) فواد أفرام البستاني: سليمان البستاني، في "الروائع" الجزء (٤٤) المطبعة
لكاثوليكية، الطبعة الأولى سنة ١٩٥٢م، بيروت، ص: ٢٢٦-٢٢٨
- (٣٢) محمد عبد الغني حسن: المصدر المذكور، ص: ٢٢٨
- (٣٣) نفس المصدر، ص: ٢٢٩
- (٣٤) محمد عبد الغني حسن: فن الترجمة في الأدب العربي، المطبعة الدار المصرية في
التأليف والترجمة، ص: ١٠٧
- (٣٥) نفس المصدر، ص: ٢٢٦-٢٢٨
- (٣٦) فواد أفرام البستاني: سليمان البستاني، في "الروائع" الجزء (٤٥) المطبعة الكاثوليكية
الطبعة الأولى، سنة ١٩٥٢م، بيروت، ص: ٢٩٠-٢٩٣
- (٣٧) نفس المصدر، ص: ٢٩٣-٢٩٥
- (٣٨) نفس المصدر، ص: ٣٩٧-٣٩٩، ٣٠١
- (٣٩) نفس المصدر، ص: ٣٠١-٣٠٣
- (٤٠) نفس المصدر، ص: ٣٠٣-٣٠٦
- (٤١) نفس المصدر، ص: ٣٠٧-٣١١
- (٤٢) كرم البستاني: حكايات لبنانية، المطبعة دار صادر، دار بيروت، بيروت، سنة ١٩٦١م،
ص: ٦-٩
- (٤٣) فواد أفرام البستاني: إمرو القيس في "الروائع" المطبعة الكاثوليكية بيروت، سنة
١٩٢٧م، ص: هـ، و، ز، ح، ط، ي، ك، ل

- (٤٤) نفس المصدر، ص: ١
- (٤٥) نفس المصدر، ص: ١١
- (٤٦) نفس المصدر، ص: ١٣-١٤
- (٤٧) نفس المصدر، ص: ١٦-٣٢
- (٤٨) نفس المصدر، ص: ٣٣-٣٦
- (٤٩) نفس المصدر، ص: ٣٧-٣٩
- (٥٠) فؤاد أفرام البستاني: حسان بن ثابت في "الروائع" ٢٣، المطبعة دارالمشرق الكاثوليكية بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة سنة ١٩٦٩، ص: ١٤٤
- (٥١) نفس المصدر، ص: ١٣٢-١٣٣
- (٥٢) نفس المصدر، ص: ١٣٨-١٣٩، ح، ط
- (٥٣) نفس المصدر، ص: ١٤٠
- (٥٤) نفس المصدر، ص: ١٤٨-١٤٩
- (٥٥) فؤاد إفرام البستانيم الفرزدق في "الروائع" ٣٧ المطبعة الكاثوليكية، بيروت، الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٦، ص: ٣٨٧-٣٨٨، ب
- (٥٦) نفس المصدر، ص: ٣٨٨، ٣٨٩
- (٥٧) نفس المصدر، ص: ٣٨٩-٣٩٠
- (٥٨) نفس المصدر، ص: ٣٩٠-٣٩١
- (٥٩) نفس المصدر، ص: ٣٩١-٣٩٢
- (٦٠) نفس المصدر، ص: ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤
- (٦١) نفس المصدر، ص: ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦
- (٦٢) فؤاد إفرام البستاني: ابو الطيب المتنبي في "الروائع" المطبعة الكاثوليكية، بيروت سنة

١٩٢٧م، ص: ٩

(٦٣) نفس المصدر، ص: ب، ج

(٦٤) نفس المصدر، ص: د، هـ، و

(٦٥) نفس المصدر، ص: ز

(٦٦) نفس المصدر، ص: ح، ط

(٦٧) نفس المصدر، ص: ي

(٦٨) نفس المصدر، ص: ك

(٦٩) نفس المصدر، ص: ل

(٧٠) نفس المصدر، ص: ف

(٧١) نفس المصدر، ص: ص، ق، ر

(٧٢) نفس المصدر، ص: ث، ض

(٧٣) نفس المصدر، ص: ظ

(٧٤) فؤاد أفرام البستاني: أحمد شوقي، في "الروائع" ٤٨، ٤٩، ٥٠، المطبعة الكاثوليكية

بيروت لبنان، سنة ١٩٦٨، ص: ٥١٧، ج

(٧٥) نفس المصدر، ص: ٥١٦

(٧٦) نفس المصدر، ص: ٥٢٩

(٧٧) نفس المصدر، ص: ٥٦٨

(٧٨) نفس المصدر، ص: ٥٢٩، ٥٣٦، ٥٥١، ٥٥٥، ٥٦٢، ٥٦٨، ٥٧١، ٥٧٥

(٧٩) نفس المصدر، ص: ١

(٨٠) نفس المصدر، ص: ج

(٨١) نفس المصدر، ص: ٥٩٣، ٥٩٥، ٦٠١، ٦٠٥، ٦١٣، ٦٢٠، ٦٢٣، ٦٢٨

- (٨٢) نفس المصدر، ص: ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨
- (٨٣) نفس المصدر، ص: ٦٣٩، ٦٤٠
- (٨٤) مناظرة لغوية أدبية، للمجمع العلمي العربي، المطبعة مكتبة القدسى، سنة ١٣٥٥، ص: ١٦
- (٨٥) نفس المصدر، ص: ١٦
- (٨٦) نفس المصدر، ص: ٩٥
- (٨٧) نفس المصدر، ص: ١٢
- (٨٨) نفس المصدر، ص: ١٣
- (٨٩) نفس المصدر، ص: ٣٦
- (٩٠) نفس المصدر، ص: ٣٧
- (٩١) نفس المصدر، ص: ١٠
- (٩٢) نفس المصدر، ص: ١١
- (٩٣) نفس المصدر، ص: ١١
- (٩٤) نفس المصدر، ص: ٦
- (٩٥) نفس المصدر، ص: ٢١-٢٢
- (٩٦) نفس المصدر، ص: ٢٨، ٢٩، ٣٠
- (٩٧) نفس المصدر، ص: ٣٧
- (٩٨) نفس المصدر، ص: ٤٤-٤٥
- (٩٩) نفس المصدر، ص: ٣٨
- (١٠٠) نفس المصدر، ص: ٥٨، ٥٩، ٦٠
- (١٠١) نفس المصدر، ص: ١٧-١٨
- (١٠٢) نفس المصدر، ص: ٤٤

الفصل العاشر

مساهمة البستانيّين في أدب الرحلة

وفي مجال الرحلات أيضا يوجد للبستانيّين بعض المؤلفات فإن فؤاد أفرام البستانيّ قام بتأليف كتاب ”خمسة أيام في ربوع الشام“ فللقيس الديرانيّ أغوسطين البستانيّ، الكوكب السيار، ولسليمان بن خطار البستانيّ رحلاته. ولنجيب بن المعلم بطرس البستانيّ ذكرى ومشاهدات في الأستانة. ولم يصل إلينا إلا الكتاب خمسة أيام في ربوع الشام للأستاذ فؤاد أفرام البستانيّ، رئيس الجامعة اللبنانية. قد قام بتأليفه فؤاد أفرام البستانيّ الذي كان أستاذا وقتئذ في دار المعلمين والمعلمات في بيروت. وفي عطلة العيد تكونت لجنة من طلابها وأساتذتها لزيارة بعض أنحاء بلاد الشام لخمسّة أيام وكانوا ثلاثين مسافرا ودارالعلوم هذه تخرج معلمين ومعلمات للعلوم الأدبية والعلمية والفنية. وطبع الكتاب بمطبعة منشورات الثقافية اللبنانية في بيروت سنة ١٩٥٠م وصفحته ٢٤٥. ورأيناه في مكتبة قسم اللغة العربية وآدابها لجامعة عليكره الإسلامية.

وقد جرى البستانيّ مجرى التقليد الجارى في تسجيّع العناوين فسماه بخمسّة أيام في ربوع الشام. وللكتاب إثنا عشر عنوانا ويحتوى الكتاب على أحوال الأشخاص والقبائل والشعوب للأماكن والمحال والبلدان. فالعنوان الأول رحلة الموزاييك في سيارة بوبك، والثانى: نسج العفاريّ من مغازل عمريت، والثالث: أحاديث السند باد في جزيرة أرواد، والرابع: العود المانوس إلى ساحل طرطوس، والخامس: الراحة والأنياس في حمامات بانياس، والسادس: من راميتا الفنيقيّين إلى عاصمة العلوبيّين، والسابع: بيوت وقباب من طين وتراب، والثامن: شجر وماء في حلب الشهباء، والتاسع: انعطاف الطريق

إلى قبر الزنديق، والعاشر: شعر وأساطير فى حنين النواعير، والحادى عشر: اجتياز الفلوات إلى قارا والبنك وتلك الجهات، والثانى عشر: تطاعن القرون فى سفح قاسيون.

العنوان الأول: رحلة الموزاييك فى سيارة بوبك

قد بدأ فواد أفرام البستاني وأصدقائه رحلتهم من موضع الموزاييك فى سيارتهم بوبك من لبنان وهم سافروا إلى أنحاء سورية بكاملها ساحلية وداخلية، مثلاً حدود النهر الكبير إلى طرطوس، وجزيرة أرواد، واللاذقية، وحلب، والمعرة، وحماه، وحمص. (١)

والبنك سناتى فى العناوين الآتية ذكر هذه المواضع المذكورة.

وهذه الرحلة كانت طويلة ومتنوعة المرامى التى تجتمع بين التاريخ والجغرافية والآداب والفنون والعلوم فتكلم البستاني كما ذكرتها آنفاً فى المقدمة تحت هذا العنوان عن زيارة هذه اللجنة فى الربيع الفاتت المواقع التاريخية المختلفة، كقلعة جبيل وقلعة طرابلس وأقلع بولس الرسول الذى كان عالماً رومانياً. ونهر إبراهيم لاتزال مياهه على إحمرارها منذ أن امتزجت بها دماء دونيس. (٢)

هكذا زارت ساحل البترون القاحل المجذب والجامع البدوى وغير ذلك.

العنوان الثانى: نسج العفاريات من مغازل عمريت

وبعد ذلك وصلت اللجنة إلى جسر النهر الكبير الذى كان قريباً من الحدود السورية، وتحادثت هناك بين ممثلى الجيش والأمن الذين كانوا سائلين عن الركاب والبضائع، وهم دخلوا فى السورية بجوار النهر الكبير باسم الوتيروس وزاروا مدينة "سميرا" الفنية وهى من بنات أرواد. وكان يقرب منها إلى الجنوب قرية الشيخ زناد. والنهر الأبرش، والقرية الحميدية التى كانت تنسب إلى سلطان عبد الحميد. حينما اضطربت الأحداث عدداً من مسلمى إقريطش، أو كريت، إلى هجرة جزيرتهم. فلدجأوا إلى الساحل السورى واقطعوا هذه الأرض بينونها قرية دعيت باسم السلطان. (٣)

هكذا زاروا مغازل عمريت . وفى الحقيقة كان هناك مغزلان ولكن سميا بضم
الشعب "المغازل" يحكى أنها نسجها الجن والعفاريت . فلذا كتب البستاني هذا العنوان
نسج العفاريت من مغازل عمريت وهى مدينة فينيقية عظيمة . ومدينة عمريت عرفت فى
ما بعد باسم مراتوس وكانت محطة مهمة لتجارة الجزيرة . وكان كبار من التجار قد بنوا
لهم فى أعاليها الهياكل والمسارح والملاهى والملاعب والدرات الفخمة للاستراحة فى
الربيع والصيف ولم يبق من كل هذه الأبنية إلا الأنصاب المدفينة وبقيت ماثلة "المغازل"،
و"برج البزاق". (٤)

وبعد ذلك تكلم البستاني عن كيفيتها فى ضخمة وارتفاعها وأقواهما بناء وغير
ذلك وفى ساحة مدينة عمريت كثير من الأطلال لا يسعنا المجال لذكرها هنا .

العنوان الثالث: أحاديث السند باد فى جزيرة أرواد

ثم ارتحلت هذه الفرقة السياحية من مدينة عمريت إلى جزيرة إسمها أرواد وهى
كانت فى البحر قرب قسطنطينية . وفى عهد معاوية بن أبى سفيان غزاها المسلمون مع
جناده بن أبى أمية ففتحوها فى سنة ٥٤. (٥)

وصور البستاني أحوال الأرواد بين السياسية والاجتماعية وغيرها . فقد وقعت
الحروب بين المسلمين والصليبيين متوالية . وبعد حرب الفريقين قرنا كاملا تغير النظام
الفرنجى والفوضى الإسلامية بالنظام الإسلامى والفوضى الفرنجية . فتفككت الممالك
والأمارات الصليبية واحدة بعد أخرى، وسقطت القلاع فى أيدي الأيوبيين قلعة بعد قلعة .
وصارت الجزيرة المنيعه من آخر المعاقل القائمة على العهد الصليبي . فسقطت سنة
١٣٠٢ بعد سقوط طرطوس . وشهدت خرابا جديدا، ودكانها ثيابا لأسوارها . (٦)

ثم أن البستاني ورفقائه قد رأوا هيكلا عظيما فى جبل مملكة الأرواد على نحو
ثلاثين كيلومترا شرقى الجزيرة وهو هيكل بوتيقيى الماثلة آثاره حتى عصره قبل ١٩٥٠ء

معروفة بحصن سليمان. (٧)

وهناك رأوا أيضا نقودا مختلفة مثلاً نقود أرواد ومن إمبراطرة الرومان مثلث النقود الأروادية رؤوس مرقس انطونيوس، واغوسطوس، وطيباريوس، وقاليجولا، ونيرون، ودوميسيان، وترايانوس، ومرقس أوريليوس، ولوقيوس فيروس، وكوموديوس، وسبتيموس ساويروس، وكراكلا، وإيلاغال.

أما منقوشات أقفية النقود فالأكثر فيها على عهد السلوقيين، السفينة الفينيقية العريقة، وبعض الآلهة اليونانيين، وأسماء الملوك، وشجرة النحل. (٨)

هكذا أنهم رأوا المذاهب المسيحية والنصرانية والإسلامية . فالمسيحية بزغت منبراً، من بلاد الجليل شواطئ كنعان . وكان الرسل ينتشرون في مذهبهم ويتواترون التقليد منذ العصور الأولى للكنيسة فإن القديس بطرس وصل إلى أرواد بنفسه فبشر سكانها، ونقلهم إلى الدين المسيحي . إلا أن بعض المعاصرين من نقاد التاريخ الديني لا يرون ما يبرر هذا التقليد. ولكن النصرانية عريقة في أرواد. ترقى إلى زمن الرسل دون شك. وتردهر شيئاً فشيئاً. ويقول البستاني هو يذكر الفتوحات الإسلامية: "وقد رأى معاوية أنه مادام البحر في يد البيزنطيين، فلا يمكن أن تستقر الطمأنينة للدولة الإسلامية في ولايته من بلاد الشام، ومادامت الجزر مرافئ للأسطول البيزنطي فالبحر في يدهم. فقام على أثر غزوة قبرس، سنة ٢٧ للهجرة (او ٦٤٩ للمسيح) يحاصر جزيرة أرواد. ولكن حالت بينه وبين فتحها مناعة أسوارها، واستعداد أهلها، واشتداد العواصف فيها. فراجع عنها إلى دمشق. حتى إذا كانت السنة التالية عاد إليها بأوفرعدة وأقوى عزيمة. فشدد عليها الحصار حتى استسلم أهلها..... إلا أن أشهر مؤرخي المسلمين كابن الأثير وابن خلدون ومن أخذ عنهما لا يدكرون هذا الفتح بتاريخ السنة ٢٧. إنما هم على القول بأن الغزوة والفتح حصلتا سنة ٥٤ للهجرة (٦٧٦) " (٩)

وقص البستاني في هذا الكتاب قصة ذات عبرة على الفيلسوف الملحد خلال سفره في جزيرة أرواد فالبستاني وأصدقائه كانوا يسافرون في بحر هذه الجزيرة. فأثارت العاصفة فيه واشتدت حتى كادوا ان يكونوا من المغرقين فبعض منهم كانوا يتلون آية الكرسي وبعضهم يقولون من "نحنا يا رب". وهناك كان الفيلسوف فولنى، يبرهن فلسفيا لجمهور المسافرين عن عدم وجود الخالق قبل ذلك. حتى إذا اشتدت العاصفة وتجمع الركب على وشك النزول بالقوارب، طلب "الفيلسوف" الملحد فوجده راکعاً في حجرته يتضرع إلى الله. (١٠)

هكذا حكا البستاني حكاية عجيبة أخرى وأصدقائه زاروا كثيراً من المواقع التاريخية وأساطير أرواد النادرة وغيرها.

العنوان الرابع: العود المانوس إلى ساحل طرطوس

رحلة فواد أفرام البستاني مع لجنته كانت إلى ساحل طرطوس بعد زيارتهم جزيرة أرواد. فالبستاني تكلم في هذا العنوان عن سكان ساحل طرطوس واحتلال المماليك الأخرى عليه وتسميته المختلفة وغير ذلك.

فتحدث عن تسميتها فذكر أن تسمية طرطوس عند المماليك مختلفة، فقال طرطوس عند الفينيقية. وعند اليونانية انترادوس وعند البزنطية كونستانسيا، وعند الصليبية طرطوزا وفي الزمن الراهن يقال طوطوس مثل الفينيقية. (١١)

ووصلت إليها جيوش المسلمين بقيادة عبادة بن الصامت في السنة السابعة عشرة للهجرة أي ٦٣٨ فتحاصرها وتباشر هديبوتها حتى تدخلها خراباً تقريباً. ودخل جيش الروم سنة ٩٦٨م ثم استرجعها المسلمون، ولكن البيزنطيون مجدداً على عهد الإمبراطور باسيل الثاني.

ولطرطوس قدر عظيم في التقليد المسيحي والتقليد الإسلامي أيضاً. فقد تداول

الأخباريون أن مصحف الخليفة عثمان الشهير، مثال المصاحف جميعها، حفظ مدة في هذه المدينة. وهكذا كان يجتمع التقليدان المسيحي والإسلامي على إنالتها شيئاً من الميزات الدينية. وإليها ينسب أبو عبدالله الخواص المقرئ الطرطوسي. (١٢)

العنوان الخامس: الراحة والإيناس في حمامات بانياس

بعد سياحة طرطوس أرادوا الرحلة إلى بانياس وذكرها تحت عنوان الراحة والإيناس في حمامات بانياس. وأقام البستاني ورفقائه بانياس فترة للاستراحة فيها بعد ذوب الماء وغزارته، فتصوروا لذة المتنعمين بالحمامات القديمة. ثم أسرعوا على طريق اللاذقية منقطعاً جسراً صغيراً على نهر جوبر، في خروجهم من بانياس. (١٣)

وزار البستاني وأصحابه كثيراً من المواضع التاريخية مثلاً التلال والجسور وقلعة المرقب والساحات الأذقية وغير ذلك فتكلم في هذا العنوان عن تحقیقات أسماء مختلفة لبانياس وسكانها وغير ذلك فباناس وهي بالانية القديمة، إبنه أرواد التي دعاها البيزنطيون لو كاس. وكان يقولها الصليبيون فالانية، والعرب بلنياس وبانياس. ولها الذكر المستفيض في تاريخ هذه الدول جميعاً. وأشهر ما فيها حماماتها بل إن إسمها مشتق من اسم الحمام، وكأنها أصبحت حماماً شاملاً يولى نزلاءها المتعبين الراحة والإيناس.

وذكر البستاني سكانها في سنة الرحلة قبيل ١٩٥٠ للميلاد نحو ثلاثين ألفاً منهم في المدينة نفسها نحو ثلاثة آلاف. وأكثرهم، أي سكان القضاء أو المنطقة كانوا من العلويين بمعدل الثلاثين تقريباً. وتكون الثلث الباقي من السنيين، والمسيحيين الأرثوذكس والموارنة، والاسماعيليين. والمسيحيون كانوا يحترفون المهن الحرة على الغالب، كما ذكره البستاني فهم أطباء، ومحامون، وتجار، وموظفون. والسنيون كانوا يشتغلون بالتجارة، متولون بعض الوظائف. وهناك تجار من الاسماعيليين أيضاً أما العلويون فكانوا يكوّنون أسس المجتمع، يقومون بزراعة الأرض التي يملكها سواهم، على الغالب، من

السنين والمسيحيين وبعض الإسماعيليين. (١٤)

العنوان السادس: من راميتا الفنيقيين إلى عاصمة العلويين

ثم ارتحل البستاني والفرقة المرافقة له إلى المدينة القديمة راميتا أو رامنتاعند الفنيقية ثم دعى مازدبان، على عهد الاحتلال الفارسي، وعرف في العهدين كليهما . وهى فى الأصل مرفأ من منشآت أرواد. ثم ارتحلوا إلى اللاذقية وهى عاصمة العلويين . أطلق عليها سلوقوس الأول نيقاطور باسم أمه لاوذيقية، جاعلا منها مرفأ صالحا ومدينة حسنة البناء . وبدل اسم اللاذقية الصليبيون بلاليش حينما دخلوها فى أواخر القرن الحادى عشر . (١٥)

وفى ٣١ آب ١٩٢٠م ألف الجنرال غور ودولة جديدة من كل المنطقة العلوية دعت دولة العلويين ثم دولة الاذقية، وجعل المدينة عاصمة لها ، وبقيت على رتبته حتى الحقت منطقة العلويين بسورية فغدت اللاذقية عاصمة المحافظة المدعوة باسمها . (١٦)

وقال استرابون: وبعد أن تعاقبت على المدينة أيدى الاشوريين، والبابليين والفرس، واليونان، استقرت فى الدولة السلوقية مرفأ لمنطقة افامية، تصلها بالعاصى طريق نالت الكثير من عناية أرباب السلطة فى القرون المتتابة مارة بصهيون وجسر الشغور وبرزة، رابطة الساحل بالداخل من أسهل المنافذ، عاملة على ازدهار كل تلك المنطقة زراعة وصناعة . (١٧)

وظلت اللاذقية على أهميتها فى العهد الرومانى، بشهادة النقود الكثيرة المسكوكة فيها، أو على إسمها . (١٨) ومازار هذه المدينة فواد أفرام البستاني فحسب بل زار كثير من الأدباء مثلاً متنبى زارها مادحا وإليها معاذ بن جبل، وذلك قبل إتصاله بسيف الدولة قبل سنة ٩٤٨م. وزارها المعرى بعد ذلك بنحو نصف قرن، وأيضاً زار كثير من الرهبان وغيرهم. (١٩)

وتكلم البستاني فى هذا العنوان عن سكانها وزراعتها وصناعاتها وغيرها أيضاً فسكان اللاذقية فى عصره كانت تبلغ مابين الثلاثين والأربعين ألفا أكثريتهم من السنين . على أن سائر الطوائف ممثلة فيها، وأكثر المسيحيين عددا الروم الارثوذكس كانوا

يتجاوزون الخمسة الآلاف بعدهم الأرمن، فالموارنة، وبعدهم البروتستانت. (٢٠)

أما الزراعة فأشهرها الخمور الطيبة كانت تصدر إلى مصر، وفارس، ومابين النهرين، وفي الصناعة أقمشة الصوف التي كانت تمتاز بنسجها أنوال الاذقية، والسجاد المتنوع الألوان والأشكال تمثل بعض الحيوانات الغريبة، والطيوب الناعمة المستخرجة من حقول الزنبق المحيطة بالمدينة. (٢١)

العنوان السابع: بيوت وقباب من طين وتراب

وزارت اللجنة السفرية للبستاني المواقع المتنوعة في الطريق إلى حلب بعد زيارتهم اللاذقية فزاروا كثيرا من المواضع التاريخية والقرى القديمة والبيوت العجيبة والقباب الطينية وغيرها. فقد زارت اللجنة (القسطل) وهو تحريف Castle هذا هو الموقع من يقايا الأبراج والقصور الصغيرة التي كان يقيمها الرومان فالبيزنطيون فالصليبيون على مشارف الجبال ومراقب الطرقات. (٢٢) وأيضا زارت قرية انكيزيك، على نحو ٦٥ كيلومترا من اللاذقية، وقرية جسر الشغور أو الشغور، في وادي العاصي الفسيح على ثمانين كيلومترا من اللاذقية. وقرية أورم الجوز، وقرية ريحا بعيدة من حلب على نحو ثمانين كيلومترا. (٢٣)

العنوان الثامن: شجر وماء في حلب الشهباء

وبعد ذلك وصلت هذه اللجنة الارتحالية إلى حلب وهي كانت على وجه الأرض من أقدم المدن القديمة وتركت أرباب الدولة التي ملكت سوريا الشمالية منذ القرن العشرين قبل المسيح الآثار القديمة العديدة في نواحي حلب، وحمص، وحماء.

والشهباء لقب حلب فذكر البستاني قصة عجيبة لاسم حلب واستدل عليه بقول ابن بطوطة وهذه القصة أن لإبراهيم الخليل كانت بقرة شهباء وكان إبراهيم برا بالفقراء، عطوفا على المساكين. وكانت بقرته كبيرة الضرع غزيرة اللبن. وكان يحلبها كل مساء في الساعة المعلومة. فكانت تنتظر الأرامل والإيتام وذو الحاجات، ويجمعن حول خبائه في

تلك الساعة السعيدة متسائلين : — بالعربية كيف بإبراهيم — حلب الشهباء ؟ حلب إبراهيم؟ حتى إذا نالهم بعض حليبها انصرفوا شاكرين معلنين الخير لمن تأخر عنهم، مرددين: حلب الشهباء! حلب الشهباء! وكان أن كبرت تلك القرية لإبراهيم فسميت بحلب الشهباء هذا ما كان من فضل تلك البقرة على المدينة . (٢٤)

ويقول البستاني نقلاً عن البيروني الذي نقل عن ياقوت: إن الملك بلقورس الأشوري قدولى على مقاطعة قنشرين رجلاً اسمه حلب بن المهر أحد بنى الحباب ابن مكنف من العمالقة فاختط مدينة حلب وسماها باسمه .

ويقول البستاني نقلاً عن ياقوت وهو نقل عن بعضهم أن العمالقة بعد أن رجع بنو إسرائيل إلى أرض الميعاد، طردهم يشوع بن نون من عمان ونواحيها، فترجعوا إلى الشمال . وكان واحد منهما المدينة المعروفة باسمه . (٢٥)

العنوان التاسع: انعطاف الطريق إلى قبر الزنديق

فهذه اللجنة السفرية بعد زيارة حلب الشهباء ارتحلت إلى معرة النعمان وهي مدينة قديمة عريقة بعيدة من الشهباء تسعين كيلومتراً تقريباً يذكر المؤلف أنه كان اسمها في الزمان الماضي أراً أو عراً، وفي العصر الجارى قبل سنة ١٩٥٠م بمعنى المغارة، ونسبتها إلى النعمان بن بشير الصحابي، الذي كان على عهد معاوية واليها . ودخلها الصليبيون سنة ١٠٩٨م في ٢١ كانون الأول وعرفت في عصرهم باسم مار، وأقاموا فيها أربعين سنة تقريباً . ومن أشهر آثارها مئذنة الجامع الكبير الراقية إلى آخر القرن الثاني عشر، وقبر أبي العلاء المعري في بنائه الحديث . (٢٦)

وتكلم البستاني تحت هذا العنوان أقوال الناقدين في الحكم على زندقة أبي العلاء المعري وتبرئته، فإن أحد شيوخ المعرة من المعاصرين، حكم بالزندقة على الشيخ الأعمى، ولكن أن بعض الناقدين شملوه من أتقياء المؤمنين، بيد أن الميدان واسع جدا

لتكفير المعرى وتبديعه وزندقته وسعته لتبرئته وتبريره والإشادة بتقواه. (٢٧)

العنوان العاشر: شعر وأساطير فى حنين النواعير

وغادرت هذه اللجنة بعد زيارة معرة النعمان إلى حماه وحمص . فحماه مدينة قديمة من المدن العريقة وآثارها موفورة مثلاً القلعة القديمة كقطعة حلب وقصر بناءه جميل الذى أسسه أسعد باشا والجامع الكبير وهو كان فى أصله كنيسة وبقي من أطلالها أعمدة قديمة، ترتفع فوقها قبة الخزنة، والزاوية الكيلانية أو دار آل الكيلانى، أسسها الشيخ عبد القادر الجيلانى أو الكيلانى. (٢٨) وغيرها حماه مدينة حسنة جداً، يقال لها مدينة النواعير ويذكر صاحب الكتاب أن أحمد قدرى الكيلانى صنف رسالة سماها "حماه مدينة النواعير". (٢٩)

فكانت النواعير من أشخاص أحداثها يحمن الأبطال زمن الشدة، ويشاطرون المحبين حنينهم الدائم وهن، على كل حال، رفيقات المدينة فى السراء والضراء . وأنشد كثير من الشعراء أبياتاً كثيرة فى النواعير مثلاً أحمد المقدسى، ومجير الدين بن تميم، وأحد من الشعراء الصفدى وغيرهم، حتى إذا سمعها الشيخ المتصوف عبد الغنى النابلسى ذكره حنينها البكاء على خطاياها، فقال قاصداً التورية .

نواعير فى وادى حماه إذا بكى،

تهيج منى بالبكاء معاقصى؛

وإنى على نفسى لاجدر بالبكا،

إذا كانت الأخشاب تبكى على العاصى! (٣٠)

هكذا كثير من السياحين والمؤرخين زاروا حماه ووصف شأنها وحسنها كابن بطوطة، وابن جبير، وغير ذلك فقد زارها ابن بطوطة فى القرن الرابع عشر فكان يشوقه حسنها الرائق ونهرها العظيم، و"نواعيرها الدائرة كالافلاك". (٣١)

وقد احتلها كثير من المماليك فدخلها الحثيون فى القرن التاسع قبل المسيح .
ودخلها العرب سنة ٦٣٩م، واحتلها الصليبيون سنة ١١٠٨م لمدة قصيرة . ولكن
المسلمون استعادها سنة ١١١٥م ودخلها صلاح الدين سنة ١١٧٨م وأسس فيها السيادة
الأيوبية، واستقلت استقلالاً ذاتياً من ممالك مصر سنة ١٣٤٢م . أما سكان حماه قبل سنة
١٩٥٠م فكان تبلغ عددهم ستين ألفاً تقريباً . (٣٢)

وبعد ذلك وصلت هذه اللجنة إلى مدينة حمص وهى خصبة جداً . ومن أصح بلاد
الشام هواء و"تربة" . فذكر المؤلف ما فيها من جمال مفرط . وليس بها حيات ولا عقارب .
ولكن فيها مياه عذبة، والأشجار المورقة، والأنهار المتدفقة، والأسواق الفسيحة، ووصف
أهلها "بالفضل والكرم" . واشتهر حمص بالحركة الصناعية والتجارية ويكونها مركز
مواصلات ومحطة كبرى للقوافل الذاهبة من فرات إلى دمشق .

كما يذكر أنه "تولد فيها كثير من المفكرين والشعراء والأدباء، والقيصرة والأحبار
الذين تركوا ذكراً فى تاريخ الإمبراطورية الرومانية، وفى تاريخ الباباوية والنصرانية عامة،
وفى تاريخ النهضة الأخيرة خاصة، ولا يخفى أن أسرة اليازجى كانت حمصية الأصل، وإن
تكن لبنانية الهجرة والمقام . وكذلك القول عن المعلم بطرس كرامة فإنه نشأ فى حمص
قبل أن يتصل بالأمير بشير الشهابى الكبير" (٣٣)

فتاريخ حمص طويل وكذلك الأحاديث فى سكانها .

العنوان الحادى عشر: اجتياز الفلوات إلى قارا والنبك وتلك الجهات :

وزار البستانى وأصدقائه مفرق قارا والفلوات التى وقعت على جنوبى حمص فى
طريق النبك . فميدانها شاسعة وأرضها الحجرية وترابها الرقيقة ولا تنبت المرعى فى أكثرها
إلا الأشواك وكانت تلتصع مياه صحيحة فى غربى الفلوات على بضعة عشر كيلومتراً من
حمص . فهناك تل النبى مند، موقع قادش، التى شهدت فى القرن الثالث عشر قبل المسيح،

المعركة الهائلة بين المصريين والحثيين، دولتي الجنوب والشمال في نزاعهما على سهول الشام الخصيبة. (٣٤)

وقد زارت هذه اللجنة أطلال ربة الحافلة التي وقعت على جنوبي قادش. (٣٥) ومفرق يبرود الذي وقع على عشرة كيلومترا من مفرق قارا وأطلال القسطل التي وقعت على أربعة كيلومترات من مفرق يبرود وهكذا زارت خان العروس الذي يليه على ٤٤ كيلومترا من دمشق وخان القصير وهو أول محطة للبريد من دمشق إلى حلب. وحرستا — وهي قرية كبيرة كان يبلغ سكانها ٣٥٠٠. (٣٦)

العنوان الثاني عشر: تطاعن القرون في سفح قاسيون

وصلت اللجنة بعد ذلك إلى قاسيون وهو موضع معروف من الآثار القديمة التاريخية. وكان يظل في شموخه الأجرد، وعزلته المقفرة، وغباره الرملي، ووهجه المنتشر هباء تقيلا على أطراف الغوطة. ويقول المؤلف: "بيدانه شهد فيه أول عراقك بشري، في مزاعم راوة العرب، فكان مسرحا للنزاع الدامي بين قايين وهايل". (٣٧)

وكانت تنوالى الأحداث والعصور والأزمان على دمشق فتطاحن القرون في سفح قاسيون، من الآراميين الذين كانوا مؤسسين فيها مملكة جبارة كانت تبلغ شأوها في القرن العاشر ق. م. إلى الآشوريين الذين كانوا يقضون عليها في حدود السنة ٧٣٢ ق. م. إلى البابليين، ثم إلى الفرس، وإلى اليونان، وإلى السلوقيين، وإلى الأنباط ثم إلى الرومان الذين كانوا يهتمون بها عاصمة لولاية سورية الفينيقية، في أواخر القرن الثاني للمسيح، ثم عاصمة لفينيقية اللبنانية حتى العهد البيزنطي. وفي هذا الزمان كانت تبلغ دمشق مزيد شهرتها مدينة مسيحية فكان يغدو لأسقفها المقام الأول بين جميع الأساقفة في بطريركية انطاكية. فنشرت فيها الثقافة اليونانية، إلى الثقافة السريانية. وتعددت هناك الكنائس، والقصور، والمصانع الفخمة، حتى إذا توالى الحروب بين الفرس والبيزنطيين أصيبت بالنكبات

الكثيرة . (٣٨)

فكان يحيى الدمشقى، أو القديس يوحنا، المعتزل — بعد تمرسه بالمناصب الأموية، جريا على آثار جده وأبيه — فى دير مارسا بـبفلسطين، والتارك فى كنوز النصرانية، آثارا فى الفلسفة واللاهوت والجدل رفعته إلى مقام آباء الكنيسة الجامعة، حتى دعى بحق "توما الكنيسة الشرقية" ولقد كان له بفضل مؤلفته مفكرى المسلمين فى المجتمع الدمشقى أثر بعيد فى نشأة البدعة القدرية فى الإسلام. (٣٩)

وأيضا تكلم البستاني فى هذا العنوان عن تحقيق مدينة جلق هل هى دمشق بنفسها ام لا. وجل مايمكن أن يستخرج من قول الشاعرين أن جلق من منازل الغساسنة. وهو ما لا ينكره أحد. أما كون جلق هى دمشق نفسها فلا يمكن. والغساسنة لم يملكوا هذه المدينة يوما، ولم يدخلوها حكاما. ثم أن الجغرافيين والمؤرخين ينكرون هذه التسمية. فلا يذكر ياقوت جلق من أسماء دمشق فى وصفه. وكذلك المقدسى، واليعقوبى، وابن الفقيه، والمسعودى، والاصطخرى، وابن حوقل، وابن جبیر. ويقول البكرى: "جلق موضع بالشام"، والهمدانى صاحب "صفة جزيرة العرب" يذكر جلق فى ديار جزيرة العرب. (٤٠)

فزار البستاني ووفود سفره شوارع دمشق الضيقة، وازقتها الملتوية من ناحية باب توما إلى الجامع الأموى، ثم إلى سوق الحميدية ما وصب فيها من روا فد حافلة. فيقول البستاني: "وانما يهمننا أولا المدينة القديمة بما تحفظ من آثار رائعة، وتقاليده متتابعة". (٤١)

أما شوارع المدينة العصرية فليس فيها ما يستحق الذكر وهى لا تختلف عن أمثالها فى سائر المدن الحديثة. فيقول البستاني: "فلا نتوقف فيها. بل نسرع إلى تفقد الآثار وأهمها، دون شك، الجامع الأموى الشهير. دخلناه من الباب الغربى وهو مدخل الكاتدرائية، المتجهة نحو الشرق حيث كان المذبح، جريا على التقليد العريق فى الكنائس الشرقية. ولا يزال الجامع محافظا على الاتجاه نفسه".

ثم انتقل البستاني وأصحابه من الجامع إلى قصر العظم وهو بناء فسيح، شرقى الهندسة، كان يجمع، حول الدار المبلطة تتوسطها البركة التقليدية، سلسلة من الغرف المتتابعة على نحو المعروف فى قصور الشهابيين فى دير القمر، وبيت الدين خاصة . وبنى قصر العظم فى دمشق أسعد باشا، وهو كان أعظم ولاية الشام العثمانيين فى القرن الثامن عشر، باشر ذلك سنة ١٧٤٩م وكان قد ضخّم أمره، وعلت منزلته وتولى إمارة الحج، فرمى إلى تخليد ذكره . (٤٢)

وإن البستاني قد اقتبس فى هذا الكتاب من كتب شتى مثلاً دائرة المعارف للمعلم بطرس البستاني (ص: ٤١) ياقوت: معجم البلدان (ص: ٥٧)، شارل فرم: الجبل الملهم تعريب الأب اسطفان فرحات (ص: ٦٠)، خويرى: الرحلة السورية فى الحرب العمومية . الأب لويس شيخو: طائفة الأرمن الكاثوليك (ص: ٦١)، الأب شيخو: الموضع المذكور . وتاريخ المقاطعة الكسروانية للخورى منصور طنوس الحتونى (ص: ٦٢)، الخورى بطرس غالب: صديقة ومحامية (ص: ٦٤)، القران: الرحمن (ص: ٦٦)، الأب لويس شيخو: جولة فى الدولة العلوية ، فى المشرق (ص: ٦٨)، المعارضات الزينية الهلالية (١٥٧)، المشرق (ص: ١٧٤)، شرح مقامات الحريرى للشريشى (ص: ١٧٦)، الأمير حيدر أحمد الشهابى: لبنان فى عهد الأمراء الشهابيين (ص: ٢١٤)، أحمد الخالدى: تاريخ الأمير فخر الدين المعنى (ص: ٢١٥)، وغير ذلك من المصادر .

وفى بعض الأحيان أشار البستاني إلى أبواب من الكتاب المقدس (بائيل) فى صدد ذكرى تاريخية للبلاد مثل الإشارة إلى سفر التكوين وكتاب حزقيال (ص: ٤٠) وكتاب صموئيل، وكتاب القضاة (ص: ٤٨) وغير ذلك .

وفى تخلل هذا الكتاب خمس واربعون صورة مثلاً المأذن فى الجامع الأموى، قرية من القباب، قلعة المرقب وغير ذلك .

و خلاصة القول أن هذا الكتاب ليس حكاية عن وقائع السفر فى الشام فحسب ولكنه استعرض المواقع التاريخية وأحوال جميع هذه المواضع ماضيها وحاضرها، ربما احياء أو تجديدًا لذكرى التاريخ القديم للمسيحيين فى تلك المناطق ولا يخلو وصفه فى هذا الباب من مسحة التعصب الدينى للمسيحية حيث يغمض عن ذكر أهم المواضع التاريخية بالمنطقة تنتمى إلى العصور الإسلامية الزاهرة . وإنه قد ذكر فيه بعض الأحيان القصص التاريخية المهمة ولكنه ما ذكر مصادره ومراجعته .

أما أسلوب فواد أفرام البستانى فهو حافل بالفلسفة والتاريخ وبالأدلة العقلية والتعليقات المنطقية إلا أنه واضح كل الوضوح ومنسجم كل الانسجام خال من الغموض والالتباس وتداخل الجمل التى تفصل ما قبلها من المعانى عما بعدها .

وجاء أسلوبه على ما فيه من بحث دقيق عميق مدلول رائع الإنشاء مختار الألفاظ رائع الديباجة كأنها مراة صافية تتم بجلاء على ما ينعكس عليها من صور ورسوم .

ولإنشائه بلاغة فى تأدية المراد دون تطويل ولا إيجاز وكان الألفاظ فصلت على مقادير المعانى لازيادة فيها ولا نقصان وإن توجد مترادفات أو جمل متعاقبة على المعنى الواحد فقليلة نزره لا تكاد تلمح وليست من قبل الحشو والتطويل . وإنما هى لزيادة التبليغ والتقرير.



(المصادر والمراجع)

- (١) خمسة أيام فى ربوع الشام، لفؤاد إفراهم البستاني، المطبعة منشورات الثقافية اللبنانية، بيروت، سنة ١٩٥٠م، ص: ٤
- (٢) نفس المصدر، ص: ٦
- (٣) نفس المصدر، ص: ١١-١٣
- (٤) نفس المصدر، ص: ١٤
- (٥) نفس المصدر، ص: ٥٧
- (٦) نفس المصدر، ص: ٥٨
- (٧) نفس المصدر، ص: ٤٨
- (٨) نفس المصدر، ص: ٥٠
- (٩) نفس المصدر، ص: ٥٦، ٥٥
- (١٠) نفس المصدر، ص: ٣٨
- (١١) نفس المصدر، ص: ٧٧
- (١٢) نفس المصدر، ص: ٧٩
- (١٣) نفس المصدر، ص: ٩٣
- (١٤) نفس المصدر، ص: ٩٣، ٩٢
- (١٥) نفس المصدر، ص: ١٠٠-١٠٣
- (١٦) نفس المصدر، ص: ١٠٤
- (١٧) نفس المصدر، ص: ١٠١
- (١٨) نفس المصدر، ص: ١٠١
- (١٩) نفس المصدر، ص: ١٠٣
- (٢٠) نفس المصدر، ص: ١٠٦
- (٢١) نفس المصدر، ص: ١٠١
- (٢٢) نفس المصدر، ص: ١١٠

- (٢٣) نفس المصدر، ص: ١١١، ١١٢
(٢٤) نفس المصدر، ص: ١١٩، ١٢٠
(٢٥) نفس المصدر، ص: ١٢١
(٢٦) نفس المصدر، ص: ١٣٦
(٢٧) نفس المصدر، ص: ١٣٦
(٢٨) نفس المصدر، ص: ١٥٣
(٢٩) نفس المصدر، ص: ١٥٥
(٣٠) نفس المصدر، ص: ١٤٩، ١٥٠
(٣١) نفس المصدر، ص: ١٥١
(٣٢) نفس المصدر، ص: ١٥٢-١٥٤
(٣٣) نفس المصدر، ص: ١٧٦، ١٧٧
(٣٤) نفس المصدر، ص: ١٨٧
(٣٥) نفس المصدر، ص: ١٨٨
(٣٦) نفس المصدر، ص: ١٩٠، ١٩١
(٣٧) نفس المصدر، ص: ١٩٥
(٣٨) نفس المصدر، ص: ٢٠١
(٣٩) نفس المصدر، ص: ٢٠٢
(٤٠) نفس المصدر، ص: ٢٠٠
(٤١) نفس المصدر، ص: ٢٠٨
(٤٢) نفس المصدر، ص: ٢١١، ٢١٢

الباب الثالث

الأسرة البستانية في ميزان النقد

الفصل الأول

مكانة البستانيين عند الأدباء المعاصرين

إن نصارى لبنان لم يكن لهم أثر بالغ فى الثقافة العربية فحسب نظرا لكونهم أعلق العرب سببا وأطولهم باعا فى الحقول الأدبية والصحفية، وإنما كانوا أيضا رادة وطليلة فى تركيز مبادئ القومية العربية والتبشير بها واعتناقها. (١)

وأشار أميل البستاني إلى أن العرب الوحيدين الذين قاوموا الحكم التركى طيلة أربعة قرون، إنما كانوا نصارى العرب فى سوريا (وهى التى كانت تشتمل على لبنان آنذاك). فقد حفظ هؤلاء على يد مناوأتهم الدائبة المستمرة للنير العثمانى، روح العروبة حية، وعبدوا الطريق أمام القومية العربية وانبثاقها قوة نهائية. (٢)

وروح القومية العربية تتسع وراء العقيدة الإسلامية كما يرى أميل البستاني: "وثمة عاملان يشتركان فى تغلب الروح القومية على أقطار العرب هما اللغة العربية وعقيدة الإسلام ومع هذا فليست القومية العربية نتاج الحركة الإسلامية. فالعرب النصارى ولا سيما أهل لبنان منهم — من أوفى وأرسخ المؤمنين والمؤيدين للقضية القومية، وقد صانوها حية فى أزمان العبودية والسيطرة الأجنبية ولولا جهودهم لقضى عليها وهلكت. (٣)

وليس هذا فحسب فإن المؤلف يشير إلى قيادة لبنان الثقافية بين الشعوب الإفريقية العربية فيقول: "وتجدر الإشارة هنا إلى أن فى استطاعة العرب أن يلعبوا دورا لا يستهان به فى نمو الدول المتحررة حديثا فى القارة الإفريقية حيث يقع جزء كبير من عالمهم والذى اعتمد هو أن بلدى لبنان فى استطاعته عمل الشئ الكثير لتوسيع مدى الثقافة بين الشعوب الإفريقية الناهضة. إذ يعتبر اللبنانيون إجمالا أكثر الشعوب العربية ثقافة فى العالم

العربى وما أكثر الذين ينطقون لغات عدة بينهم. فلغتهم الأم هى العربية التى أنزل بها القرآن غير أن الإنكليزية والفرنسية شائعتان أيضا بينهم. وهذا مايؤهلهم للشرح والتعليم والتنظيم والإدارة فى كثير من الدول الإفريقية حيث يقتصر الاستعمال على إحدى اللغتين الفرنسية والإنكليزية. (٤)

ونقول فى آخره إن كل ما قيل فى لبنان ونصاراها، يمكن أن يقال فى الأسرة البستانية ومكانتها فى المجتمع اللبناني ونعرض لها هنا بقدر من التفصيل. إن للبستانيين مكانة مرموقة بين الأدباء المعاصرين وأنهم رواد النهضة العربية الحديثة فى بلاد سوريا ولبنان كما يتكلم ميخائيل صوايا عن أحد من البستانيين الذى كانت شخصيته معروفا بين أدباء معاصريه وأنه كان قائدا للحرية فهو يقول: "إن الموج من العماليات والأضاليل كانت تتعالى أصوات وطنية مخلصه بعثتها ضمائر حية وقلوب صافية تدعوا إلى حقن الدماء وإلى اخوة الوطنية وبذا التعصب الطائفى وكان من أعلاها وأصفها نقير سوريا، صوت المعلم بطرس البستاني مؤسس المدرسة الوطنية وواضع أجدى المشاريع العلمية والأدبية. (٥)

وعده خليل أبورجائلي من رواد النهضة التعليمية فى البلاد العربية وقال:

One of the pioneers who turned their attention to the problems of elucation is boutros al-Boutani (Labanon) who has rightly been called the mastr and father of the renaissance. (٦)

ويقول حنا الفاخورى: أراد المعلم بطرس البستاني أن يكون رجل إصلاح وعمل شريف فى أمته فعالج ذلك بطرق شتى تارة بتأليف المعاجم والكتب المدرسية لإنهاش الحالة الثقافية وتارة بانتمائه إلى الجمعيات العلمية والعمل فيها بنشاط، وتارة بالتدريس والقاء الخطب. ولكن الموضوع المهم الذى عالجه فى الاجتماع هو المرأة ووجوب

تعليمها. (٧) ويقول أنيس المقدسي لعل رفاة الطهطاوى المتوفى ١٨٧٣ أول من ارتفع صوته فى مصر بالدعوة إلى تعليم المرأة. أما فى سوريا ولبنان فالمعروف أن بطرس البستاني صاحب محيط المحيط هو أول وطنى اهتم بهذا الأمر. وقد توفى البستاني سنة ١٨٨٣، وفى تلك السنة ألقى ولده سليم خطبة موضوعها "إن التى تهز السرير بيسراها تهز الأرض بيمينها" وهى طويلة وفى ختامها يقول: "فإن النساء أساس البناء التمدنى ولا يشاد فى أمة إلا على ذلك الأساس. والشعب الذى يحاول ذكوره التقدم دون النساء كالرجل الذى يحاول السفر يـرـجـل واحـدة". (٨)

وقال جرجى نقولا باز متكلماً عن المعلم بطرس البستاني: "إنه كان أول من ناصر المرأة فى سورية على منبر بل أول رسول نسائى سورى دعا إلى تعليمها وتهذيبها..... وكان بوده إنشاء مدرسة نسائية كالمدرسة الوطنية ماساعده عليها الأيام". وقد جمع المعلم بطرس البستاني آراءه فى شأن المرأة فى خطابه الذى ألقاه فى ١٤ كانون الأول سنة ١٨٤٩ ورجعها إلى وجوب تعليم المرأة.

ويقول المؤلف حنا الفاخورى عن المعلم بطرس البستاني: "إن المعلم بطرس البستاني من أكبر أركان النهضة. فهو على حد قول جرجى زيدان "فى عصره زعيم الحركة الأدبية فى سورية من حيث المدارس والجمعيات والجرائد والمجلات واللغة والعلم والأدب". (٩)

وللبستاني امتياز آخر يكاد ينفرد به ولا ينافس فيه أحد فى البلاد العربية جميعاً، اللهم إلا أستاذ الصحافة المصرية رفاعه الطهطاوى، فكلاهما صاحب مدرسة صحفية يـوثر عنها خير كثير. وإذا كان الطهطاوى قد علم مجموعة من الشبان المصريين والشاميين فى جريدة الوقائع المصرية، وعلم غيرهم شؤون التحرير وأصول الصحافة فى مجلة روضة المدارس، فإن البستاني قد أنتج فئة قادرة من صحفى لبنان، فى مقدمتهم بعض أفراد أسرته

الذين برزوا في هذا المضممار، وكتبوا صحيفة ناصعة البياض في أدق المهن وأرفعها. ويجدر بمن يترجم لهذا الصحفي الأديب ألا يغفل جهده الجبار في إنشاء "دائرة المعارف" التي صورها المورخون أجمل تصوير حين قالوا فيها وفي صاحبها "وإننا لانغالي فيما إذا قلنا إنه أبدى من العزيمة الماضية والهمة السامية في تأليف الكتاب وطبعه مالا يتوقع من رجل واحد ولا سيما في ديار الشرق لكنه ألقى من مواطنيه وكل أهل المطالعة والأدب عموماً ومن الحكومة المصرية خصوصاً يداً بالندی ندية، أما الحكومة المصرية فارتاحت أيما ارتياح إلى اقتناء هذا الكتاب شدا لأزر صاحبه أولاً وجلباً للنفع إلى مدارسها ومكاتبها ومحافلها العلمية ثانياً. ثم إن الذي يعلم من تاريخ الإنسيكلوبيديات الابتدائية الأوروبية أنها لم تكن في منشأ أمرها على ربع ما هي عليه (دائرة المعارف) من إحكام التأليف وعزارة المادة والضبط وحسن الطبع والورق والتحليل والصور مع قلة في الثمن لا أقل منه إلا أثمان الكتب العادية، فحق إذا لأبناء اللغة التباهي والتفاخر بذلك الرجل".

ويمتاز بطرس البستاني في حياته أنه استطاع أن يتم رسالته في جميع النواحي التي ساهم فيها مساهمة الأصيل فهو يبدأ وظيفته كمعلم في زمن كانت مهنة المعلم في الشام شاقة، ويبدأ في تأليف آثاره الأدبية والحياة الأدبية راكدة تكلف من المال والجهد ماتوء به الجماعات، وينشط إلى الصحافة ويوجد فيها في جيل لا يؤمن كثيراً برسالتها، ويستطيع مع ذلك كله أن ينال شأؤ المعلم العظيم والأديب الأريب والصحفي المطبوع، ويحتل بذلك في عالم الأدب والصحافة مكانه المقدور بين جلة الأدباء والصحفيين. (١٠)

وقد ورث عن أجداده اللبنانيين، مع حب البساطة في كل شئ، التواضع في الاستشارة والاستنصاح، وسلامة النية، والإخلاص في المعاملات. فكان مفتوح القلب، صادق العاطفة، لين العريكة واسع الصدر، خالص المودة، حتى ضرب المثل بصدافته للدكتور قانديك. وإذ مات المعلم بطرس، وقف الدكتور مؤبناً في الكنيسة، فقال وقد غلبه

البكاء.

”إننى لمظلوم بوقوفى هنا اليوم خطيباً . لأن المقام الذى أرغبه، والذى يليق بى، هو وسلطكم أبكى وأنوح على أخى وحبيبى الذى خطف من بيننا خطفاً معلماً وأستاذى ورفيقى . فكم من الليالى أحييناها معاً فى الدروس والمطالعة والتأليف ، وحلاوة المعاشرة الصادرة، عن اتحاد المقاصد والأغراض . فكيف أقف فوق جثته خطيباً، ولا أركع بجانبه حزينا كئيباً.“

وكان محباً لجميع أهل وطنه، على اختلاف مذاهبهم ونزعاتهم، لا يفتأ يمحضهم النصائح والمشورات بإخلاص . كل ذلك بأسلوب لطيف، وحديث عذب يرضى جليسه أياً كان، سواء الفتيان والشيوخ، الفتيات والعجائز، الجهال والعلماء، حتى يخرج من عنده وقد حفظ له من الاحترام أصفاه، ومن الثقة أخلصها وكان من نتيجة ذلك أنه نال فى عيون القوم، من أوليائهم حتى عامتهم، مقاما عاليا جعل كلمته مسموعة، وإشارته متبوعة، وهو ما ساعده كثيراً فى إقرار مآتيه، وتوطيد مشاريعه كما نرى عند الكلام فى تأثيره. (١١)

إن رجلاً امتاز بهذه الصفات ، لا بد أن يكون ”فى عصره زعيم الحركة الأدبية فى سورية من حيث المدارس والجمعيات والجرائد والمجلات واللغة والعلم الأدب“ . إذ كان يمثل العلم الصحيح، والعمل الدائم، والاستقامة، والوطنية، كما يقول خير الله . ولا بد أن يوثر فى الأدب العصرى هذا التأثير العميق الدائم، ولا بد أن يجمع أدباء القرن العشرين وعلماءه على تكريمه كمنابغة القرن التاسع عشر فى خدمة لغته ووطنه، ولا بد أن نقول مع الشيخ خليل اليازجى فى رثائه:

نخدم البلاد وليس أشرف عنده من أن يسمى خادماً لبلاده! (١٢)

وقال جرجى زيدان: ”كان العلم بطرس البستاني فى عصره زعيم الحركة الأدبية من حيث المدارس والجمعيات والجرائد والمجلات واللغة والعلم والأدب“ . وجاراه بعض من

جاء بعده من المؤلفين، ومنهم يوسف أسعد داغر الذى قال عن المعلم بطرس "كبير المهذبين والمثقفين فى العصر الحديث". وإن المعلم بطرس كان أول من اشتغل بها (الصحافة). (١٣)

ورثا خليل مطران فى ديوانه العلامة المرحوم المعلم بطرس البستاني. فقال:

إن تكرموه تكرموا أوطانكم	فى أمجد البانين للأوطان
فى خير من رفع الضلالة بالهدى	عن قومه والجهل بالعرفان
ربى وعلم منشأ ومدرسا	ومهيئاً ومؤسسا فى آن
فإذا البلاد بمزهرات علومها	وبثمرات حلومها كجنان
حسب المفاخر أن يقول شهيدا	هذى الغراس "لبطرس البستاني" (١٤)

ورثاه أيضا الشيخ خليل اليازجى (١٨٥٦-١٨٨٩م) أضغر أولاد الشيخ ناصيف

اليازجى بقصيدة يقول فيها:

يا صاحب الفضل الذى لو أننا	نبكى به لم نخش وشك نفاده
يا قطر دائرة المعارف والحجى	ومحيط فضل فاص فى إمداده
فإذا المحيط بكاك لم يك دمه	دون المحيط يزيد فى ازباده
يبكى الحساب عليك متخذاه	دمعا يسيل عليك من اعداده
خدم البلاد واليس أشرف عنده	من أن يسمى خادما لبلاده
ومحبة الأوطان كان يعدها	مما يدور عليه أمر معاده (١٥)

وكان بعض من هذه الأسرة وزيرا للزراعة والصناعة ومترجما وأديبا كبيرا

وصيوتا ريعا فى حقوق الناس وحریتهم فيقول ميخائيل صوايا فى موضع آخر فى كتابه أعلام الفكر العربى: "وفى سنة ١٩٠٨م أنزل عبد الحميد عن العرش وأعلن الدستور وقد نام نومه طويلا تحت عيار السنين. فبادر سليمان البستاني إلى نشر كتابه "عبرة وذكري"

فتوجهت الانظار إليه وعلى الأثر استدعاه مجلس جمعية الاتحاد والترقى التى كانت تعمل على إزالة عبدالحميد وكان هو عضوا من أعضائها فانتخب نائبا مع رضى بك الصلح عن ولاية بيروت فتألق نور عقله وتجلى إخلاصه .

وإن إيادة لم تترجم إلا أنها تمس الدين الإسلامى وتحط من قدر النبى ﷺ فتمكن سليمان البستاني من دحض الوشاية الرخيصة ورافعت مكانته وتقلب من مناصب رفيعة ورئيس الوفود السلطانية . وعين وزيرا للزراعة والصناعة والتجارة والمعادن فاتخذ خطة مدحت باشا بإصلاحات ما عرفت تلك الوزارة لها نظيرا“ . (١٦)

ويقول بطرس بن سليمان البستاني عن سليمان بن خطار البستاني: ”حق لسليمان أن يحمل لقب العالم كما حق له أن يحمل لقب الأديب . فقد كان راسخ العلم بالتاريخ والجغرافية، والاقتصاد السياسى، بارعا فى الطبيعى والرياضيات . وكان متسع الآفاق فى أدبه، لا يقتصره على العربية وحدها بل يجمع إليه معها آداب الشعوب العجمية لطول باعه فى معرفة اللغات .

وقلما وجد مثله عالم باللغات ، يعرف منها ما يعرف ويتقن منها ما يتقن . فقد كان يحسن العربية، والسريانية، واليونانية، والفارسية، واللاتينية والانكليزية والفرنسية، والإيطالية، والتركية . وكان يلم بالعبرية، والألمانية، والروسية، والهندية . وكثيرا ما خطب فى المجلس العثمانى بعدة لغات ليفهم أقواله النواب على اختلاف عناصرهم وبلادهم“ . (١٧)

ويقول الدكتور عمر فروخ عن سليمان البستاني: ”كان سليمان البستاني كاتباً وخطيباً، أَلَمَّ بالعلوم الإجتماعية والطبيعية وعرف لغات منها العربية والسريانية والتركية والفارسية واليونانية واللاتينية ثم الفرنسية والانكليزية .

وأظهر سليمان منذ حداثة ذكاء نادرا وإتقاناً للغات غريبا . وكثر تطوافه فى البلدان الشرقية كالعراق والهند والعجم وتركيا ومصر، وفى أوروبا وأميركة . واشتغل فيها جميعها

بالتجارة وبالعلم أحيانا. وقد تقلب فى مناصب عالية فكان مبعوثا (نائبا) عن مدينة بيروت فى مجلس الأمة العثمانى (١٩٠٨). ثم عضوا فى مجلس الأعيان. ومثل الدولة العثمانية مرّات كثيرة لدى الحكومات الأوروبية. وأخير اعتزل العمل واستقر فى مصر، وهناك فقد بصره فذهب ليداويه فى نيويورك فادر كته فيها المنون (حزيران ١٩٢٥).“ (١٨)

ويقول انعام الجندى عن سليمان البستاني: ”فى عصر ندر فيه المثقفون، فكيف بالباحثين المدققين، وفى مرحلة كان أكثر النتاج الأدبى تقليدا ومسحا للغابر، يقف البستاني فردا، لا يكاد يطاوله أحد من أقرانه. نقول هذا دون أن نقصد التقليل من قيمة بعض من عاصروه أمثال بطرس البستاني، واليازجيين، وغيرهم، ودون أن نزعّم أن كل ما أتى به البستاني صحيح. ذلك أن وسائل البحث، ومعارف العصر، كانت أضال ممانعرف اليوم حتى عند الأعاجم.

وأول ما يشدهك سعة إطلاع كاتبنا، وكثرة المراجع التى رجع إليها فى العربية واللغات الأجنبية، دون أن يؤثر ذلك فى نهجه الذاتى. إنه والحق يقال، من أكثر الناس تتبعا لمواضيعهم، وتقصيا لها فى مظانها. فقد كان يقرأ الكتاب أو الكتابين ليقع على حقيقة شغلته، استأثرت باهتمامه، دون أن يعتريه ملل بل هو يشعر بالملل إن وجد ما يعوقه عن المتابعة.

وأنت إذا قرأت مقدمة الإلياذة، شعرت باتساع مداركه ومعارفه، ما يرجع منها إلى المصادر العربية أو الأجنبية، حتى لكأنه دائرة معارف، لاحصر لمعارفها.“ (١٩)

ويقول رشيد يوسف عطا الله عن سليمان البستاني: ”فأصدر جزئين من دائرة المعارف وعربّ الإياذة هو ميروس، منظومة نظما بديعا تختال ببرد قشيب من البلاغة العربية وظهرت فى عالم الطباعة تحفة ثمينة، يحسد الغرب الشرق عليها.“ (٢٠)

ورثا خليل مطران فى ديوانه العلامة الشاعر سليمان البستاني وأنشد فى الحفلة

الكبرى التى أقيمت فى بيروت لتأبينه فيقول:

أى "سليمان" أين منا "سليما	ن؟" وأين المنطوق والمفهوم؟
أين من خيل أنه خلّده	دولتاه؟ المنشور والمنظوم
أين واعى اللغات مختلفات	لم يفته منها اللباب الصميم؟
أى بحّاة أريب أديب	بان عنا وحقّه مهضوم؟
إن يقم ناصحا فنعم المربى	أو يقل مازحا فنعم النديم
قلّ فى الناس من له فضله الجسم	وتلك النهى، وذاك الخيم
أى "سليمان" إننى لأسيف	أن يقال: الفقيد والمرحوم
سرحميدا إلى الخلود وألق العبد	ء، إن الحياة عبأ ذميم
ليزولن كل من ظن بالمال	خلوداً وأنت حى مقيم
يامعزين فى "سليمان" صبراً	ولنافيكم عزاء كريم
ذلكم أن فى سماء علاكم	كل شمس تخبو تليها نجوم (٢١)

وكان الأستاذ عبدالله البستاني من عجائب الزمان وفرائد الدهر ولاسيما فى

مجال اللغة . وكان معجما ماشيا وخدم اللغة العربية زهاء نصف قرن . ويقول الناشر

لمعجمه البستان: "ولاريب أن الأريكة التى استوى عليها فى زهاء نصف قرن كانت أنصع

دليل على مواهبه النادرة ومعارفه الواسعة وتبحره فى اللغة التى وقف عليها حياته حتى بلغ

منها مبلغا قلما بلغه غيره ممن اشتهروا فى عصره من الجهابذة الأفذاذ فهو وصديقه احميم

الشيخ إبراهيم اليازجى صنوان متكافئان وقد كان لكل منهما حيثما حلاهية لاتخرق ومقام

يرد الطرف وهو كليل .

ومن ذا الذى اجتمع يوما الشيخ عبدالله البستاني ولم يغترف من حديثه الفرائد

اليتيمة أو لم يظن نفسه أنه غواص على درر البحر، ومن ذا الذى لم يعجب بما يسمعه عنه

من النوادر والملح والنكات فى كل معنى حتى كان ذاكرته خزانة لشوارد اللغة وأوابدها، وسفر ضخيم يضم بين دفتيه أبداع القلائد من الشعر الجاهلى فالمخضرمى فالإسلامى فالأموى فالعباسى . فهو ولاريب أكبر موسوعة شعرية ولغوية بل أعظم راوية عرفه العرب فى القرن العشرين . ولذلك كان شعره متين الديباجة حسن السبك، وحسبه فخرا تشطيره لمعلقة عنتره العبسى فهى آية فى الإبداع والإحكام، وستبقى أجمل أثر لسليقته الشعرية وتفوقه فى فن القريض . (٢٢)

وكان الأستاذ عبدالله البستانى معلما للشعر مع شكيب أرسلان ومعلما له فى دروسه العربية بمدرسة الحكمة، فيقول أحمد الشرباصى فى كتابه أمير البيان شكيب أرسلان: "وعبدالله البستانى قام بمهمة المعلم للشعر مع شكيب، وأن البارودى قام بمهمة الأستاذ معه، فالأول علم وقوم وهدى السبيل والآخر خرّج ودفع بالشاعر الشاب إلى أعلى . كان عبدالله البستانى معلما لشكيب فى الشعر، لأنه كان معلما له فى دروسه العربية بمدرسة الحكمة، ونحن ندرك مدى التأثير البالغ الذى يكون من المعلم القوى الشخصية فى التلميذ المعجب بمعلمه والمقتدى به، ولاريب فى أن البستانى اللغوى الغيور على العربية، النافخ روحها فى صدور تلاميذه، قد سدّد خطاهم فى محاولاتهم الأولى الأدبية..... ولقد كان البستانى بارعا كل البراعة فى تقليده للقدماء من الشعراء فى عصر الجاهلية، وحسبنا أن نعلم أنه قام بتشطير معلقة عنتره، فلا يكاد غير البصير بالشعر يدرك الفرق بين عبارة عنتره وعبارة البستانى، ولنستعرض جزءا من هذا التشطير لتبين ذلك . قال البستانى:

(هل غادر الشعراء من متردم) فتسد ثلمته برأس المرقم

أم هل وددت طباء منرج اللوى (أم هل عرفت الدار بعد توهم)

(حيث من طلل تقادم عهده حتى التوت عنه نهى المترسم

يبكى به عذق الرباب لأنه (أقوى واقفر يعد أم الهيثم)

إننا لو أزلنا الأقواس الموضوعة على أبيات عنبرة لصعب على الكثير التمييز بين

كلام عنبرة وكلام البستاني“! (٢٣)

ويقول الأستاذ مارون عبود عن الشيخ عبدالله البستاني: ”والشيخ عبدالله كان

معجما ناطقا، قلما فاتته شاردة أو واردة، يقول الشعر كطرفه وعنبرة“ (٢٤)

ويقول عبدالقادر المغربي رئيس المجمع العلمي وعضو مجمع اللغة الملكى عن

الشيخ عبدالله البستاني: ”أيها الأستاذ المحترم: إنك بحمد الله أشهر من نار على علم . وإن

أعضاء المجمع العلمي العربى أول من يعترف لك بالفضل والكفاية..... إن أستاذنا البستاني

أستاذ كبير فى اللغة العربية وهذا أمر مسلم لا جدال فيه كما قلنا آنفا. (٢٥)

ورثا خليل مطران الشيخ عبدالله البستاني وهو يقول:

للغرب فى هذى الديار مدارس	فازت بحظ من جناك الدانى
فرددت فى طلابها ملكاتهم	عربية خلصت منا لأدران
آلاف شبّان أفادوا بالذى	لقّنت آلافاً من الشّبّان
وبعض ما أسديت عزّ مقامهم	فيما نأى ودنا من البلدان
من سفح ”لبنان“ تعالى صوتهم	وصداه فيما ردد الهرمان
فى عود ”داود“ الذى خلب النهى	مافيه من ذاك الصدى الران
مازلت من خمسين عامابانيا	للضاد مالم يين قبلك بانى
فإذا نظمت فأنت أول شاعرٍ	وإذا نشرت فأبن منك الثانى؟
لفظ إلى حسن الداوة جامع	ما للحضارة من جديد معانى
مترقرق المحجرى ترقرق جدولٍ	متماسك الأجراء كالبنيان
نثر من الجزل الذى أسلوبه	يلج النفوس بغير ما استئذان

ويدود من جارك عن غاياته
 للعلم لحمته وللفن السدى
 فيه الرصانة والمتانة تزدهى
 أما اللسان فأنت في النفر الأولى
 فإذا العلى عدت فوارس شوطه
 لله معجمك الذى أخرجته
 يصطاد أغلى الدر من قاموسه
 قيدت فيه أو ابدا الفصحى بما
 ونهجت للطلاب نهجا واضحا
 حياك ربك من إمام معجز
 متبّل للعلم مشغول به
 سمح المحيا والضمير سراره
 يأيها العلامة العلم الذى
 هذى وفودهم إليك توافدت
 تهدى تهانئها وفضلك عندها
 حمل التحية شيخها وتضاعفت

نعيك "عبدالله" فى الشرق كله
 وأورى زناد البرق حزنا فلجلجت
 فبث شجاءه كل ربع ولم يكن
 وشاع الأسى فى "مصر" فهى حزينة
 أسال شؤوننا بالدوع السواجم
 كما لجلجت بالنطق لسن التراجم
 سوى مأتى تعداد تلك المآتم
 تنوح شواذها نواح الحمائم

ولا وجه في أحياتها غير ساهم	ولا قلب في أحنائها غير واجم
لك الله من بان رجالا حمى بهم	حمى، عاث فيه الجهل، من شر هادم
على العلم والتعليم ارص دوقنه	فأحرز منه مغنما كل غانم
تلاميذه في كل مطلع كوكب	يشون فضل الضاد بين العوالم
وفي كل بحث كتبه تورده النهى	موارد أصفى من نطاف الغمام
وتهدى إليها من مناجم فكره	نفائس أغلى من كنوز المناجم
بأبدع ما كانت بلاغة ناشر	وأيسر ما كانت صياغة ناظم
كفى اللغة الفصحى فخاراً بمعجم	إليه انتهى الاتقان وبين المعاجم
وحسب "الروايات" الحديث عتقها	بإعرابه فيها فنون الأعاجم. (٢٧)

وقد وصف مؤلف كتاب مصادر الدراسة الأدبية وديع البستاني قائلاً: "أحد

كبار أدباء العصر من اللبنانيين، شاعر فحل، وكاتب أديب وعالم باللغات، خطب بيتده القول وذولسن يسخر ببيانه، ورواية لا ينضب له معين، من أكثر اللبنانيين إنتاجاً محام من أقدر المحامين وأحد كبار الثقافة في العصر الحديث، وكان رجال الصفوة المختار، علماً وأدباء وخلقا ووطنية.

ولعل خير ما يتميز به من خدمة جليلة للغة العربية وأدبها هو ترجمته للملاحم الهندية مثل (الراميانة) و (المهابراته) فعرف العرب بروائع الأدب الهندي القديم، كما عرفهم سليمان البستاني من قبل ذلك بروائع الأدب اليوناني القديم بنقله إلياذة هو ميروس إلى العربية وللاستاذ وديع البستاني جهاد وطني مديد في خدمة القضية الفلسطينية والدفاع عنها من مطامع الصهيونية فكتب وخطب وناضل بقلمه ولسانه ورحل إلى الغرب في هذا السبيل وقد تعرض للموت في هذا الأمر إذ أثر البقاء في داره بعد احتلال اليهود لمدينة

حيفاء، على أن يغادرها وبقى عرضة للضغط والإرهاق سنوات قبل أن يسمح له بالعودة إلى بيروت. (٢٨)

إن البستانيين أول من ألفوا قصصا اجتماعية وتاريخية في الأدب العربي الحديث كسليم البستاني وسعيد البستاني واليس بطرس البستاني. فيقول الدكتور محمد يوسف نجم عن سليم البستاني "أول محاولة كبيرة في القصة الاجتماعية كانت على يد سليم البستاني في محلة "الجنان" وهو بكر المعلم بطرس البستاني". (٢٩)

ويقول الدكتور يوسف نجم عن سعيد البستاني: "ويقال أنه كتب قصته "ذات الخدر" بتوجيه من الشيخ محمد عبده، الذي يعنى بالقصة ويعدها وسيلة صالحة من وسائل الإصلاح الإجتماعي وقد كان البستاني مقربا إليه وإلى الشيخ جمال الدين، ويقول الشيخ يوسف توما البستاني. إن سعيدا هوجم في الأوساط المصرية بسبب تعرضه للعادات والأخلاق المصرية بالنقد الشديد، وإن الإمام كان يدافع عنه في مجالسه. وعند ما قامت الثورة العربية انضم للعرايين وأخذ يناصرهم ويدافع، عنهم ويعمل لهم حتى أن الإنجليز حاولوا نفيه إلى سيلان بعد انتهاء الثورة فتوسط له قنصل فرنسة واقنعهم بالاكتماء بنفيه إلى بلده. فعاد إليها حوالي ١٨٨٤م وتولى تحرير جريدة "لبنان" التي كان يصدرها إبراهيم الأسود. وظل يعمل في الأدب والصحافة إلى أن توفي في الحدث سنة ١٩٠١". (٣٠)

ويقول الدكتور محمد يوسف نجم عن اليس بنت بطرس بن بولس البستاني "وحوالي ذلك الحين كان غصن آخر من الدوحة البستانية يواصل تقاليد الأسرة الأدبية. أصدرت السيدة اليس البستاني ابنة المعلم بطرس وشقيقة سليم البستاني، قصتها "صائبة" سنة ١٨٩١". (٣١)

(المصادر والمراجع)

- (١) أميل البستاني: زحف العروبة، مطبعة منشورات دارالكتاب اللبناني، الطبعة الاولى سنة ١٩٦١م، ص: ٧
- (٢) نفس المصدر، ص: ١٩
- (٣) نفس المصدر، ص: ١٩١
- (٤) نفس المصدر، ص: ٢٨١
- (٥) ميخائيل صوايا: أعلام الفكر العربي، سليمان البستاني، منشورات دارالشرق الجديد بيروت، ص: ١١، ١٠
- (٦) Internet paper: originally published in prospects the quarterly review of comparative education (Paris UNESCO: International Bureau of Education), vol. XXIII, no. 1/2, 1993, p. 125-133
- (٧) حنا الفاخوري: تاريخ الأدب العربي، المطبعة البولوية، لبنان، ص: ١٠٣٦، ١٠٣٨
- (٨) أنيس المقدسي: الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، المطبعة دارالعلم للملايين، ص: ٢٥٤
- (٩) حنا الفاخوري: تاريخ الأدب العربي، المطبعة البولوية، لبنان، ص: ١٠٣٦، ١٠٣٨
- (١٠) الدكتور إبراهيم عبده: أعلام الصحافة العربية، المطبعة النموذجية، ٦ سكة الشايبوري بالحلمية الجديدة، ص: ٤٧، ٤٨
- (١١) نفس المصدر، ص: ٧٣، ٧٤
- (١٢) الجزء الثالث من المجلد الخامس والاربعون مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مطبعة الترقى، سنة ١٩٧٠ء، ص: ٦١٢
- (١٣) ديوان خليل المطران مطبعة الهلال مصر سنة ١٩٤٩م ج: ٤، ص: ٩٩، ٦١٢

- (١٤) نفس المصدر، ج: ١، ص: ١٠٩، ١١٠
- (١٥) فواد افرام البستاني: المعلم بطرس البستاني، في "الروائع"، المطبعة منشورات الأدب الشرقية، سنة ١٩٥٠ م، ص: ٨٤
- (١٦) نفس المصدر، ص: ٢٧، ٢٨
- (١٧) بطرس بن سليمان، البستاني، ادباء العرب، ج: ٣، ص: ٤٥٣
- (١٨) الدكتور عمر فروخ: المنهاج الجديد في الأدب العربي المطبعة دار العلم للملايين، بيروت ج: ٢، ص: ٢٢٠، ٢٢١
- (١٩) رشيد عطا الله (ساروفيهم فيكتور) تاريخ الأدب العربية المطبعة عز الدين، ج: ٢، ص: ٣٤٩
- (٢٠) انعام الحندى: دراسات في الأدب العربي المطبعة دار الانكاس الطبعة الثانية، بيروت، لبنان سنة ١٩٦٧، ص: ١٩٢، ١٩٣
- (٢١) خليل مطران: ديوان الخليل، مطبعة دار الهلال، سنة ١٩٤٩، مصر، ج: ٣، ص: ١٣٧، ١٣٨
- (٢٢) الشيخ عبدالله البستاني اللبناني: البستان، المطبعة الامريكانية، بيروت سنة ١٩٢٧ م، ج: ١، ص: ٦٥،
- (٢٣) أحمد الشرباصي: أمير البيان شبيب أرسلان، مطابع دار الكتاب العربي بمصر، الطبعة الأولى سنة ١٩٦٣ م، ج: ٢، ص: ٢٤٩، ٢٥٠
- (٢٤) نفس المصدر، ج: ٢، ص: ١٤٠
- (٢٥) مناظرة لغوية أدبية: المجمع العلمي العربي، المطبع مكتبة القدسي، سنة ١٣٥٥ م، ص: ١٧، ١٨
- (٢٦) خليل مطران: ديوان الخليل، مطبعة دار الهلال سنة ١٩٤٩، مصر، ج: ٣،

ص: ١٣٧، ١٣٨

(٢٧) نفس المصدر، ج: ٣، ص: ١٣٧، ١٣٨

(٢٨) نبذة تاريخية عن نجد، الأمير ضاري بن فهد الرشيد المطبعة منشورات داراليمامة

للبحث والترجمة والنشر الرياض، المملكة العربية السعودية، ص: ٢١، ٢٢

(٢٩) القصة في الأدب العربي الحديث، الدكتور محمديوسف نجم، المطبعة دارالثقافة، ص: ٤١

(٣٠) نفس المصدر، ص: ٧٨، ٧٩

(٣١) نفس المصدر، ص: ٨٤



الفصل الثانى

تقييم نقدى لأعمال البستانيين الأدبية

لقد قدمنا فى الفصول السابقة فى إسهاب وتفصيل أعمال البستانيين فى المحالات الأدبية واللغوية المختلفة وبتقدير هذه الأعمال نستطيع الاستنتاج بأن البستانيين على أساس مالهم من إسهامات جليلة فى اللغة والآداب العربية، يمكن عددهم من رواد الفنون الأدبية المختلفة فى هذا العصر. إن القيمة الأدبية لأعمالهم تتفاوت إلا أن مجموع ما قاموا به من أعمال، يكسبهم بحق وجدارة فضل السبق والريادة أو الأحياء والتجديد لمعظم أصناف الأدب. ثم إليهم يرجع الفضل فى إدخال اصناف جديدة لم يكن للآداب العربية بهاعهد من قبل كما مكنهم احتكاكهم المباشر بالغرب وأهله من الأطلاع الواسع العميق على التيارات الأدبية والأفكار الحديثة والنظريات النقدية الجديدة عند تلك الأقوام. فقاموا بدورهم بنقلها إلى القراء العرب ولعبوا دورا فعالا نشيطا فى تأثير الآداب العربية و دفع عجلتها وتغيير مجراها.

إن الأسرة البستانية قامت بدور رئيسى فى غرس فكرة القومية العربية فى أرض العروبة والإسلام ونشرها بين أبنائها. وتعدت جهودهم — من هذه الناحية — من مجال الأدب إلى ميدان السياسة العملية فى الشرق الأوسط مما تمخض أخيرا عن قلع الخلافة العثمانية وقيام حكومات عربية علمانية. فالحق — والحق يقال — إن مساعيهم جميعا لتشتم منها رائحة التحيز المسيحى. فالسطور التالية محاولة للكشف عن ذلك كله:

آراء الكتاب المعاصرين :

وقد ذكرنا فيما سبق ان المعلم بطرس خدام بلاده خصوصا بتأليفه العديدة فى

الفنون المختلفة . ونحن، كى يسهل علينا درسها، نقسمها قسمين نتكلم فى الأول عن الصحف التى أنشأها آزرها، وفى الثانى عن الكتب، من معرّب ومؤلف، وعن الخطب والنشرات .

الصحف:

نفير سورية:

جريدة صغيرة ذات صفحتين، نشرها بعد مذابح سنة ١٨٦٠، جاعلا إياها على شكل رسائل وطنية دعا بها أبناء البلاد إلى الاتحاد والوئام . حتى إذا استتب الأمن أوقف نشرها . وقد بلغت أعدادها الثلاثة عشر كان يسميها ”بالنفير الأول“ و”النفير الثانى“ بدلا من ”العدد الأول“ ويرى المطالع فقرة من وأحد منها فى ”تاريخ الصحافة العربية“ للفيكونت دى طرازى تدل على رغبة شديدة فى بث روح الإنفاق مع طول باغ فى الإنشاء وأساليب الكلام .

الجنان:

مجلة سياسية علمية أدبية تاريخية نصف شهرية فى ٣٢ صفحة كبيرة على عمودين، أصدرها فى أول كانون الثانى ١٨٧٠م وجعل شعارها كما قدمنا ”حب الوطن من الإيمان“ وهى أول صحيفة عربية حملت شعارا خاصا . وما عمت أن انتشرت انتشارا واسعا وكان يكتب فيها كثير من أدباء القرن التاسع عشر المشاهير . اما موضوعاتها فيكفى المرء ان يلقي نظرة على أحد المجلدات حتى يتحقق تنوعها ودقتها وكان المعلم سليم ابن المترجم يكتب أكثر مقالاتها وينشر فى آخر كل عدد منها قسما من رواية متسلسلة وطنية . ولم تكن تخلو، بعد المقالات الرزينة، من الفكاهات والملح والنوادر وشأن المجالات الراقية .

الجنة:

صحيفة سياسية تجارية أدبية، أنشأها بمعاونة ابنه سليم، فى ١١ جزيران ١٨٧٠، صدرت فى الشهر الأول من عمرها، مرة فى الأسبوع ثم مرتين وعند وفاة المعلم

بطرس، انتقال امتياز الصحيفتين إلى ولده سليم، وعند وفات سليم، سنة ١٨٨٤ انتقال الامتياز إلى أخيه نجيب فأصدرها سنتين. ثم اشتد الضغط على المطبوعات فأجبر على أن يحجبها، فأسف محبو الادب لهذه الخسارة.

الجنينة:

كان المعلم سليم يفكر دائما بأصدار جريدة يومية، وما زال يلح على أبيه في ذلك حتى أصدرها الجنينة عام ١٨٧١، سياسية تجارية. فكانت تصدر أربع مرات في الأسبوع، وكانت الجنة تصدر مرتين، فتؤلفان مجموعتين، جريدة يومية. ولكن الجنينة لم تعيش إلا أربع سنوات، فاحتجبت سنة ١٨٧٥ أو أن تفسى الهواء الأصفر في بيروت.

الكتب:

ترجمه الكتاب المقدس:

للمعلم بطرس آثار أخلاقية ودينية عديدة، على أن أشهرها وأجدرها بالذكر ترجمة الكتاب المقدس التي باشرها مع الدكتور سميث سنة ١٨٤٨، وأتمها الدكتور قانديك، وهي الترجمة المعروفة بالأميركانية. وكان له النصيب الأوفر في شغل الترجمة، كما ذكر جرجي زيدان.

أما في غير الدينيات فقد ترك الكتب العديدة النفيسة، وكان همه في التأليف أن يسهل على مواطنيه علوم العصر والاستفادة منها بأقل ما يمكن من الوقت. وهذا هم أدى به إلى ابتكار تلك الطرق السهلة، والأساليب التي كانت في زمنه أكثر من عصرية، ولم تفقد كثيرا من جدتها في عصرنا هذا سواء كان ذلك في النحو أم في اللغة أم في الرياضيات أم في غير ذلك.

الصرف والنحو:

١- مصباح الطالب في بحث المطالب

شروح وحواشٍ وزيادات وإصلاحات علقها على كتاب "بحث المطالب" المشهور في الصرف والنحو للمطران جرمانوس فرحات . طبع في بيروت سنة ١٨٥٤ في ٤١٦ صفحة متوسطة.

ولم يلبث أن شاهد العلوم تتقدم في عصر ضاق فيه وقت الطلاب عن درس مطبوعات قواعد اللغة، فأدرك بنظره الثاقب، الذي كان يرمى دائما إلى أبعد من عصره، أنه "صار مقتضيات الأحوال وواجباته تسهيل الطرق والوسائط وتقريبها ما أمكن لكي يقدر على أقتناعهم بالأخذ فيها واستخدامها، ويمكنهم من الوصول إلى المقاصد بأقرب وقت وأيسر مرام. فوضع لهم كتابا مختصراً سماه :

ب- مفتاح المصباح :

طبع للمرة الثانية في بيروت سنة ١٨٦٨، في ٢٦٠ صفحة صغيرة.

ج- بلوغ الارب في نحو العرب . لايزال مخطوطا.

اللغة:

ا- محيط المحيط :

هو أشهر مؤلفات المعلم بطرس ، وأول قاموس عصرى في اللغة العربية. وسيظل طويلا في طليعة المؤلفات اللغوية . طبعه في مجلدين كبيرين في بيروت سنة ١٨٧٠، فرغ منه نسخة إلى السلطان وتانية إلى الصدارة العظمى، وتالته إلى نظارة المعارف فكافأه السلطان بالجائزة الأولى التي يعطاها المؤلفون، وهى الوسام المجيدى الثالث، مع ٢٥٠ ليرة مجيدية. وقد أخذته عن أشهر قدماء اللغويين كالفيروزآبادى والجوهري . ولكنه يمتاز عن جميع القواميس القديمة بأشياء منها:

١- ترتيبه على حروف المعجم ترتيبا عقليا باعتبار الحرف الأول من الثلاثي

المجرد. ٢- جمعه لكثير من اصطلاحات العلوم والفنون على اختلاف أنواعها الداخلة في

اللغة مع المعربات . ٣- شرحه اصول بعض ألفاظ الأعجمية . ٤- جمعه لكثير من الألفاظ والمصطلحات العامية وتفسيرها . ٥- سمهولة عبارة . كل هذه الميزات كانت تجعل القاموس من المعجزات في زمن صدوره . ولكن سوق المؤلفات الكبيرة عندنا في كساد، لسوء حظ البلاد العربية . ولهذا لم يطبع محيط المحيط إلا مرة واحدة فسبقه العصر، وأصبحت مواده، كمواضع كل قاموس عربي، قاصرة عن أن تفي بحاجتنا الحاضرة المتعددة يوماً فيوماً وهو ما يجعلنا ننتظر بفروغ صبر ظهور قاموس عصري يضيف إلى المفردات القديمة جميع المصطلحات المستحدثة.

ب- قطر المحيط:

مختصر السابق. طبع في بيروت، في مجلدين أيضاً، بقطع وسط، سنة ١٨٧٠

ج- آداب العرب:

خطاب مطول ألقاه في ١٥ شباط ١٨٥٩ وقد حوى كثيراً من الملاحظات الدقيقة في أسباب انحطاط الآداب، وحالتها على عهد الخطيب، مع النظر إلى مستقبلها ما دفعنا إلى نشر معظمه في آخر هذا الجزء ومنه يتضح ما كان عليه المعلم بطرس من دقة بصر، وبعد نظر في الأمور.

د- شرح ديوان المتنبي. طبع في بيروت سنة ١٨٦٠

الرياضيات:

كان شأنه في العلوم الرياضية شأنه في غيرها من الرغبة في تسهيل سبل المعارف لبنى قومه فألف فيها أولاً:

١- كشف الحجاب في علم الحساب:

ألفه في عييه متتبعا فيه آثار العرب والعجم، آخذا مأخذ الإفرنج في وضع العلامات، ضاماً إليه من كتبهم ما لا وجود له في كتب العرب مما اخترعه المتأخرون . طبع لأول مرة

فى بىروت ١٨٤٨ فى ٣١٧ صفءة صءىرة . ثم توات طبعاته بسرة حتى بلغت تسعا سنة ١٨٨٥، ولا يزال إلى الوم أشهر المؤلفات المدرسية العربية فى الحساب . ثم توخى المؤلف فائدة طلاب التجارة فاردفه بكتاب .

ب- مسك الدفاتر:

الاجتماع والأءلاق:

له خطب عديدة فى هذا الباب من أشهرها:

١- تعلیم النساء:

خطاب طویل ألقاه فى ١٤ كانون الأول سنة ١٨٤٩ يوم لم یکن أحد یجرأ على ذكر المرأة بالخیر . على قول النسائی المعروف جرجى نقولاباز وهو أجدر من یحكم فى هذا الشأن، فلنسمعه یقول عن المعلم بطرس عند ذكره لخطابه ”أنه كان أول من ناصر المرأة فى سوریه على منبر، بل أول رسول نسائی سورى دعا إلى تعلیمها وتهذیبها وذلك من سبعین عاما (نقول الوم من مئة عام) وكان بوده أنشاء مدرسة نسائیة كالمدرسة الوطنیه ماساعدته علیها الأيام (ثم نشر خطابه فى مجموعة أعمال الجمعة السوریه سنة ١٨٥٢ أولاً، وفى السنة الثانیة عشرة من الجنان ثانیاً . فرأینا أن نأخذه لهذا الجزء من ”الروائع“.

ب- الهیئة الاجتماعیه، والمقابله بین العوائد العربیه والإفرنجهیه خطاب ألقى سنة ١٨٦٩، ثم طبع فى ٤٢ صفءة متوسطة.

هذا ولم یسه بال المعلم بطرس عن أن من لوازم التثقیف العقلی القویم، أن توفر للأحداث من فتیان وفتیات أسباب التسلیه النافعة بنشر روایات أدبیه خالیة من الشوائب، فترجم لهذه الغایة رحلة روبنصن كروزى، ونشرها سنة ١٨٦١ عیون بعنوان :

ج- التحفة البستانیة فى الاسفار الكروزیه، وقال فى مقدمتها: ”وإذا كانت مهذبة

لابد من أنها تكون أكثر قبولا لدى جمهور هذا العصر الذى انفتح فيه باب المعارف لجنس النساء أيضاً والذى فيه يجب الانتباه إلى تنظيف دواوين العرب وكتاباتهم ومجالسهم مما لا يليق من الكلام والأعمال.....“

وقد نقح وطبع كتاب ”أخبار الأعيان فى تاريخ لبنان“ لطنوس الشدياق . وجمع ونشر مجموعة أعمال ”الجمعية السورية“ الأولى سنة ١٨٥٢ .

أما ذاك العمل الجبارى الذى باشره فى عصر تعجز العشرات من العلماء عن التفكير به فهو .

دائرة المعارف:

”قاموس عام لكل فن ومطلب“ هكذا عرفت الدائرة ومنه يتضح اتساع هذا المشروع لجميع العلوم والفنون . أما كلمة ”دائرة المعارف“ فاختارها المعلم بطرس ترجمة ”إنسيكلوبيديا“ وكان قد وعد فى خاتمة ”محيط المحيط“ بتأليف كتاب للأعلام، ثم توسع بالفكرة ورأى خلق الدائرة . وهى عمل فذ فى اللغة العربية، وقد ظهرت منذ ولادتها على جانب عظيم من الأتقان . قال المقتطف: ”إن الذى يعلم من تاريخ ”الإنسيكلوبيديات“ الإبتدائية الأوروبية أنها لم تكن فى منشأ أمرها على ربع ما هى عليه ”دائرة المعارف“ من إحكام التأليف ، وغرارة المادة، والضبط، وحسن الطبع والورق والتجليد والصور“ . وقد أخذ المعلم بطرس يهتم بتبويبها سنة ١٨٧٥ فأتى هيكلها الأبجدى، ثم أقبل على إنشاء موادها مع ابنه سليم، نسيه سليمان وبعض الكتاب، فأصدر أول جزء منها سنة ١٨٧٦ ومازوال يتابع إصدارها، كل سنة جزءا كبيرا يبلغ نحو ٨٠٠ صفحة، حتى أصدر منها ستة . وفاجأ الموت، وقد أعد ثلثى السابع، فشاء القدر أن يوقف ”دائرته“ عند كلمة ”دائرة“ . لكن ابنه سليم قام بالمشروع من بعده، فأصدر الجزء السابع سنة ١٨٨٣، والثامن سنة ١٨٨٤ . ثم توفى فى شبابه . فتابع العمل أبناؤه الباقون مع نسيبهم سليمان، فأصدروا التاسع سنة

١٨٨٧، والعاشر سنة ١٨٩٨، والحادى عشر سنة ١٩٠٠ وهو ينتهى بكلمة "عثمانية" ثم توقف العمل.

ولا يزال الكثيرون يؤملون إتمامه على أننا نرى أن الفائدة من إتمامه على شكله الأول لا تفى بالمشقات . إلا إذا اهتم من يتولى ذلك — ولا يمكن أن يتولاه إلا لجنة كبيرة من العلماء — بإعادة طبع جميع المجلدات السابقة . فإن العلم تقدم خطوات واسعة منذ السنة ١٨٧٦، وكذلك اكتشفت آثار جمة ولا سيما فى الشرق، حوّرت كثيراً فى المعلومات التاريخية والجغرافية . وطبع المستشرقون والشرقيون عدداً وافراً من كتب العرب شعراً ونثراً أثرت أيضاً فى المعلومات الأدبية . فلم يبق بالامكان، والحالة هذه، أن نتم فى عصرنا قاموساً علمياً وفنياً أدبياً، بدئى به منذ أكثر من سبعين سنة . وإن المعلم نفسه لو لم يؤمل إتمام مشروعه فى حياته، أو على الأقل فى حياته ابنه سليم ، كما كان يلمح إلى ذلك . لما باشر عملاً كهذا. (١)

جاء فى مقدمة كتاب "مصباح الطالب" المذكور أعلاه "أن المقصود منه نفع أولاد المسحيين" ولكن المعلم بطرس بدأ تلك المقدمة كمالو كان مسلماً، فقال فى أول سطر: الحمد لله العلى الأكرم، الذى علم بالقلم، علم الإنسان مالم يعلم "وهذا يدل على روح الإخاء الوطنى التى بدأت تتصف بها آثاره. (٢)

ولكن ظل المعلم يعمل مستقلاً عنهم ومن علامات استقلاله عن الأمريكان، وجرأته فى قول الحق، نشره "قصة أسعد الشدياق" وهى كما يقول مستقاة من مصادر مارونية وطنية . والقصة فى روحها ومادتها تخالف ما نشره الأمريكان قبل ثلاثين سنة . وأقدم نص وقفنا عليه لهذه القصة طبع فى مالطا سنة ١٨٣٣ بعنوان "خبرية أسعد الشدياق" . فنشر نص مغاير له قد يعتبر ثورة على المبشرين وتحدياً لأقوالهم. (٣)

لاشك أن ممارسة التعليم والترجمة قد أفادت المعلم بطرس كما أفادت الأمريكان .

ففى سنة ١٨٤٨ قرر هولاء البدء بترجمة التوراة إلى اللغة العربية ترجمة جديدة، ووكلوا ذلك إلى سمث، ووظفوا له مساعدين الشيخ ناصيف إليازجى والمعلم بطرس البستاني . وفى السنة نفسها عقد معتنقو المذهب البروتستنتى من العرب اجتماعا فى عبيه تحت رئاسة المعلم بطرس قرروا فيه إنشاء كنيسة وطنية مستقلة عن الأمير كان . فلما أحجم هولاء عن الاعتراف بهذا الاستقلال المطلوب نشأتو تربين الطرفين آثاره واضحة فى كتب المعلم بطرس حتى فى تلك التى تبحث ترجمة التوراة. (٤)

لم يتم الاتفاق المقترح على المطبعة الأمريكية، ومضى زمن لا يقل عن عشر سنوات قبل ظهور القاموس . وفى تلك الأثناء مات سمث، فاستغنى الأمريكان عن مساعدة المعلم بطرس فى ترجمة التوراة عندما استأنفوا العمل تحت رئاسة فنديك وبمساعدة الشيخ يوسف الأسير . فأخذ المعلم بطرس يعمل مستقلا فى ميادين التأليف والنشر والخطابة والتعليم، مع أنه لم يستطع بعد أن يحرر لغته من بعض الركابة والاصطلاحات العامية، والأغلاط النحوية، وأثر الترجمة من اللغة الإنكليزية. (٥)

ويظهر مما تقدم أن أول ما نشره المعلم بطرس من الكتب كان مدرسيا أوديبيا مترجما ابتكار فيه . وخطوته الثانية فى التأليف كانت أيضا لا ابتكار فيها، ونشر فى سنة ١٨٥٤ "مصباح الطالب فى بحث المطالب" وهو اصطناع لكتاب كان كثير التداول فى المدارس النصرانية فى سورية، ألفه المطران جبريل فرحات الحلبى المارونى فى صرف اللغة العربية ونحوها وطبع فى مالطا سنة ١٨٣٦ تحت عنوان "بحث المطالب فى علم العربية". (٦)

ومن المؤلفين من يعطى المعلم بطرس أكثر من حقه ومنهم جرجى زيدان عندما قال "كان فى عصره زعيم الحركة الأدبية من حيث المدارس والجمعيات والجرائد والمجلات واللغة والعلم والأدب". وجاراه بعض من جاء بعده من المؤلفين، ومنهم يوسف أسعد داغر الذى قال عن المعلم بطرس "كبير المهذبين والمثقفين فى العصر الحديث".

لا حاجة لبيان وجه الخطأ في هذا كله، بل نكتفى بما يتعلق بالصحافة . يقول داغر إن المعلم بطرس كان "أول من اشتغل بها" . وهذا كلام لا يثبت عند التحقيق حتى إذا اقتصر على سورية ولبنان إذ بينا سابقاً أن "نفير سورية" لم يكن جريدة بالمعنى المعروف وإصدار مجلة "الجنان" جاء متأخراً، فقد سبقه إصدار "حديقة الأخبار" في سنة ١٨٥٧ من المطبعة السورية لصاحبها خليل الخوري.

ويقول عبداللطيف الطياوي: "ظهرت "الجنان" في سنة ١٨٧٠ وعلى صفحتها الأولى هذا الشعار: "حب الوطن من الإيمان" وظهرت جريدة "حرية" التركية في سنة ١٨٦٨ وعلى صفحتها الأولى الشعار نفسه، فهل كان المعلم بطرس في هذا أيضاً مبتدعاً لامتباعاً. (٧)

وقد سرد فؤاد أفرام البستاني في مقدمة الجزء السابق من "الروائع" آثار سليمان البستاني شعروثرا المطبوع منها والمخطوط . فدلّت على أية ثقافة كانت للكاتب المفكر عمقا وشمولا . قال فؤاد إفرام إن أهمها جمعيا "إلياذة هو ميروس" في تعريبها ونظمها وشرحها: أما التعريب فقد تبع فيه الشاعر الأصل اليوناني بكل دقة، على ما فصله في المقدمة. فأتت الإلياذة العربية، على قول النقاد من العرب والمستشرقين، من أضبط ترجمات الإلياذة على كونها منظومة شعرا.

وأما النظم فقد تفنن فيه بالأوزان والقوافي، عارضا ثمانية أساليب حددها ومثّل عليها في المقدمة. وكانت في عصرها خطوة جريئة بالنسبة إلى روح التقيد والمحافظة . السائدة في مطلع هذا القرن . فجرأت عددا من الشعراء الناشئين فأخذوا بها، وجروا عليها من منظوماتهم الطويلة.

وأما الشرح فقد كلف المعرب جهدا بالغا ومطالعات جمة في كتب الأدب والتاريخ والاجتماع، على مختلف لغاتها، مفيدا من كل ما علقه سابقوه على "الإلياذة"

مضيفاً ما رأى ذكره موافقاً عن مؤسسات العرب خاصة والشرقيين عامة بالنسبة إلى مؤسسات اليونان وتقاليدهم .

ومن هنا ندرك الأثر البالغ الذى أحدثه سليمان البستاني فى الأدب العصرى: أثر فى النشر يبدو بذاك الأسلوب الصافى الأنيق المستند إلى العلم والأدب وكأنه مستنبط بين أسلوب ابن المقفع وأسلوب ابن خلدون ، متجلياً فى مقدمة الإلياذة وفى "عبرة وذكري" خاصة . وأثر فى الشعر مرده إلى أن البستاني كان شاعر صلة منتقلاً من القديم إلى الحديث . بظره الأمر جلياً فى مبنى الإلياذة، كما يظهر فى سائر قصائده التى كان الحديث منها "كالداء والشفاء" على نصيب وافر من دقة الوصف، وجمال الاستعارة وروعة الخيال، بينما كان القسم الأقدم وهو المنظوم قبل تعريب الإلياذة، لا يكاد يفرق بشئ عما تعهده من الشعر الحكيم القديم . ولا شك فى أنه كان لهو ميروس بدمأثورة فى هذا التطور .

وينبغى أن نشير إلى أن مقدمة الإلياذة أثارت روحاً نقدية، وطريقة فى البحث الأدبى كانت جديدة فى أوائل هذا القرن . ولا يخفى أن الإلياذة كانت أول أثر فى القرن العشرين جمع بين البحث الأدبى ومقارنة الأداب . وقد سار فيه صاحبه على أسلوب علمى خالص يستند إلى ذكر المصادر، ونقد الروايات والترجيح بينها، فلا يحكم إلا بعد تحفظ، ولا يقر أمراً إلا على أثر مناقشة واحتياط، حتى غدا أفضل ما يقلده الباحثون فى الأدب العصرى نقداً ودراسة . وقد فعلوا .

فلا عجب أن يقول الدكتور يعقوب صروف، وقد أحاط بجميع هذه الصفات الأدبية فى الكتاب المذكور: أن مقدمة الإلياذة تنزل من الأبحاث الأدبية منزلة مقدمة ابن خلدون من الأبحاث التاريخية. (٨)

ولا يكتفى سليمان البستاني، فى أبحاثه، بالأحكام المجملة الغامضة بل يتحرى الدقة ولا يتأخر فى سبيلها، عن تصفح المجلدات والأسفار الكثيرة، وربما قرأ الكتاب كله

طمعا بيت وأحد يستشهد به . ولا شك أن أحكامه بأحكام غيره، رغبة في الحصول على الثقة النقدية. وهو يعنى بالوضوح كما يعنى بالدقة. فلا تكاد تجد صفحة خالية من موازنات وأمثالٍ تنير ما يأتيه من أحكام .

. والذوق من أهم عناصر النقد. وذوق البستاني تغلب عليه النزعة العلمية الفلسفية. فيدرك الشعر الهوميروى فى نزعاته الفلسفية ومظاهره الاجتماعية وينبه إلى الفروق التى تفصل بين الأدب اليونانى والأدب العربى، والمواضع التى يتواطأ ان عليها . ويجب التبحر فى أغراض تاريخية، ولغوية وأخلاقية . إلا أن نقده لا يخلو من ملاحظات أدبية بحتة وشعور دقيق بالفن الأدبى . (٩)

هذا نص فى المقارنة بين العرب واليونان: فى الناحية التاريخية والناحية

الاجتماعية والناحية الأدبية . وإذا نحن أنعمنا النظر فى هذه المقارنة وجدناها صحيحة إلى حد كبير، فلقد استثنى سليمان البستاني من الشبه فى حال اليونان وحال العرب أمرين: الوثنية التى أغرق اليونان فيها وفى أحوالها خيالا واعتقادا — بينما كان العرب لا يؤنون الأصنام التى طرأت عليهم فى أعقاب العصر الجاهلى اهتماما كبيرا — ثم الحضارة التى كانت فى جاهلية اليونان على مستوى أرقى من المستوى الذى كانت عليه فى جاهلية العرب.

وإحاطة سليمان البستاني بتاريخ اليونان وتاريخ العرب ظاهر فى هذا النص ظهورا واضحا، حتى فى عدد من التفاصيل، ثم أن سليمان البستاني مقتدر فى عقد هذه المقارنة، ومنصف فيهما . فبينما هو يرى أن العرب لم يكن عندهم ملاحم كالإلياذة، فإنه يقول إن للعرب نوعا من الملاحم القصار مما يعز وجوده عند اليونان أنفسهم كالمعلقات التى كانت كل واحدة منها قطعة صحيحة من ملحمة.

وفى أثناء هذه المقارنة يبدو سليمان البستاني ناقدًا أدبيا جمع بين أصول النقد

عند العرب وبين أصول النقد عند الغربيين . إنه يربط ربط وثيقا بين الأحوال الاجتماعية وبين الإنتاج الأدبي فمع أن الإنتاج القديم عند اليونان كان مشابها للإنتاج الأدبي عند العرب في جاهليتهم قبيل الإسلام، فإنه يرى شيئا من الاختلاف بين الأدبين . فالشعر القصصى (والتمثيلي) عند اليونان كان أرقى منه عند العرب لاتساع أوجه الحضارة عند اليونان أكثر مما كانت متسعة عند العرب .

وكذلك نجد أن سليمان البستاني كان ينطلق في نقده الأدبي من قواعد لاتتعلق باللغة والبلاغة والحس الوجداني فحسب، بل تتصل بالحياة الاجتماعية والعقلية أيضا . وأسلوب سليمان البستاني في هذا النص أسلوب مرسل لاتكلف فيه: الغاية الأساسية والوحيدة منه هي التعبير بأوضح مايمكن أن يكون التعبير عن المعاني والأغراض المقصودة . ولغة سليمان البستاني صحيحة إلهنا يسيرة جدا — ويكادون يفنون بعضهم بعضا (مكان: ويكاد يفنى بعضهم بعضا) — يستلفت الأنظار (مكان: يلفت الانظار) — لدى الإمعان (مكان: عند إنعام النظر — الإمعان: التوغل والبعد، والإنعام: التدقيق والتأمل) .

وهناك مأخذ ظاهر: حينما يورد سليمان البستاني بيت الأعشى في مطلع هذا النص يقول: "وجهنام تابعة عمر بن قطن" والذي في القاموس المحيط أن جهنم تابعة الأعشى، وهو في الوقت نفسه لقب عمرو بن قطن (ولعل "عمر" عند البستاني خطأ مطبعي) . وعلى هذا يكون معنى بيت الأعشى: استنجدت بشيطاني مسحل (لهجائهم) واستنجدوهم بالشاعر عمرو بن قطن، وهو شاعر ضعيف الشعر (والنسب) ! ومن حسنات هذا النص تقسيم مادته وتبويبها تقسيما منطقيا تبويا حسنا مع ضرب الأمثلة:

إن مثل هذه المقالة الشاملة في النقد كان شيئا نادرا في مطلع القرن الحاضر — يوم ظهرت إلياذة هوميروس منقولة إلى اللغة العربية ومقدمة بمقدمة طويلة جامعة وجوه النقد الأدبي فسليمان البستاني يمكن أن ينظر إليه على أنه مجدد للنقد الأدبي في العصر الحديث

إد نظر فى نقده إلى النتاج الأدبى نفسه فى البيئة الإجتماعية التى نشأ فيها مستندا إلى أصول النقد التى أقرها العرب . بعدئذ استعان على تقويم القطع الأدبية وتبيان مراتبها فى الإصابة والجودة بما أقره العرب وما أقره الإفرنج معا . ثم إنه خطا خطوة جديدة حينما وازن بين قطع من نتاج العرب الأدبى — مما يصلح أن يعد فى الأدب الملحمى ، كالمعلقات والمقامات وقصة عنترة ورسالة العفران — وبين ملاحم الإفرنج والإلياذة منها خاصة . (١٠)

على أن قيمة سليمان البستاني ليست فى هذا فحسب وإنما فى ميزات أخرى

كثيرة، نجمال أبرزها فى ما يلى :

١ - البستاني على سعة مطالعته، لا يأخذ الآراء المتعددة، والأفكار القيمة بعنانه كيف تشاء فهو أبدا حاضر الذهن دقيق الملاحظة، يأخذ لنفسه ما يجده لا يتنافى مع الواقع ثم يتمثله فإذا هو جزء من آرائه. وهكذا تبرز شخصيته الواعية المدركة طوال مقدمة الإلياذة.

٢ - وهو شديد التحرى عن الحقيقة، لا يغفل عنها، يقول بحرية وصراحة، ماله وما عليه . فلا ينكر فضل الأجانب، ولا يححف بحق قومه . وليس أدل على ذلك من مقارنته بين اللغتين، العربية واليونانية .

٣ - وهو ذواق أديب، يتسقط اللطائف من الأفكار والآراء، ويتخير جميل اللفظ والمعنى، ولا يصدم القارئ بغريب أو معقد، لأنه يحترم ذوقه ويهدف إلى تثقيفه، دون قسر أو استعلاء.

٤ - وهو ناقد مدقق، يأخذ الأمر على وجوهه، وينظر إمكان الصواب والخطأ. متسائلا معللا، حتى يبلغ الغاية من البحث . وليس عجيبا أن يخطئ رغم ذلك، فحسبه أن يسلك إلى غاياته سلوكا سليما إما أن لا يصل إلى الحقائق دائما، أو إليها كلها، فشانه فى ذلك شأن كل باحث، قد لا تتوفر لديه وسائل تجنب الخطاء . ولعلنا لانغالى إذا قلنا أن أكثر مفكرى الغرب فى عصره، قد وقعوا فى مثل أخطائه، أو أنهم توصلوا إلى نتائج، حسبها

عصرهم صحيحة وجاء عصرنا ليكشف ضلالها بما لديه من وسائل المعرفة.

٥- والبستاني لا يجرى وراء انفعالاته، مما يفسد على الناقد رأيه، بل كان دائما متجردا، هدفه الحقيقة كلها.

٦- وهو لم يخضع لاتجاه معين، أو نهج مخصوص وإنما أخذ لنفسه مآراه صحيحا من كل الاتجاهات والأساليب فإذا هو ذو نظرة خاصة، ونهج ذاتي.

٧- ولا يحكم البستاني الخيال أو التصور وإنما العقل والواقع، فهو أبدا يتنمس الوقائع، قديمها وحديثها، فإذا آنس بعض الضعف في واقعها ومدلولها أهملها، دون أن يهمل التعليق عليها.

٨- وهو يحيط بموضوعه، الإحاطة التي سمحت بهامعارف عصره، والتي أفضى إليها عقله.

٩- المنطلق السليم رائد البستاني، فهو يأخذ المسائل بروية وإمعان، يدرس المقدمات ويستدل منها على النتائج، يقارن هذا الرأي بذلك. ويتخذ من هذا تعليلا للآخر أو دحض له ثم يبلغ بك الرأي الأخير واضحا سليما.

١٠- الموضوع هدف من أهداف أسلوب كاتبنا، دون أن يمس ذلك سلامة التعبير. ولا يحول دون هذا الوضوح البحث العقلي الصرف والأدلة المنطقية.

١١- والأسلوب سهل العبارة، رصين، بعيد عن الخيال، واقعي سليم اللفظة والتعبير بعيد عن التكلف والوشى والصناعة. كل ذلك إلى متانة تركيب، وقدرة فائقة على الأداء.

١٢- خال من التطويل الممل، بعيد عن الغموض والالتباس. موجز من غير أن يعتور

المعنى نقص. (١١)

ولقد حاول سليمان البستاني في ترجمته الشعرية لإلياذة هوميروس في أكثر

من أحد عشر ألف بيت، أن يجتنب — ما أمكن — حوشى الكلام ووحشيه طمعا في أن

لا تحقره الخاصة، ولا يغلق فهمه على العامة— كما يقول: ولم يلجأ إلى استعمال الغريب من الألفاظ إلا مضطراً لا اختيار له، حين تلجئه لفظة وضعية أوقافية مستعصية. (١٢)

وقد تحدث الأستاذ محمد عبد الغنى حسن عن تعريب الإلياذة لسليمان البستاني فقال عن أهميته التاريخية:

”وماذا يكون الظن لو أن عمر الخيام لم يترجم في رباعياته من الفارسية إلى الإنجليزية تلك الترجمة التي تعد في ذاتها عملاً أدبياً قد يداني الأصل إن لم يزد عليه في روعته؟ وماذا يكون الظن كذلك لو أن إلياذة هوميروس لم تهياً لها قدرة سليمان البستاني وحذقه وتمكنه من اللغات الأجنبية والعربية، وشاعريته وذوقه الأدبي ليخرجها إلى لسان العرب في بضعة عشر ألف بيت“. (١٣)

وقال أيضاً: ”وإذا كان شكسبير قد ترجم في مسرحياته إلى نثر عربي — ماعدا محاولة الأستاذ محمد فريد أبي حديد الموفقة في ترجمة مكبث إلى شعر مرسل — فإن إلياذة هوميروس قد بدئت ترجمتها شعراً عربياً رصيناً عمودياً على يد سليمان البستاني في أوائل هذا القرن العشرين، وإن كان النثر قد تناولها بعد ذلك بما فعله في هذا السبيل المرحوم دريني خشبة، والسيدة عنبرة سلام الخالدي“. (١٤)

وعلى الرغم من الجهد العظيم الذي بذله سليمان البستاني في ترجمة إلياذة هوميروس إلى أحد عشر ألف بيت من الشعر العربي، فإن الدكتور طه حسين يسمي هذا النقل الشعري ”نظماً“ بعد أن أسماه شعراً..... ولم يدخل ”النظم“ إلى هذه الترجمة البستانية إلا من حيث ازدحامها بالأسماء الغريبة للآلهة والأبطال (ولسوء موقعها في النظم العربي). على أنه لم يبخس البستاني قدره في هذا الصنيع حين استدرك قائلاً: (وكانت خطوة البستاني رحمه الله جريئة خصبة مع ذلك، فهو أول من اهتم لهذا الأمر، ولفت العرب إلى هذا النحو من آيات البيان اليوناني) (١٥)

ولقد تأنق دريني خشبة في الترجمة مع التلخيص، حتى يجذبها إلى القارئ العربي في صورة مشوقة. أما السيدة عنبرة سلام الخالدي فقد كان قصدها تبسيط هذه الملحمة لتكون سهلة المأخذ قريبة المنال، ولتكون قريبة إلى أوساط الناس — كما يقول الدكتور طه حسين في تقديمها — دون غرض منها أو إسفاف بها، كما هو الشأن في ترجمة الآداب الرفيعة ونقلها إلى من دون طبقة المثقفين. وتشير السيدة عنبرة سلام في مقدمة ترجمتها إلى هذا العدول منها إلى لغة النثر، كما تشير إلى تناولها بالاختصار قائلة: (إن الإلياذة في الأصل ملحمة شعرية، ولكن الترجمة التي نقدمها الآن هي نثر مختصر بعض الشيء. وقد ترجمت الإلياذة إلى العربية شعرا منذ أربعين سنة — ”مضى على ترجمتها حتى الآن ستون عاما“ — ترجمها العلامة سليمان البستاني. وعلى كل محب للشعر أن يطالعها.....(١٦)

ويقول الأستاذ محمد عبد الغنى حسن عن تلخيصات دريني خشبة لروائع الأدب اليوناني: و”هنا لا ينسى فضل مجلة الرسالة في تقديم تلخيصات دريني خشبة لروائع الأدب اليوناني. فقد حببت هذا الأدب الخصب إلى كثير من شباب العرب، ودلتهم على إمكانية الجمال والخيال والروعة فيه، وجعلت ”إلياذة هوميروس“ سهلة المنال بعد أن كانت ترجمة سليمان البستاني لها مطالبا لا ينال..... لضخامتها أولا، ولإيرادها بالشعر ثانيا، ولندرة الحصول على نسخة منها بعد أن نفدت طبعتها من زمن بعيد. فكان عمل دريني خشبة في هذا السبيل تيسيرا للتمتع بالإلياذة، وبكثير من الأساطير اليونانية وتذوقها، والعيش مع هؤلاء الآلهة، الذين تخرج العرب القدماء من ترجمتهم في عصر النقل والترجمة في العصر العباسي الأول، لاعتبارات دينية وغير دينية هؤلاء الآلهة الذين ينزلون من عليا السموات إلى الأرض، يختلطون بالبشر ويقاتلون، ويتزوجون من عرائس الآدميين، وينجلون أنسالا من الأبطال العظام.....(١٧)

وهذه هي قصص سليم البستاني الاجتماعية. وهي أول نتائج ضخم في الأدب

العربى، وعلى الرغم من الإطار الرومنطيقى الصريح الذى يلفها وما يفرضه من المبالغات والصدف والبعد عن الواقع وفتور الشخصيات، وبعدها عن الطبيعة والإنسانية، وجفاف العرض وضعف الأسلوب، لانستطيع إلا أن نسجل لصاحبها فضل السبق فى هذا الفن، وتنبيه أذهان الكتاب إليه، ولفت نظر عامة القراء إلى ما يحويه من لذة وفائدة . وعيب البستاني الأول أنه كتب ليعظ ويصلح، لاليحقق مثلاً فنية . نصبها أمام عينيه . وهذا العيب تخففه فى نظرنا معرفتنا لروح الأدب فى هذه الفترة، فقد كان الأدباء كما ذكرنا سابقاً ينتجون الأدب على اختلاف ألوانه، لتحقيق غاية اجتماعية هى الإصلاح والتهديب، وقد قال زيدان فى ذلك: "وروح هذا العصر تقتضى النظر فى الأشياء من حيث حقائقها والتعويل على الجوهر دون الأعراض أو اللب دون القشر . فالشعر والنثر الجوهر فيهما المعنى والعرض اللفظ . فالأديب أو الشاعر العصرى إذا نظم أو نثر جعل همه، الالتفات إلى معانى من حيث مطابقتها للواقع أو المعقول . ويستلزم ذلك طبعاً أن يكون لما ينظمه أو ينثره غرض متين أو حكمة أو تعليم أو عظة أو انتقاد عادة أو خلق أو سياسة أو غير ذلك .

وعليه الثانى ولعل مرده روح العصر أيضاً وطبيعة الأدب الذى كان شائعاً فى أوروبا والشرق آنذاك، هو خضوعه التام للقيم الرومنطيقية الفنية التى طبعت الأدب بهذه المبالغات التى لم نعد نقرأها اليوم، بعد أن نماذوقنا الأدبى وتهذيب بفعل التطور الزمنى واختلاف التقاليد والقيم الأدبية . إلا أن تلك القيم كان من الممكن أن تنتج أدباً رائعاً كما حدث فى أوروبا عندما تناولها أدباء عظام مثل هيجو وسكوت . (١٨)

وجميع إنتاج سليم البستاني ضعيف من الوجهة الفنية بما فى ذلك أقاصيصه المنشورة فى "الجنان" فالوحدة فيه معدومة، والسياق مقطوع بالمواعظ والعبر التى تفسد الجمالية وتلقى بالآراء فى غير فن، وتكشف عن شخص المؤلف الذى يتدخل عند كل مناسبة، وهذه الروايات تبدو مقاطع متفرقة سيئة الربط، وأبطالها صنعوا صنعا ناجزا يبعدهم

عن صفة التذبذب البشرى . على أن النزعة الاجتماعية فى هذه الروايات قد جعلتها وثيقة عن أخلاق المجتمع فى تلك الفترة، وهو مجتمع بدأ يتأثر بالتقاليد الأوروبية الحديثة، فتكون له إزاء هاردود فعل مختلفة، إذ يقبل الناس على أسباب تلك الحضارة لا يميزون غالباً بين محاسنها ومساوئها. وليس سليم البستانى إلا واحداً . لعله الأول من هؤلاء الكتاب الذين يهتمون بتحذير الناس، ويخشون آثارهم بالوعظ والانتقاد والإصلاح الاجتماعى. (١٩)

وفى المقدمة لحكايات لبنانية للأستاذ كرم البستانى نرى مدى خبرة المؤلف فى مجال الدراسة الحكايات فقال: إن الأساطير فى كل البلاد تتشابه مع اختلافها فى بعض التفاصيل وخلص إلى أن هذه الحكايات العالمية وليست ملكاً لأحد.

وأدباء العرب أول كتاب، من نوعه أسهب فى نقد آثار الأدباء، وفى تحليل ميزات

العصور الأدبية والتاريخية. وأول كتاب جعل الغزل من مواد التدريس، وتبسط فى شرحه وتفصيله، فلم يسلم فى بدء الأمر من عنت المتمزتين، ثم أصبح الغزل شيئاً مألوفاً فى المدارس كغيره من أنواع الشعر، وإلى ذلك يشير المؤلف فى مقدمة الطبعة الأولى للجزء الأول: "وفتحت للغزل باباً كسائر الأبواب إشفاقاً من أن تبقى ميزة الشعر ناقصة، وفى ذلك جناية على الأدب والتاريخ . وليس فى الغزل إذا لطف معانيه، ورقت حواشيه، ما يحرم تدريسه، كما يزعم بعض صغار الأحلام، فهذه كتب الآداب الغربية بين أيدي ضلالتنا متفوحة أبوابها للشعراء الغزلين . فكيف أحل لهم درس هذا الفن فى مؤلفات الأجانب، وحرّم عليهم فى لغتهم، أليس فى ذلك أمر عجيب؟!".

ومن حسنات هذا الكتاب أنه سبق غيره إلى إظهار حقيقة بشر بن عوانة العبدى، وقصيدته فى وصف الأسد، فإذا هما من صنع بديع الزمان الهمداني، فخرج بشر، لأول مرة، من تاريخ الأدب بعد ما احتفل به المؤرخون والأدباء أحقاباً طويلاً.

وجدير بالذكر أن الكاتب سواء بحث فى التاريخ أو الأدب أو الاجتماع والفلسفة،

يحرص كل الحرص على حسن الصياغة وطلاوة التعبير، وإشراق الديباجة، وتوقيع الألفاظ.
فالجو الأدبي يغمر أبحاثه، على تباين أغراضها واتجاهاتها. (٢٠)

آراء الباحث:

وللبستانيين آثاراً أخرى قيمة في النقد الأدبي ومنها مقدمة الإلياذة لسليمان البستاني فقد أثارت روحاً نقدية، وطريقة في البحث الأدبي كانت جديدة في أوائل هذا القرن . ولا يخفى أن الإلياذة كانت أول أثر في القرن العشرين جمع بين البحث الأدبي ومقارنة الأدب . وقد سار فيه صاحبه على أسلوب علمي خالص يستند إلى ذكر المصادر، ونقد الروايات والترجيح بينها، فلا يحكم إلا بعد تحفظ، ولا يقر أمراً إلا على أثر مناقشة واحتياط، حتى غذا أفضل ما يقلده الباحثون في الأدب العصري نقداً ودراسة وقد فعلوا . فلا عجب أن يقول الدكتور يعقوب صروف، وقد أحاط بجميع هذه الصفات الأدبية في الكتاب المذكور: إن مقدمة الإلياذة تنزل من الأبحاث الأدبية منزلة مقدمة ابن خلدون من الأبحاث التاريخية .

ومنها سلسلة مدرسية ذهبية باسم الروائع لفواد أفرام البستاني وفيها ملامح من نقد التراث وانتخابه وبغض النظر عن بعض النقائص فإن الأستاذ فواد أفرام البستاني قد نجح في تقديم تصوير جميل للأدب العربي القديم للجيل الناشئ .

ومنها مجموعة مقالات للأستاذ اللغويين مثل عبد القادر المغربي والأستاذ انستاس الكرملي ناظرهما الأستاذ عبد الله البستاني في قضايا لغوية وهؤلاء الأساتذة لكل منهم رائه فيها مستقلة ولكن نرى الأستاذ المغربي يعترف بفضل الأستاذ عبد الله البستاني يقول: "أيها الأستاذ المحترم: إنك بحمد الله أشهر من نار على علم . وإن أعضاء المجمع العلمي العربي أول من يعترف لك بالفضل والكفاية".

إن للبستانيين عدة مؤلفات في المواد الدراسية وقد ذكرناها منها أدباء العرب،

الروائع، مفتاح المصباح، المجانى الحديثة، أمثال الشرق والغرب، الصورة الشعرية فى الكتاب الفنية الأصول والفروع، البيان، مناهج الترجمة، قواعد العرب، جواهر الأدب: و عرضناها بتفصيل تحت عنوان إعداد الكتب الدراسية وأهمها أدباء العرب فى ثلاثة مجلدات وله أهمية باقية فى التاريخ والنقد الأدبى العربى . وكذلك يمكن القول فى سلسلة الروائع للأستاذ فواد أفرام البستانى . وهذا بالرغم من تعصباتهم الدينية ونزعاتهم المسيحية التى أوقعتهم فى بعض الأخطاء العلمية وقد أشرنا إليها فى موضعها وأكثر كتبهم الدراسية لم تبق لها قيمة فى مجال المواد الدراسة فقد أعد الكتاب المصريون وغيرهم كتباً قيمة كالنحو الواضح، والبلاغة الواضحة، والقراءة الراشدة، والقراءة الجديدة وغيرها من الكتب فلم يبق حاجة الطلاب إلى جواهر الأدب ومفتاح المصباح وقواعد العرب وغيرها من كتب البستانيين الدراسية.

أما المجانى الحديثة لكرم البستانى فلا نعرف حظه من المدارس فى مصر ولبنان ولكن مجانى الأدب فى حدائق العرب للأب لويس شيخو وهو الكتاب الذى أراد كرم البستانى أن يجدده فى مادته وأسلوبه عن طريق الاختيار والشرح والتبويب فغدا اسمه كما حكى عنه كرم البستانى مرادفاً لكتاب التعليم العربى . ولم يزل حظه من المدارس العربية فى بلاد الهند أيضاً.

وللبستانيين عدة مؤلفات فى القاموس واللغة والمعاجم منها محيط المحيط، وقطر المحيط، والبستان، وفاكهة البستان وقد أعدت هذه الكتب لإفادة الطلاب والناشئين وحفظها كحظ كتبهم المدرسية.

أما أهمية هذه الكتب فى تاريخ إعداد المواد الدراسية والقاموسية فلا ينكرها أحد . وكذلك يمكن القول فى دائرة المعارف للأستاذين بطرس البستانى وفواد أفرام البستانى وقد يمكن أن نضيف إلى قيمتها التاريخية أهميتها العلمية أيضاً . أما دائرة المعارف لفريد

الوجدى المصرى وأخرى وهى دائرة المعارف الإسلامية المترجمة لبعض المستشرقين — وقد علق عليها كبار علماء العرب المسلمين — فنجدها أوسع تداولاً فى الأوساط العلمية.

ولم يؤلف وديع البستانى فى السياسة إلا كتاباً واحداً بالإنكليزية، ثم بالعربية أسماه

The Palestine Mandate Invalid and Impracticable "الانتداب

الفلسطينى باطل ومحال" ومعظمه بحث فى القانون الدولى العام. وضمن المؤلف هذا

الكتاب الحقائق والحجج والوثائق كلها التى تتعلق بالقضية الفلسطينية متوصلاً فى النهاية

إلى أن الانتداب الفلسطينى الهادف إلى قيام إسرائيل باطل ومحال.

وقد عالج وديع البستانى المحامى هذه المباحث من الوجهات الثلاث: اليهودية،

والعربية، والبريطانية، جميعاً. وقد أتيح للمؤلف أن ينشر هذا الكتاب بصيغته الإنكليزية

والعربية مستيقناً بطلان الانتدابات ومحاليتها. وذلك فى سنة ١٩٣٦م وبعد قيام إسرائيل

فى سنة ١٩٤٨م لم يبق محاليتها، فقد حدث ولكن قوله ببطلانها لم يزل على سداد

فيما نرى وهذا هو موقف كل من الأساتذة أميل وسيف الدين البستانى فإن تقسيم فلسطين

لقيام إسرائيل فى نظر أميل البستانى نقمة مستمرة للعرب فيقول فى زحف العروبة "إن

خسران فلسطين كان صفقة مدمرة للكرامة العربية" ويؤكد أن ليس فى التاريخ كله ما يشبه

إنشاء دولة إسرائيل ويتساءل: "كيف يكون شعور البريطانيين لو أن هجرة "من بوريكو"

غير محدودة تدفقت على إسكتلندا نتيجة "تصريح كندى" مثلاً بإباحة مثل تلك الهجرة،

وقامت فى نهاية المطاف هناك دولة "بورتوريكية" اتخذت من أدنبرغ عاصمة لها!"

ويقول: "ومن الصعب على غير العربى أن يفهم عظم الصدمة التى أحدثتها كارثة فلسطين

فى العالم العربى.

ونراهما يستحسنان راءهما فى قيادة الرئيس جمال عبدالناصر وإن يكن هناك فرق

يسير فيما بينهما باختلاف نظرهما إلى قضايا العرب المصيرية فيقول الأستاذ أميل البستانى:

إن العرب يعجبون به (الرئيس جمال عبدالناصر) ولا يتملقونه، وقد يهتفون له ويشيدون باسمه إشادة محمومة، ولكن الرسالة هي التي يمجدون لا الرجل، فإذا خطرله (لاسمح الله) أن يخون الحركة العربية القومية، كان يحاول الصلح مع إسرائيل مثلاً، عندئذ يصبح سقوطه أمراً محتوماً فوراً شديداً الوطأة. فإن الرئيس ناصر كغيره من زعماء العرب القوميين إنما يحتفظ بسلطانه وفق ما يريد العرب لا ما يريد هو.

وإذا كانت الماسونية في نظر المؤلف الخطر العالمي فإذا جمال عبدالناصر هو قائد أمة العربية والمسلمين وليس فحسب بل هو قائد أمم الأرض على اختلاف أديانهم وأجناسهم كما يقول: "إن الأعمال الجبارة التي يقوم بها القادة من أمثال هذا البطل هي الكفيلة بإزالة الغشاوة عن أبصار الشعب وبصائره إذ تثبت — بالأدلة القاطعة — حقيقة الخطر المبيت على البلاد العربية والإسلامية بل على الشرق بأسره. ويرسمون الطريق لدفع هذا الخطر، ويحذرون الأمة العربية والمسلمين وكل أمم الأرض على اختلاف أديانهم وأجناسهم، من هول النتائج التي قد تحيق بهم لو اتبع لأعداء الإنسانية أن يصلوا إلى أغراضهم الشريرة.

وبغض النظر عن هذا الهاجس الماسوني فإننا نرى الأستاذ سيف الدين البستاني أقرب البستانيين إلى الوعي الإسلامى وحساسية المسلمين فلا يكتب شيئاً يخالفهما بخلاف الأستاذ أميل البستاني والأستاذ وديع البستاني. فهذا أميل البستاني من أكبر الدعاة إلى القومية العربية التي تتسع وراء الديانة الإسلامية يقول: "ثمة عاملان يشتركان في تغلب الروح القومية على أقطار العرب، هما اللغة العربية وعقيدة الإسلام..... ومع هذا فليست القومية العربية نتاج الحركة الإسلامية. فالعرب النصارى كما أوضحت في فصل سابق من هذا الكتاب — ولا سيما أهل لبنان منهم — من أوفى وأرسخ المؤمنين والمؤيدين للقضية القومية، وقد صانوها حبة في أزمان العبودية والسيطرة الأجنبية ولولا جهودهم لقضى عليها

وهلكت“ ويظهر من خلال فصول زحف العروبة أن الأستاذ أميل البستاني من مناوئ
العثمانيين وذلك باسم القومية العربية التي تتسع روحها— كما يزعم — وراء الديانة الإسلامية
فيقول: ”وإنهم— أى نصارى لبنان وسوريا— العرب الوحيدين الذين قاوموا الحكم التركي
طيلة أربعة قرون وحفظوا على يدمنا وأتهم الدائبة المستمرة للنير العثماني، روح العروبة حية
وعبدوا الطريق أمام القومية العربية وانبثاقها قوة نهائية“ وقد يتساءل أحدهنا: هل كانت هذه
روح العروبة وقضية القومية العربية التي صانها نصارى العرب من لبنان وسوريا أم كانت
هى عصبيتهم الدينية وراء مناوأتهم الدائبة المستمرة للنير العثماني؟

وهذا يذكرنا بموقف الأستاذ سليمان البستاني وهو أيضا من نصارى لبنان ومن
حماة العروبة وكان معروفا بولاءه للأمة العربية وبعصبيته للوطن اللبناني ولطالما ساعد
العرب ودافع عن حقوقهم فى المجلسين والوزارة . ولم ينس لبنانيته فى جميع أطوار حياته .
فلقد كان لبنان قبلته ومصطافه ومرجع جنينه . ومع هذا كله فإننا نراه يمارس قومية تجمع
بين العروبة والعثمانية وكان قد عهد إليه بوزارة التجارة والزراعة والغابات والمعادن فعمل
فيها مدة بضعة عشر شهرا بجدة وحسن إدارته حتى جعلها مثالا للوزارات . وأخذ يسعى فى
تحقيق آرائه فى إنماء الثروة لوطنية عن طريق استغلال الأرض فى منابتها ومناجمها
وخيراتها جميعا . فنظم مدرسة الغابات والبنك الزراعى . وكان أول من فكر بتأسيس
النقابات الزراعية والصناعية فى تركيا .

وقال فى كتابه ”عبرة وذكرى أو الدولة العثمانية قبل الدستور أو بعده“ وإننا
غير مغترين بوفرة هذه المصادر الطبيعية للثروة ولسنابطامعين أن تفيض ميازيبها نضارا فى
سنة أو سنوات قلائل ولكنه لابد من تنبه إخواننا العثمانيين فى كل قطر من أقطار إلى ثروة
يمكن الشروع مذ الآن فى استدرارها شيئا فشيئا.....

وإن مجال المهاجرة إلى البلاد العثمانية متسع جدا وتناول أطراف البحث فيها مما

يضيق عنه نطاق سفرنا هذا الصغير وإنما هي نفثات عثمانى محب لوطنه باح بشيء منها وادخر مابقى منها لفرصة أخرى“.

وكان قد عمل مع الأحرار الأتراك وجاهد في سبيل الدستور العثماني وحرية الصحافة واستدل على دعوته إلى الحرية بالتاريخ العثماني نفسه فقال: إن كثيرا من السلاطين العثمانية كانوا ذوي بربرعايتهم، وهذا السلطان محمد الفاتح مع مايعزى إليه من القسوة قد حول رعاياه المسيحيين والإسرائيليين من حرية الدين والتصرف بالأحوال الشخصية مايسجل له فخارا مؤيدا وإن عده كثيرون خرقا في السياسة بالنظر إلى أحوال ذلك الزمان

أنظر الآن إلى ماشئت من أسباب الشكوى وأرجع معى إلى ما قبل أربعين أو ثلاثين بل خمسة وعشرين أو عشرين عاما وقابل زمنا بزمن ترأنا جرينا القهقري جريا حثينا وخالفنا بالقسر عنا كل أمم الأرض“.

وعلى كل حال فقد يمكن لنا ان نلاحظ كل ألوان النشاط السياسى لدى البستانيين من خلال الفصول من مؤلفاتهم السياسية وهذا ورق مهم من تاريخ العرب السياسى فى عصرنا الحديث . فقد تفيدنا مؤلفاتهم هذه بوجهات نظر البستانيين على اختلافها فى هذا الميدان الجليل.

وكان للبستانيين نشاط ملحوظ فى حركة إحياء العروبة وترويج فكرة القومية العربية ومن ضمن نشاطاتهم فى هذا المجال مؤلفاتهم التى جاءت لتحليدا لذكرى الثقافة والعادات أو التقاليد العربية على اختلاف عصورها . لقد جددت هذه الكتب فى أذهان القراء العرب ما أسدل عليه مرور الزمان أستا التغافل والتناسى من مشاهد الحياة الاجتماعية القومية للعرب ولا سيما فى ظل سيادة الأتراك وسيطره تقاليدهم.

ومن كتبهم فى هذا المجال النساء العربيات، وأميرات لبنان لكرم البستاني، معارك العرب فى الشرق والغرب ومعارك العرب فى الأندلس لبطرس بن سليمان البستاني ومنها

أدباء العرب له أيضا وزحف العروبة لأميل البستاني .

وكتاب النساء العربيات جيد وفريد من نوعه قد تحدث المؤلف عن العربيات الشاعرات ومنهن النساء المستعربات وقال المؤلف عنهن: "إن الجوارى المستعربات وإن كن أسأن إلى الأخلاق بمانشرون من الخلاعة والمجون وأسأن إلى الدولة العربية إذ كن من العوامل التى أضعفتها فى الشرق والغرب، قد أثرن فى شعر شعراء زمانهن تأثيرا عظيما".

وقد تكلم المؤلف عن خدمات النساء العربيات فى مجال الغناء، والحرب والكهانة. وتحدث أيضا عن بطلات الجاهلية والإسلام .

وفى كتابه أميرات لبنان تحدث المؤلف عن أولى الأميرات، وأميرات العهد المعنى، وأميرات العهد الشهابى، وملابس الأميرات، وحمائمتهن، ومسرحهن.

أما الكتابان للكاتب الشهير بطرس بن سليمان البستاني معارك العرب فى الشرق والغرب ومعارك العرب فى الأندلس فيبدو للقارى بعد الدراسة لهذين الكتابين أن الكاتب متحيز ومهتم بإحياء الأمجاد العربية بما فى عهد الإسلام ويحاول بكل ما فى وسعه إبراز العروبة فى هذه الكتب . وأيضا أنه قد ذكر فى هذه الكتب المعارك التى وقعت بين العرب والعجم فى عهد الإسلام رغم أن العجم الآن جزء من العالم الإسلامى فيتجلى منه أنه قد عزز أفكار القومية العربية بعد التفرقة بين العرب والعجم وفى الحقيقة أنه قد اجتهد لإنهاك الجامعة الإسلامية وروابطها حق الاجتهاد فلذا قد سمي هذه الكتب بمعارك العرب ولا بمعارك المسلمين وكان من المقترح أن يذكر المؤلف المعارك التى دارت فيما بين أهل الإسلام أنفسهم من العرب وغيرهم فيقول: "وإنما أخذنا أنفسنا بأبحاث فرعية تلامس أشهر المعارك التى نشبت بين الدول العربية والدول العجمية منذ صدر الإسلام إلى أن زالت كلمة الضاد بانتقال الخلافة إلى بنى عثمان".

ولعله عند ظهور الكتاب الثالث من هذه السلسلة ولكن الكتاب لم يصل إلينا فلا

نعرف هل تحقق هذا الاقتراح أم لا .

وهذه هى كانت وجهة نظر أميل البستانى فى تأليف زحف العروبة فيسمى الفتوحات الإسلامية فتوحات العرب ويقول: "إن العالم كان على أهبة لقبول فتوحات العرب فكان أن فتحوه....."

والعرب اليوم أجدادهم الأقدمون عند الأستاذ أميل البستانى عرب اليهود التوراتية الأولون ويطلق عليهم عادة كلمة الأعراب — كما يقول — أو العربان فى مدن الشرق الأوسط. ويرى أن احتلال العثمانيين القاهرة عام ١٥١٧ م أسوء من سقوط قرطبة وغرناطة عام ١٤٩٢ م فى رأى المؤلف فيقول: "استرد نصارى أوروبا قرطبة المركز الرئيسى للحضارة العربية فى أسبانيا عام ١٢٣٦ م، وعرناطة عام ١٤٩٢ م وتقهقر العرب إلى شمال إفريقيا، وخسروا أسبانيا كلية بعد أن كانوا فيها منذ عام ١٩٧٠ م .

"وكان الأسوأ من ذلك فى انتظارهم، إذ احتل السلطان سليم الأول العثمانى القاهرة عام ١٥١٧ م وأصبح العالم العربى جزءا من الإمبراطورية العثمانية باستثناء مراكز التى ظلت سلطنة منفصلة، ونجد فى شبه الجزيرة التى حافظت بعناد وصلابة على استقلالها فى ظل أمرائها، وأصبحت القسطنطينية مركز السلطة، عزل الحكام العرب فى كل مكان عن مناصبهم، أو حولوا إلى اتباع للسلطة العثمانية، ودخل العرب عهدا من العبودية دامت أربعة قرون. وعلى رغم دعامة البستانيين، ومنهم أميل البستانى وبطرس بن سليمان البستانى، للقومية العربية فقد كتب بأسلوب يظهر فيه حميتهما المسيحية فى حكاية فتح العرب للأندلس مثلا كما عرضنا للقضية فى موقعها من كتاب أدباء العرب لبطرس بن سليمان البستانى فى مواضع أخرى بتفصيل.

ومما لا شك فيه أن وديع البستانى قد أبدى جدارته الفنية والصناعية وبراعته الأدبية فى تعريب المهراتة وبرز من خلال تعريباته للراميانة وشاكتلا ونالادامينتى وغير ذلك من

الأدب الهندي . كأحد المتهنددين البارزين فى اللغات الأوروبية .

و كثيرا ما نرى الأستاذ البستاني يخلط بين الاصطلاحات الإسلامية كالإيمان والتقوى والصلوة والصيام وبين المعانى الوثنية فيقول مثلاً فى تعريبه للراميانة: "جاء راماً يودع سينا ويوصيها بطاعة صاحب العرش وبالصلوة والصيام فأبّت إلا أن تصحبه وتنفى معه ويقول: "أما الشاعر الراميانة فإنه يستوحى ذكريات عصر ذهبي للثقافة الهندوية فيبدع مثلاً سامية للتقوى والإيمان".

ولم نطلع على أبيات غيتة المعربة فلا يمكن لنا القول فى تقييمها: واماتعريبه لرباعيات عمر الخيام فنقول فيه:

وقد أكمل وديع البستاني تعريبه هذا سنة ١٩١١م ولم يتجاوز عمره خمس وعشرين سنة وإن الشاعر الفحل كما عرفه الأستاذ داغر صاحب مصادر الدراسات الأدبية على رغم حداثة سنة، قد أدى خدمة موفقة بتعريب رباعيات عمر الخيام وهو أول من قام بهذه الخدمة الجبارة فى الأدب العربى الحديث كما يقول نفسه فى المقدمة لسباعياته: "إنى مقرعجزى ومعترف بحدائثه عهدى فى حلبة الكتاب والشعراء وقائل قول نسيبى معرب الإلياذة فى ديباجة الكتاب: "فإن احسنت وفيه منتهى جهدى فذلك من حسنات الاجتهاد . وإلا فحسبى أن افتحه باباً يلج منه وفقه الله إلى سبيل انسداد.

وهذا هو ما قد حدث بالفعل فجاء محمد السباعى وترجمها من الإنجليزية أيضاً — كما فعل البستاني — واختار لها الشعر قالبا كذلك، وترجمها الشاعر العراقى السيد محمد الهاشمى شعراً، وكذلك فعل الشاعر جميل صدقى الزهاوى، وأحمد رامى، اللذان ترجمها عن الفارسية إلى شعر عربى، وإن كان الزهاوى قد قرن بين النثر والنظم، وجاء الشاعر العراقى الأستاذ عبدالحق فاضل من سنوات قليلة فترجم الرعيات شعراً من الفارسية التى تعلمها من أجل ذلك — كما فعل سليمان البستاني حين تعلم اليونانية من أجل ترجمة

الإلياذة — ونشرها فى كتاب يشتمل على دراسة جيدة وترجمة وصينة قوية بعنوان "ثورة الخيام" وممن شارك فى ترجمة رباعيات الخيام شعرا شاعران آخران: أحدهما مصرى هو المرحوم الدكتور أحمد زكى أبوشادى، وثانيهما عراقى هو الشاعر أحمد الصافى النحفى . وفى زحام هذه الكثرة الطيبة من ترجمة الرباعيات الخيامية الشعرية، نرى ترجمة نشرية للأديب العراقى أحمد حامد الصراف، وقد وضع الترجمة العربية لكل رباعية عقب إيرادها مكتوبة باللغة الفارسية وجاء بعد ذلك توفيق مفرج اللبناني المتمصر . فترجم رباعيات الخيام فى نشر شعرى .

وقد عرضنا لبعض من هذه التراجم والتعريبات فى دراسة مقارنة لسباعيات وديع البستانى فى موضعها من الباب الثانى ولا يسعنا هنا إلا أن نشير إلى أن الترجمة الإنكليزية التى اعتمد عليها الأستاذ البستانى فى إخراج سباعياته فى ترجمة فتزجرلد و يعتقد الأستاذ البستانى أن رباعيات فتزجرلد الإنكليزية هذه هى نفس الدرر الفارسية الخيامية وأنها محور تدور عليه تأليف متعددة لأدباء كثيرين الإنكليز والفرنسيين والأمريكان ولكن خلصنا بعد دراستنا إلى أن رباعيات فتزجرلد — على رغم قيمتها الأدبية — أبعد شئ من الأصل الفارسى، فقد تصرف الرجل فى الترجمة وتوسع فى ذلك توسعا قد لا يوافق عليه المتمزتون وقال القائلون إنها فى الإنكليزية شئ آخر عن الأصل الفارسى .

ولمعرّبنا تعريبات لمؤلفات اللورد أفبرى الشهيرة منها معنى الحياة، والسعادة والسلام، ومحاسن الطبيعة، ومسرات الحيات، ولم نعثر عليها إلا على مسرات الحيات وهى تعريب لتأليفه The Pleasures of Life وقد نقله المعرب بعبارة سهلة وألفاظ محكمة ومعانى غزيرة ورسمه صحيحا ينطبق على لغة النقل ومشرب قرائه فإذا قرأ المطالع فيه مقالات اللورد المعروفة فكأنما يقرأها عربيا ولا يقرأها أعجميا ولم نعثر على النسخة الإنكليزية لكتاب اللورد أفبرى فلا نعرف السباق من أصل الكتاب لاستشهاد

المعرب بالأشعار العربية لشعراء نأ الفحول ولكن كان عمله هذا على سبيل تحميل التعريب . وقد نجح فيه إلى حد كبير كما نرى .

غير أن فى ديباجته للمهبراة أخطاء ذكرناها فى موضعها وربما يُصدر حكمه فى أمور لا يدر كها ومنها قوله: ”ومن نهري هندو“ و”سندو“ التسميتان الهند والسند . وزعمه أن الأدب الهندوى، ملحميه ومولده، لا اثر فيه لوثن أو وثنية .

أما مؤلفاتهم عن التاريخ فتاريخ فرنسا الحديث الذى اختاره المؤلف سليم البستانى موضوعاً للكلام وقال: ”سندكر أسباب هذه الثورة وعواقبها فى فرنسا والدنيا قاطبة من جهة التمدن والمعارف وغيرها ... وقد اجمع المؤرخون على أن الأمة الفرنسية تفوق غيرها بالحماسة والحدة وشدّة التصور والشجاعة والمبادرة إلى القيام بالأمر الخطيرة والطف وهى من سلامة النية والحدق وقوة العقل والكرم والسخاء على جانب عظيم“ . وهكذا يتحدث المؤلف المسيحى عن مناقب الأمة الفرنسية ولا ندرى هل يتفق معه المسلمون، فى الجزائر وتونس على سبيل المثال، الذين قاسوا مرارة الاستعمار من قبل الفرنسيين . وللمؤلف تاليف آخر حول نابليون وهو ”تاريخ نابليون بونابرت فى مصر ورسوريا“ ولكنه غير متوفر لدينا .

وفى مجال الرحلات أيضاً يوجد للبستانيين بعض المؤلفات فللقس الديرانى أغوسطين البستانى، الكوكب السيار، ولسليمان بن خطار البستانى رحلاته . ولنحيب بن المعلم بطرس البستانى ذكرى ومشاهدات فى الآستانة . ولم يصل إلينا إلا الكتاب ”خمسة أيام فى ربوع الشام“ للاستاذ فؤاد أفرام البستانى، رئيس الجامعة اللبنانية . وهذا الكتاب ليس حكاية عن وقائع السفر فى الشام فحسب ولكنه استعرض فيه المواقع التاريخية وأحوال جميع هذه المواضع ماضياً وحالها، ربما إحياء أو تجديد أو تخليداً لذكرى التاريخ القديم للمسيحيين فى تلك المناطق ولا يخلو وصفه فى هذا الباب من مسحة التعصب الدينى

للمسيحية حيث يغمض عن ذكر أهم المواضع التاريخية بالمنطقة تنتمي إلى العصور الإسلامية الزاهرة. وإنه قد ذكر فيه بعض الأحيان القصص التاريخية المهمة ولكنه ماذكر فيه مصادر ومراجعها.

أما أسلوب فواد أفرام البستاني فهو حافل بالفلسفة والتاريخ وبالألدة العقلية والتعليقات المنطقية إلا أنه واضح كل الوضوح ومنسجم كل الانسجام خال من الغموض والالتباس وتداخل الجمل التي تفصل ما قبلها من المعاني عما بعدها.

وجاء أسلوبه على ما فيه من بحث دقيق عميق مدلول رائع الإنشاء مختار الألفاظ رائق الديباجة كأنها مرآة صافية تتم بجلاء على ما ينعكس عليها من صور ورسوم. ولإنشائه بلاغة في تأدية المراد دون تطويل ولا إيجاز وكان الألفاظ فصلت على مقادير المعاني لا زيادة فيها ولا نقصان وإن توجد مترادفات أو جمل متعاقبة الواحد فقليلة نزر لا تكاد تلمح وليست من قبل الحشو والتطويل وإنما هي لزيادة التبليغ والتقرير.

وجدير بالذكر أن سليم تقلا وأخوه بشارة تقلا اللذان أسسا جريدة الأهرام للقاهرة سنة ١٨٧٥م وكان سليم تقلا قد درس في مدرسة المعلم بطرس البستاني في عبيه أما المؤلف الدكتور عبدالله إسماعيل البستاني فقد اتبع في بحثه هذا عن حرية الصحافة كل طرائق البحث العلمي فقد تدرج من العموم والخصوص وتنقل من التعريف والتاريخ إلى التنظيم والإصلاح. وأشار إلى ماتحبه "الأمم المتحدة" حرية الصحافة من رعاية لأجل تدعيم ذلك الحق الأول من حقوق الإنسان. وعرض المؤلف لذلك كله وقدمه بطريقة وأسلوب لاحت فيهما جميعا ملكة "التحقيق" العلمي، واستبان روح الإصلاح الحر، فجاء هذا السفر — وهو الأول من نوعه باللغة العربية — معمر الركن المكتبة العربية الخاص بالصحافة وتأريخها وحريتها.

وكان طبيعيا أن يعتبر المؤلف الثورة الفرنسية نقطة ارتكازه التاريخي، فعن هذه الثورة

الكبرى صدر تصريح حقوق الإنسان . وتشمل "الاذن لكل مواطن أن يتكلم ويكتب ويطلع، بصورة حرة، مع مسؤوليته عن سوء استعمال هذه الحرية في الحالات التي يحددها القانون " و يبدو كأن البستانيين مفتنين بالثورة الفرنسية كل افتنان فيقول سليم البستاني مؤلف تاريخ فرنسا الحديث: "إن تلك الثورة لم تؤثر تأثيرات سياسية وأدبية مادية وغيرها في فرنسا فقط بل أتت سائر العالم بعصر جديد يفتخر به اهله " ويقول أيضاً: وسنذكر أسباب هذه الثورة وعواقبها في فرنسا والدنيا قاطبة من جهة التمدن المعارف وغيرها .

ويمكن أن هذا الافتنان بالثورة الفرنسية قد يكون دأب المثقفين المتفرنجين من لبنان وغيرها من البلاد . ولا سيما البستانيين المارونيين الذين طالما تمتعوا بظل الكنيسة الفرنسية.

إن البستانيين كانوا من رواد الشعر العربي الحديث فقد قرضوا الشعر في الموضوعات الجديدة بالأسلوب الحديث ولهم فضل السبق في ميدان تعريب الروائع من الشعر العالمي . فقد عرب سليمان البستاني إلياذة هو ميروس وعرب وديع البستاني رباعيات عمر الخيام باسم السباعيات كما عرب الشاكتلا لكاليدياس من ترجمته الإنكليزية وشعر طاغور ترجمه عن الإنكليزية وله ديوان شعر دعاه الفلسطينيات.

وقد ضم بطرس بن سليمان البستاني شعرا من قريض كل من الاستاذ عبدالله البستاني والخورى بطرس البستاني وسليمان البستاني والبعض الآخرين من نصارى العرب كالأب لويس شيخو ووديع عقل وأيليا أبو ماضي وغيرهم لما يراه صالحا لتربية الجيل الناشئ.

مصادر ومراجع

(١) فؤاد أفرام البستاني: المعلم بطرس البستاني، في "الروائع" مطبعة منشورات الآداب

الشرقية، سنة ١٩٥٠، ص: ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣،

(٢) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، الجزء الثالث من المجلد الخامس والأربعون

- مطبعة الترقى، سنة ١٩٧٠، ص: ٦٠٣
- (٣) نفس المصدر، ص: ٦٠٣، ٦٠٤
- (٤) نفس المصدر، ص: ٦٠٠
- (٥) نفس المصدر، ص: ٦٠٣
- (٦) نفس المصدر، ص: ٦٠٠/٥٩٩
- (٧) نفس المصدر، ص: ٦١٢، ٦١٣
- (٨) فؤاد أفرام البستاني: فى "الروائع" المطبعة الكاثوليكية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٥٥ م، ص: ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١
- (٩) حنا الفاخورى، ص: ١٠٩٢
- (١٠) الدكتور عمر فروخ: المنهاج الجديد فى الأدب العربى، المطبعة دار العلم للملايين، بيروت، ص: ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ج: ٢
- (١١) إنعام الجندى: دراسات فى الأدب العربى، المطبعة دار الانكاس، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، سنة ١٩٢٧، ص: ١٩٣، ١٩٤
- (١٢) محمد عبد الغنى حسن: فن الترجمة فى الأدب العربى، المطبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة، ص: ٤٧، ٤٨
- (١٣) نفس المصدر، ص: ٩٨، ٩٩
- (١٤) نفس المصدر، ص: ١١٥
- (١٥) نفس المصدر، ص: ١١٥، ١١٦
- (١٦) نفس المصدر، ص: ١١٥
- (١٧) نفس المصدر، ص: ٦٣، ٦٤
- (١٨) الدكتور محمد يوسف نجم: القصة الأدب العربى الحديث، المطبعة دار الثقافة، ص: ٧٦، ٧٧

(١٩) الدكتور سهيل ادريس: محاضرات عن القصة في اللبنا، سنة ١٩٥٧، ص: ٧٤٦

(٢٠) مناهل الأءب العربى، (١١) مختارات من بطرس البستانى، المطبعة مكتبة صادر

بيروت، ص: ٦، ٧، ٩



الببلوغرافيا

(المصادر العربية)

الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ

ميخائيل صوايا: سليمان البستاني وإيادته هو ميروس مكتبة صاخر، بيروت

ميخائيل صوايا: أعلام الفكر العربي، سليمان البستاني منشورات دارالشرق الجديد بيروت

الدكتور فيليب حتى: لبنان في التاريخ، المطبعة مؤسسة فرنكلين المساهمة للطباعة والنشر،

بيروت، نيورك سنة ١٩٠٩م

الأب لويس شيخو اليسوعي: الأدب العربية في القرن التاسع عشر، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، سنة ١٩٢٤م

أنيس المقدسي: الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، المطبعة دارالعلم للملايين

فؤاد أفرام البستاني: المعلم بطرس البستاني، في "الروائع" الجزء (٢٢) مطبعة منشورات الآداب

الشرقية سنة ١٩٥٠م

بطرس بن سليمان البستاني: أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث، المطبعة دارالمكشوف

ودار الثقافة، الطبعة السادسة بيروت، سنة ١٩٢٨م، ج: ٣

الشيخ عبدالله البستاني: البستان، المطبعة الأميركانية، بيروت، سنة ١٩٢٧م

الدكتور محمديوسف نجم: القصة في الأدب العربي الحديث، المطبعة دارالثقافة، الطبعة الثالثة

سنة ١٩٦٦م

محمديوسف كوكن: أعلام النثر والشعر في العصر العربي الحديث، المطبعة دارحافطة ميلابورن مدراس

حنا الفاخوري: تاريخ الأدب العربي، المطبعة البولوية لبنان

فؤاد أفرام البستاني: سليمان البستاني في "الروائع" الجزء (٤٤) المطبعة الكاثوليكية بيروت،

الطبعة الأولى سنة ١٩٥٣م

المعلم بطرس البستاني: دائرة المعارف، مطبعة المعارف، بيروت، ١٨٨١م

إبراهيم عبده: أعلام الصحافة العربية، المطبعة النموذجية، ٦ سكة الشابورى بالحلمية الجديدة

رشيد يوسف عطاء الله: تاريخ الآداب العربية، مطبعة مؤسسة عز الدين سنة ١٩٨٥ م

عمر رضا كحاله: معجم المؤلفين، مطبعة مؤسسة الرسالة، سنة ١٩٩٣ م

فواد أفرام البستاني: سليمان البستاني، فى "الروائع" الجزء (٤٧) المطبعة الكاثوليكية، بيروت،

المطبعة الأولى سنة ١٩٥٥ م

إنعام الجندى: دراسات فى الأدب العربى، المطبعة دار الإنكاس، بيروت لبنان، سنة ١٩٦٧ م

خير الدين الزركلى: الأعلام، مطبعة دار العلم للملايين

فواد أفرام البستاني: سليمان البستاني، فى "الروائع" الجزء (٤٦) المطبعة الكاثوليكية بيروت

المطبعة الأولى سنة ١٩٥٥ م

الأب لويس شيخو اليسوعى: الآداب العربية فى الربع الأول من القرن العشرين، المطبعة

الكاثوليكية للأببار اليسوعيين، سنة ١٩٢٤ م

الأمير ضارى بن فهد الرشيد: نبذة تاريخية عن نجد، المطبعة منشورات دار اليمامة الرياض

أنور الجندى: أدب المرأة العربية القصة العربية المعاصرة تطور الترجمة مطبعة الرسالة، بيروت

يوسف إيلان سر كس: معجم المطبوعات العربية المعربة، مكتبة الثقافة الدينية

الدكتور عمر الدقاق: مصادر التراث العربى، المطبعة المكتبة العربية محمد بلاسنى حلب

محمد شفيق غربال: الموسوعة العربية الميسرة المطبعة دار الشعب، سنة ١٩٦٥ م

أحمد عطية الله: القاموس الإسلامى، المطبعة مكتبة النهضة المصرية، سنة ١٩٦٣ م

محمد خير رمضان يوسف: تنمة الأعلام للزركلى، المطبعة دار ابن حزم بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٨ م

إبراهيم بن عبد الله الحازمى: موسوعة أعلام القرن الرابع عشر والخامس عشر الهجرى، مطبعة

دار الشريف، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٩ هـ

المعلم بطرس البستاني: محيط المحيط، مطبعة مكتبة لبنان، بيروت

- الشيخ عبدالله البستاني: الوافي، مطبعة مكتبة لبنان، سنة ١٩٧٠م
- المعلم بطرس البستاني: قطر المحيط، رخصة مجلس معارف، ولاية بيروت، سنة ١٨٦٩م
- المعلم بطرس البستاني: مفتاح المصباح في الصرف والنحو للمدارس، المطبعة الأميركانية في بيروت، سنة ١٨٩٥م
- المعلم بطرس البستاني: الصورة الشعرية في الكتابة الفنية الأصول والفروع، المطبعة درالفكر اللبناني، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٦م
- كرم البستاني: البيان، مطبعة دار صادر، الطبعة الرابعة سنة ١٩٦٦م
- يوسف توما البستاني: أمثال الشرق والغرب، طبع بمصر سنة ١٩١٢م
- فؤاد أفرام البستاني: المجاني الحديثة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت سنة ١٩٦٠م
- بطرس بن يوسف البستاني: جواهر الأدب، المطبعة العمومية ليوسف صادر بيروت، سنة ١٩٢١م
- انطوان مسعود البستاني: قواعد العرب، المطبعة مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني بيروت وطبع الجزء الأول بالطبعة الثالثة سنة ١٩٦٨م والجزء الثاني والثالث بالطبعة الثانية سنة ١٩٦٦م
- والجزء الرابع سنة ١٩٦٧م
- بطرس بن سليمان البستاني: منتقيات أدباء العرب، المطبعة دار مارون عبود
- أدوار البستاني: مناهج الترجمة، الطبعة الأولى سنة ١٩٤٥م
- اللورد أفبري: مسرات الحياة معربها وديع البستاني، المطبعة المعارف لندرا، سنة ١٩١١م
- وديع البستاني: رباعيات عمر الخيام، المطبعة دارالمعارف بمصر سنة ١٩٤٧م
- أحمد رامي، رباعيات الخيام، مكتبة الناشر الخانجي ومكتبة المثني ببغداد، الطبعة الخامسة سنة ١٩٥٣م
- عبدالحق فاضل: ثورة الخيام، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، سنة ١٩٥١م
- سليمان البستاني: معرب إلياذة هوميروس، مطبعة الهلال بمصر، سنة ١٩٠٤م

- وديع البستاني: معرب المهراتة، ترجمها رومش دط، نشرها جمعية متخرجي الجامعة الأميركية في بيروت
- وديع البستاني: معرب "نالوداميتي" المطبعة مجلس الهند للروابط الثقافية، دلهي الجديدة سنة ١٩٧١م
- وديع البستاني: معرب "الراميانة" من مخطوطاته
- وديع البستاني: معرب "الغيتة" من مخطوطاته أيضاً
- وديع البستاني: معرب "الشاكنتلا" لكاليداس، المطبعة الهند للروابط الثقافية، آزاد بهون، دلهي الجديدة
- كرم البستاني: النساء العربيات، المطبعة مكتبة صادر بيروت
- كرم البستاني: أميرات لبنان، المطبعة مكتبة صادر بيروت، والمناهل سنة ١٩٥٠-٥٢م
- بطرس بن سليمان البستاني: معارك الغرب في الشرق والغرب المطبعة منشورات دارالمكشوف،
- الطبعة الأولى سنة ١٩٤٤م
- العلامة الشيخ محمديوسف الكاندهلوي: حياة الصحابة، المطبعة دارالقلم دمشق، الطبعة الثانية
- سنة ١٩٨٣م
- بطرس بن سليمان البستاني: أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، المطبعة دارالمكشوف
- ودارالثقافة الطبعة السادسة بيروت، لبنان سنة ١٩٦٨م ج: ١
- بطرس بن سليمان البستاني: معارك العرب في الأندلس، المطبعة منشورات دارالمكشوف،
- الطبعة الأولى سنة ١٩٥٠م
- فؤاد أفرام البستاني: على بن أبي طالب في "الروائع" المطبعة الكاثوليكية، بيروت سنة ١٩٢٧م
- كرم البستاني: حكايات لبنانية، دارصادر ودار بيروت للطباعة والنشر سنة ١٩٦١م
- الدكتور عبدالله إسماعيل البستاني: حرية الصحافة، المطبعة القاهرة سنة ١٩٥٠م
- الدكتور سيف الدين البستاني: أوقفوا هذا السرطان حقيقة الماسونية وإهدافها، ومطبعة وسنة
- طبعه غير مذكور
- وديع البستاني: الإنتداب الفلسطيني باطل ومحال، المطبعة الأميركانية بيروت سنة ١٩٣٦م

سليمان البستاني: عبرة وذكرى أو الدولة العثمانية قبل الدستور أو بعده، مطبعة الأخبار سنة ١٩٠٨ م

مناظرة لغوية، للمجمع العلمي العربي، المطبعة مكتبة القدس سنة ١٣٥٥

سليم البستاني: تاريخ فرنسا الحديث، المطبعة المعارف بيروت سنة ١٨٨٤ م

فؤاد أفرام البستاني: إمرو القيس في "الروائع" المطبعة الكاثوليكية بيروت سنة ١٩٢٧ م

فؤاد أفرام البستاني: حسان بن ثابت في "الروائع" الجزء (٢٣)، المطبعة دارالمشرق الكاثوليكية

بيروت لبنان، الطبعة الرابعة سنة ١٩٦٩ م

فؤاد أفرام البستاني: الفرزدق في "الروائع" الجزء (٣٧) المطبعة الكاثوليكية بيروت، الطبعة الثالثة

سنة ١٩٦٦ م

فؤاد أفرام البستاني: ابو الطيب المتنبي في "الروائع" من جزء المدائح والأهالي المطبعة

الكاثوليكية، بيروت سنة ١٩٢٧ م

فؤاد أفرام البستاني: ابو الطيب المتنبي في "الروائع" من جزء المراثي والمفاخر والحكم، المطبعة

الكاثوليكية بيروت، سنة ١٩٢٧ م

فؤاد أفرام البستاني: أحمد شوقي في "الروائع" الجزء (٤٨) المطبعة الكاثوليكية بيروت، لبنان سنة

١٩٦٨ م

فؤاد أفرام البستاني: أحمد شوقي في "الروائع" الجزء (٤٩) المطبعة الكاثوليكية، بيروت لبنان،

سنة ١٩٦٨ م

فؤاد أفرام البستاني: أحمد شوقي في "الروائع" الجزء (٥٠) المطبعة الكاثوليكية، بيروت لبنان،

سنة ١٩٦٨ م

فؤاد أفرام البستاني: خمسة أيام في ربوع الشام، المطبعة منشورات الثقافية اللبنانية بيروت، سنة

١٩٥٠ م

ديوان خليل المطران: مطبعة الهلال مصر، سنة ١٩٤٩ م

- الدكتور عمر فروخ: المنهاج الجديد في الأدب العربي، المطبعة دارالعلم للملايين
- أحمد الشرباصي: أمير البيان شكيب ارسلان، مطابع دارالكتاب العربي بمصر، الطبعة الأولى سنة ١٩٦٣ م
- الدكتور سهيل إدريس: محاضرات عن القصة في لبنان سنة ١٩٥٧ م
- بطرس البستاني: مختاراته مناهل الأدب العربي، (١١) المطبعة مكتبة صادر بيروت
- فؤاد أفرام البستاني: سليمان البستاني، في "الروائع" الجزء (٤٥) المطبعة الكاثوليكية، الطبعة الأولى بيروت سنة ١٩٥٣ م
- بطرس بن سليمان البستاني: أدباء العرب في العصر العباسية، المطبعة دارالمكشوف ودارالثقافة
- الطبعة السادسة، بيروت لبنان سنة ١٩٦٨ م ج: ٢
- طه حسين: مستقبل الثقافة في مصر، مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر
- فؤاد أفرام البستاني: دائرة المعارف، المطبعة بيروت سنة ١٦٩٢، ج: ١
- اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، الجزء الأول، دارالمعارف بيروت، لبنان سنة ١٩٨٤ م
- محمد عبدالغنى حسن: فن الترجمة في الأدب العربي، المطبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة
- سنة طبعه غير مذكورة

المجلات:

- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، تموز (يوليو) سنة ١٩٧٠ م، مطبعة الترقى
- عادل الغضبان: رئيس تحرير مجلة الكتاب، المطبعة دارالمعارف بمصر سنة ١٩٤٩ م

المصادر الإنكليزية:

Eral of cromer Modern Egypt, New York (1909) Vol. 11

The new Encyclopaedia Britannica, peter B. Norton president and chief

Executive officer joseph J. Esposito president publishing group

printed in U.S.A. Library of congress Volume 7, Founded 1968 15th
Edition

J. Jomier, Leiden E.J. The Encyclopaedia of Islam v. 17, Brill 1976

Edward Firzgerald: Rubaiayt of omar Khayyam Rendered onto English
Verse.

Internet paper: originally published in prospects the quarterly review of
comparative education (Paris UNESCO: International Bureau of
Education), vol. XXIII, no. 1/2, 1993, p. 125-133

أدوارد فيتزجيرالد: (Edward Firzgerald) ترانه هائی خیام، ترجمة واقتباس: يوسف

جمشید پور غلام حسین امین، پنگاه مطبوعات پابنده تهران ۱۹۵۶ م

المصادر الأردية:

مولانا السيد رياست على الندوى: تاريخ الأندلس (اردو) مطبعة معارف أعظم كره سنة ۱۹۵۰ م

ج: ۱، ص: ۱۱۰، ۱۱۱

دائرة المعارف الإسلامية (اردو) مطبعة دانشگاه پنجاب، لاهور، الطبعة الأولى سنة

۱۹۸۷-۱۴۰۷ هـ ج: ۲، ص: ۸۰۵، ۸۰۶